



وقائع ومجوت

السِّيَرُ الْأَمَامَةُ الدَّوْلَةُ الثَّانِيَّةُ

للمُعَقَّدِ تَحْتَ شِعَارِ

النُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ صُنُوفُ لَا يَفْتَرِقَانِ

وَبِعَيْنِكَ

مِنْهُجِ الْأَمَةِ فِي تَرْبِيَةِ الْفَرْدِ وَالْأُمَّةِ

لِلْحِزْبِ الثَّامِنِ

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

الترقيم الدولي المعياري للكتاب

ISBN : 9789922263366

العتبة العباسية المقدسة. اسبوع الامامة الدولي (الثاني : 2024 : كربلاء، العراق)، مؤلف.
وقائع وبحوث اسبوع الامامة الدولي الثاني : المنعقد تحت عنوان النبوة والامامة صنوان لا يفترقان :
وبعنوان منهاج الأئمة في تربية الفرد والأمة-الطبعة الأولى-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة،
1445 هـ. = 2024.

8 مجلد : ايضاحيات : 24 سم

يتضمن ارجاعات بيبليوجرافية.

النص باللغة العربية : ومستخلصات باللغة العربية والانجليزية.

ISBN : 9789922263366 (v. 8)

1. اهل بيت الرسول عليهم السلام (شيعة)-مؤتمرات. أ. العنوان.

LCC: BP193 .A83 2023 VOL. 08

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر



٢٣٩,٠٦

و ٤٩٨ وقائع وبحوث اسبوع الامامة (٢٠٢٦:٢ : كربلاء)

وقائع وبحوث اسبوع الامامة الثاني : تحت شعار

النبوة و الامامة صنوان لا يفترقان / مجموعة مؤلفين -. ط ١ .

- كربلاء : العتبة العباسية المقدسة ، ٢٠٢٦

ج٨ (٥٦٨ ص.) : ٢٤٤ سم.

١. السيرة النبوية الشريفة - بحوث . ٢. الامامية (الشيعة).

٣. علي بن ابي طالب (ع)-الامام الأول بحوث . أ. العنوان .

رقم الإيداع

٢٠٢٦ / ٣٥١٣

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (٣٥١٣) لسنة ٢٠٢٦



اسم الكتاب

وقائع وبحوث اسبوع الامامة
الدولي الثاني

المراجعة العلمية

اللجنة العلمية المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

الناشر

العتبة العباسية المقدسة

الاعداد والتحرير

اللجنة التحضيرية المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

الاشراف العام

اللجنة العليا المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

التصميم والاخراج الطباعي

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الجزء

الثامن

الطبعة

الاولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م



مؤتمر الإمام الهادي السادس الدولي الثاني

"تحديات الفكر المتطرف في زمن الإمامين العسكريين (عليه السلام): استراتيجيات للتصدي والتأثير الإيجابي"

الشيخ حسين محسن علي سلوم
العتبة العباسية المقدسة

الملخص:

يكشف هذا البحث تحديات الفكر المتطرف في زمن الإمامين العسكريين (عليه السلام)، مع التركيز على دراسة الاستراتيجيات المحتملة للتصدي لهذه الظاهرة وتحقيق التأثير الإيجابي.

ويتناول البحث دراسة حالات وتحليل الخطابات الدينية والاجتماعية للإمامين العسكريين، ويستخدم منهجاً تحليلياً لتحليل الطرق التي تمكّن والفهاء من مواجهة الفكر المتطرف والتأثير بشكل إيجابي على المجتمع. وتُظهر النتائج أن الاستراتيجيات القائمة على الشفاف والحوار والتواصل الفعال تلعب دوراً حاسماً في التصدي للفكر المتطرف وتعزيز التأثير الإيجابي في المجتمع.



بيان البحث:

يتناول هذا البحث دراسة تحديات الفكر المتطرف في زمن الإمام الهادي والعسكري (عليه السلام)، مع التركيز على تطوير استراتيجيات فعالة للتصدي لهذه التحديات وتحقيق تأثير إيجابي على المجتمع.

أهداف البحث:

- ١- تحليل ظاهرة الفكر المتطرف في زمن الإمامين العسكريين وفهم دوافعها وأسباب انتشارها.
- ٢- استكشاف الوسائل والأساليب التي يمكن استخدامها للتصدي للفكر المتطرف وتقويض تأثيره.
- ٣- تطوير استراتيجيات قوية لنشر الفكر المعتدل والإيجابي وزيادة التأثير الإيجابي في المجتمع.
- ٤- دراسة تأثير هذه الاستراتيجيات على تقليل انتشار الفكر المتطرف وتحقيق التوازن والاستقرار في المجتمع.

بعض نتائج البحث:

١. أهمية توجيه الجهود نحو فهم نصوص روايات العسكريين (عليه السلام) واستخلاص الأفكار الإيجابية منها يعكس وعياً مجتمعيّاً متقدماً.
٢. ويمكن أن يكون له تأثير إيجابي في مواجهة الأفكار المتطرفة، فمن المهم إعداد استراتيجية مستقبلية واضحة لتحقيق هذا الهدف.
٣. يمكن البدء بتكوين مجموعة من الخبراء والمفكرين لتحليل النصوص واستخلاص الفوائد العظيمة منها، يجب أيضاً توجيه الجهود نحو تعزيز الوعي المجتمعي حول أهمية فهم تلك الروايات بشكل سليم ومثمر حتى نبتعد عن التفسيرات المتطرفة.
٤. اتسم عصر الإمامين العسكريين (عليه السلام) بأنه مخطط بعيد المدى لحفظ الامة من الأفكار المتطرفة والسلبية عن طريق المرجعية الرشيدة.

اتسمت المرجعية الرشيدة بمشابهة كبيرة من عصر الإمامين الهادي والعسكري (عليه السلام) من حيث القيادة العظيمة.

٥. ممكن تحديد العوامل الرئيسية التي تسهم في انتشار الفكر المتطرف في زمن الإمامان العسكريين (عليه السلام)، مما يساعد في وضع استراتيجيات لمواجهةها.

٦. تحليل تأثير الفكر المتطرف على المجتمع والأفراد لفهم الضرورة الملحة لتطوير استراتيجيات فعالة للتصدي له.

٧. توضيح التداعيات السلبية للفكر المتطرف وكيف يمكن تقويضها من خلال تأثير إيجابي على المجتمع.

٨. تقديم أمثلة على الأساليب والتقنيات الفعالة التي يمكن استخدامها لنشر الفكر المعتدل والتأثير الإيجابي.

٩. استعراض دراسات الحالة أو تجارب سابقة توضح أهمية تطبيق الاستراتيجيات المقترحة وتأثيرها في تحقيق التوازن والاستقرار في المجتمع.



المقدمة:

يمثل منهج أهل البيت صلوات الله عليهم ومنهم الإمامين العسكريين (عليه السلام) المنقذ من الضلال المعرفي القيمي؛ كونهم عدل القرآن الكريم، وكل ما جرى في حياة الأئمة (عليهم السلام) فهو موجود في الكتاب وعلاجاته أيضاً في نفس الكتاب ولكن الكتاب لا ينطق إذا استُنطق يحتاج الى ناطق يعالج الانحرافات بشكل يتسق مع مناهج تفكير الناس في العصر الذي عاشه ويصلح الى باقي العصور.

ومن سبر طريقة العلاج للعسكريين (عليهم السلام) تجده يؤكد على علاج الاولويات المتمثلة بالجانب النظري العقائدي في مباحث التوحيد مع الزنادقة وغيرهم من الاتجاهات الفكرية التي كانت تتبنى مناهج مخالفة لمناهج ثقل القرآني الثاني.

وايضاً أرسى الأئمة الهداة مقامات النبوة الحققة مع الفرق والمِلل التي كان لها حضور تشكيكي في الساحة الفكرية للمجتمع الاسلامي، ومثلت فتنة خلق القرآن احدى ركائز اشغال السلطة للمجتمع وخلق بلبله بين اوساطه عالجها الإمام بالسهل الممتنع الذي يستوعبه العقل البسيط والعقل الكبير بنفس الحجة.

ولم يفت الامامين (عليهم السلام) خلق قاعدة علمية تنقل موروث أحاديثها وأحاديث اباائها وتنفهم مرادات محمد وال محمد وفق منهجية أصّل لها اهل البيت في أحاديثهم الشريفة.

ويمثل الخزين العلمي لحل الاشكالات لكل ما يطرأ على الامة من وقائع ومستحدثات يحتاج المجتمع الى تقنين شرعي لها، ولم يفت الامام تأكيده وترسيخه عملياً على الجانب الاخلاقي الذي يمثل بعداً سننياً أكد عليه القرآن في سقوط الامم والجماعات في حال ابتعادهم عنه.

خلاصة الامر ان التصور الذي يحمله من اطلع على سيرة الامامين (عليهما السلام) يجد انهما مطلعين ومتابعين لجميع ما يحدث في الواقع الاجتماعي وكانت علاجتهما تجمل ابعاد تتعدى الحلقة الزمنية التي عاشاها الى اليوم وإلى ظهور ولدهما الشريف الحجة بن الحسن (عليه السلام) الذي سيؤسس الى تقويم كل اعوجاج اصاب الدين الاسلامي القويم.

وينقسم بحثنا إلى مبحثين، ففي المبحث الأول: التعريفات اللغوية والاصطلاحية والتأسيس الفكري للإمامين (عليهما السلام)، وفيه مطلبان، والمطلب الاول: تعريف الفكر والانحراف (لغةً)، والمطلب الثاني: حركة الإمامين علي الهادي والحسن العسكري (عليهما السلام) في التصدي للانحرافات الفكرية، منة ثم نخرج في المبحث الثاني: الإمام العسكري والإمام الهادي: صد شبهات الانحراف وتأصيل الفكر الإسلامي في العصر الحديث، المطلب الأول: صد شبهات الانحراف في المجتمع الاسلامي، والمطلب الثاني: ضمان الإمامين العسكريين (عليهما السلام) للامة من الانحراف للأمد البعيد.

ونوضح بقدر المستطاع أبرز طرق المعالجات التي وضعها الامامين وحثا الامة على التمسك بها حتى من خلالها يكون الانسان في مأمن من فتن والثقافات الغريبة التي تهلك المجتمع.

والغرض هو ان نأخذ الدروس والعبر مستلهمين من التشابه والترابط مع الاحداث التي حصلت وجرت على المسلمين في عصر الامامين المجاهدين (عليهما السلام) من التعمد في نشر الفوضى وخلق الاضطرابات من اجل ايهام الامة بإتباع الحق وكيف الامامين (عليهما السلام) واجها الشبهات وخاصة التي تؤثر على بناء الانسان.

منهج البحث:

سيعتمد منهج البحث على دراسة التاريخ والتحليل النقدي للمصادر التاريخية المتاحة خلال عصر الإمامين العسكريين، بالإضافة إلى إجراء مقارنات مع التحديات الفكرية الحالية.

أسئلة البحث:

١- ما هي تحديات الفكر المتطرف التي واجهت المجتمعات خلال زمن الإمامان؟

٢- كيف تم التصدي لتحديات الفكر المتطرف خلال زمن الإمامين؟

٣- ما هي الدروس والتجارب التي يمكن استخدامها لتأثير إيجابي على التحديات الفكرية الحالية؟

السؤال الأصلي:

"ما هي تحديات الفكر المتطرف في زمن الامامين العسكريين؟"

الأسئلة الفرعية:

- كيف تأثرت المجتمعات بتحديات الفكر المتطرف خلال زمن الإمامين العسكريين؟

- ما هي الاستراتيجيات التي استخدمت لمواجهة تحديات الفكر المتطرف في تلك الفترة؟

- هل يمكن استخدام تجارب زمن الإمامان العسكريان للتأثير الإيجابي على التحديات الفكرية الحالية؟

فرضيات البحث:

١. تحديات الفكر المتطرف تأثرت بشكل كبير على المجتمعات خلال زمن الإمامين العسكريين.
٢. كانت هناك استراتيجيات فعالة تم استخدامها لمواجهة وتصحيح التحديات الفكرية في تلك الفترة.
٣. يمكن توظيف التجارب التاريخية لتأثير إيجابي على تحديات الفكر المتطرف في الحاضر.

السابقة الدراسية للبحث:

سيشمل البحث مراجعة الدراسات التي تتناول السياق الثقافي والتاريخي خلال زمن الإمامان العسكريان، بالإضافة إلى دراسة التحليلات النقدية والتأثيرات الاجتماعية والسياسية في تلك الفترة.

خطة البحث:

سيتم تنفيذ البحث عبر مراحل محددة تشمل جمع وتحليل المصادر التاريخية، ومقارنتها مع التحديات الفكرية الحالية. كما سيتم استخدام الاستراتيجيات التحليلية لتطبيق النتائج في صياغة التوصيات النهائية.



التمهيد:

“ تعدّ تحديات الفكر المتطرف في زمن الإمامين العسكريين (عليهما السلام) موضوعاً مهماً يستحق الدراسة والتحليل، حيث تعتبر هذه الفترة من الفترات الحساسة في تاريخ المجتمع والفكر الإسلامي. يهدف هذا البحث إلى استكشاف التحديات التي مر بها الفكر المتطرف خلال زمن الإمامين العسكريين، وتحليل الاستراتيجيات التي تم استخدامها للتصدي لهذا الفكر وتأثيرها الإيجابي على المجتمع، يأتي هذا البحث في سياق الحاجة الملحة لفهم تاريخنا وتجاربنا من أجل التعامل الفعال مع التحديات الحالية للفكر المتطرف.”

في هذا الموضوع الهام، يمكن لتمهيدٍ موسع أن يتناول تحديات الفكر المتطرف في زمن الإمامين العسكريين (عليهما السلام) ويستعرض الاستراتيجيات الممكنة للتصدي لهذا التحدي ولتأثير إيجابي يمكن أن تكون لها، يمكن أن يتضمن التمهيد مراجعة للخلفية التاريخية لهذه الحقبة وتحليلاً لسياق التحديات التي تواجه المجتمع في تلك الفترة. كما يُمكن أن يُسلط الضوء على أهمية فهم العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تسهم في نشوء الفكر المتطرف.



المبحث الأول:

التعريفات اللغوية والاصطلاحية والتأسيس الفكري للإمامين (عليه السلام)

المطلب الأول: تعريف الفكر والانحراف (لغةً):

لغةً: هي نظام من الرموز والصوتيات والقواعد النحوية والصرفية والدلالية المتفق عليها داخل مجتمع معين، والذي يستخدم للتواصل والتفاهم بين أفراد هذا المجتمع. تعد اللغة أحد الأدوات الأساسية في التعبير عن الأفكار والمشاعر والأحاسيس، وتساعد في بناء الهوية الثقافية والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد.

تتطور اللغة باستمرار مع تطور المجتمع والتغيرات التي يشهدها، حيث تنشأ كلمات وتتغير معانيها وتتطور النحو والصرف والدلالة بمرور الزمن. وبالتالي فإن اللغة تعد عملية حية وديناميكية، وتتفاعل بشكل مستمر مع بيئة المجتمع وتطوراتها.

أما الانحراف اللغوي فهو يحدث عندما يتم استخدام اللغة بشكل غير صحيح أو غير قياسي، ويشمل ذلك استخدام الكلمات بمعاني مختلفة عن معانيها، أو استخدام النحو والصرف بشكل غير صحيح، أو العدول عن العربية الفصحى إلى اللهجات العامية في المواطن التي يقتضي المقام فيها التزام الفصاحة.

ويمكن أن يؤدي الانحراف اللغوي إلى فهم خاطئ أو سوء تفاهم بين الأفراد، وقد يؤثر على مصداقية الشخص الذي يستخدم اللغة بشكل غير صحيح، ويعد بذلك مصدر قلق للمجتمع والمتحدثين به. لذلك يحتاج المتحدثون باللغة إلى الالتزام بالقواعد النحوية والصرفية والدلالية المتفق عليها داخل المجتمع، والتي تساعد على تحقيق التواصل والتفاهم الصحيح بين الأفراد.

الانحراف (لغة) كما جيء عند اهل اللغة:

لغة: الميل . او العدول.^١

جاءت مادة "فكر" في "لسان العرب" بمعنى إعمال الخاطر في الشيء^٢، وفي "المعجم الوسيط": الفكر مقلوب عن الفرق، لكن يستعمل الفكر في الأمور المعنوية، وهو فرق الأمور وبحثها للوصول إلى حقيقتها.^٣

تعريف الفكر والانحراف والتطرف (اصطلاحاً):

يشير اصطلاح "الفكر" إلى مجموعة المفاهيم والأفكار التي يحملها الفرد أو المجتمع، والتي تساعد في توجيه تصرفاتهم وسلوكهم واتخاذ القرارات. ويمكن أن يتضمن الفكر مجموعة متنوعة من المعتقدات الفلسفية والدينية والثقافية والاجتماعية التي تؤثر على النظرة العامة للشخص أو المجتمع للحياة والعالم.

قال في "المعجم الوسيط" "فكر" بمعنى: إعمال العقل في الشيء، وترتيب ما يعلم ليصل به إلى مجهول"^٤

أما ما يدور في اصطلاح "الانحراف" فهو يشير إلى الخروج عن المعايير والمقاييس الأساسية المتفق عليها في المجتمع، والتي تتضمن السلوك الاجتماعي واللغوي والثقافي والديني.

وقد يمثل الانحراف اللغوي في استخدام لغة غير صحيحة أو غير قياسية، أو استخدام اللهجات العامية بدلاً من اللغة الرسمية في المواقف الرسمية، أو استخدام الكلمات بمعانٍ خاطئة أو مفاهيم مغلوطه، بينما يمكن أن يمثل الانحراف الاجتماعي في السلوكيات التي تتعارض مع المعايير المجتمعية المتفق عليها، مثل السرقة والخداع والفساد والعنف. بالنسبة لـ "الفكر"، يمكن القول إنه يشمل النظرة العامة للفرد أو المجتمع للحياة والعالم، ويعكس قيمهم ومعتقداتهم وأفكارهم ورؤيتهم

للمستقبل. وقد تتغير الأفكار والمعتقدات مع تطور المجتمع وتغيراته، وقد يؤثر ذلك على السلوكيات والتصرفات والقرارات التي يتخذها الفرد أو المجتمع.

جاء كلمة (فكر) في عشرين موضعاً من القرآن الكريم، إلا أنها بصيغة الفعل، ولم تأتي أو ترد على نحو الاسم أو المصدر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ المدثر: ١٨.

أي الإنسان يفكر فيما تم نزوله على الرسول الأكرم محمد ﷺ من الكتاب المجيد، ويُقدِّر بعقله ما فيه من الكلام الجليل الذي جاء به الرحمن الرحيم تنزيلاً للعالمين.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ الأنعام: ٥٠. أفلا يتفكرون الناس في آيات الله؛ حتى يتبصرون بالحق فيؤمنون بالله تعالى.

فيمكن القول إنه يشمل مجموعة من السلوكيات غير المقبولة من قبل المجتمع، وقد تكون هذه السلوكيات متعلقة بمختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والدينية. وتختلف درجة الانحراف عند الأفراد والمجتمعات المختلفة، حيث يمكن أن يكون سلوك معين مقبولاً في بعض الثقافات وغير مقبول في ثقافات أخرى.

ويمكن أن يكون الانحراف عن المعايير والمقاييس الاجتماعية والثقافية مرتبطاً بمجموعة من العوامل، مثل التربية والتعليم والبيئة والثقافة والتقاليد والقيم الاجتماعية. وعندما يحدث الانحراف في المجتمع، فإنه يمكن أن يؤدي إلى مشكلات اجتماعية وتوترات وصراعات، إذ يمكن أن يؤثر على الثقة بين أفراد المجتمع وعلى تكافؤ الفرص وعلى العدالة والمساواة. ويطلق مصطلح "الفكر المتطرف" إلى نمط من الفكر أو العقيدة التي تتميز بالتشدد الشديد والانحراف عن الآراء السائدة والقيم المعتادة في

المجتمع. يمكن تعريف الفكر المتطرف: بأنه فكر أو معتقد يتميز بالتشدد المفرط والتطرف في الآراء والمواقف، وغالباً ما يتطلب تجاهلاً للتوافق الاجتماعي والأخلاقي والقانوني.

تتنوع أشكال الفكر المتطرف وقد يكون له أبعاد سياسية، دينية، عرقية، أو اجتماعية. يتميز المتطرفون بالتمسك الشديد بمعتقداتهم الخاصة ورفض الاعتراف بالآراء المختلفة أو حتى التسامح معها. كما يميل المتطرفون إلى استخدام العنف أو التهديدات العنيفة لتحقيق أهدافهم وترويج أفكارهم. يجب ملاحظة أن الفكر المتطرف ليس محصوراً في ثقافة أو ديانة معينة، بل يمكن أن يوجد في مختلف الثقافات والمجتمعات، ومع ذلك، يجب الانتباه إلى أن الأفكار المتطرفة لا تعكس آراء أو معتقدات العديد من الأفراد الذين ينتمون إلى نفس الثقافة أو الديانة.



المطلب الثاني: حركة الإمامين علي الهادي والحسن العسكري (عليه السلام) في التصدي للانحرافات الفكرية:

يعد الإمامين الهادي والعسكري (عليه السلام)، أحد الأئمة الاثني عشر المعصومين (عليه السلام)، الذين يحملون الرسالة الإلهية ويتولون إرشاد الناس إلى الحق والصواب.

ولقد كان الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) من أبرز الشخصيات الإسلامية التي قامت بالتصدي للانحرافات الفكرية التي ظهرت في فترة حكمه.

الإمام الهادي (عليه السلام) لم يشترك في هذا الجدل في مجال معين ولأسباب معينة وأوضح أن الأهم هو العمل بكتاب الله وتجنب ضياع الوقت في المسائل التي لا تضيف قيمة حقيقية إلى حياة الناس.

وهذا ما يتبين من خلال رسالته الشريفة للأصحاب:

"بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة فإن يفعل فقد أعظم بها نعمة، وإن لا يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أن الجدل في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، ويتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلا الله عز وجل وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين، جعلنا وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون"

امتدت قضية هذه المسألة في عصر الإمام العسكري (عليه السلام)، فقد روي عن أبي هاشم الجعفري أنه قال: "فكرت في نفسي، فقلت: أشتهي أن أعلم ما يقول أبو محمد (عليه السلام) في القرآن؟ فبدأني وقال: الله خالق كل شيء، وما سواه فهو مخلوق"

وتأتي هذه الحركة في إطار مساهمته الكبيرة في نشر المذهب الإسلامي الحقيقي والدفاع عن الإسلام من الفكر الضال والتحريف الذي كان يظهر في بعض الأوقات، ويعتبر هذا التصدي الفكري من أهم مكاسبه وإنجازاته في الدعوة إلى الإسلام.

حيث كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام يعتني بتوجيه الناس إلى الحق والصواب، وكان يركز على توجيه الناس إلى العقل والنقد والتفكير، وكان يدعوهم إلى عدم الانجرار وراء المزايدات الفكرية الزائفة والتي تمتد بشكل كبير في فترة حكمه.

كما قام الإمام الهادي عليه السلام بنشر العلوم والعقائد الإسلامية الصحيحة، وقام بإصلاح المجتمع وتوجيهه نحو الطريق الصحيح، حيث كان يعتبر التعليم والتربية من أهم الأسس التي يمكن الاعتماد عليها في بناء المجتمع. ومن أهم إنجازات الإمامين عليه السلام في التصدي للانحرافات الفكرية:

١. التربية والتعليم: كان الإمامين عليه السلام يعتبران التربية والتعليم من أهم الأسس التي يمكن الاعتماد عليها في بناء المجتمع، وكانا يحرصان على توفير الفرص التعليمية للجميع، بما في ذلك النساء والفقراء والمحرومين.

٢. الدفاع عن الحق والصواب: في عصرهم عليه السلام يدافعان بشكل حاسم عن الحق والصواب، وكانا يتصدیان لأي محاولات التحريف والانحراف والبدع عن الدين الحقيقي، وكانا يستخدمان الحجج الشرعية والعقلية لإثبات صحة ما يقولاه، وينبهان الناس إلى خطورة الانحرافات الفكرية التي تشوب بعض الأفكار والمعتقدات.

٣. الحوار البناء: من أهدافهما السامية عليه السلام يدعوان إلى الحوار البناء والتفكير العقلاني، وكانا يؤمنان بأن النقاش الهادئ والبناء هو السبيل الوحيد للتوصل إلى الحقيقة، وقد تجلّى ذلك في مواقفهم من الخصوم والمعارضين، حيث كانا يدعوهم إلى النقاش والحوار المفيد.

٤. الدعوة إلى العدالة والإنصاف: ان الاسلام يدعو إلى العدالة والإنصاف، لذا الامامين ارواحنا لهما الفداء يعتبروها أساساً في بناء المجتمع الإسلامي، وكان يدعوان إلى إقامة العدل في المجتمع والتخلص من الفساد والظلم.

٥. الدعوة إلى التضامن والوحدة: ابرز أهدافهم الاجتماعية أنهم يدعون إلى التضامن والوحدة بين المسلمين، وكانا يؤمنان بأن التضامن والوحدة هما السبيل الوحيد لتحقيق النجاح والتقدم في الحياة، وقد حرصا على توجيه الناس إلى تحقيق هذا الهدف العظيم.

٦. نشر المعرفة والعلوم الإسلامية: النشاط المستمر الثقافي يحرصان على نشر المعرفة والعلوم الإسلامية الصحيحة، ويعزز التفكير النقدي والعقلاني لدى الناس.

٧. النصح والإرشاد: كان الإمامان العسكريان (عليه السلام) يقومان بتوجيه الناس إلى الحق والصواب بطريقة مؤدبة ومنطقية، وكانا يحاولان إقناعهم بالحقيقة من خلال الحجج العقلية والنقدية، ويحذرونهم من التأثير بالأفكار الضالة والمغلوطه.

٨. الحوار والتعايش السلمي: كان الإمامان العسكريان (عليه السلام) يؤمنان بأن التعايش السلمي بين المسلمين وغير المسلمين هو الأساس الذي يمكن أن يساهم في بناء المجتمع، وكانا يحثان على الحوار والتفاهم والتعايش السلمي بين جميع أفراد المجتمع.

٩. التوجيه للتفكير الإيجابي: ان الإمامين الهادي والعسكري (عليه السلام) يحثان الناس على التفكير الإيجابي والبعد عن الأفكار السلبية والتشاؤم، ويحثهم على العمل بجهد والسعي لتحقيق الرسالة.

١٠. النهوض بالمجتمع: من الأهداف الإنسانية ودعوة السماء كانا ﷺ يعملان على النهوض بالمجتمع وتحسين حياتهم، من خلال تعزيز القيم الإسلامية وتحقيق العدالة والمساواة بين الناس، وتشجيع العمل الخيري والإنساني.

وبهذه الطريقة، كانا أمامي حق ﷺ يسعون جاهدين إلى التصدي للانحرافات الفكرية، وتحقيق الهدف الأسمى للدعوة إلى الإسلام الحقيقي، وكان يعتبر التصدي للانحرافات الفكرية أحد أهم أهدافه ومساهماته في نشر الإسلام الصحيح والدفاع عنه، ولذلك، فإن حركة الإمامين العسكريين ﷺ في التصدي للانحراف.

كما سيأتي خلال سرد الشواهد الروائية الآتية.



المبحث الثاني:

الإمام العسكري والإمام الهادي عليهما السلام: صد شبهات الانحراف وتأصيل الفكر الإسلامي الأصيل في العصر الحديث

المطلب الأول: صد شبهات الانحراف في المجتمع الاسلامي:

الموروث الروائي يروي لنا ان في ارهاصات العصرية للإمامين عليهما السلام شهد العديد من الفتن والانحرافات التي كانت تهدد وحدة المسلمين وتؤثر على استقرار الأمة، ومن بين هذه الفتن فتنة الغلاة حيث تقول الرواية:

عن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: كتب أبو الحسن العسكري عليه السلام إلى علي بن عمرو القزويني بخطه: (اعتقد فيما تدين الله به أن الباطن عندي حسب ما أظهرت لك فيمن استنبأت عنه، وهو فارس لعنه الله، فإنه ليس يسعك إلا الاجتهاد في لعنه وقصده ومعاداته، والمبالغة في ذلك بأكثر ما تجد السبيل إليه، ما كنت أمر أن يدان الله بأمر غير صحيح، فجد وشد في لعنه وهتكه وقطع أسبابه، وصد أصحابنا عنه، وإبطال أمره، وأبلغهم ذلك مني، واحكه لهم عني، وإني سائلكم بين يدي الله عن هذا الأمر المؤكد، فويل للعاصي وللجاحد. وكتبت بخطي ليلة الثلاثاء لتسع ليال من شهر ربيع الأول سنة ٢٥٠ هـ، وأنا أتوكل على الله وأحمده كثيراً)^٧

تقول الرواية:

كما حصل في فتنة الاستسقاء في سامراء مع راهب النصراني، كان في زمن الحسن الأخير عليه السلام قحط فخرجوا للاستسقاء ثلاثة أيام فلم يمطر عليهم، قال: فخرج يوم الرابع بالجائليق مع النصراني فسقوا، فخرج المسلمون يوم الخامس فلم يمطروا فشك الناس في دينهم، فأخرج المتوكل الحسن عليه السلام من الحبس وقال: أدرك دين جدك يا أبا محمد، فلما خرجت النصراني ورفع الراهب يده إلى السماء قال أبو محمد لبعض غلمانه خذ

من يده اليمنى ما فيها فلما اخذه كان عظم اسود ثم قالق: استسق الآن، فاستسقى فلم يمطر وأصحت السماء فسأل المتوكل عن العظم قال: لعله اخذ من قبر نبي ولا يكشف عظم نبي إلا ليمطر).^٨

فهذه الشبهة من نماذج الشبهة العصرية التي نعيشها بين مجتمعات اليوم وخاصة بما يتناول على مواقع التواصل الاجتماعي حيث النشر يكون واسع ومتفق عليه في سبيل سحب وتغيير نمط الانسان وفكرة الإسلامى الى فكر متطرف ومتقلب وفي نفس الوقت يملك قناعة وتسليم وهو غافل تماما.

وغيرها كانت تهدف إلى إثارة الشك والريبة في قلوب الامة والشيعة، وتشويه صورة واجهة الاسلام وتشويه سمعته ونشر الأكاذيب حوله؛ تعتبر فتنة الشبهات والشكوك إحدى الفتن الخطيرة التي تهدف إلى ضرب الوعي الديني للمسلمين، وتشويه صورة الإسلام وطمس القيادة الربانية. وقد جاهدنا بالتصدي لهذه الفتنة حيث تم تداول الأقاويل والشائعات لضرب عقيدة الامة الاسلامية، وإيقاع الناس في شك وريبة وزرع شبهات في عقولهم.

وكانت هذه الفتنة تهدف إلى تقليل التوجه الى امامة أئمة الهدى وتشويه صورته في نظرة المسلمين، وإضعاف قوة الشيعة والإسلام بشكل عام. وهذا ما نراه اليوم من تحرك فوضوي لأكثر من جهة تدعي نفسها بثقافة جديده لتنشيط الشباب او احتضان الشاب بدعوى الاهتمام وما نرى محتوى الدعوى الا تظليل وضرب عقيدة الانسان وعكس توجه من الكرامة الإلهية الى تسقيط شخص الانسان وادخله في ثقافات غريبة ليست لها أي صلة في الدين ولا مقبولة عقلاً.

ولذلك، فإن الحرص على توعية المجتمع ونشر الوعي والثقافة الإسلامية الصحيحة هو أمر ضروري للحد من تأثير هذه الفتنة والحفاظ على سمعة ومكانة الإمام الحسن العسكري وأهل بيته الكرام. تلك الفتن والانحرافات التي حدثت في زمن العسكريين (عليه السلام) كانت تهدد وحدة المسلمين وكان لها تأثير كبير على المجتمع الإسلامي وتاريخه؛ ولكن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) كان يقود معركة ضد هذه الفتن ويحارب بكل قوة للحفاظ على وحدة المسلمين واستقرار المجتمع الإسلامي.

المطلب الثاني: الضمان العسكري للامة من الانحراف للأمد البعيد:

وطبيعة حياة الامامين (عليهم السلام) جاءت قبل اخر حلقة في مراحل الامامة الإلهية في قيادة الأمة إلى الإصلاح ووضعهم في بر الأمان. لذلك كان عصر الإمامين (عليهم السلام) في قمة الأحداث المفصلية مع حياة الأمة من حيث التنبيهات واستباق مع الدولة الحاكمة وعدم تفويت لهم فرصة وضع المجتمع في دوامه مستقبليه لأن هذا المصير سيهلك الامة الإسلامية تدريجياً مع مرور الوقت فيجب أن يأتي دور الإمام ويضع الأدوار الملائمة المعالجة وهو عين الله الناطرة الذي سيجعل من الأمة في فهم الأدوار القادمة.

كان هذا اهم دور أكد عليه الامامين (عليهم السلام) هو دور تكميلي لتأسيس حلقة ترابط روحي ومعرفي مع الإمام بصورة غير مباشرة في صعوبة ويحتاج إلى تمهيد ومعايشه وإشراف من الامام لأن أكثر الأدوار التي عايشتها شيعة أنصار ومحبي اهل البيت (عليهم السلام) هم دائماً على اتصال المباشر مع الإمام او عن وكيل الإمام.

نهض الامامان سلام الله عليهما وبدءا بالتمهيد لهذه المرحلة الحساسة الضرورية للامة ومن خلال الاعداد الجيد للمجتمع لتقبل الوضع وفهم لما

يأتي في عصر الغيبة والتي سيكون فيها انفصال ظاهري ملموس بين الأمة الإسلامية والشيعية بالخصوص وبين شخص الامام الحجة ابن الحسن عليه السلام. ولذلك يتطلب الأمر من وضع خطة بتقنيه حديثه مع جهود حثيثة استثنائية وبذل جهد استثنائي مغاير لما سبق في تلك الأيام وهي ما جرى في المراحل السابقة التي عاصرها وعاشها محبي أهل البيت عليهم السلام، واتخاذ تدابير ولمسات جديدة، لذا اتخذ الإمامان العسكريان عليهما السلام عدت خطوات دقيقة في غاية الحسية لأهمية المعالجة ويعرف بالوضع الجديد ما سيحصل منها وهي:

اولاً: نظام الوكلاء والذين عينهم الإمام الهادي عليه السلام في كافة ارجاء المعمورة لتواجد الكم الشيعي مثلما في الاهواز وقم وبغداد... وهؤلاء يعتبرون حلقة الوصل بين المجتمع الشيعي والإمام وهو بهذا الشكل يتبين أحد أنواع النظم المخطط له للأمة لوضعها في تمهيد لعصر الغيبة للإمام الحجة عليه السلام.

وقد اتسع هذا النظام للوكلاء اغلب المناطق في عصر الامامين العسكريين عليهما السلام بشكل واسع وكبير.

ثانياً: تم تهيئة واعداد الفقهاء حسب المنهج الديني المتكامل للأهل البيت عليهم السلام وهم العلماء الممثلون للخط الرسالي النبوي الأمامي فكرياً وفقهياً وعقائدياً وهو أسس للأمة الإسلامية لمعرفة جميع الأحكام من الحلال والحرام والعقائد.

وقد أسس وعرف الأئمة عليهم السلام الأسس المنهجية العملية العقلية الفكرية للمرجع النائب العام للأمة من خلال عدت تعريفات منها:

وقال موسى بن جعفر عليه السلام " فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا، والتعليم عن علومنا بتعليمه ما هو محتاج إليه أشدّ

على إبليس من ألف عابد لأنّ العابد همّه ذات نفسه فقط وهذا همّه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته فلذلك هو أفضل عند الله من ألف ألف عابد وألف ألف عابدة^٩

وفي رواية أخرى ((قال علي بن محمد عليه السلام: لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك صاحب السفينة سكانها أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل))^{١٠}.

فهذا التعريف الأول عنهم عليهم السلام وفيه يتبين الأهمية الكبرى لوجود العالم أو المرجع بين المجتمع أو الأمة الإسلامية.

(قال الحسن بن علي العسكري عليه السلام: يأتي علماء شيعتنا القوامون لضعفاء محبين وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم، على رأس كل واحد منهم تاج (بهاء خ ل) قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة، فشعاع تيجانهم ينبث فيها كلها، فلا يبقى هناك يتيم قد كفله ومن ظلمة الجهل وحيرة التيه أخرجوه إلا تعلق بشعبة من أنوارهم فرفعتهم في العلو حتى يحاذي بهم ربض غرف الجنان..)^{١١}.

فمن خلال الأحاديث التي تقدمت في روايات أهل البيت عليهم السلام تتضح صفات وسمات القائد أو حلقة الوصل التي ستربط بين المجتمع وبين إمام زماننا عجل الله فرجه فهذه الروايات كاشفه عن مطالب التي تنطبق على من سيقوم بمهام حماية المجتمع وتنبهه عن الأخطاء أو غيرها.

فالروايات أظهرت الملامح الجلييلة والقيادة الحكيمة والفكر الواعي والعقل النير الذي سيتم وسيسير بما جائوا به واوصوا به ال محمد. وهذا المنطلق للروايات التي ساروا عليها قد وضع الائمة عليهم السلام المهام المهمة لتكوين وبناء المنظومة الشيعية من خلال إتمام الدور الفعال للامة وتأسيس نظام الرجوع إلى الفقيه واستيعاب المجتمع لعصر الغيبة، واستناداً الى ما تقدم من بيان أهمية العالم وبيان معالم الدين ومعرفة الحلال والحرام في وقائع الحياة.

وقد هياً الإمامان عليهما السلام نماذج من خلص الاصحاب الاوفياء الذين سطوروا أجمل واروع الأدوار الجهادية مع الامة الإسلامية، وتوفير لهم المساعدة وايصال لهم أي سؤال او فتوى من او الى الامام والاهم من ذلك حمايتهم من الشبهات والتضليل الإعلامي ومن الفرق الضالة التي ظهرت وكثرت من اجل اسقاط وتمويه شعار الإسلامي الحقيقي.

يمكن تحديد عدة أسباب لظهور الفتن في التاريخ الإسلامي، ومنها:

١- الصراع على السلطة: يمكن أن يكون الصراع على السلطة والحكم بين الفئات والجماعات السياسية أو الدينية من أهم الأسباب التي تؤدي إلى ظهور الفتن. فعلى سبيل المثال، حدث تنافس على الحكم بين العباسيين والامويين، أو تصفية حسابات ما بين الاثنين، وقد يؤدي ذلك ظهور وإلى اندلاع الفتن والصراعات الداخلية مما يؤثر سلباً على المجتمع.

٢- الإقصاء والتمييز: يمكن أن يؤدي الإقصاء والتمييز الاجتماعي لبعض الفئات إلى ظهور الفتن والصراعات الداخلية، حيث يشعر أفراد هذه الجماعات بالظلم والاضطهاد، وقد يلجؤون إلى العنف والتمرد كوسيلة لتحقيق مطالبهم.

٣- الفكر المتطرف: يمكن أن يؤدي الفكر المتطرف والمتشدد إلى ظهور الفتن والصراعات الداخلية، حيث يروج هذا الفكر للتطرف والعنف والتعصب، ويحاول فرض رؤيته وأفكاره على الآخرين، مما يؤدي إلى تقسيم المجتمع وتفككه.

٤- الظروف الاجتماعية والاقتصادية: قد تؤدي الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة إلى ظهور الفتن والصراعات الداخلية، حيث يشعر الأفراد بالتجاهل والإهمال، ويتأثرون بالفقر والجوع والبطالة وغيرها من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، ويبحثون عن حلول لمشاكلهم بطرق عنيفة.

هذه بعض الأسباب التي يمكن أن تؤدي إلى ظهور الفتن في التاريخ الإسلامي، ولا يمكن تحديد سبب واحد لظهور الفتن، حيث إنها تنشأ بسبب تفاعل عدة عوامل وظروف مختلفة. ويمكن أن تتفاعل هذه العوامل والظروف لتؤدي إلى اندلاع الفتن والصراعات الداخلية.

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام يدعو إلى التسامح وعدم التفرقة، ويحث على تجنب الانحرافات الفكرية والتعصب الديني والسياسي، ويدعو إلى إيجاد الحلول السلمية للصراعات والمشاكل. ولذلك، يجب على أفراد المجتمعات المختلفة في المجتمع الإسلامي تجنب الانحرافات الفكرية والتطرف، والعمل على تحقيق الوحدة والتعاون والتسامح لتجنب ظهور الفتن والصراعات الداخلية.

الختامة:

في خاتمة البحث حول تحديات الفكر المتطرف في زمن الإمامين الهادي والحسن العسكري (عليهما السلام) يمكن استنتاج عدة نقاط مهمة، تعد الفترة التي عاشها الإمامان (عليهما السلام) فترة حساسة في تاريخ الإسلام، حيث تعرضا لضغوط وتحديات جسيمة من قبل النظام الحاكم والقوى المعادية للإسلام.

أولاً: تبين أن الفكر المتطرف ليس ظاهرة جديدة، بل كانت تحديات مماثلة قائمة في زمن الإمامين الهادي والعسكري سلام الله عليهم، وقد استخدم الإمامان استراتيجيات متعددة للتصدي لتلك التحديات ومواجهة الفكر المتطرف.

ثانياً: أظهرت الدراسة أن التأثير الإيجابي يلعب دوراً حاسماً في مكافحة الفكر المتطرف، فقد كان للإمامين (عليهما السلام) تأثير كبير على المجتمع والأمة من خلال تعليمهم قيم الإسلام الحقيقية وترسيخ المفاهيم السليمة للدين.

نركز على ضرورة اتخاذ استراتيجيات فعالة لمكافحة الفكر المتطرف في العصر الحاضر، حيث تستمد من عبق حياة الإمامين (عليهما السلام) ويجب أن يكون تعاون ودراسات متواصلة حتى يتسنى من خلالها خدمة الأفراد والمجتمعات لتعزيز التسامح والتعايش السلمي وتعزيز التعليم والوعي الديني الصحيح، كما يجب العمل على توفير فرص العمل والتنمية الاقتصادية للشباب لمنع الانجرار إلى الأفكار المتطرفة.

النتائج:

تحديات الفكر المتطرف تعد مسألة هامة في زمن الإمام العسكريين (عليه السلام)، وتتطلب استراتيجيات فعالة للتصدي لهذه الظاهرة والتأثير الإيجابي على المجتمع. من المتوقع أن تحقق الاستراتيجيات التالية نتائج إيجابية:

١. يمثل أهل البيت (عليهم السلام) المعيار الكلي في مقياس ما يصلح أو ما لا يصلح من الأفكار التي تستجد على الساحة الانسانية في نتائجها الفكرية والصلاحية، والأنجع في علاج الازمات والانحرافات التي تقع فيها النفس الانسانية افراداً وجماعات، وهم الركن الثاني مع القرآن في وجوب الاعتصام بهم واللجوء لأحاديثهم في حل المشكلات التي تقع في المجتمع الاسلامي أو تستهدفه.

٢. والامامين العسكريين (عليهم السلام) يمثلان حلقة من حلقات توجيه العقل الاسلامي في صناعة العقل السوي الذي تتسق رؤاه مع الحكمة الالهية لصناعة الانسان المتكامل وبناء القدوة الصالحة والنموذج الأمثل في المجتمعات الإسلامية بعيداً عن التطرف السلبي.

٣. من يطالع التاريخ يشهد أن الإمامين (عليهم السلام) لهما اطلاع ومتابعة شاملة لجميع ما يحدث في المجتمع، وكانت علاجاتهما تحتوي على أبعاد تتجاوز الفترة الزمنية التي عاشوها، وتمتد إلى ظهور الإمام المهدي بن الحسن (عليه السلام) الذي سيؤسس لتصحيح كل الانحرافات التي أصابت الدين الإسلامي القائم.

٤. واليوم المرجعية العليا تنتهج نفس منهجية العسكريين (عليهم السلام) من حيث رفد المعتمدين في أرجاء العالم للعمل من تقليل الضربات الفكرية والتصدي للشبهات العالمية على الأمة وعدم الافتقار للسؤال والجواب.

٥. لابد من النظر والدراسة في إجابات الامامين (عليهما السلام) العلاجية للمجتمع في ذلك الوقت مع دمجها للوقت الحالي والخروج بعدة نتائج إيجابية وداعمه لعصرنا الحالي.

٦. مكافحة التطرف عبر الإنترنت: يجب مراقبة ومكافحة النشاطات المتطرفة على الإنترنت، وتعزيز الوعي بمخاطر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في ترويج الأفكار المتطرفة، يمكن توفير برامج توعوية وتدريبية للشباب لمساعدتهم على التعامل مع المحتوى المتطرف على الإنترنت.

٧. التثقيف والتوعية: ينبغي توجيه الجهود نحو تثقيف الناس حول الأديان والمعتقدات المختلفة، بما في ذلك الإسلام والمذهب الجعفري، وتوضيح الفهم السليم للمفاهيم الدينية. يمكن استخدام وسائل الإعلام والتعليم والمحاضرات والندوات لتعزيز التوعية والفهم الصحيح.

٨. لابد من دراسات أكاديمية حول الفكر المتطرف في فترة إمامة العسكريين (عليهم السلام) وكيفية التصدي له.

٩. مقالات تناول استراتيجيات فعّالة لمواجهة الفكر المتطرف والتأثير الإيجابي على المجتمع.

١٠. أبحاث تاريخية تحليلية تسلط الضوء على السياق الثقافي والاجتماعي لفترة إمامة العسكريين (عليهم السلام) وتأثيرها على الفكر المتطرف.

التوصيات:

بناءً على التحديات التي تواجه الفكر المتطرف في زمن الإمام العسكريين (عليه السلام)، هنا بعض التوصيات العامة لتصدي لهذا الظاهرة وزيادة التأثير الإيجابي:

١. تعزيز الوعي والتثقيف: يجب تعزيز الوعي بمخاطر الفكر المتطرف وتأثيره السلبي على المجتمع، بالإضافة إلى توفير برامج تثقيفية وتوعوية للتأكيد على القيم الإيجابية والتسامح.

٢. تعزيز التعليم والفرص الاقتصادية: يجب توفير فرص تعليمية واقتصادية للشباب لتخفيف الظروف التي قد تجعلهم عرضة للاستقطاب نحو الفكر المتطرف.

٣. دعم القيم الإنسانية والتسامح: ينبغي تعزيز القيم الإنسانية والتسامح من خلال دعم الفعاليات والبرامج التي تعمل على تعزيز التفاهم والتعايش السلمي بين الثقافات والمجتمعات.

٤. دور الإعلام والاتصال: يجب أن يلعب الإعلام دوراً فعالاً في نشر رسائل التسامح ونبذ العنف والتطرف، وتقديم صورة حقيقية وإيجابية عن الإسلام وقيمه.

٥. تعزيز التعاون الدولي: يجب تعزيز التعاون الدولي في مجال مكافحة الإرهاب والتطرف، وتبادل الخبرات والمعرفة وتطوير استراتيجيات مشتركة للتصدي للفكر المتطرف.

هذه التوصيات تمثل بعض الخطوات التي يمكن اتخاذها للتصدي للفكر المتطرف وتأثيره السلبي، ومن المهم تضافر الجهود على المستويات المحلية والدولية لتحقيق نتائج إيجابية في هذا الصدد.

الهوامش:

- ١ - إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الناشر: دار القلم - دمشق: إبراهيم محمد الجرمي: ٦٩.
- ٢ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، سنة النشر: ٢٠٠٣ م، ١١/ ٢١١. مادة (فكر).
- ٣ المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، طبعة المكتبة الإسلامية إستانبول، تركيا، الطبعة الثانية (بدون تاريخ)، الجزء الثاني مادة (فكر). ص ٦٩٨.
- ٤ ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون، طبعة المكتبة الإسلامية إستانبول، تركيا، الطبعة الثانية (بدون تاريخ)، الجزء الثاني، المعجم الوسيط، الجزء الثاني ص ٦٩٨.
- ٥ - الشيخ الصدوق، التوحيد: ٢٢٤، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم، تحقيق: محقق / مصحح: حسيني طهراني، هاشم، الطبعة: الأولى.
- ٦ - ابن حمزة الطوسي، الثاقب في المناقب: ٥٦٨، سنة الطبع: ١٤١٢، الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر - قم المقدسة، تحقيق: نبيل رضا علوان، الطبعة: الثانية.
- ٧ - الشيخ الطوسي، الغيبة: ٣٥٢، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم المقدسة، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، الطبعة: الأولى.
- ٨ - أبي جعفر رشيد الدين لابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٥٢٦، عنى بتصحيحه والتعليق عليه: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسه انتشارات علامه - قم.
- ٩ - محمد باقر المجلسي، بحار الانوار: ١/ ١٤٩، وترجمه وشرح: فيض الإسلام.
- ١٠ - المصدر نفسه: ٨/ ٢.
- ١١ - المصدر نفسه: ٧/ ٢٢٧.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

* إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الناشر: دار القلم - دمشق: إبراهيم محمد الجرمي: ٦٩.

* ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، سنة النشر: ٢٠٠٣ م، ١١/٢١١. مادة (فكر).

* المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، طبعة المكتبة الإسلامية إستانبول، تركيا، الطبعة الثانية (بدون تاريخ)، الجزء الثاني مادة (فكر). ص ٦٩٨.

* ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون، طبعة المكتبة الإسلامية إستانبول، تركيا، الطبعة الثانية (بدون تاريخ)، الجزء الثاني، المعجم الوسيط، الجزء الثاني ص ٦٩٨.

* الشيخ الصدوق، التوحيد: ٢٢٤، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم، تحقيق: محقق / مصحح: حسيني طهراني، هاشم، الطبعة: الأولى.

* ابن حمزة الطوسي، الثاقب في المناقب: ٥٦٨، سنة الطبع: ١٤١٢، الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر - قم المقدسة، تحقيق: نبيل رضا علوان، الطبعة: الثانية.

* الشيخ الطوسي، الغيبة: ٣٥٢، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم المقدسة، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، الطبعة: الأولى.

* أبي جعفر رشيد الدين لابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٥٢٦/٣، عني بتصحيحه والتعليق عليه: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسه انتشارات علامه - قم.

* محمد باقر المجلسي، بحار الانوار: ١/١٤٩، وترجمه وشرح: فيض الإسلام.

التعبير اللغوي في حكم الإمام علي الهادي عليه السلام
(ت ٢٥٤ هـ) قراءة تحليلية لقوله:
(رَاكِبِ الْحَرُونِ أُسِيرَ نَفْسِهِ، وَالْجَاهِلِ أُسِيرَ لِسَانِهِ).

أ.م.د. حسام عدنان الياصري

م.م. حلا غازي مهدي

المديرية العامة لتربية القادسية

ملخص البحث.

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْخَلْقِ بِاسْطِ الرَّزْقِ، فَالِقِ الْإِضْبَاحِ، ذِي الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ، وَالْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ، الَّذِي بَعْدَ فَلَا يُرَى، وَقَرَّبَ فَشْهَدَ النَّجْوَى،
تَبَارَكَ وَتَعَالَى. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُنَازَعٌ يُعَادِلُهُ، وَلَا شَيْءٌ يُشَاكِلُهُ،
وَلَا ظَهِيرٌ يُعَاضِدُهُ، قَهَرَ بِعِزَّتِهِ الْأَعْزَاءَ، وَتَوَاضَعَ لِعَظَمَتِهِ الْعُظَمَاءُ، فَبَلَغَ
بِقُدْرَتِهِ مَا يَشَاءُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَمِينِكَ وَصَفِيِّكَ، وَحَبِيبِكَ
وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَحَافِظِ سِرِّكَ وَمُبَلِّغِ رِسَالَاتِكَ، أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ
وَأَجْمَلَ وَأَكْمَلَ وَأَزْكَى وَأَنْمَى وَأَطْيَبَ وَأَطْهَرَ وَأَسْنَى وَأَكْثَرَ مَاصِلَاتٍ
وَبَارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ وَتَحَنَّنْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ وَأَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ
وَصَفْوَتِكَ وَأَهْلِ الْكِرَامَةِ عَلَيْكَ مِنْ خَلْقِكَ.

اللَّهُمَّ وَصِّلْ عَلَى آلِهِ الْمُعْصُومِينَ الْمَيَامِينَ أئمة الهدى، وقادة التقي .

يسعى هذا البحث إلى قراءة مدونة الإمام الهادي عليه السلام اللغوية من
خلال انتخاب بعض حكمه ومقولاته، التي أنتجها لسانه الفصيح
ومنطقه البليغ الذي ورثه عن القرآن الكريم وعن جده المصطفى
الأحمد وأبيه علي الامجد .

ومنطلق الفكرة لهذا البحث أنهم عليه السلام (أهل الفصاحة والبلاغة والبيان،
وعليهم تهطلت غصونها وفيهم تنشبت فروعها)، فلا مشاحة في القول من



بعد أن لغتهم الافصح وسليقتهم في الخطاب الانجع والانجح، إذ ليس في لسانهم عجمة، ولا في فصاحتهم من لحن يخرجهم عن دائرة البلاغة، ويبعدهم عن مقاعد البيان والاعجاز اللغوي، فلسانهم (نسيج وحده)، واسلوبهم في التعبير فريد عصره، يُحتذى بهم منطقاً ولغة، وإن تباعد بهم عصر الاحتجاج على حد اللغويين، أو تناهى وتنأى بهم مكان الانجاز وفقاً لمعايير أهل العربية، فهم مُكتةٌ، وهي لديهم طيّعة مطيعة تجري على ألسنتهم جريان الماء القراح، لأنها من سَمَتِهِمْ وَسَمَتِهِمْ، وهم بها أُمْلِكُ، وهي بهم أَلْيَقُ .

وكانت المحاولة البحثية هذه منطلقة من الفكرة أعلاه في قراءة تحليلية لقولته في حكمة له نصها: (رَاكِبِ الْحَرُونِ أَسِيرَ نَفْسِهِ، وَأُجَاهِلِ أَسِيرَ لِسَانِهِ) ^(١). إذ تم تحليلها وفقاً لمناهج التحليل اللغوي، وبيان مزاياه التعبيرية الصوتية والمورفولوجية والبنوية التركيبية والمعجمية بلحاظ السياق وقضايا الربط والتأليف النصي، بغية استكناه أهم خصال التعبير اللغوي للإمام عليه السلام، ومقاربة ذلك بالأصول والقواعد التي اجترحها اللغويون، لمعرفة مستوى الأحكام والإحكام في النص موضوع القراءة .

ومن ثم الخروج بالتائج المتحصلة التي تكشف المزايا اللغوية، وتلاحظ الفروقات المعنوية والدلالية للتعبير عند الإمام الهادي عليه السلام .

وكان من الطبيعي اعتماد جمهور من المصادر والمراجع في هذه القراءة، بغية الوقوف على المقولات الواصفة والاصول التي تحكم العربية، بوصفها لغة معيارية، وإبلاغية بلاغية عالية المقام . والحمد لله أولاً وآخراً على ما تفضل به وانعم .

الكلمات المفتاحية : (التعبير، اللغوي، الإمام، تحليل)

Abstract

Praise be to God for everything He praised Him with, with which His angels are closest to Him, most honorable to His creation, most honorable to His creation, and satisfied with those who praise Him, a praise that excels all other praises, like the superiority of our Lord to all of His creation.

May peace and blessings be upon the most honorable of his creation and the best of his elite, Muhammad, and his pure God. This research seeks to read the linguistic code of Imam Al-Hadi (peace be upon him) by selecting some of his wisdom and sayings, which were produced by his eloquent tongue and eloquent logic, which he inherited from the Holy Qur'an and from his grandfather, the Chosen One Al-Ahmad, and his father, Ali Al-Amjad. The starting point of the idea for this research is that they (peace be upon them) are (people of eloquence, eloquence, and eloquence, and upon them its branches drooped and within them its branches sprung up), so there is no dissent in saying that their language is the most eloquent and their manner in speech is the most effective and successful, since there is no idiom in their tongue, nor in their eloquence a melody that takes them out. It distances them from the circle of rhetoric, and keeps them away from the seats of eloquence and linguistic miracles. Their tongue is a fabric alone, and their style of expression is unique for its era. They are emulated in logic and language. Even if the era of protest, as linguists say, has far removed from them, or the place of achievement has been far removed from them according to the standards of the people of Arabic, they are a library. To them, she is obedient and obedient, running on their tongues like water like ulcers, because she is one of their characteristics and theirs, and they are in possession of her, and she is more worthy of them.



This research attempt was based on the above idea in an analytical reading of his saying in a wisdom of his that reads: (The one who rides the freedman is captive to his breath, and the ignorant is the captive of his own tongue).

It was analyzed in accordance with the methods of linguistic analysis, and its expressive, phonetic, morphological, structural, and lexical advantages were demonstrated, taking into account the context and issues of linking and textual composition, with the aim of identifying the most important characteristics of the linguistic expression of the Imam (peace be upon him), and approaching that with the principles and rules proposed by linguists, to know the level of rulings and rulings in the subject text. reading .Then come up with the results obtained that reveal the linguistic advantages and notice the moral and semantic differences of expression according to Imam Al-Hadi (peace be upon him).

It was natural to rely on a number of sources and references in this reading, in order to determine the descriptive categories and principles that govern Arabic, as a standard language, and a high-status rhetorical statement. Praise be to God first and last for His grace and blessings.



اولاً : مهاد في التعبير اللغوي وآليات الكشف الدلالي عند العرب

١ - التعبير اللغوي في اللغة والمفهوم

يتوجب علينا تعريف العناصر المكونة للتعبير اللغوي للوقوف على حقيقته، والمتمثلة في (التعبير، واللغة)

فالتعبير لغةً: (عَبَّرَ)أصل صحيح، يدل على النفوذ في الشيء والمضي، يقال عبر النهر، وعبرت النهر عبوراً، وناقاة (عبر) أسفار: أي سافر عليها، وعَبَّرْتُ عنه أي تكلمت عنه ^(٢)، وقيل: " عَبَّرَ الرَّؤْيَا يَعْبُرُهَا عَبْرًا وَعِبَارَةً وَعَبَّرَهَا: فَسَّرَهَا وَأَخْبَرَ بِمَا يؤول إِلَيْهِ أَمْرُهَا ... وعبر عن فلان: تكلَّم عَنْهُ وَاللَّسَانُ يُعَبِّرُ عَمَّا فِي الضَّمِير ... " ^(٣)

يُستخلص مما سبق ان التعبير هو: قدرة الإنسان على إيصال الخلجات والافكار المستقرة في اعماق النفس، ومن الطبيعي انها تختلف من فرد الى آخر فهناك من يملك القدرة للتعبير عن افكاره بنفسه، في حين يلجأ بعضهم الى من يساعده للتعبير عن الافكار التي تدور في ذهنه، اما التعبير اصطلاحاً: فهو مختص بتغيير الرؤيا، أو العبور من الظاهر الى الباطن ^(٤)، ويقال هو ملكة يفصح بها عن المقصود بلفظ واضح ^(٥)

يمكن القول إن معنى التعبير هو ايضاح ما يدور في خاطر المتكلم من أفكار ومشاعر بألفاظ متينة ولغة واضحة .

ويرتبط معنى التعبير عند اللسانيين المحدثين بالشكل المادي؛فهو الشكل اللغوي للكلام، كمنطوق (دال) يقابله المضمون (كمدلول) لغوي للكلام، فالمادة اللغوية والصوتية المكتوبة أو المحكية يتمفصل بها سطح المضمون مع سطح التعبير ^(٦) .

أما اللغة فقد ذكر صاحب المقاييس أن الاصل في اشتقاقها من (لَغَى) إذ يقول: "لغى بالأمر، إذا لهج به . ويقال إن اشتقاق اللغة منه، أي يلهج صاحبها بها" ^(٧)



وقيل ان الكلام الذي يلهج به، فرقة فرقة لغة، واللغو كلام بشيء لم ترده^(٨).
ومن ادق واشهر تعاريفها انها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم،
وهي "فعلة" من لغوت: أي تكلمت اصلها: لغوة، ككرة وقلة ووثبة،
كلها لاماتها ووات والجمع: لغات..."^(٩)

ومن الصعوبة وضع تعريف موحد ومحدد للغة؛ لأنها نظام موروث
يتشكل طبقاً لقوالب معينة، ويتخذ صفته في السياقات المختلفة تبعاً
لاستعمالاته، التي تعمل ضمن هذا النظام الموروث.

٢- آليات الكشف الدلالي عند اللغويين

الدلالة لغةً: تعني الإفهام والتوضيح بقرينة موجودة في الشيء،
يقال: "دللت فلاناً على الطريق"، والدليل الامارة في الشيء"^(١٠)، ومن
معانيها الهداية يقال: "أدلت الطريق: اهديت إليه"^(١١). والدليل: "ما
يستدل به والدليل: الدال"^(١٢). فالدلالة لفظاً تعني الابانة عن الشيء
الغامض، والاهتداء إلى المعنى المراد.

الدلالة اصطلاحاً:

الدلالة في الاصطلاح هي "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم
بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المولول"^(١٣). فالدلالة في
عرف اللغويين ما اتصلت باللفظ بحيث متى اطلق هذا اللفظ أو تخيل
فهم معناه للعلم بوضعه^(١٤).

تعد الأسس النظرية التي بُني عليها المصطلح القديم جزء من الدرس
الفقهية، الذي يركز على فهم كتاب الله ومعرفة احكامه لذا نجد أن مختلف
علوم التراث العربي تشترك إلى حد كبير في أدوات ومصطلح البحث
العلمي، ولم يخرج الدرس الدلالي عن هذه الأسس النظرية كونه يدور في
الفلك نفسه^(١٥) ومن هذه الاسس:

١ - اللفظ والمعنى

اهتم علماءنا القدماء بعرض ثلاث علائق مهمة في هذا الجانب هي :

- العلاقة بين اللفظ والمعنى .

- العلاقة بين اللفظ واللفظ .

- العلاقة بين الحروف ببعضها^(١٦) .

وافردوا لذلك أبواباً، فقد افرد ابن جني (ت ٣٩٢هـ) باباً سماه: (باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني)، عرض فيه اشتراك بعض الأسماء في المعنى الواحد، وارجع هذا الاشتراك لوجود تقارب دلالي بين تلك الأسماء^(١٧).

كما اشتهر ابن جني بإبراز ظاهرة مهمة هي تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ وأطلق عليها اسم ((تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني))^(١٨)، ذكر فيها وجود تقارب في مخارج بعض الألفاظ .

٢ - التفرع الدلالي للفظ

يعد التفرع الدلالي القطب الأساسي في العملية الدلالية لذا فقد اهتم العلماء بالتفرع ومنهم ابن جني الذي اهتم بضبط تفرعات الفعل وبيان سماته الذاتية والانتقائية فقد خص الفعل بهذا التوزيع وكان يسميه اللفظ لأنه النواة الأساسية المستمدة من الأحداث المحققة في الواقع اللغوي، ويقسم ابن جني الدلالة الى ثلاثية أقسام^(١٩):

١ - الدلالة اللفظية .

٢ - الدلالة المعنوية.

٣ - الدلالة الصناعية.

ثانياً: تحليل النص

إن النص يكشف عن إمكانية لغوية و فطنة تعبيرية تتشح فيها بطراز النسج التقابلي اللغوي؛ لأنهم أهل من أهل بيت زُقُوا العلم زَقًا، فعتبة المقول مكونة من جملتين الأولى قوله :

(رَاكِبِ الْحُرُونِ أَسِيرِنَفْسِهِ)، و الثانية (وَأَجَاهِلِ أَسِيرِ لِسَانِهِ) .

وهما على صعيد التعاقب النصي مقارنة بين نمطين و ضربين من الناس، لبيان طبيعة الموقف والتصرف، والرهان لكل منهما بلحاظ وثاقة العقل وجودته لكل منها .

١. ابنية النص ومفرداته

يكشف القول موضوع الدرس عن مفردات لغوية ذات طابع فريد في الاستعمال مقارنة بنظمها سياقيا، وهو ما منحها جودة أخرى تنوف بها على ما سواها من ألفاظ كان بالإمكان تَجَبُّرُهَا من لدن الامام عليه السلام. غير أن فكرة النص، وحكمة المعنى ساقط التعبير أعلاه .

فأما البناء العلمي الذي يبحث في صور الأشياء أو اشكالها للألفاظ المنتظمة في التعبير، فمطلعها صيغة (فَاعِل)، في قوله (رَاكِبِ)، وهو بناء يدل على الفاعلية المستمرة المقرونة بالحدث، إذ يقول فيه اللغويون والنحويون إنه من صيغ الفعلية الدائمة زمنا عند الكوفيين^(٢٠) .

وبهذا هم يحكمون على استمرارية الحدث و صاحبه المتلبس به. وفي النص أيضا صيغة (فَعُول) التي تستعمل اسما ووصفا ومصدرا في العربية، وهي من أبنية المبالغة اذا كانت وصفا وبلحاظ السياق^(٢١) .

وعليها في قوله الامام عليه السلام، (الحُرُون)، وهذه البنية الصرفية متداخلة المعاني كما تقدم مشتركة المضمون في وزنها وبنيتها التركيبية بوصفها مفردة، تعالقت معها في السياق نفسه رديفتها في الصياغة العلمية التي تبحث في صور الأشياء

أو اشكالها، وهي بنية، (فَعِيل) التي تكرر ورودها في المقول مرتين في الجملتين كليهما، مصداقها كلمة (أَسِير) الواردة في شطر العبارة الأولى، وفي ضربها الثاني، بلحاظ الإضافة التركيبية نحويا، لدن قوله ﷺ (أَسِيرٌ نَفْسِهِ)، و(أَسِيرٌ لِسَانِهِ)، وهما على كل حال محور الموازنة، ورفيق المقارنة بين النوعين من الانماط الاجتماعية الإنسانية غداة الحدث الانجازي الفعلي، بين من يرتفق الحرون، وبين الجاهل . وصيغة (فَعِيل) أيضا من الصيغ المشتركة بين الاسمية والوصفية وربما المصدرية أيضا كما يشير اللغويون ^(٢٢) . وهي نتاج المبالغة اذا كانت وصفا، والثبوت اذا استعملت اسما أو مصدرا .

٢. البنى التركيبية للنص

تعد البنية التركيبية للنصوص أهم المرتكزات التي تتواشج فيها العناصر النحوية، وفاقا لموقعيتها في صياغة الجمل والتركيب النحوية، اذ تنظم البنية في شكل تركيب نحوي أما أن يبدأ فيه بنمط الفعل، ليكون جملة فعلية صدرها الفعل الدال على الحدث بزمانه وحركيته .

أو أن يكون طليعتها الاسمية، بلحاظ كونها جملة اسمية خبرية ربما، خبرها الاسم في الأصل لدى النحاة . أو أن يكون خبرها الجملة بشئ انماطها . ومن قراءة المقول للإمام الهادي يظهر أن التركيب الذي نسجه الامام ﷺ مكون من بنيتين نحويتين اسميتين :

الأولى منهما تركيب اسمي اضافي، وهو قوله :

(رَاكِبُ الْحُرُونِ أَسِيرٌ نَفْسِهِ).

وهذا النص تركيب خبري اسمي مؤلف من المبتدأ (رَاكِبُ)، وهو اسم فاعل مضاف إليه ما بعده على سبيل الإضافة اللفظية غير المحضة، وهي عند النحويين من الإضافة الوصفية ^(٢٣) نظيرها قراءة لقوله تعالى : ((وَكَلَّبُهُمْ بِأَسْطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ)) (الكهف: ١٨) ^(٢٤) .

أما خبر التركيب الوصفي الاضافي، فهو قوله (أسيرٌ نفسه)، الذي يمثل تركيباً إضافياً مصدرًا بصيغة الوصف (فَعِيل)، مناسبة، فيما يظهر، لنسق الاعتداء الذي صدره الوصفية بصيغة باسم الفاعل^(٢٥)، لتتظم الجملة بركنيها الاسناديين .

وفي قبالة هذا التعبير النحوي، نجد التركيب الثاني من المقول، الذي يمثل طرف الجملة الخبرية التالية للإخبار الاول، وهو قوله (الجاهلُ أسيرٌ لِسَانِهِ) .

والجملة أعلاه تركيب خبري مصدرٌ بالمتبدأ، بزنة (فَاعِل) المخبر عنه بصيغة (فَعِيل) المضاف إليه ما بعد .

وهنا لحاظ تعبيرى تركيبى هام، يليه التفكيك النحوي للوحدات التركيبية، إذ يتقابل طرف الجملة الاول، بالجملة الثانية على حد ما يسمّى (التوازي التركيبى)^(٢٦) في علم نحو النص ولغته^(٢٧) .

وهذا الضرب من التعبير النحوي يظهر تشابها في أنماط التركيب بين طرفي الجملة، وتقابلاتها التعبيرية^(٢٨) .

وهي تقنية نحوية معبرة، تفيد لدى المعنى، وتفتح عندها الدلالات التعبيرية أيما انفتاح، بلحاظات الموازنة والمقارنة والمقابلة التي تخدم معاني النحو، ودلالاتها العميقة الناتجة من بنية التركيب، وتعدده لفظا، بحيث ينتقل النص من كونه نصا نحويا بسيطا في تراكيبه، إذ هو لا يتعدى الابتداء والخبر، الى نمط عالٍ من الافادة من راء التكرار أو التوازي التعبيرى الاسنادى المتعدد .

٣. التعبير اللفظي اللغوي

والمقصود به هنا المفردات التي استعملها الامام الهادي عليه السلام في مقولته .
إذ يعد مستوى الالفاظ من أهم أركان التعبير اللغوي النصي، فهي
وسيلته للمعنى و سبيله للمغزى، وغايته القصد المراد تحقيقه وإبلاغ
السامع به^(٢٩) .

لذا عني بهذا الضرب اللغويون القدامى الذين يعدون الالفاظ
والمفردات اصل النسخ اللغوي، وبها يتم انتقاء الفهم وتوجيه المعاني،
بوصفها قرينة معجمية عند اللغويين .

وكذا صنع المحدثون الذين اعتبروها أسس اللغة وأساسها، ولا يقل
دورها عن دور بقية مستويات التعبير، بما فيها المستوى الفني الذي ينتج
عنها، ويتفاعل من نسيجها وسبكها .

لذا صار للكلمات دور في اللغة على حد ستيفن اولمان^(٣٠)، ومن قبله ابن
جني^(٣٩٢هـ) وابن فارس^(٣٩٢هـ) والانباري^(٥٧٧هـ) .

ويلاحظ في التعبير موضوع التحليل أن الامام استعمل مفردات سهلة
متداولة ذات معان جارية في الحقل اللغوي في زمان النص ومكانه، فضلا
عن لحاظ القابل من الايام التي سيعيش فيها اثنائها المقول تاريخيا، وهو
تدرجه في البيئة اللغوية الاجتماعية اللغوية، وفاقا لمبدأ العرف اللغوي
الذي تتكلم به الجماعة اللغوية، ولحاظ ذلك أنه عليه السلام لا يقصد إلى التعقيد
المعجمي من جهة غرابة الالفاظ أو ندرتها وعدم سهولة نسيجها الصوتي
أو التعبيري، لانه يقصد إلى تحقيق المعنى، ويبغي تثبيت المغزى في ذهن
السامعين، لغرض تحقق إلزام والتقييد بالمقول .

الهم إلا مفردة واحدة في العبير، تعد وفق علم الدلالة مهيمنة النص
ومحوره، لصفتها التعبيرية وفراستها اللفظية، ودلالاتها الاجتماعية والنفسية

لدى المتلقين، وهي كلمة (الحُرُون)، وهي مضافة إلى (راكب)، إذ يقع بالمقابل اللفظي لها كلمة (الجَاهِل)، بلحاظ المفارقة اللغوية، و التقابل الافرادي على سبيل المقارنة و المشابهة بين حالين و صورتين وموقفين .
و من استقراء المدونة المعجمية التراثية ف (الحُرُون) فيها صفة الدابة الصعبة المراس . وهي التي لا تكاد تستقر أو تهدأ أو تمكث، فلا تلبث أن تهيج براكبها^(٣١)...

و الحرون الشُّمُوس الجامح من الدواب^(٣٢) .

وهو ما لا ينقاد من الخيل كما ذكر الخليل^(٣٣) .

وحمار حرون يقاوم بعناد^(٣٤) .

واصل الوصف للخيـل و عده ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) عاما لذوات الخوافر، قال ابنُ سيِّدِه: ((خاصُّ بذَوَاتِ الحَافِرِ، وَنَظِيرُهُ فِي الإِبِلِ اللَّجَانُ وَ الْخِلَاءُ))^(٣٥) .

فمنها ما يسبق مسرعا ثم يحرن .

ومنه قيل لمن لا يكاد يبرح مكانه في الحرب و موضعه إنه: حَرْنٌ أَوْ يُحَرْنُ^(٣٦) .

ومن ثم فإن الوصف المعجمي المفردة أعلاه يشير إلى صفة العناد و الشماس و المطالبة و عدم البسط و الاستقرار، مع الاخافة و الرهبة من المنقلب، اذ لا يكاد الفرس المنطلق يسير سراعا جنى يقف حَرْنَا الفجاءة، فيرهب صاحبه و يقلق و ضينه، بل يسقطه من هول الوقفة و القهقري .
وبذا يكون أسير نفسه التي ألقت به في مهاوي الردى، و عدم الفكاك من الخيل الشماس التي لا مستقر لسيرها و لا نمط لانطلاقها، فكأنها جموح لا تلين لفارس و لا تطيع الراكب، فما بالك بمن لا يحسن القيادة غداة ذاك .

٤ . المقول في ضوء التحليل الدلالي .

يعرض النص المسبوك بلغة سجيتهما الإيضاح، ولغتها الابانة، وتركيبها الجزالة مع الإيجاز غير المخل بالمعنى جملة من المزايا الدلالية الي تمثل ضروبا من بديع التعبير اللغوي الذي تنماز به لغة المعصومين (عليه السلام)، مع لحاظ جزالتهم وفصاحة ألسنتهم ودقة تعابيرهم التي أمتها في ذلك القرآن الكريم ، ففي المستوى الصوتي والصرفي نلاحظ انسجام الصوامت والصوائت والمصوتات التي جرت في أبنية المفردات الصرفية بشكل سلس من غير ذي ركاقة، برغم يسر الابنية الصرفية واعتيادها، فجلبها من الأوصاف والمشتقات كما تقدم القول التي جرى على منوالها المثال اللفظي بتتابع لغوي منسجم لصالح المعنى ومن ثم الدلالة المتبغاة.

فاسم الفاعل، والوصف (فَعُول)، وصيغة (فَعِيل)، ومن بعدها قسم الجملة الثاني، كلها عملت متآزرة لرفد المغزى والمضمون، بلحاظ الوصف والثبوت والاسمية والمصدرية .

إذ نلمح دلالة لفعل مثلثا على المفعولية، في أسير بمعنى (مأسور) أي (مُرْتَهَنٌ) (٣٧).

وكذا دلالة التحول التصريفي لمعنى الاتساع وتحقيق المراد في فعليل التي أفادت المبالغة مع الوصفية والاسمية (٣٨)، ومثل ذلك يصلح قوله في فعول التي عليها كلمة (حرون)، وهي وصف في المدونة المورفولوجية لإفادة الحال وصاحبه.

وفيها مغزى دلالي سياقي يحسب لصالح المعنى، اذ تدل على ثبوت الموضع وعدم الحركة، عنادا ومشاكسة، لبيان الاضطراب والنفار والامتناع عن القيادة. فعس فعول بمعنى مُفْعِل، حرون بمعنى (مُحَرَّن)، أي متمنع غير منقاد (٣٩).

وبلحازات التركيب النحوي، ففي الجملة الأولى من نمط التوازي اللغوي تقنية اسلوية أدت إلى الإيجاز في الخطاب، بلحاظ كونه حكمة، يتناسب وإياها منطق الاختزال اللغوي، والاقتصاد في المفردات التركيبية^(٤٠).

إذ عمد النص إلى حذف الموصوف وابقاء الصفة محله، في قوله ﷺ (راكبُ الحرون ...) والمراد فيما يفهم من قرائن التركيب وسياقه (راكب الفرس الحرون أسير نفسه ...) أو (راكبُ الدابة الحرون أسير نفسه ...) فحذف (الفرس / الدابة)، وبقيت الصفة مقامه، لأنها تؤدي المضمون وتفيد المعنى وتبلغ به حد الدلالة القصدية، مع إرادة العموم والشمول وانفتاح التعبير اللغوي في التركيب اعلاه .

٥. انفتاح الدلالة بلحاظ السياق .

تعد قضايا الدلالة ومجالاتها المعرفية نقطة هامة في البحث اللغوي، فبها تستمد اللغة معانيها الدقيقة، ومن خلالها تأخذ النصوص غاياتها المرتدة من خلال حال التكلم والموقف اللغوي الذي يدعو إلى تخير النص والفاظه بهذه النمطية التعبيرية دون سواها، فالمعلوم أن لكل نص او مقول توليدات نسقية تركيبية تتبادل فيها المفردات مواقعها بالزيادة أو النقصان أو الاضافات من جراء ادخال عناصر لغوية في التركيب الملفوف، فقولنا مثلاً (عبدُ الله قائمٌ) يمكن أن يتولد منه جمهور من الجمل التي تتعدد بتعدد موقعية عناصره المكونة له، اذ يقال فيه (إن عبد الله قائم)، و(إنَّه لقائمٌ)، و(هُوَ قائمٌ)، و(إنَّه لسوف يَقُومُ)، و(سَيَقُومُ عَبْدُ الله)^(٤١)، إلى غير ذلك من أنماط التعبير الذي فطن إليه اللغويون التراثيون وأبأنوا عن معانيه بكل تغاير في الصياغة والنسج وطريقة النظم، ولكن بلحاظ المتكلم والسامع، بل وحتى بلحاظ القائل نفسه بتعدد غاياته اللغوية والدلالية .

أما النص موضوع القراءة التحليلية، فيظهر مزية دلالية تنفتح فيها الدلالة الرمزية على نمط الحمة والالتزام والالتزام، فهي خبر بمعنى التحقق والوقوع بنسج ارشادي وعظمي، غايته التنبيه وسيله الإرشاد، و نوعه الاحتياط بالألا يكون المرء السامع كراب الفرس الحرون غداة ارتهانه نفسه لها، فيمون قلق الوضين، محاطا بالفزع والرغبة مما ارتهن به، ووقع بازائه من مركب صعب، وموضع لا يكاد فيه الحراك، ولا يبارى فيه الأمن والطمأنينة، فلا يعرف منها - الفرس / الدابة الحرون - الا العصيان^(٤٢)، ولا يتبادر منها إلا الشئاس والعناد^(٤٣)، بل ربما الإلقاء والإيقاع بالراكب، فكأنما بركوبته هذا صار مجازفا، طمعا في البطولة، ورغبة في الفروسية التي لا تليق بالحرون من الخيل، ولا تنسجم مع مهارة راكبها الذي اغوته نفسه ارتقاء الصعاب، زهوا وغرورا .

كل ذلك المنحى، بإزاء الجاهل الذي وقع أسيرا للسانه، الذي لم يكن طبعها، إذ لا يعرف بم يتكلم وما تكلم، من دون اعمال الحكمة، وإنعام البصر والبصيرة غداة الكلام، فالجاهل بلحاظ القول هو راكب المرونة على سليل المقابلة، والموازاة اللغوية، والمقاربة اللسانية، والمواءمة اللفظية، إذ الشبه اللغوي، وليس البلاغي ظاهر بينهما، لعلاقة مفادها الأسر والارتهان وعدم المهارة والإتقان للعمل والقول دونما إحكام ومهارة، فكلاهما اسيرٌ بهذا .



الخاتمة

وفي المسك، فللدرس اللغوي والتحليل الدلالي للمقولات النصية، نصيب من الإبانة عما تنفرد به من خصائص النسيج و بديع التعبير. ولا ريب أن مقولة الامام الهادي (عليه السلام) موضوع الدرس، في طليعة هذا الامتياز اللغوي، لما بدأ فيها من أسلوب لغوي ودلالي غرضه التوجيه، وغايته الحكمة، و مغزاه الإرشاد .

وبهذا أمكن إنجاز المراد منه بلغة نتائجها الآتي :

١- مثل النص أسلوباً في الأداء اللغوي المتفرد في أصواته وبنيته الصرفية التعبيرية، لتسخر هذه العلامات اللفظية لصالح المعنى .

٢- يقع النص في مجال الأسلوب اللغوي السهل الممتنع في محاكاته للصياغة من لدن السامعين، فبرغم إيجازه وقصر عبارته، إلا أنه ارتفع بمعانيه ودلالاته وإشاراته الإلماحية، لتحقيق الغرض الرئيس مما يقصد اليه الامام (عليه السلام) .

٣- سجّل المقول نمطا من أنماط التعبير النحوي، بلحاظ الجمل المركبة ذات الطرفين، وهو تقنية متميزة لغوية يطلق عليها في علم النص (التوازي التركيبي)، بيد أنه توازٍ بالحذف والايجاز والاختزال والاقتصاد اللفظي، اجتزأ منه التعبير الموصوف، وأبقى محله الصفة الدالة عليه، ليسد مسد التعبير بالمعنى والدلالة .

٤- لغة المقولة بناء على ما تقدم، عالية المقام، رفيعة النظم، فقد راعت سياقات الموقف والمسرح اللغوي، و ماجريات النص، لتحقيق الانجاز والقصد لدى المخاطب منذ زمان النص إلى ما يتلوّه مستقبلا، فليس النص رهناً بزمّنه، لكنه مستمر خطابا طيلة التقادم، ليكون مناسبا للذوق التعبيري والفهم اللغوي مستقبلا .

٥- في المقول مصاحبات اللفظية كان عريفها مهيمنة دلالية مثّلت
مفتاحات للعبارة، و ضربا من الإشارة، وفق ثنائية (الإشارات والعبارات)
في التراث اللغوي، او مبدأ (التصريح والتلميح) في علم الدلالة، إذ ينتهي
المضمون برّمته، في لغة الامام (عليه السلام)، إلى عبارة النص، و يفتح في ضوء علم
الدلالة إلى (معنى المعنى)، وفقا للمركز والهامش .

٦- في المغزى الذي يتضمنه التعبير، ثمة معنى الإلزام والالتزام والنهي
عن الوقوع مصاديق ألفاظ النص، فليس المقول مقتصر على (رَاكِبِ
الْحَرُونِ) حقيقة، إنما (رَاكِبِ رَأْيِهِ)، و (مُرْتَقِي نفسه الأمانة بالسوء)،
وسوى ذلك ونظيره، كراكب الحرون غداة ألت به وأعفت و شُمُسَتْ.



الهوامش:

- ١ - بحار الانوار، الشيخ محمد المجلسي: ٣٦٩ / ٧٥.
- ٢ - ينظر: مقاييس اللغة: لابن فارس (عبر): ٢٠٧ / ٤.
- ٣ - لسان العرب: لابن منظور (عبر): ٢٢٩ / ٤ - ٢٣٠.
- ٤ - ينظر: الكليات، لابي بقاء الكفوي: ٣١٢ / ١.
- ٥ - ينظر: التعريفات، للجرجاني: ١٦٧.
- ٦ - ينظر: اللغة والاسلوب: عدنان بن ذريل: ٨٤.
- ٧ - مقاييس اللغة (لغى): ٢٥٦ / ٥.
- ٨ - ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، زين العابدين المناوي: ٢٩٠.
- ٩ - المحكم والمحيط الاعظم، لابن سيدة (لغى): ٦٢ / ٦، ولسان العرب، لابن منظور (لغى): ٢٥١ / ١٥، وتاج العروس، للزبيدي (لغو): ٤٦٢ / ٣٩.
- ١٠ - مقاييس اللغة (دل): ٢٥٩ / ٢.
- ١١ - اساس البلاغة، للزمخشري، (دل): ٢٩٥ / ١.
- ١٢ - ينظر: لسان العرب: ٤٤٨ / ١١.
- ١٣ - التعريفات، للجرجاني: ١٠٤.
- ١٤ - ينظر: نفسه: ١٠٤.
- ١٥ - ينظر: فنون التقعيد وعلوم اللسانية، ريمون طحان و دنير بيطار: ٢٦.
- ١٦ - ينظر: الخصائص، لابن جني: ٢٨ / ١.
- ١٧ - ينظر: نفسه: ٢٨ / ١.
- ١٨ - ينظر: نفسه: ١٤٦ / ٢.
- ١٩ - ينظر: نفسه: ٩٨ / ٣.
- ٢٠ - ينظر: المكون الدلالي للفاعل في اللسان العربي، أحمد حساني: ٣٢.
- ٢١ - ينظر: اسفار الفصيح، للهروي: ٣٤٥ / ١.
- ٢٢ - ينظر: اوضح المسالك الى الفية ابن مالك، لابن هشام: ٢١٧ / ٣، والنحو الوافي: ٦٨٩ / ٤ - ٦٥٢ / ٤.
- ٢٣ - ينظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، للاشموني: ٤٣٨ / ١.
- ٢٤ - ينظر: معاني القرآن للاخفش: ٨٩ / ١، وغرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود الكرمانى: ٦٥٤ / ١، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٧٠٩ / ٢.
- ٢٥ - ينظر: اوضح المسالك الى الفية ابن مالك: ١٩٢ / ١.

٢٦ - التوازي التركيبي: هو تأليف لمجموعة من الثوابت والمتغيرات فالثوابت عبارة عن تكرارات خالصة مقابل المتغيرات التي هي بمثابة اختلافات خالصة. وينقسم التوازي التركيبي على نوعين هما: ١- توازي البنئ المشابهة، ٢- توازي البنئ المتغايرة، ينظر: التوازي التركيبي في القرآن الكريم، د. عبد الله خليف خضير الحياى: ٣٨-٣٩.

٢٧ - ينظر: التوازي التركيبي في القرآن الكريم: ٢٦-٢٧ .

۲۸ - ينظر : نفسه : ۳۹.

٢٩ - ينظر: اللغة والاسلوب: ٨٤.

٣٠ - ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان: ١٣.

٣١ - ينظر: معجم ديوان الادب، للفارابي ١/٤٦٩، والتلخيص في معرفة اسماء الأشياء: ٣٣٥.

٣٢ - ينظر: كتاب الجرائيم، لابي محمد الدينوري: ١١١/٢، والزاهر في معاني كلمات الناس، لابي بكر الانباري: ٢/٢٥، وتهذيب اللغة، للأزهري: ٩٧/٦، والتلخيص في معرفة اسماء الاشياء: ٣١٤.

٣٣ - ينظر: كتاب العين، للخليل: ٢٠٩/٣، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لابي نصر الفارابي (حرن): ٢٠٩٧/٥، والتلخيص في معرفة أسماء الاشياء: ٣٣٥، والمحكم والمحيط الاعظم، لابن سيده (حرن): ٣٠٣/٣، والمخصص، لابن سيده: ١٠٦/٢، ولسان العرب، لابن منظور: ١١٠/١٣، والقاموس المحيط الاعظم، للفيروز ابادي: ٢٨١.

٣٤ - ينظر: معجم اللغة العربية المعاصر (حرن): ١ / ٤٨٣.

٣٥- ينظر المحكم والمحيط الاعظم (حرن): ٣/٣٠٣، والقاموس المحيط: ١١٨٩، وتاج العروس (حرن): ٢٤/٤٠٦.

٣٦- ينظر: جهرة اللغة، لابن فارس (حرن): ١/٥٣٤، والمحكم والمحيط الاعظم (حرن): ٣/٣٠٣، والمختصر: ٢/١٠٦، واساس البلاغة (حرو): ١/١٨٥.

٣٧- ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٧٧/١، وتهذيب اللغة: ٤٣/١٣، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (اسر): ١/٢١٣.

٣٨- ينظر: اوضح المسالك الى الفية ابن مالك: ٣/٢١٧، والنحو الوافي: ٤/٦٥٢-٦٨٩/٤.

٣٩ - ينظر: كتاب العين، للخليل: ٢٠٩/٣، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لابي نصر الفارابي (حرن): ٥/٢٠٩٧، والتلخيص في معرفة أسماء الاشياء: ٣٣٥،

والمحكم والمحيط الاعظم، لابن سيده (حرن): ٣/٣٠٣، والمخصص، لابن سيده: ٢/١٠٦، ولسان العرب، لابن منظور: ١٣/١١٠، والقاموس المحيط الاعظم، للفيروز ابادي: ٢٨١.

٤٠ - ينظر: التوازي التركيبي في القرآن الكريم: ٢٦-٢٧.

٤١ - ينظر: كتاب سيبويه: ١/١٠٧-٢/٥٢، والاصول في النحو، لابن السراج: ١/٢٠٦، والجنى الداني في حروف المعاني، لابي محمد المرادي: ١/١٣٣.

٤٢ - ينظر: كتاب العين: ٣/٢٠٩، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (حرن): ٥/٢٠٩٧، والتلخيص في معرفة أسماء الاشياء: ٣٣٥، والمحكم والمحيط الاعظم (حرن): ٣/٣٠٣، والمخصص: ٢/١٠٦، ولسان العرب: ١٣/١١٠، والقاموس المحيط الاعظم: ٢٨١.

٤٣ - ينظر: كتاب الجرائيم: ٢/١١١، والزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/٢٥، وتهذيب اللغة: ٦/٩٧، والتلخيص في معرفة أسماء الاشياء: ٣١٤.



المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولاً: المصادر والمراجع

- * أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- * الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط/٣، ١٩٨٨م.
- * أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا - بيروت - لبنان.
- * إسفار الفصيح، محمد بن علي بن محمد، أبو سهل الهروي (ت ٤٣٣هـ)، تح: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤٢٠هـ.
- * بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، تصحيح: الحاج محمد باقر، منشورات مطبعة وزارة الارشاد

- الاسلامي، ط/١، ١٣٦٥م.
- * التوازي التركيبي في القرآن الكريم، د. عبد الله خليف خضير الحياي، دار نون للطباعة والنشر - العراق - الموصل، ط/١، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م.
- * التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت ١٠٣١هـ) عالم الكتب - القاهرة ط/١، ١٤١٠م، ١٩٩٠م
- * تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تح: جماعة من المختصين من إصدارات : وزارة الإرشاد والأبناء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ط / ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- * التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٤٠٦هـ) تح: د. عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط/٢، ١٩٩٦م .
- * تهذيب اللغة، لأبي منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (ت ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض

- مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/١، ٢٠٠١م.
- * جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد (ت٣٢١هـ)، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، لبنان - بيروت، ط/١، ١٩٨٧م.
- * الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)، تح: طه محسن، دار أمل الجديد للطباعة والنشر، ط/٢، ٢٠١٩م.
- * الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ط/٢، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- * دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ط/١، ١٩٨٠م.
- * الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الانباري (ت٣٢٨هـ)، تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- * الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حمادي الجوهري الفارابي (ت٣٩٢هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط/٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- * غريب الحديث، لإبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، تح: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط/١، ١٤٠٥م.
- * غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني، تح: د. شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة الثقافية الإسلامية - جدة، ومؤسسة علوم القرآن - بيروت (د.ت).
- * فنون التقييد وعلوم الألسنية، ريمون طحان - دنير بيطار طحان، دار الكتب اللبناني، ط/١، ١٩٨٣م.
- * القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بأشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط/٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- * كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط/١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- * كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تح:

- د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، مصر - القاهرة، ط/ ١، (د.ت).

* كتاب الجيم، لأبي عمرو الشيباني، تح: الأستاذ عبد العليم الطحطاوي، مراجعة د. محمد مهدي علام، مجمع اللغة العربية - القاهرة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

* كتاب الجرائيم، لابي عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تح: محمد جاسم الحميدي، وزارة الثقافة - دمشق.

* كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط/ ١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

* الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (ت ١٠٩٤هـ)، تح: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة.

* الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ ٤، ٢٠٠٦م.

* لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعته، دار صادر - بيروت، ط/ ٣، ١٤١٤هـ.

* اللغة والاسلوب، عدنان بن ذريل، دار مجد لاوي للنشر، الاردن، ط/ ٢، ٢٠٠٦م.

* المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المersi (ت ٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

* معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط/ ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

* معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق إبراهيم بن الحسين الفارابي (ت ٣٥٠هـ)، تح: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

* معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر - دمشق، ط/ ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

* معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعد الأخفش (ت ٢١٥هـ)، تح: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط/ ١، ١٩٩٠م.

* منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني (ت ١١٠هـ)،

تح: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث - القاهرة - مصر، ٢٠٠٨م.

* المكون الدلالي للفعل في اللسان العربي، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٣م.

* النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط/ ١٥، ١٤٣١هـ.



التوجيه القرآني في رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام (في الرد على أهل الجبر والتفويض)

م.م أس عقيل الموسوي
المديرية العامة لتربية محافظة المثنى

الملخص

أولى الإمام علي الهادي عليه السلام عنايته القصوى في تثبيت دعائم التوحيد، وإبعاد المسلمين عن الأوهام العقدية التي ظهرت أثر الرؤى الفلسفية المشوبة بالإلحاد، عند الباحثين في وصف الذات الإلهية وقولهم بالصورة والتجسيم، وكان له رد يناسب ما يثار فيها، ومن رسائله الطويلة المهمة رده على أهل الجبر والتفويض بتفصيل وتسلسل حجاجي بدأ من القرآن الكريم مروراً بالأثر النبوي والإمامي وصولاً إلى قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (لا جبر ولا تفويض، لكن منزلة بين المنزلتين...)، فأخذ الإمام علي الهادي عليه السلام على عاتقه بيان معنى منزلة بين المنزلتين والموارد الخمس التي ذكرها الإمام جعفر الصادق عليه السلام في مجمل حديثه.

فكان تفسير هذه الموارد معتمداً على الشاهد القرآني للانطلاق من القرآن الكريم لبيان المعنى المراد فكان جهده التفسيري واضحاً في الرسالة وذلك باعتماد (أحدى وسبعين) آية كريمة، جاعلاً منها انطلاقة في التوجيه، أو مثالا لتيسير المعنى، أو شاهداً لحجية القول.

Abstract

Imam Ali Al-Hadi (peace be upon him) paid his utmost attention to establishing the foundations of monotheism and keeping Muslims away from the doctrinal illusions that appeared as a result of the philosophical visions tinged with atheism among researchers describing the divine essence and their belief in form and anthropomorphism. He had a response that was appropriate to what was raised about it, and among his long and important letters was his response. On the people of reparation and delegation in detail and in an argumentative sequence starting from the Holy Qur'an, passing through the Prophetic and Imami's influence, all the way to the saying of Imam Jaafar al-Sadiq (peace be upon him): (There is neither reparation nor delegation, but a position between the two positions...), so Imam Ali Al-Hadi (peace be upon him) took the decision. It is his responsibility to explain the meaning of a status between two statuses and the five resources that Imam Jaafar al-Sadiq (peace be upon him) mentioned in the entirety of his hadith.

The interpretation of these resources was based on the Qur'anic evidence to start from the Holy Qur'an to explain the intended meaning, so his interpretive effort was clear in the message by adopting seventy-one noble verses, making them a starting point in guidance, or an example for the flow of meaning, or a witness to the authority of the statement.

المقدمة.

أثر القرآن الكريم في طبيعة الفهم العربي للحياة فتوغل مفاهيمه في نفوس المسلمين فتوغل الضوء في سماء الفجر فأشرفت كلماته وآياته لإزالة ظلام الجهل القابع في العقول، وحين جاء الإسلام أوقف امتداد الأفكار الإلحادية والشرك في الله تعالى، فأبان القرآن الكريم عن طريق جملة من آياته التوحيد والمشيئة الإلهية والتفويض للإنسان في اختيار الجانب الذي يريد ويتحمل عواقب اختياره إيجاباً وسلباً فقال سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الانسان: ٣).

وبهذا جاء كتاب الإمام علي الهادي عليه السلام يحمل عددا كبيرا من الآيات التي جعلها دليلاً لما يذهب إليه وشاهداً على أمثلة الواقع، واعتماده المصدر الخالص النقي من الشوائب عند المسلمين جميعاً قائلًا: ((وَقَدْ اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ قَاطِبَةً لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْفِرْقِ، وَفِي حَالِ اجْتِمَاعِهِمْ مُقَرَّرُونَ بِتَصْدِيقِ الْكِتَابِ وَتَحْقِيقِهِ، مُصِيبُونَ، مُهْتَدُونَ، وَذَلِكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ". فَأَخْبَرَ أَنَّ جَمِيعَ مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ كُلُّهَا حَقٌّ، هَذَا إِذَا لَمْ يَخَالَفْ بَعْضُهَا بَعْضًا. وَالْقُرْآنُ حَقٌّ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي تَنْزِيلِهِ وَتَصْدِيقِهِ، فَإِذَا شَهِدَ الْقُرْآنُ بِتَصْدِيقِ خَيْرٍ وَتَحْقِيقِهِ، وَأَنْكَرَ الْخَبَرَ طَائِفَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ، لَزِمَهُمُ الْإِقْرَارُ بِهِ ضَرُورَةً حِينَ اجْتَمَعَتْ فِي الْأَصْلِ عَلَى تَصْدِيقِ الْكِتَابِ، فَإِنْ هِيَ جَحَدَتْ وَأَنْكَرَتْ لَزِمَهَا الْخُرُوجُ مِنَ الْمِلَّةِ))^(١)، وبهذا عبّد الطريق له لأن يقدم المفاهيم الإسلامية النقية ويفند الضلال ومتبعيه، فقال معضداً ما جاء عن النبي محمد ﷺ وعن الإمام علي عليه السلام وما حدث لهما ونقل عنهما مصرحاً بقوله: ((وَرَوَتِ الْعَامَّةُ فِي ذَلِكَ أَخْبَاراً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِخَاتَمِهِ وَهُوَ رَاكِعٌ، فَشَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ لَهُ وَأَنْزَلَ الْآيَةَ فِيهِ))^(٢)، واتخذ من هذا المنهج سلوكاً في إثبات ما يذكره وما يذهب إليه فلم يذكر شيئاً إلا واسنده

بأية أو آيات متوالية أو ما يشير إليها نحو: ((فَلَمَّا شَهِدَ الْكِتَابُ بِتَصْدِيقِ الْخَبْرِ وَهَذِهِ الشَّوَاهِدُ الْأُخْرَى، لَزِمَ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِقْرَارُ بِهَا ضُرُورَةً، إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ شَوَاهِدُهَا مِنَ الْقُرْآنِ نَاطِقَةً، وَوَافَقَتِ الْقُرْآنَ وَالْقُرْآنَ وَافَقَهَا))^(٣)، واسند قوله بتكراره: ((فَشَهِدَ بِذَلِكَ مُحْكَمَاتُ آيَاتِ رَسُولِهِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَا يَعْدُونَ شَيْئًا مِنْ قَوْلِهِ، وَأَقَاوِيلُهُمْ حُدُودُ الْقُرْآنِ، فَإِذَا وَرَدَتْ حَقَائِقُ الْأَخْبَارِ وَالتَّمَسَّتْ شَوَاهِدُهَا مِنَ التَّنْزِيلِ فَوُجِدَ لَهَا مُوَافَقًا وَعَلَيْهَا دَلِيلًا، كَانَ الْإِقْتِدَاءُ بِهَا فَرَضًا، لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَّا أَهْلُ الْعِنَادِ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ))^(٤)، وبهذا أرسى الإمام علي الهادي عليه السلام منهج الانطلاق من القرآن الكريم والانتهاء به.

بدأ الإمام علي الهادي عليه السلام توضيحه في موضوع أهل الجبر والتفويض بنص الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((فَإِنَّا نَبْدَأُ مِنْ ذَلِكَ بِقَوْلِ الصَّادِقِ عليه السلام: لَا جَبَرَ وَلَا تَفْوِيضَ، وَلَكِنْ مَنَزِلَةٌ بَيْنَ الْمَنَزِلَتَيْنِ، وَهِيَ صِحَّةُ الْخَلْقَةِ، وَتَخْلِيَةُ السَّرْبِ، وَالْمُهْلَةُ فِي الْوَقْتِ، وَالزَّادُ مِثْلُ الرَّاحِلَةِ، وَالسَّبَبُ الْمُهَيِّجُ لِلْفَاعِلِ عَلَى فِعْلِهِ)).^(٥) وذلك بالشرح والإثبات لقوله بما يتضمن معناه في القرآن الكريم وما تؤسسه آيات القرآن الكريم من مفاهيم، إذ أراد عن طريق الربط القرآني إفهام الآخر بأن أهل بيت النبوة جزء من حلقة رسالية إلهية قادها أنبياء الله تعالى منذ وجود الإنسان على هذه الأرض^(٦)، وبهذا يمكن تقسيم البحث إلى:

أولاً: دلالة الآيات القرآنية على المفاهيم .

ومن ذاك قوله عليه السلام: ((فَأَمَّا الْجَبْرُ الَّذِي يَلْزَمُ مَنْ دَانَ بِهِ الْخَطَأَ، فَهُوَ قَوْلٌ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَجَبَرَ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي وَعَاقَبَهُمْ عَلَيْهَا، وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ فَقَدْ ظَلَمَ اللَّهَ فِي حُكْمِهِ وَكَذَّبَهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤) ، وَقَوْلَهُ: ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (الحج: ١٠)، وَقَوْلَهُ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ

شَيْنًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ (يونس: ٤٤)، مَعَ أَيِّ كَثِيرَةٍ فِي ذِكْرِ هَذَا.))^(٧)، استشهد الإمام علي الهادي عليه السلام هنا بالآيات التي تنفي الجبر وتنفذ الجبرية بجعلها ردا على المتقولين على الله تعالى ما لا يعلمون، فبالنظر إلى آية سورة الكهف نجدها ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، فأنها تصور كيف أن أفعال الإنسانية نابعة من ذاتهم وما تحيل إليه نفوسهم، فإن ما يعرض على الإنسان يوم الحساب أفعاله وما جاء به صغيراً أو كبيراً وباعترافه، وهنا جاء نفي نسبة الظلم إلى الله تعالى، أي ((ولا يجازي ربك أحداً يا محمد بغير ما هو أهله، لا يجازي بالإحسان إلا أهل الإحسان، ولا بالسيئة إلا أهل السيئة، وذلك هو العدل))^(٨) ومثلها الآيتان إذ ذكرنا نصاً أن الأعمال تقدم من الإنسان وهنا ينظر فيها إن كانت صالحة أو مخالفة لما جاء به الدين فيكون حسابه وفقاً لمحاكمة هذه الأفعال وحرصها على ما وافق الشرع وخالفه.

إذ إن الآيات الكريمة وضحت الفكرة المراد تثبيتها في ذهن القارئ في أن الله تعالى لا يظلم الخلق بل يجازيهم بما عملوا، ((فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُجْبَرٌ عَلَى الْمَعَاصِي فَقَدْ أَحَالَ بِذَنْبِهِ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ ظَلَمَهُ فِي عُقُوبَتِهِ، وَمَنْ ظَلَمَ اللَّهُ فَقَدْ كَذَّبَ كِتَابَهُ، وَمَنْ كَذَّبَ كِتَابَهُ فَقَدْ لَزِمَهُ الْكُفْرُ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ))^(٩)، فجاءت الآيات دليلاً على كفر من يشير إلى إجبار المخلوق على الذنب، وإسناد الإثم إلى الخالق وتبرئة المخلوق من مخالفة الأوامر، وهذا من أدلة الكفر كونه مخالف لكلام الله تعالى، وبهذا تمت معاجلة القضية بأدلة قرآنية مع الإشارة إلى الدلالة المشتركة بين ما يذهب إليه الإمام والنص القرآني المرجع الأول للانطلاق الفكري، ويمكن تسمية هذا الاشتراك الدلالي

(بالدلالة النصوصية، ومفهومها أن تكون كل مجموعة من النصوص قرائن للنص المركزي وتقابلها في الرأي) ((١٠)).

ونظراً لاختيار الإمام علي الهادي عليه السلام هذه الآيات دون غيرها فإنه أراد توجيه الجبر إلى الظلم؛ أي إدخال الجبر في باب مظلومية العبد والحكم عليه مسبقاً وتقييد عقله وتوجهاته من غير تفكير أو إعمال العقل بما أمر الله تعالى به في الكثير من آياته، أن الكثير من الآيات منعت الفرض على الإنسان نحو قول السبتي في تفسيره: ((نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ)) إن الله تعالى كره الجبرية، قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ((١١)).

ويعطي الإمام علي الهادي عليه السلام أدلة قرآنية في موضوع ملحق بالجبرية، وما يتبع القائل بها من الذهاب إلى حتمية غفران الله تعالى للمخطئ كونه قد فعل الإثم تبعاً لإجباره عليه، ليزيد فيها تأكيد كلامه في حرمة القول بالجبرية قائلًا: ((وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَجَبَرَ الْعِبَادَ، فَقَدْ أَوْجَبَ عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعُقُوبَةَ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي الْعَذَابَ، فَقَدْ كَذَّبَ اللَّهَ فِي وَعِيدِهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٨١)، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠)، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٥٦)، مَعَ آيٍ كَثِيرَةٍ فِي هَذَا الْفَنِّ، مِمَّنْ كَذَّبَ وَعِيدَ اللَّهِ وَلَيَزِمُهُ فِي تَكْذِيبِهِ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْكُفْرُ، وَهُوَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ: ﴿أَفْتَوْمُنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ

آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ تَنْفِي الْجَبَرَ وَمَنْ دَانَ بِهِ، وَمِثْلُهَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ))^(١٥)، اعتماد الآيات القرآنية كدليل أصلي على نفي الجبرية أسلوب بلاغي اسند فيها الإمام قوله بأدلة نقلية ثابتة غير قابلة للتأويل، لا تحتمل معاني هامشية أو سياقية التي يفسرها المؤول حسب توجهه، فكانت حجته مسكنة ثابتة بثبوت القرآن الكريم زمنا ومكانة، وهذا ما اثبتته السبحاني في أن اعتماد القرآن الكريم أصلا هو الفعل المبين للحق فاخذ ينقد المفسرين في انهم اعتمدوا الآثار والروايات في تفسير القرآن الكريم فالواقع أن المفسرين رحمهم الله لم يكونوا جادين في الأمر، ولم يكونوا موفقين حينما بنوا تفسير الآيات على الآثار والروايات، إذ جعلوا الآثار والروايات بما فيها من علات، وبما فيها من احتمالات، لا تصلح لأن تكون أساسا لتأويل الآيات، ولا تصلح أبدا لأن تُخضع لها الآيات^(١٦).

ثانيا اعتماد النص القرآني للاستشهاد المساند للحجة :

ومن ذلك قول الإمام علي الهادي عليه السلام في صِحَّةِ الْخَلْقَةِ ((قَوْلُ الصَّادِقِ عليه السلام: فَإِنَّ مَعْنَاهُ كَمَا أُلْهِقَ لِلْإِنْسَانِ، وَكَمَا أُلْهِقَ الْحَوَاسُّ، وَثَبَاتُ الْعَقْلِ وَالتَّمْيِيزِ، وَإِطْلَاقُ اللِّسَانِ بِالنُّطْقِ؛ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الاسراء: ٧٠))^(١٧)، إذ جعل النص القرآني دليلا على كلام سابق استشهد به لجعله مكملًا لما نقله عن جده الإمام جعفر الصادق عليه السلام وتدعيما لقوله وتوثيقا له، قال الزجاج : ((وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)). قال: (عَلَى كَثِيرٍ) ولم يقل عَلَى كُلِّ مَنْ خَلَقْنَا، لأن الله - جل وعلا - فضل الملائكة، فقال: (وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ). ولكن ابن آدم مفضل على سائر الحيوان الذي لا يعقل ولا يميز))^(١٨)



ومثل هذا التوجيه نجد الإمام عليه السلام قد ادرج الآيات تمثيلاً لتفسيره وتبيناً: ((فَفَضَّلَ بَنِي آدَمَ بِالنُّطْقِ الَّذِي لَيْسَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ الْمُدْرِكِ بِالْحَوَاسِّ، فَمِنْ أَجْلِ النُّطْقِ مَلَكَ اللَّهُ ابْنَ آدَمَ غَيْرُهُ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى صَارَ أَمْرًا نَاهِيًا وَغَيْرُهُ مُسَخَّرٌ لَهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ (الحج ٣٧)، وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ (النحل: ١٤) وَقَالَ: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ﴾ (النحل: ٥-٧)، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ دَعَا اللَّهُ الْإِنْسَانَ إِلَى اتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَإِلَى طَاعَتِهِ، بِتَفْضِيلِهِ إِيَّاهُ بِاسْتِوَاءِ الْخَلْقِ، وَكَمَالِ النُّطْقِ، وَالْمَعْرِفَةِ بَعْدَ أَنْ مَلَكَهُمْ اسْتِطَاعَةً مَا كَانَ تَعَبُّدُهُمْ بِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ (التغابن: ١٦)، وَقَوْلِهِ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وَقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق: ٧)، وَفِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ))^(١٩)، ادرج الإمام علي الهادي عليه السلام الآيات توثيقاً لفكرة ملكية الإنسان لسائر المخلوقات وتعصيماً لهذه الفكرة نرى أن ظاهر هذه الآيات لا يؤدي إلى باطنها إلا بالتأويل الذي اعتمده الإمام عليه السلام في ربط التكريم الإلهي للإنسان بالملكوية التي سخرها له في الحياة الدنيا، وذلك بالعودة إلى مقدمة الآية التي ذكرها ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾، فأن الملكية والتسخير لم يأت لمجرد الانتفاع الجسدي والطعام بل يحمل من ورائه غاية كبرى إلهي العبادات وتكبير الله تعالى في ملكوته، وبهذا نرى أن اختيار الآيات من قبل المعصوم وتقديم رؤيته في تقارب الدلالات واستناد ما يذهب إليه على ما جاء في القرآن الكريم من مفاهيم وإشارات تعد نوعاً من

التفسير غير المباشر للآيات وذلك بربطها بأمثلة الواقع وتأكيدها بما يقرب الدلالات إلى القارئ.

ومثله ما أورده الإمام علي الهادي عليه السلام في بيان النية وصلاحتها والأسباب الموجهة للإنسان فقال: ((وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي السَّبَبِ الْمُهِيجِ؛ فَهُوَ النِّيَّةُ الَّتِي هِيَ دَاعِيَةُ الْإِنْسَانِ إِلَى جَمِيعِ الْأَفْعَالِ، وَحَاسَتُهَا الْقَلْبُ، فَمَنْ فَعَلَ فِعْلاً وَكَانَ بَدِينٍ لَمْ يَعْقِدْ قَلْبُهُ عَلَى ذَلِكَ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ عَمَلًا إِلَّا بِصِدْقِ النِّيَّةِ، وَلِذَلِكَ أَخْبَرَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٧)، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ عليه السلام تَوْبِيخًا لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢) الآية، فَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ قَوْلًا وَاعْتَقَدَ فِي قَوْلِهِ، دَعَتُهُ النِّيَّةُ إِلَى تَصْدِيقِ الْقَوْلِ بِإِظْهَارِ الْفِعْلِ، وَإِذَا لَمْ يَعْتَقِدِ الْقَوْلَ لَمْ تَبَيَّنْ حَقِيقَتُهُ، وَقَدْ أَجَارَ اللَّهُ صِدْقَ النِّيَّةِ وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ غَيْرَ مُوَافِقٍ لَهَا لِعَلَّةٍ مَانِعٍ يَمْنَعُ إِظْهَارَ الْفِعْلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَنْ أُخْرِجَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل: ١٠٦)، وَقَوْلِهِ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ (المائدة: ٨٩)، فَذَلِكَ الْقُرْآنُ وَأَخْبَارُ الرَّسُولِ عليه السلام أَنَّ الْقَلْبَ مَالِكٌ لِجَمِيعِ الْحَوَاسِّ يُصَحِّحُ أَفْعَالَهَا، وَلَا يُبْطِلُ مَا يُصَحِّحُ الْقَلْبُ شَيْءٌ)) (٢٠)، أشارت الآيات إلى ضرورة عقد النية مع العمل صالحه أو غير الصالح، فان من غير النية والتوجه إلى الفعل لا يمكن حصول الثواب والجزاء، وهذه من اهم النقاط التي تنفي الجبرية والتفويض، وحين ربط الأمام عليه السلام بين الفكرة وما جاء في القرآن اتضح المراد من الآيات في التنزيل والرؤية العميقة المراد إيضاها من الآيات واثرها في تهذيب النفس البشرية وفي هذا يرى الشيخ الطوسي أنه ((لا ينبغي لأحد أن ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد تفصيلا، أو يقلد أحدا من المفسرين، إلا أن يكون التأويل مجمعا عليه، فيجب لمكان الإجماع، ... ولا يجوز لأحد أن يقلد

احد منه بل ينبغي أن يرجع إلى الأدلة الصحيحة: أما العقلية أو الشرعية من إجماع عليه أو نقل متواتر به، فمن يجب اتباع قوله، ولا يقبل في ذلك خبر واحد^(٢١).

الخاتمة

عرض الإمام علي الهادي عليه السلام عرضاً مطولاً لمسألتين أرقنا الفكر الإسلامي في عصره والعصور السابقة له، فاعتمد نص الإمام جعفر الصادق عليه السلام في نفي الجبر والتفويض وناقش ما جاء فيه بالنصوص القرآنية وما ورد عن الأئمة، فأكثر من ذكر الآيات وذلك لإرجاع الأمة الإسلامية إلى ما بدأت به مع رسولها، إذا لم يشغل رسول الله ﷺ ومن في زمنه عن القرآن الكريم فكر آخر يغير ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى لذا نجد القرآن كان محتذى في كل تفصيلاته لم يُغَيَّرْ فيه توجيه آخر، فجسّد الإمام علي الهادي عليه السلام قدرة القرآن على ثبات الفطرة الإسلامية الصحيحة وتصحيح الأفكار الدخيلة التي أرهقت الإسلام ودفعته نحو التعجيز.

الهوامش:

- ١- مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٢٢ / ٦.
- ٢- مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٢٢ / ٦.
- ٣- مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٢٣ / ٦.
- ٤- مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٢٣ / ٦.
- ٥- مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٢٣ / ٦.
- ٦- ينظر: التناص بين القرآن الكريم ومستندات واقعة كربلاء، يحيى غالي ياسين: ٩.
- ٧- مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٢٥ / ٦.
- ٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٣٩ / ١٨.
- ٩- مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٢٥ / ٦.
- ١٠- دلالة التناص في القرآن الكريم: (دراسة تطبيقية)، د. عرابي أحمد: ١٧١.
- ١١- تفسير إسحاق البستي: ٤١٧ / ٢.
- ١٢- مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٢٦ / ٦.
- ١٣- ينظر التحرير والتحرير: ١٣- ١٤.
- ١٤- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي: ١٠ / ١٠٥.
- ١٥- مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٢٦ / ٦.
- ١٦- ينظر التحرير والتحرير: ١٣.
- ١٧- مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٣٥ / ٦.
- ١٨- معاني القرآن وإعرابه الزجاج: ٢٥٢ / ٣.
- ١٩- مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٣٥ / ٦.
- ٢٠- مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٣٦ / ٦.
- ٢١- التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦ / ١.



المصادر والمراجع: القرآن الكريم

- * التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت (٤٦٠هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لاحياء التراث، قم
- * التحرير والتجوير في اصول التفسير، محمد عناية الله اسد سبحاني، ط١، دار عمار المملكة الاردنية الهاشمية ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- * تفسير إسحاق البستي، أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستي القاضي (ت ٣٠٧هـ)، تح عثمان معلم محمود شيخ علي، أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٤١٦هـ.
- * التناص بين القرآن الكريم ومستندات واقعة كربلاء، يحيى غالي ياسين: ٩.

- * جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر
- * دار التريية والتراث - مكة المكرمة : ٣٩/١٨.
- * دلالة التناص في القرآن الكريم: (دراسة تطبيقية)، د. عرابي أحمد، مجلة اللغة العربية العدد الثالث والعشرون : ١٧١
- * معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تح عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م: ٣/ ٢٥٢.
- * مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٢٠ هـ : ١٠/ ١٠٥.
- * مكاتيب الأئمة، الميانجي ت (٢٠٠٠م)، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدسة.

المعاني الأخلاقية والقيمية في قصائد مدح الإمام الهادي عليه السلام وراثته دراسة معجمية للألفاظ المستعملة

الباحثة: رحاب حسين العريفاوي

الملخص:

إنّ الاهتمام بالقيم الأخلاقية والفكرية، من العوامل الأساسية التي حرص الإسلام على ترسيخها في نفس المسلم، ولحفظ الأمة الإسلامية من التدهور والانحلال الأخلاقي الذي ما زالت تعاني منه الكثير من الأمم؛ وتوضح أهمية ودور الأخلاق والقيم في حفظ هوية المجتمع العربي المسلم أو عن طريقها يتماسك المجتمع بمختلف طبقاته وتترابط الشعوب، وبهذه القيم يتم الاعتزاز بالأمة وتعظم قيمة الهوية؛ ونظراً لما تشهده الساحة العربية اليوم من تخلخل في المفاهيم والقيم الأخلاقية سعى هذا البحث للوقوف على مظاهر القيم الأخلاقية في شخصية الإمام علي الهادي عليه السلام عن طريق دراسة معجمية لنماذج من القصائد التي توجّهت نحو مدح وثناء هذه الشخصية العظيمة، كمثال للتأسي بأخلاق النبي وآله الكرام، وقد اشتملت الدراسة على محورين أساسيين هما: القيم الأخلاقية، والقيم الفكرية في قصائد مديح وثناء الإمام الهادي عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: الإمام الهادي عليه السلام، الأخلاق، القيم، القيم الأخلاقية، القيم الفكرية.

Abstract

Concern with moral and intellectual values is one of the fundamental factors that Islam is keen to establish in the Muslim soul, and to preserve the Arab nation from the deterioration and moral decay from which the rest of the nation is still suffering. As the importance of the role of morals and values emerges in preserving the identity of the Arab Muslim community, in addition to their importance in all areas of life, as through them society with its various classes is cohesive and peoples are interconnected, and with these values pride is achieved and the value of identity is magnified. Given the lack of moral concepts and values that the Arab arena is witnessing today, this research sought to find out the manifestations of moral values in the personality of Imam Ali al-Hadi (peace be upon him) through a lexical study of examples of poems that were directed towards praising and lamenting this great personality, as an example of emulating the morals of the Prophet and his family. Dear Sirs, the study included two main axes: moral values and intellectual values in the poems of praise and lamentation of Imam al-Hadi (peace be upon him).



المُقدِّمة:

تُعَدُّ الأخلاق الفاضلة الدَّعامة الأساسيّة القويّة التي تستند عليها الأمم، والسَّمة الواضحة الدَّالة على استمرار المجتمعات واستقرارها، فما من أمة ذاع صيتها وشاعت أخبارها إلا وكانت للقيم الأخلاقيّة والفكريّة الدَّور الفاعل في ذلك، فهي الدَّلِيل على ارتقاء المسلم نحو عقيدة صحيحة هادفة إلى بناء مجتمع إسلامي متميّز تسود فيه المكارم والفضائل كافة، فرقيّ المجتمعات وتطوُّرها لا يرتبط بتطوُّراتها الفنيّة وما حقّقه من إنجازات علميّة بقدر ما يرتبط بما يسود فيها من مبادئ خلقيّة راقية في مختلف أنواع المعاملات والعلاقات؛ ولأهميّة هذه القيم وأثرها في تحسين سلوك الفرد والمجتمع اتَّجه هذا البحث لتتبع الألفاظ الدالة على الأخلاق والقيم في قصائد مديح الإمام علي الهادي عليه السلام ورثائه وبيان معانيها، الشَّخصية التي عرّفت بكونها جامعة لكلِّ أنواع المكارم والفضائل.

وقد تضمَّن البحث تمهيداً للتعريف بشخصيّة الإمام علي الهادي عليه السلام، والأخلاق في اللّغة والاصطلاح، والقيم، فضلاً عن محورين تناولنا في الأول منهما: القيم الأخلاقيّة التي تتصل بالتقوى والكرم والفضل وغيرها من الصِّفات الخلقيّة، أمّا المحور الثاني فقد اختص بدراسة القيم الفكريّة التي تشمل: العلم، الحكمة، المعرفة، وخاتمة.



التمهيد:

١- إضاءات من حياة الإمام علي الهادي عليه السلام:

ولد الإمام الهادي عليه السلام في رحاب المدينة المنورة، في بيوت التلاوة والتّهيل نشأ ونما، في تلك الأجواء الحافلة بالفضل والعطاء شبّ وتحرك، وبفضل ما منحه الله من المواهب والطّاقات والملكات زقّ نمير العلم والتّهم زبدة المعرفة، فأصبح منذ سنوات شبابه المتفتح رمز التّلاؤلؤ الأخاذ الذي تشير إليه الأنامل وتنعقد عليه الخناصر، كانت ولادته عليه السلام في المدينة المنورة في أحضان قرية (صريا) الخضراء، حيث تقع بعض مزارع آل محمد عليه السلام، في يوم الثلاثاء وقيل الأحد، للنصف من ذي الحجة، وقيل في رجب، سنة ٢١٢هـ، أو ٢١٤هـ، على ما هو مروى^(١).

كنيته ولقبه: لقب الإمام علي الهادي عليه السلام بألقاب عديدة منها:

(النّقي، الهاي، النّجيب، المرتضى، العالم، المتقي، الفقيه، الأمين، المؤمن، الطّيب، المتوكل، العسكري، النّاصح)^(٢).

مدة إمامته: ٣٤ سنة.

عمره: ٤٢.

صفاته: نقل أنّه عليه السلام كان "أطيب النّاس مهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب وأكملهم من بعيد عليه هيبة الوقار، إذا تكلم سماء أضاءت البهاء، وهو من بيت الرّسالة والإمامة ومقر الوصيّة والخلافة، شعبة من دوحة النبوة متتضة مرتضاة مثمرة من شجرة الرسالة مجتبة، قال عبد الله بن يحيى بن خاقان: (لو رأيته لرأيت رجلا جليلا (جزلاً) نبيلاً خيراً فاضلاً وفي شذرات الذهب كان فقيهاً إماماً متعبداً"^(٣).

وفي عام ٢٠هـ أصبح علي بن محمد الهادي عليه السلام إمام الدين، وولي الأمر الشرعي، عملاً بثابت النص وصريح الاستخلاف واجتماع الصفات

المطلوبة فقها في شخص المرشح للإمامة واتفاق عدد غير قليل من الحفاظ والمؤرخين على كونه المؤهل لذلك، خلافا لمن ادعى الولاية الشرعية في عصره من شاربي الخمر ومرتكبي المحرمات ومتهكي الحرمات.^(٤) تاريخ وفاته:

توفي عليه السلام في يوم الاثنين الثالث من رجب سنة ٢٥٤هـ، متأثرا بسم المعتز العباسي.

قبره: دفن عليه السلام في داره بسر من رأى - سامراء - تعلو قبره الشريف أكبر قبة ذهبية في العالم، استعمل في بنائها ٧٢٠٠٠ ألف طابوقة من الذهب.^(٥) علمه:

ظهر للإمام عليه السلام في طفولته المبكرة من الذكاء والنبوغ ما يذهل الفكر ويبهز الألباب، فكان يملك ذاكرة قوية وذكاء مفرطا وفطنة بالغة فقد ذكر الرواة بوادر كثيرة من ذكائه كان منها أن المعتصم بعدما اغتال الإمام الجواد عليه السلام عهد إلى عمر بن المفرج أن يشخص إلى يثرب ليختار معلما لأبي الحسن الهادي عليه السلام البالغ من العمر آنذاك ست سنين وأشهرًا، وقد عهد إليه أن يكون المعلم معروفاً بالنصب والانحراف عن أهل البيت عليه السلام ولما انتهى عمر إلى يثرب التقى بالوالي وعرفه بهمته، فأرشدته الوالي وغيره إلى الجندي فاستجاب له، وعيّن له راتباً شهرياً، وعهد إليه أن يمنع الشيعة من زيارته والاتصال به، وقام الجندي بتعليم الإمام عليه السلام إلا أنه ذهل لما يراه من حدة ذكائه، فقد التقى محمد بن جعفر بالجندي فقال له:

(ما حال هذا الصّبي - يعني الإمام الهادي عليه السلام الذي تؤدبه؟) فأنكر الجندي ذلك وراح يقول: (أقول: هذا الصّبي؟! ولا تقول هذا الشيخ، بالله هل تعرف بالمدينة من هو أعرف مني بالأدب والعلم؟). قال: لا.

قال الجنيد: إني والله لأذكر أعرف من الأدب، وأظن أني قد بالغت فيه، ثم إنه يملئ أبواباً استفيد منه، فيظن الناس أني أعلمه، وأنا والله أتعلم منه. ^(٦)

من حكمه وأقواله: ^(٧)

إن الله جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبي، وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً.

١- من جمع لك وده ورأيه فاجمع له طاعتك.

٢- من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره.

٣- من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه.

٤- المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان.

٥- الحكمة لا تنجح في الطباع الفاسدة.



(المحور الأول)

(القيم الأخلاقية)

١- القيم لغةً واصطلاحاً.

تُعرّف القيم على أنّها "اسم لما يقوم به الشيء، أي يثبت كالعماد والسّناد، لما يعمد ويسند إليه، والإقامة في المكان الثّبات. وإقامة الشيء: تقويمه حقه وتقويم الشيء تثقينه، قال تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) وذلك إشارة إلى ما حضي به الإنسان دون الحيوان، من العقل والفهم، وانتصاب القامة الدّالة على استيلائه على كلّ ما في العالم ليجعله خليفة في الأرض ويكرمه إيماناً تكريم" (٨).

أمّا اصطلاحاً فتعرّف القيم على أنّها: (مقياس يتمّ الحكم بمقتضاه على ما يصدر من الذات الإنسانيّة من فعل)، ويتم عن طريقها تحديد ما إن كان ذلك الفعل مرغوباً به أم لا (٩).

ومما تقدّم نستنتج أنّ القيم عبارة عن مجموعة من القوانين والقواعد يتمّ عن طريقها معرفة شخصية الإنسان، وفهمها وتحليلها، وتمييز طباعها وبالتالي يكون الحكم عليها وفقاً لتلك القيم.

٢- الأخلاق في اللغة والاصطلاح: الأخلاق في اللغة: جمع خلق، والخلق

اسم لسجّية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها، ذكر ابن منظور الخلق بقوله: "هو الدّين والطّبع والسّجية وهو مأخوذ من خلق، الدّالة على تقدير الشيء" (١٠).

أمّا في الاصطلاح فقد عرفت على أنّها: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سمّيت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصّادر منها الأفعال القبيحة سمّيت

الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً. وإنّا قلنا: (إنّه هيئة راسخة) لأنّ من يصدر منه بذل المال على النّذور بحالة عارضة لا يقال خلقه السّخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكذلك من تكلف السّكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال خلقه الحليم، وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السّخاء، ولا يبذل إمّا لفقد المال أو لمانع، وربّما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء" (١١).

أ- دراسة معجميّة في الألفاظ الدالّة على المعاني الأخلاقيّة والقيميّة في قصائد مدح الإمام الهادي عليه السلام وراثته دراسة معجميّة للألفاظ المستعملة:
١- الفضل: يُعد الفضل من القيم الأخلاقيّة المهمة ويعرّف على أنّه "ابتداء إحسان بلا علّة" (١٢).

"عُرس المجد والفضيلة والدين وأحيا بالخير جذب البوادي" (١٣)

يجسّد الشّاعر في هذا البيت مجموعة من صفات الأخلاق والقيم في شخصيّة الإمام الهادي عليه السلام وهي: المجد، الفضيلة، والخير، فالمجد صفة خلقيّة متصلة بالقيم المتوارثة عن طريق الآباء والأجداد وهي مرتبة عالية جامعة لبقية المزايا الخلقيّة، أما الفضيلة فتعني أنّه عليه السلام كان يتبدأ بالإحسان دون أن يكون هناك طلب من الآخرين له، ودون أن ينتظر عليه السلام هو منهم مقابلاً، وقد استند الشّاعر في تجسيده هذه الصّفات في شخصيّة المعصوم عليه السلام على الاستعارة المكنيّة في قوله: (عُرس المجد)، فالعُرس في الأصل للزّرع استعاره الشّاعر للمجد ليوصل للمتلقي أهميّة دور الإمام في سعيه نحو الكمال فالعُرس يتطلب جهداً ليس هيناً من ناحية اختيار الأرض وما يلازم ذلك من تهيئة وسقي، وبذلك فالنفس إذا تمثّل فيها "معاني العطاء والبذل وتحقق منها هذا السلوك كانت في أرقى درجات إنسانيّتها؛ لأنّها تخلّصت من الأثرة إلى الإيثار، ومن الاحتجان إلى العطاء، ومن حب الذات فقط إلى حب الآخرين مع الذات؛ ولأنّها حينئذ تسعد بالعطاء وتحقق وجودها الأسمى به" (١٤).

"يا كريم الفعال من نسل طه ورث الفضل من أبي الانجاد" (١٥)

يعمد الشاعر في قصيدته جمع صفات عديدة من ألفاظ الأخلاق والقيم في شخصية الإمام علي الهادي عليه السلام، إذ يجمع في هذا البيت ألفاظ (الكرم والفضل) فضلاً عن طيب النسل كونه عليه السلام امتداداً للسلسلة المحمدية وحبّة لؤلؤ من عقدها المنظوم، فالكرم والفضل من أهم الصفات الخلقية التي تجسّدت عنده متكاملة بطيب النسل والانتماء، وقد استعمل الشاعر كلمة (كريم) على وزن (فعليل) على سبيل المبالغة والتكثير، إذ إنّ كرم الإمام عليه السلام غير محدود ولا ينصب في جانب دون آخر، بل هو شامل متنوّع إذ يصب كرمه عليه السلام في مختلف المجالات.

ومنه قول آخر:

"له من الفضل ما لم يحوه أحد أخلاقه كنسيم الفجر في السّحر" (١٦)

تعدّ صفة الفضل من ألفاظ الأخلاق والقيم التي ورد ذكرها مرات عديدة في القصائد التي اتّجهت لمدح الإمام علي الهادي عليه السلام، فالإمام دائم المبادرة في الإحسان في جميع الحالات من دون انتظار رد فعل من الآخرين تجاه فضله، وليس المذكور صفة الفضل فقط بل يعصّد الشاعر هذه الصّفة بصفة أخرى في البيت نفسه وهي (الأخلاق) إذ يشبه أخلاق الإمام عليه السلام بـ(نسيم الفجر) على سبيل التشبيه المجمل، فالجامع بين أخلاقه عليه السلام ونسيم السّحر، العذوبة والرقّة والجمال الممتزجة مع جمال طلوع الفجر، وبهذا الأسلوب التصويري يضع الشاعر متلقي الأبيات في موقف مشهدي سينمائي متحرك لإدراك عظمة الأخلاق والقيم في هذه الشخصية الكريمة. ومّا تقدّم نلاحظ أنّ هناك فرقاً في استعمال لفظة (الفضل والفضيلة)، فالفضل يقترن بالإحسان من دون أن يكون هناك طلب، من دون أن يكون هناك انتظار لردة فعل من قبل الشخص الذي أحسن إليه، أما الفضيلة



فهي سمة خلقية جامعة شاملة للأخلاق والصفات الحميدة المتباعدة عن النقصان والرذيلة، ويدخل ضمنها كل من المحبة والاخلاص والعطاء.

٢- الكرم: اسم لجماعة الأخلاق المحمودة، وفي لسان العرب، "الكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل والكريم اسم جامع لكل ما يحمد، فالله عز وجل كريم حميد الفعال ورب العرش الكريم العظيم، والكرم نقيض اللؤم يكون في الرجل بنفسه، وإن لم يكن له آباء، وقد كرم الرجل وغيره، بالضم كرماً وكرامة فهو كريم وكريمة وكرمه ومكرم ومكرمة"^(١٧). وهو "اسم واقع على نوع من أنواع الفضل، ولفظ جامع لمعاني السّاحة والبذل، فكلّ خصلة من خصال الخير، وخلّة من خلال البر، وشيعة تعزى إلى مكارم الأخلاق، وسجية تضاف إلى محاسن الطّباع والأعراق فهي واقعة على اسم الكرم، فالكرم أبداً واقع على كلّ فعل من الأفعال المرضية لازم لكلّ حال من الأحوال الجليلة السّنية"^(١٨).

يُعَدّ الكرم من أهم الصفات الخلقية التي يجب توفرها في الشخصية بعد التّقوى، وقد نالت هذه الصفة عناية العرب قديماً وحديثاً، إذ اهتم الشعراء منذ الجاهلية بتجسيدها في قصائد المديح لساداتهم وأشرفهم، أو لهجاء أعدائهم. إنّ الكرم لا يقتصر على العطاء المادي فحسب، بل يشمل كلّ ما في كوامن النفس من قيم يستطيع الإنسان نفع الآخرين بها، وتؤدي معنى الكرم ألفاظ متنوّعة في اللّغة منها السّاحة والسّخاء والهبة والمنحة والعطيّة وغيرها، وهذه جميعاً تشير "على وجود هذه الصّفة الأخلاقية المميّزة للإنسان العربي، والتي تدل على مساعدة الفرد لأخيه دون محاسبة فيما بعد، فالكرم يشمل المواطن التي يتوقع فيها الكريم الردّ بالمقابل والتي لا يتوقع منها ذلك، غير أنّ الكرم العربي من خلال هذه الألفاظ نجد أنّ صاحبه لا ينتظر الردّ بل هو عطاء من أجل العطاء"^(١٩).

ومنه قول الشاعر:

"السَّحْبُ منه درت كيف الهطول وكم له يد في الورى هطالة المطر"^(٢٠)
يجسد الشاعر كرم الإمام الهادي (عليه السلام) بلفظة غير لفظ الكرم، حيث استعمل كلمة (السَّحْب، والهطول، المطر) وقرن هذه الألفاظ بوجود الإمام الدَّار من يديه، ولعلَّ في استعمال هذه الألفاظ المجازية الدلالة على الكرم أبلغ وأكثر تأثيراً في وصف أخلاقه (عليه السلام) من استعمال لفظة (الكرم) بحد ذاتها، فقد جعل الشاعر السَّحْب في موطن التلميذ كونها تعلمت من الإمام كيفية العطاء، لما رآته منه من كرم، وقد استند الشاعر في هذا البيت على صفة التجسيم حيث جعل السحب بمثابة الإنسان العاقل المدرك المتعلِّم.

٣-التقوى : أنَّ التَّقاة والتَّقية، والتَّقوى، والاتقاء بمعنى واحد، ويُن ابن منظور أنَّ معنى وقاه الله وقياً ووقاية: صانه، تقول: وقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته من الأذى، وتوقَّى، واتقى بمعنى . ووقاك الله شر فلان وقاية، أي حفظك"^(٢١)، فالمعنى اللغوي لكلمة التقوى يدل على الصيانة والوقاية والستر وحفظ الشيء مما يحدق به من الأذى.

وقيل التقوى "هي جعل النفس في وقاية مما يخاف وهذا تحقيقه، ثمَّ يسمى الخوف تارة تقوى، والتَّقوى خوفاً، بحسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه، والمقتضى بمقتضاه"^(٢٢)، وقد وردت لفظة التقوى مرات عديدة في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، ومنها قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢٣).
وقيل هي: "اتخاذ الوقاية، وعند أهل الحقيقة: هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النَّفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك"^(٢٤).

ومما قيل في وصف هذه الصفة عند الإمام علي الهادي (عليه السلام):

"هو النَّقي النَّقي الممتلي حكماً من المعارف والأحكام والسُّور"^(٢٥)

في هذا البيت تتوالى الألفاظ الدالة على المكارم الأخلاقية والقيم، حيث جمع الشاعر بين أكثر من لفظ: (النقي، التقى، الممتلي حكماً، المعارف، الأحكام، السور) وقد قدّم الشاعر النقاء والتقوى كونها أهم الصفات كونها ترتبط بالخوف من الله سبحانه وخشيته، ثم بعدها عمد الشاعر إلى أسلوب الجمع والتقسيم إذا جمع صفات عديدة (النقي، التقى، الممتلي حكم) ثم قسّم الحكم الإمام على ثلاثة أقسام: حكمه في المعارف، حكمه في الأحكام، حكمه في السور، فهذا الأسلوب في التقسيم يعطي المتلقي مساحة للتوقف لاستقبال هذه الصفات وإدراك عظمة المتصف.

٤- الصّبر: الصّبر حبس النفس عن متابعة الهوى، وهو قوة مقاومة الآلام والأهوال، والصبر ضد الجزع، وفي أسماء الله تعالى الصبور هو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام، وهو من أبنية المبالغة ومعناه قريب من معنى الحليم، والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة في صيغة الصبور كما يأمنها في صيغة الحليم^(٢٦).

وفي مقاييس اللغة: "الصاد والباء والراء أصول ثلاثة: الأول الحبس، والثاني أعالي الشيء، والثالث جنس من الحجارة، فالأول الصبر، وهو الحبس، يقال صبرت نفسي على ذلك الأمر، أي حبستها"^(٢٧).

ومنها قول الشاعر في رثاء الإمام علي الهادي عليه السلام:

"شاؤوا مذلتة فأغمض صابراً وأحال أمرهم إلى الميعاد"^(٢٨)

يجسّد الشاعر في هذا البيت صفة (الصبر) وهي من الصفات الصعبة التي تتطلب من الإنسان طاقة للاتصاف بها، وقد مثل الشاعر بها موقف الإمام علي الهادي عليه السلام تجاه ما صدر من طغاة عصره في حقه عليه السلام، من مختلف أنواع العذاب، حيث وظف كلمة الصبر في أعلى درجاتها في قوله (أغمض صابراً) فالصبر مع غموض العين دلالة على شدة الموقف الذي يتطلب

من الإنسان أن يستجمع طاقته للحفاظ على هذه الصفة، إذ إن الأمور التي كان يشهدها أوصلته إلى أعظم مرحلة من مراحل الصبر، يؤكد هذا قول الشاعر (وأحال أمرهم إلى الميعاد) ليوصلنا إلى قيمة خلقية أخرى عند الإمام عليه السلام وهي أنه صبره كان لله فهو يرى أن الله عز وجل خير منتقم، ويعد صبره من باب الخضوع والتواضع لله عز وجل.

وبذلك فالشعراء في مدح الإمام الهادي عليه السلام ورثائه يعمدون على ذكر أكثر من لفظ خلقي لما تمتعت به شخصية الإمام علي الهادي عليه السلام من تكامل في الصفات والقيم.

٥- المجد:

المجد في اللغة يعرف على أنه الشرف والعز، و (رجلٌ ماجدٌ) أي كريم، وهي لفظة لا تطلق إلا على محمود، وتدل على بلوغ النهاية في الكرم، والله عز وجل ماجد ومجيد، أي لا كرم يعلو كرمه، والمجد السخاء والمروءة، وهو دليل الكرم والشرف، وأمجده مدحه وثنى عليه، وقيل المجد لا يكون إلا بالآباء أي أن المجد مختص بكرم الآباء^(٢٩).

ومما قيل في مدح الإمام علي الهادي عليه السلام في هذه الصفة قول الشاعرين:

"هتف الشوق في ربوع المعالي أنجب المجد أشرف الأولاد"^(٣٠)

"أرتل المجد للعلياء من مضر الهادي الطهر في آياته الغر"^(٣١)

في هذه الأبيات في مدح الإمام علي الهادي عليه السلام في ذكرى ولادته يعمد الشاعران على تجسيد القيم الخلقية المتمثلة في هذه الشخصية الفذة الكريمة، وقد وظفوا ألفاظ عديدة من ألفاظ القيم وهي: (الشرف، العلياء، الهادي، الطهر)، عن طريق الاستعارة حيث استعار أحدهم الهتاف للشوق، على سبيل الاستعارة المكنية، والانجاب للمجد، أما الثاني فقد استعار الترتيل للمجد، راسمين بذلك أعلى صورة للمثل العليا التي تمثلت في شخصية الإمام علي الهادي عليه السلام، وبذلك يكون تشكيل الصور البصرية للعديد من القيم الأخلاقية وتمثلها في شخصية

الإمام عليه السلام بأسلوب مثير ومؤثر في آن واحد لجذب انتباه المتلقي والارتقاء به نحو فهم واستيعاب جديد لما تتمتع به شخصية الإمام من عظمة، جعلت الشوق يهتف في أنحاء المعالي وأرجائها فرحاً ببشارة ميلاده عليه السلام.

٦- السَّماحة واللين:

السماحة في اللغة من سمح سمحاً وسماحة أي لآن وسهل، وسمح فلان بذل في العسر واليسر عن كرم وسخاء، ويقال، سمح له بحاجة يسرها له، والسماح: التسامح والتساهل، والسمح يقال فلان سمح جواد سخي، والسَّماحة: الجود والكرم والسهولة، وهي ضد الخشونة، وأصله في الأجسام ثم استعير للأخلاق، وتعني السهولة والانقياد، ولاين لاطف وداهن، وقد يكون بمعنى الحلم في معاملة الجزاء على النية بالأناة، فالسماحة القول من دون شدة ولا غلظة^(٣٢).

ومما قيل في رثاء الإمام علي الهادي عليه السلام قول الشاعر:

"سجنوه من غل عليه فانبرى يدعوهم باللطف والإرشاد

قد أحضروه لدى الخمرور إهانة فدعاهم الهادي سبيل رشاد"^(٣٣)

في هذين البيتين يعمد الشاعر على وصف القيم الأخلاقية عند الإمام الهادي عليه السلام بالسمحة واللين واللطف في المعاملة، ففضلاً عما يلقاه من نصب وعذاب وإيذاء وسجن من طغاة زمانه إلا أن أسلوبه عليه السلام كان معهم ليناً بعيداً عن الضيق والتشدد، مع صعوبة الموقف تبقى قيم الإمام وأخلاقه راسخة بمقتضى عصمته عليه السلام، فليس ممن يقابل الإساءة بالإساءة ومحال أن تتغير القيم عنده بتغير المواقف بل أن أخلاقه ثابتة فهو في كل الأحوال سمحاً ليناً، مع ما يبدر من الظالمين اتجاهه من أساليب كـ(إحضاره إلى مجلس شرب الخمر) مجبراً وهو من أصعب المواقف على الإمام عليه السلام ويجبر على مشاهدة هذه المجالس مع التهديد بالسجن والتنكيل إلا أنه عليه السلام كان صابراً هادياً لهم بأرقى أساليب الكلام نحو طريق الرشاد والتوبة.

(المحور الثاني)

(القيم الفكرية)

بـ_ القيم الفكرية :

١- العلم: العلم "نقيض الجهل، وهو إدراك الشيء على حقيقته" (٣٤)،
ومما قيل في وصف هذه القيم عند الإمام علي الهادي عليه السلام قول الشاعر:
"في علمه مثل بحر لا ضفاف له وراكبوه على أمن من الخطر
هو النقي التقي الممتلي حكماً من المعارف والأحكام والسور" (٣٥)
يعمد الشاعر في البيتين على تجسيد القيم الفكرية في شخصية الإمام علي
الهادي عليه السلام، في علمه، إذ يشبه علمه عليه السلام بالبحر الذي لا تحده ضفاف فلا حدود
له ولا منتهى، وفضلاً عن ذلك فإن علمه هذا غير مقتصر على جانب واحد،
إذ يعمد الشاعر على تقسيم حكمته وعلمه عليه السلام إذ يشمل علمه المعارف
والأحكام والسور، فالمعارف لفظة شاملة لجميع العلوم والمعرفة.



السور والأحكام والمعارف

الختامة:

تعد القيم الأخلاقية الدعامة الأساس التي تقوم عليها الأمة الإسلامية، وتشكل التقوى أساس الهرم؛ إذ إن الخوف من الله تعالى هو العامل المحفز لوجود القيم الأخلاقية والفكرية الأخرى، وتعد شخصية الإمام علي الهادي عليه السلام جامعة للمكارم الأخلاقية بأعلى مستوياتها، كونه امتداداً للرسالة المحمدية، المتمثلة بأجداده الكرام عليه السلام، ولذلك حرص الشعراء على تجسيد القيم الأخلاقية والفكرية بمختلف أنواعها في شخصيته عليه السلام في قصائد المديح والرثاء، إذ امتازت تعبيراتهم باستعمال أسلوب التصوير والتمثيل للدلالة على عظمة القيم المتمثلة في شخصيته عليه السلام، فضلاً عن أسلوب الجمع والتقسيم، إذ أسهمت أساليبهم تلك في زيادة الجذب والتأثير في المتلقي. استند الشعراء على صيغ المبالغة في تجسيد ألفاظ الأخلاق والقيم كمحاولة منهم للوصول إلى بيان حقيقة عظمة الصفات وكثرتها عند الإمام، إن العلاقة بين الأخلاق والشعر متصلة تمام الاتصال فالشعر قد يشترك مع الأخلاق في دعوته إلى الحفاظ على أخلاق المجتمع والارتقاء به نحو الفضيلة، واللفظ في الشاعر الإنسانية، وقد حرص الشعراء في مختلف العصور على تجسيد ألفاظ الأخلاق والقيم وصفاتها في شخصية الإمام علي الهادي عليه السلام، وهذا التجسيد نابع من رغبتهم في إصلاح مجتمعهم، فتوظيفهم لمختلف الألفاظ الدالة على القيم الأخلاقية في أشعارهم دليل على إصنافهم لهذه القيم وضرورة الحذو على منوالها والتحذير من أصدادها للمحافظة على سلامة المجتمع العربي الإسلامي من العلل التي تسهم في انهياره.

الهوامش:

- ١ - ينظر: سير الأئمة الإثني عشر / محمد حسن آل ياسين: ٨٦.
- ٢ - ينظر: سير المعصومين، الوائلي: ٥٣٧.
- ٣ - ينظر: قبسات مشرقة من سيرة الرسول وبضعته البتول وحياة الأئمة العدول، عبد المطلب السيد جاسم البكاء: ٣٣٩.
- ٤ - سيرة الأئمة الإثني عشر، ج ٣: ٩٦.
- ٥ - سير المعصومين: ٥٣٨.
- ٦ - منتقى الدرر، محمد محمدي الاشتهاري: ١٣٧-١٣٨.
- ٧ - قبسات مشرقة: ٣٤٦.
- ٨ - مفردات الراغب الاصفهاني: ٦٩.
- ٩ - ينظر: التطور القيمي، محمد إبراهيم: ١١١.
- ١٠ - لسان العرب، ابن منظور: ١٤٠/٥.
- ١١ - التعريفات، الجرجاني: ١٠٥.
- ١٢ - التعريفات: ١٦٩.
- ١٣ - ديوان المديح والثناء في محمد وآل بيته النجباء، سلمان آل طعمة: ١٧٣.
- ١٤ - مفهوم الأخلاق في الشعر العربي في العصر العباسي الأول، محمد شحادة: ٢٨-٢٩.
- ١٥ - م. ن: ١٧٤.
- ١٦ - المدائح والمراثي: ١٦.
- ١٧ - لسان العرب: ١٢/٥١٢ مادة كرم.
- ١٨ - عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن: ١٠٥، ١٠٦.
- ١٩ - القيم الأخلاقية من خلال الشعر الجاهلي، صالح مفقود: ١٨٧.
- ٢٠ - المدائح والمراثي: ١٦.
- ٢١ - لسان العرب: ٣/٩٧١-٩٧٣.
- ٢٢ - مفردات الراغب الأصفهاني: ٨٣٣.
- ٢٣ - التغابن: ١٦.
- ٢٤ - التعريفات: ٦٩.
- ٢٥ - م. ن: ١٦.
- ٢٦ - ينظر: لسان العرب: ٣/٣٢١.

٢٧ - مقاييس اللغة، ٣/ ٣٢٩.

٢٨ - م. ن: ١٦.

٢٩ - ينظر: لسان العرب، مقاييس اللغة، مادة مجد.

٣٠ - ديوان المدائح: ١٧٤.

٣١ - م. ن: ١٦.

٣٢ - ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور:

٢١٩٦/٦.

٣٣ - م. ن: ١٦.

٣٤ - القيم الفكرية، عبد الرحمن سنان وجيه الدين، ٢٠٣.

٣٥ - م. ن: ١٦.





المصادر والمراجع:

القرآن الكريم .

* تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري،
تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم
للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ،
١٩٨٧م.

* التطور القيمي وتنمية المجتمعات الدينية
محمد ابراهيم كاظم، المجلة الاجتماعية
القومية، القاهرة ١٩٩٧م.

* التعريفات، الجرجاني، ٨١٦هـ، تحقيق:
محمد باسل عيون السود، دار الكتب
العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣، .

* ديوان المديح والثناء في محمد وآل
بيته النجباء، سلمان آل طعمة، ط ١،
١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م. مؤسسة الفكر
الإسلامي.

* سير الأئمة الإثني عشر، محمد حسن
آل ياسين، ط ١، دار المؤرخ العربي،
١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

* سير المعصومين من مجالس ومحاضرات
الوائي، دار المرتضى بيروت، لبنان، ط ١،
١٤٣٠، ٢٠٠٩م.

* عن الآداب والسياسة وزين الحسب
والرياسة، أبو الحسن علي بن عبد
الرحمان، دار الكتب العلمية بيروت
لبنان، ١٩٨١م، ١٤٠١هـ.

* قبسات مشرقة من سيرة الرسول
وبضعته البتول وحياة الأئمة العدول،
عبد المطلب السيد جاسم البكاء، ط ١،
٢٠٠٩م، ١٤٣٠.

* القيم الأخلاقية من خلال الشعر
الجاهلي، صالح مفقود، مجلة العلوم
الانسانية، ٢٠٠١م.

* القيم الفكرية، عبد الرحمان وجيه الدين،
١٤٤٢هـ، ٢٠٢٣م، ط ١، ٢٠٢٣م،
اليمن.

* لسان العرب، ابن منظور، دار صادر
بيروت للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م.

* المدائح والمراثي للمعصومين الأربعة
عشر، ط ١، ١٤٤١هـ، مكتبة الزنجاني،
قم المقدسة. محمد محمدي الشيرازي.

* معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد
ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون،
مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي،
ط ٢، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

* مفردات الراغب الأصفهاني، تحقيق:
صفوان عدنان، دار العلم، بيروت،
ط ٢، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

* متقى الدرر، محمد محمدي الاشتهاري،
تحقيق هاشم الصالحي، ٢٠٠٨م،
١٤٢٩هـ، مؤسسة البلاغة.

إندماج الساحات التربوية عند الإمام الهادي عليه السلام الزيارة الغديرية أنموذجاً

الشيخ نعيم الحسيني
الحوزة العلمية / قم المقدسة

ملّخص

الإمام هو الهادي إلى الله سبحانه وتعالى في جميع المجالات التي يحتاج الإنسان فيها إلى الهداية بما فيها الأبعاد المختلفة للحياة الإنسانية من الفكر والعمل الفردي والنشاط الاجتماعي والسياسي وغير ذلك. والمؤمن الحقيقي -الذي يتصدى الإسلام لتربيته- يؤتي كلّ ذي حقّ حقّه، وتعاليم أهل البيت عليهم السلام ترشدنا إلى مرتبة الوصول إلى الإنسان الجامع الكامل كما كانت أنفسهم كذلك. لذلك نرى هذا المنهج في تربية الفرد والأمة في أغلب ما صدر عنهم عليهم السلام.

من أهم وأكمل وأوضح النصوص وفي الوقت نفسه من أصعبها فهماً الواردة عن آل الرسول صلوات الله عليهم في هذا المجال ما ورد عن الإمام الهادي في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير. الزيارة التي سميت بالزيارة الغديرية للإمام الهادي عليه السلام.

في هذا البحث الذي يتم إجراءه بالمنهج التحليلي حول عبارات هذه الزيارة، بعد دراسة مختصرة حول سند هذه الزيارة ومصادرها وأيضاً ظروف صدورهما، نسلط الضوء بإذن الله على أنه كيف تعامل الإمام عليه السلام مع مقولة التربية الدينية بما فيها تعليم وتصحيح المعتقدات و

التركيز على أسس الإسلام و التعاليم الأخلاقية و ما شابه ذلك، و فى الوقت نفسه يؤسس عملاً سياسياً و يتخذ موقفاً صارماً تجاه طاغوت عصره، و أيضاً يراعى شرائط الكفاح مع العدو من التقية و غيرها. بالإضافة إلى ذلك سنشير إلى كيفية دمج ساحة التربية الدينية البحتة مع التربية السياسية و التنظيمية لأتباع مدرسة أهل البيت من جانب الأئمة (عليه السلام) فى مضامين هذه الزيارة.

هذا مع أن هناك قرائن مختلفة تساعدنا على التعرف على لوازم كلام الإمام (عليه السلام) المخفية فى العبارة، و لا يوجد مانع عقلياً و عقدي من وجود الوجوه المتعددة فى كلام الشخص الحكيم فضلاً عن إمامهم المعصوم بعناية من الله و له علم من لدن حكيم خبير.

الكلمات المفتاحية: الإمام الهادي (عليه السلام)؛ الزيارة الغديرية؛ أمير المؤمنين؛ التربية الدينية؛ الموقف السياسى؛ الطاغوت.



مقدمة

هذه وصية رسول الله ﷺ للإمامة:

"إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَمَّا إِنْ مَسَّكُتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا - كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ" ١

التمسك بالعترة لا يمكن إلا بعد معرفتهم، وهذه غالباً لا تتحقق للجاهل في زمان الغيبة إلا بعد دراسة دقيقة وعميقة لسيرتهم فضلاً عن كلماتهم المنيرة.

رغم إمكانية وجود بعض الإشتباهات والأخطاء في الدراسات التحليلية عن عصر الأئمة الأوائل (عليه السلام) لكن مساحة الإشتباه أكبر بكثير في الدراسات المرتبطة بالأئمة المتأخرين (عليه السلام) خاصة بعد الإمام الرضا عليه آلاف التحية والثناء.

هذا الأمر أدى إلى نقص الدراية في معرفة هؤلاء الأئمة الكرام والإكتفاء ببعض العبارات الكلية حولهم. كمعرفتنا مثلاً: الإمام زين العابدين (عليه السلام) واشتغاره بعلي كربلاء مع أنه عاش أكثر من ثلاثة عقود بعد قضية كربلاء وكان إماماً للشيعه وصاحب الفضل في تغير الأوضاع بيده الشريفة من نقطة ارتداد أكثر الناس إلا قليلاً كما هو المروي عنه، إلى نقطة كان للباقرين (عليه السلام) تلامذة كثر. كان للإمام (عليه السلام) دوراً هاماً في هذا التغيير ولكن تفصيل هذا الأمر غاب عنا وعن دراساتنا وعن منابرنا.

معرفتنا حول الإمام الهادي (عليه السلام) كذلك. نكتفى بأنه مؤسس وزعيم شبكة الوكالة و صدر عنه الزيارة الجامعة الكبيرة فحسب. ولكن لمدة حوالي عشرين سنة في تلك الظروف الصعبة ومع حضور العديد من الحكام السفاكين في رأس النظام السياسي هل اكتفى الإمام بهذين

العملين؟! ما هي شبكة الوكالة و وظائفها و آثارها؟ كيف قام الإمام تحت المراقبة و الضغط بإدارة هذا التنظيم بدون منظومة معلنة؟ و الكثير من الأسئلة حول هذا الأمر تحتاج إلى إجابات موسّعة.

على كلّ حال، مع هذه الرؤية تجب إعادة النظر في التراث الواصل إلينا منهم عليه السلام حتى نفهم كيفية عملهم و بالتالي كيفية الإقتداء و التأسّي بسيرتهم.

في هذه الدراسة التي كتبتها تم بأسلوب تحليلي مع دراسة مكتبية و بعد المرور الإجمالي على الوضع في زمن الإمام العاشر عليه السلام للشيعة، على بن محمد الهادي النقي عليه السلام، و الساحات التربوية للإنسان صاحب ذو العلاقات الكثيرة، تركّز الدراسة على إحد النصوص الماثورة من حضرته عليه السلام و هو نصّ الزيارة الغديرية التي زار عليه السلام بها أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير في النجف الأشرف في السنة التي أُشخص فيها إلى سامراء من جانب الحاكم العباسي. أولاً تتم دراسة سند الرواية و حال الرواة، و ثانياً نتطرق إلى بعض النقاط الهامة المستقاة من نصوص هذه الزيارة ثمّ نسلط الضوء على كيفية بيان الوجوه المتعددة المعنى العبارة المأخوذة من لسان الإمام عليه السلام، و أيضاً كيفية ربط التربية الفردية و الإجتماعية للإنسان المؤمن، و ستم مناقشة كل هذه المباحث بإختصار.

خلفية البحث

دراسة نصّ الزيارة الغديرية شأنها شأن الدراسات الواردة في سيرة الأئمة عليهم السلام المتأخرين خاصة الإمامين العسكريين عليهم السلام ضعيفة كمّاً وكيفاً. قسم من هذا الضعف له وجهٌ وهو قلة ما روي عن هؤلاء الأئمة عليهم السلام إثر بسبب ضيق الظروف والضغط الحاكم من جانب النظام الظالم الحاكم، و قسم آخر ناشئ عن قصورنا أو تقصيرنا كباحثين في هذا المجال. ومع ذلك فهناك بعض البحوث المنشورة والكتب المؤلفة والتي تُعنى بدراسة الزيارة الغديرية.

بين المقالات المنشورة بالفارسية، هناك سبعة بحوث عثرت عليها و في أولها يُبحث عن إثبات ولاية أمير المؤمنين في هذه الزيارة و في ثانيها التركيز على دراسة سند هذه الزيارة و في ثالثها تمت الدراسة عن منهاج الإدارة عند أمير المؤمنين في مواجهة الأعداء و في الرابع شُرحت عشرة فقرات من عبارات الزيارة. في البحث الخامس استفيد من نص الزيارة للبحث عن منهج تفسيري في القرآن و هو كشف المصاديق للآيات و ذلك لتطبيق بعض الآيات القرآنية من جانب الإمام الهادي عليه السلام على أمير المؤمنين في هذه الزيارة. في البحث الآخر تمت الدراسة عن سبب صدور هذه الزيارة و لذلك اعتنى بالظروف الحاكمة في ذلك الحين من الأوضاع الفكرية و السياسية و البحث الأخير ينظر بشكل كلى على نص الزيارة و يعد الآيات و الروايات الموجودة فيها.

لكن ما نحن بصددّه في هذا البحث، دراسة زيارة الإمام عليه السلام كفعل ذا تأثيرٍ اجتماعيٍّ مستوحى من داخل النصّ و مع الالتفات إلى الظروف الخارجية. لذا كان البحث السادس^٢ أكثر البحوث إقتراباً لما نريد، ولكن هناك بعض الفروق بين البحوث في كيفية الرؤية و كميتها.

في الكتب المؤلفة هناك: "مسند الإمام الهادي أبي الحسن على بن محمد عليه السلام" للشيخ عزيز الله العطاردي، "الإمام علي الهادي عليه السلام" للشيخ علي الكوراني العاملي، "الإمام علي الهادي عليه السلام سيرة و تاريخ" لعلي موسى الكعبي، "الإمام الهادي عليه السلام قدوة وأسوة" للسيد محمدتقي المدرسي و "موسوعة الإمام الهادي عليه السلام للجنة العلمية في مؤسسة ولي عصر موجودة، وأغلب هذا المؤلفات لها روح الموسوعية، و جُمع في كل واحد منها على حسب سعتها الكلمات المنقولة عن الإمام عليه السلام و حوله. مؤلفات الشيخ الكوراني، قريبة لما جئنا به في هذا البحث.

تقسيم الساحات التربوية

التربية في اللغة له جذرين أحدهما يأتي من ر ب ب^٣ و الآخر يأتي من ر ب أ^٤ (ربو). الجذر الأول يشير إلى الحضانة و إدارة شؤون المتربي من جانب المربي و الثاني يشير إلى النمو. على أي حال و بما أننا لسنا في هذا المجال بصدد دراسة تعريف هذا المفهوم، يكفينا المعنى العام الذي يفهم من كلا المعنيين. ما يهمنا هنا التوجه إلى الساحات التربوية بشكل عام و هو يحتاج إلى بيان مقدمة قصيرة.

في تقسيم عقلي ثنائي نستطيع أن نقول أن علاقة الإنسان بشكل عام إما مع نفسه و إما مع غيرها. الثاني إما مع الرب و الخالق سبحانه تعالى و إما مع غيره. هذا الغير الأخير يقسم إلى أقسام كثيرة منها البيئة و المجتمع و الحكومة و نظائرها. (طبعاً مع مسامحة واضحة في كيفية التعبير عن الرب في هذا التقسيم الذي على أساس الفهم المتعارف و العادي من المفاهيم و هو تعالى داخل في الأشياء لا بالمجازة و خارج عن الأشياء لا بالمزايلة.^٥)

وعليه فالساحات التي للإنسان علاقة معها ثلاثة:

* التفاعل مع النفس

* التفاعل مع الرب

* التفاعل مع الآخرين

و في القسم الثالث، نركز علي ما يرتبط بقضايا الأمة من السياسات و الإجماعات.

هذه الساحات لها ترابط وثيق، ولها التأثير و التأثير المتقابل و الغفلة أو التغافل، أو الجهل بالنسبة في كيفية هذه العلاقات بعضها مع بعض يؤدي إلى النقص و الهلاك عاجلاً أو آجلاً، و هذه عرصة لا تزيد فيها سرعة السير إلا بُعداً.^٦

التدقيق في هذا التقسيم يعطينا معلومات كثيرة حول الساحات التي الإنسان تفاعل معها، و بطبيعة الحال فأن الغاية من كل هذه التفاعلات هي التطور و ارتفاع مستوى العلاقة وجودتها، وهذه الغايات تحتاج إلى العناية و الإهتمام من جانب الإنسان. و أن الله سبحانه و تعالى عن طريق إرسال الرسل و إنزال الكتب أعطانا ما نحتاجه للتفاعل الصحيح و المناسب مع أنفسنا و مع ربنا و مع الآخرين بشكل متناسق و شامل لا يترك و لا ينسى أي مجال ضروري و لازم لتحقيق الحياة الإنسانية الطيبة، وهذه هي التربية الإلهية بقسميها التكوينية و أيضاً التشريعية التي ميزتها هي أنه "لا رطب و لا يابس إلا في كتاب مبين"^٧ و "كل شيء أحصيناه في إمام مبين"^٨.

ما نقصده في هذا البحث تسليط الضوء على بعض اللوامع و الملامح التي توجد في نص الزيارة الغديرية كنشاط للإمام المعصوم (عليه السلام) بأبعادها الشاملة التي نستطيع أن نفتدي به للتأثير علي جميع المجالات التربوية للفرد و الأمة و خاصة الساحات الثلاثة المشار إليها، لأن الإمام لا ينطق عن الهوى و عمله و كلامه حجة للآخرين.

ظروف عصر الإمام عليه السلام

الإمام علي بن محمد الهادي، "أبو الحسن الثالث، والفقيه العسكري، كان أطيب الناس بهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد،... مدة مقامه بسرّ من رأى عشرون سنة وتوفي فيها، وقبره في داره. وكان في سني إمامته بقية ملك المعتصم، ثم الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز. وفي آخر ملك المعتمد استشهد مسموماً."^٩

عاش الإمام عشرين سنة من عمره الشريف الذي كان ٤٢ سنة في مدينة سامراء التي كانت كثكنة بناها المعتصم وانتقل العاصمة من بغداد إلى هناك. في هذه المدينة اجتمع الكثير من كبار الشيعة في زمن الإمام الهادي عليه السلام دون أن يعرفهم نظام الخلافة وعمالها وأدارهم الإمام عليه السلام وشكّل شبكة الشيعة وتنظيم الوكالة ما بينه عليه السلام وبين الشيعة، ونشر رسالة الإمامة عبرها إلى جميع أقطار العالم الإسلامي آنذاك بما فيها خراسان، قم، الري، المدينة، اليمن وغيره. كل ذلك كان تحت السيف الحاد والسفك لهؤلاء الحكام العباسيين الستة مع مجاهدة خطيرة من جانب الإمام عليه السلام وأصحابه.^{١٠}

"كان آل أبي طالب مجتمعين بسرّ من رأى في أيامه عليه السلام تدرّ الأرزاق عليهم حتى تفرقوا في أيام المتوكل."^{١١} في عهد المتوكل كانت الأوضاع صعبة لأولاد أبي طالب فقتلوا وحُبسوا بعضهم وعاشوا فقراء.^{١٢} وكان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظاً على جماعتهم مهتماً بأمورهم شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم... فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من حكام بني العباس قبله، وكان من ذلك أن كُرب قبر الحسين وعُفّي آثاره؛ ووضع على سائر الطرق مسالح له لا يجدون أحداً زاره إلا أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة."^{١٣}

"كان المنتصر يظهر الميل إلى أهل هذا البيت، ويخالف أباه في أفعاله، فلم يجر منه على أحد منهم قتل أو حبس ولا مكروه فيما بلغنا، والله أعلم."¹

الدراسة التفصيلية لما جرى في تلك الأيام تحتاج إلى مجال آخر ولكن تجدر الإشارة إلى هذه النكتة وهي أن أغلبية المصادر الحديثية الرئيسية لأهل السنة بما فيها الصحيحين للمسلم والبخاري، مسند أحمد، سنن ابن داود، سنن ابن ماجه ونظائرها تم تأليفها في فترة القرن الثالث الهجري وهذا أثر على المجتمع والنخب والمفكرين وشكّل بعض الأزمات والتحديات الفكرية والسياسية في ذلك الوقت ولعب الدور النشط آنذاك كان يحتاج إلى موقف دقيق ومعقد من جانب كل من يريد التأثير الجزئي على المشهد فضلاً عن الإمام (عليه السلام).

مكانة الزيارة الجامعة الكبيرة والزيارة الغديرية

في هذه الأجواء، إحدى الإستراتيجيات التي اتخذها الإمام هي تبين حقيقة الإمامة وبيان مميزات واختصاصات الإمام الحقيقي المنسوب من قبل الله جلّ وعلا. في هذا الإطار نرى أنه وصل إلينا من جانب الإمام الهادي (عليه السلام) زيارتان ذات مضامين عالية حول معرفة الإمام المعصوم (عليه السلام) وهما الزيارة الجامعة الكبيرة والزيارة الغديرية لأمر المؤمنين (عليه السلام).

يمكن القول بأن الثقل في الزيارة الجامعة الكبيرة على الجانب الفكري والعقدي لمكانة الإمام (عليه السلام) في العالم، والتركيز في الزيارة الغديرية على مهمة الإمامة على الأرض وهو الجانب الاجتماعي والسياسي وأمثالهما. كما يخطر ببالي وحسب ما قرأته سابقاً، آية الشيخ جواد آمل حفظه الله في إحدى مصنفاته، يشير إلى نكتة وهي تناسب المقام لمزيد الاستفادة من نصوص الزيارة. هو يقول والنقل بالمشهور أن لكل إمام مهمة تتجلى في زيارات التي تصدر عن كل الأئمة. بالمناسبة، نستطيع أن نعرف ما هو الإمام بصده عن دراسة نص الزيارة بدقة كاملة.

على أي حال هاتان الزيارتان ركنتان من فكر الإمام الهادي عليه السلام التي في محاولة تربية الجيل الشيعي في ذلك الوقت و في كل عصر و مصر، وهما هديتان من الإمام أبو الحسن النقي عليه السلام.

لقد قمتُ بالبحث في الزيارة الجامعة الكبيرة و دراسة عصمة أهل البيت عليه السلام فيها سابقاً، وإليك البحث عن الركن الآخر أعني الزيارة الغديرية لأمر المؤمنين الصادر عن لسان الإمام الهادي المبارك عليه السلام.

سند الزيارة الغديرية و مصادرها

قبل الخوض في البحث عن النكات المستفادة من الزيارة الغديرية المباركة، حسب الأسلوب العلمي الرائج بين أصحاب علم الحديث و أيضاً كعمل عقلائي للمواجهة مع أي نقل من أي شخص حول أي موضوع خاصة في الأمور المهمة، نبادر بدراسة مصادر نقل هذه الزيارة و سندها و دراسة موجزة عن الرواة الموجودين في سلسلة السند حتى نطمأن بعد الفراغ عنها أن الزيارة صدرت من الإمام عليه السلام نفسه ثم نبحث عن الدلالات الموجودة فيها.

المصدر الرئيسي لنقل هذا النص، هو كتاب المزار لإبن المشهدي و باقي المنقولات مروية عنه. هذا ما نعرفه بعد الفحص عن الكتب التي ذكرت هذه الزيارة.

١. منها: الشيخ عباس القمي في مفاتيحه يشير إلى هذه الزيارة بهذه العبارة:

"الثانية: زيارة مروية بأسناد معتبرة عن الإمام علي بن محمد النقي عليه السلام قد زار عليه السلام الأمير عليه السلام يوم الغدير في السنة التي أشخصه المعتصم و صفتها كما يلي..."^{١٥}
كما حكى منه أيضاً في "هدية الزائر" و هي تصنيفه الآخر.

٢. و منها: الشهيد الأول في كتابه "المزار في كيفية زيارات النبي و الأئمة عليه السلام" يأتي بهذه الزيارة بدون أي توضيح آخر.

٣. ومنها: العلامة المجلسي فى بحاره وفي الجزء ٩٧ الصفحة ٣٥٩ يقول:
 "ثُمَّ قَالَ الْمَفِيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَ أَمَّا الرِّوَايَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ
 الْحَسَنِ بْنِ [عَلِيٍّ] الْعَسْكَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَ ذَكَرَ أَنَّهُ ﷺ زَارَ
 بِهَا فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ فِي السَّنَةِ الَّتِي أَشْخَصَهُ الْمُعْتَصِمُ."

٤. ومنها: المصدر الأقدم من كل هذه المصادر، ما روي عن المشهدي
 فى المزار الكبير الذي يأتى بهذه الزيارة ويقول:

"زيارة أخرى لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه
 مختصة بيوم الغدير

أَخْبَرَنِي بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ الشَّرِيفُ الْأَجَلُّ الْعَالِمُ أَبِي [أَبُو] جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ
 الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَمْدِ النَّحْوِيُّ، رَفَعَ الْحَدِيثَ عَنِ الْفَقِيهِ الْعَسْكَرِيِّ صَلَوَاتُ
 اللَّهُ عَلَيْهِ فِي شَهْرِ سَنَةِ إِحْدَى وَ سَبْعِينَ وَ خَمْسِمِائَةٍ.

وَ أَخْبَرَنِي الْفَقِيهُ الْأَجَلُّ أَبُو الْفَضْلِ شَاذَانَ بْنُ جَبْرِئِيلَ الْقُمِّيُّ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ، عَنِ الْفَقِيهِ الْعِمَادِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الطَّبْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَلِيٍّ، عَنْ
 وَالِدِهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ جَعْفَرِ بْنِ قَوْلُويهِ،
 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْكَلِينِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي
 الْقَاسِمِ بْنِ رُوحٍ وَ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ الْعَمَرِيِّ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ
 الْعَسْكَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، وَ ذَكَرَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ زَارَ بِهَا فِي
 يَوْمِ الْغَدِيرِ فِي السَّنَةِ الَّتِي أَشْخَصَهُ الْمُعْتَصِمُ." ١٦

هذا مع أنه يمكن القول بأن عدم نقل هذه الزيارة في تصنيف كبير
 مثل الغدير للعلامة الأمينى رحمه الله بسبب اختصاصها بمصادر شيعية.^{١٧}
 كما ترون، هناك سندان للزيارة أحدهما مرفوعة و الأخرى متصلة.
 السند المتصل يوجد فيه كبار العلماء منها الشيخ المفيد و الشيخ الطوسي و
 ابن قولويه و الكليني و علي بن إبراهيم و يصل إلى السفير الثالث و السفير

الأول لمولانا الإمام الحجة المنتظر يرويان عن الإمام الحسن العسكري عن أبيه الإمام الهادي عليه السلام نحن ننظر إلى بعض التفاصيل حول رواة هذا السند و ندع السند الآخر.

قبل ذلك، و في القوسين نتذكر نكتة و هي ما أشير إليها أحد الباحثين و هي كما نرى في نص الكتاب حول هذه الزيارة، أشير إلى عهد المعتصم و إشخاصه الإمام و لكنه من المعلوم أن طلب الإمام إلى سامراء و سفره كان في زمن المتوكل الذي كان بعد المعتصم. لذا يمكن أن نقول أنه من قبيل سهو الناسخين و الصحيح أن المتوكل وصل إلى الخلافة في ذي الحجة سنة ٢٣٢ و في سنة ٢٣٣ طلب السفر من الإمام في رسالة أرسلها إليه.^{١٨}



توثيق الرواة

السيد بن طاووس إعتد على هذا الكتاب أي كتاب المزار لإبن المشهدي وقام بمدحه إضافة إلى النقل الكثير من رواياته.^{١٩} لكن في مجال التحقيق حول الرواة نستطيع أن نقول أن السند صحيح و الرواية معتبرة لأن رواية هذا الحديث هم:

اولاً: ابوالفضل شاذان بن جبرئيل القمي: وهو حسب نقل السيد الخوئي، قال الشيخ الحر في تذكرة المتبحرين الشيخ الجليل الثقة، أبو الفضل شاذان بن جبرئيل بن إسماعيل القمي، كان عالماً فاضلاً فقيهاً عظيم الشأن جليل القدر.^{٢٠}

ثانيهم محمد بن أبي القاسم الطبري: وهو كما نقل عن معجم رجال الحديث نقلاً عن الشيخ منتجب الدين في فهرسته، الشيخ الإمام، عماد الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد بن علي الطبري الأملي الكجي، فقيه، ثقة قرأ على الشيخ أبي علي بن الشيخ أبي جعفر الطوسي وله تصانيف وأيضاً نقلاً عن الشيخ الحر في تذكرة المتبحرين أنه ثقة، جليل القدر، محدث وله أيضاً كتاب "بشارة المصطفى للشيعه".^{٢١}

ثالثهم أبوعلي (حسن بن محمد بن الحسن الطوسي): هو إبن الشيخ الطائفة وله منزلة كما نقل صاحب التنقيح عن "أمل الآمل" أنه كان عالماً فاضلاً، فقيهاً محدثاً، جليلاً ثقة وعن الشيخ منتجب الدين: فقيه ثقة، عين، قرأ على والده جميع تصانيفه.^{٢٢}

رابعهم والده أي محمد بن الحسن الطوسي: وهو الشيخ الطائفة الطوسي صاحب التهذيب والاستبصار كالكتب الأربعة، جليل في أصحابنا ثقة عين.^{٢٣}

خامسهم محمد بن محمد بن النعمان: وهو الشيخ المفيد ويقول النجاشي حوله أنه شيخنا وأستاذنا رضي الله عنه فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والثقة والعلم.^{٢٤}

سادسهم أبو القاسم جعفر بن قولويه: وكان أبو القاسم من ثقات أصحابنا وأجلائهم في الحديث والفقه.^{٢٥}

سابعهم محمد بن يعقوب الكليني: وهو صاحب تصنيف الكافي ويقول النجاشي أنه شيخ أصحابنا في وقته بالري ووجههم وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم.^{٢٦}

ثامنهم علي بن إبراهيم القمي: ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب^{٢٧} وكثير من روايات الكافي منقول منه.

تاسعهم أبيه أي إبراهيم بن هاشم: حسب نقل الحلي في الخلاصة، أن أصحابنا يقولون إنه أول من نشر حديث الكوفيين بقم وذكروا أنه لقي الرضا عليه السلام وهو تلميذ يونس بن عبد الرحمن من أصحاب الرضا عليه السلام ولم أقف لأحد من أصحابنا على قول في القدح فيه ولا على تعديله بالتنصيص والروايات عنه كثيرة والأرجح قبول قوله.^{٢٨}

عاشرهم أبو القاسم بن روح: وهو الحسين بن روح النوبختي، أحد السفراء والنواب الخاصة، للإمام الثاني عشر عليه السلام وشهرة جلالته وعظمته أغتننا عن الإطالة في شأنه ونقل الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة الترضي عنه.^{٢٩}

و في الطبقة نفسها عثمان بن سعيد العمري: وهو السفير الأول لصاحب الزمان أرواحنا فداه في غيبته الصغرى وعده الشيخ في رجاله تارة في أصحاب الهادي عليه السلام قائلاً عثمان بن سعيد العمري، يكنى أبا عمرو السمان، ويقال له الزيات خدمه (الهادي عليه السلام)، وله إحدى عشرة سنة و

له إليه عهد معروف، وأخرى في أصحاب العسكري عليه السلام قائلاً عثمان بن سعيد العمري الزيات، ويقال له السمان يكنى أبا عمرو وجيليل القدر، ثقة وكيله (العسكري عليه السلام) وسيأتي عن الشيخ في ترجمة ابنه محمد بن عثمان بن سعيد أيضاً أنه (عثمان بن سعيد) وكيل من جهة صاحب الزمان عليه السلام، و له منزلة جلييلة عند الطائفة.^{٣٠}

ومن ثم يصل السند إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأخيراً يصل إلى الإمام الهادي عليه السلام.

حسب هذه الدراسة الموجزة نستطيع القول بأن هذه السلسلة، صحيحة وموثقة وأكثر روايتها من أجلاء الأصحاب وكبار المشايخ الموثوق بهم. إذن يمكننا الورود في البحث عن محتوى الزيارة وتعاليمها القيمة بإذن الله والله المستعان.

مضمون الزيارة الكلي

هذه الزيارة مليئة بالآيات والروايات والسرديات التاريخية. الإمام عليه السلام استفاد من ثمانية عشر آية من القرآن تلميحاً واثنين وثلاثين منها تضميناً وثمانية وعشرين منها اقتباساً كما استفاد من ثلاثة أحاديث تضميناً وسبعة اقتباساً وثمانية تلميحاً. في المجموع نرى ٧٨ آية من آيات القرآن الكريم و ثمانية عشر من الأحاديث النبوية في هذه الزيارة.^{٣١}

تبدأ الزيارة بالسلام على أمير المؤمنين عليه السلام بصفات مختلفة، ثم الشهادة بخصائص الإمام عليه السلام ومواصفاته، و ثم تدخل في نقل الحوادث التاريخية تأييداً لبعض المدّعيات و بيان شأن نزول الآيات التي في شأن أمير المؤمنين عليه السلام. أولاً تشير إلى أحداث وقعت في زمن (النبي صلى الله عليه وآله)، و ثانياً تصل إلى أحداث عهد خلافة الإمام علي عليه السلام و حروبه مع الناكثين و القاسطين و المارقين و تتبين بعض التفاصيل المختلف فيها.

ثم تشير إلى غضب فذك بعد غضب الخلافة و صبر الإمام عليه السلام واستقامته على طريق الحق، وتختتم الزيارة باللعن على الغاصبين و الظالمين و القاتلين و غيرهم.

بشكل موجز و مختصر نستطيع أن نقول أن الآيات الموجودة فيها على ثلاثة أقسام:

الآيات التي شأن نزولها أمير المؤمنين عليه السلام
الآيات التي في بيان فضائل أمير المؤمنين و مناقبه
الآيات التي تبين عاقبة سوء المنكري الولاية
كما يمكن أن ندرج الأحاديث الموجودة فيها إلى ثلاثة أقسام أيضاً:
الأحاديث التي يتطرق إلى خلافة أمير المؤمنين و الأوصاف و الألقاب
المتناسبة مع الإمارة و الوصاية للإمام.

الأحاديث التي تشير إلى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام
الأحاديث التي تبين عاقبة سوء المنكري الولاية
بالمناسبة للإمام يشير إلى بعض الاستنادات التاريخية و سرد و تحليل
بعض ما جرى في بعض الحوادث التي يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام:
حضور أمير المؤمنين عليه السلام في حروب صدر الإسلام و شجاعته و رشادته في
حراسة النبي صلى الله عليه وآله و تطور الإسلام

ما جرى بعد الإرتحال النبي صلى الله عليه وآله و غضب الخلافة و أحداث ما تسمى
بالسقيفة و غضب الفدك

الحروب المفروضة على الإمام علي عليه السلام من جانب القاسطين و
المارقين و الناكثين

كيفية إستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام^{٣٢}

النقاط المهمة في الزيارة الغديرية

أ. إعلان الموقف من التقية

مع الالتفات إلى أنَّ الزيارة صدرت عن لسان إمام طلبه ما يسمى بالخليفة إلى العاصمة للضغط عليه ومراقبته بشكل أكثر وفي نفس السفر، والتركيز على قضية خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) والإستدلال لها، نظمن أن الزيارة هذه، مع كل فوائدها، يمكننا أن نحتسبها بموقف حاد ونشاط سياسي ضد الطاغوت الذي يترأس النظام آنذاك. بعبارة أخرى، هذه الزيارة من قبيل "إياك أعني فاسمعي يا جارة" وقصدها الرئيسي تضعيف مكانة الخليفة وإراءة البديل الصحيح والحق لهذا المنصب. لأنه إذا ثبتت حقانية أمير المؤمنين (عليه السلام) لتصدي إمامة المسلمين دون الآخرين بعد النبي، هذا يعني في تلك الظروف عدم حقانية ما جرت على الأمة و لزوم الرجوع إلى أهل بيت النبي (عليه السلام).

لكن من المفارقة أنه تم إعلان هذا الأمر، في هذه الزيارة بشكل لايمكن اتهام الإمام (عليه السلام) بأنه يريد الخروج على الحاكم حتى تصير هذه العبارات مسوغة لقتله (عليه السلام). الإمام عمل بكل الجوانب اللازمة مراعاةً للتقية التي روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنها ديني ودين آبائي.^{٣٣} من بعض الشواهد الدالة على هذا المدعى هي:

في هذه الزيارة تكرر التعبير عن الإمام المَزُور أعني الإمام علي (عليه السلام) بـ "أمير المؤمنين" بشكل غير عادي. عدد هذا التكرار يبلغ إلى عشر مرات. هذا يعني الإمام الهادي (عليه السلام) الزائر، يريد التأكيد والتركيز على هذا المفهوم.

إضافة إلى ذلك، التعبير بـ "مولاي و مولى المؤمنين" أيضاً يتكرر في الزيارة وله مثل ذلك الغرض الذي أشرت آنفاً.

الورود المباشر بعد السلام على النبي إلى زيارة الأمير دون زيارة الآخرين من الأنبياء تفصيلاً و الآخرين من الأجداد الطاهرين لأmir المؤمنين أمر غير رائع في باقي الزيارات و لعله للتأكيد على النسبة المباشر بين الرسول و وصيه عليه السلام.

لا يوجد سرد تأريخ ما جرى في عهد المزور بهذا الحجم في أي زيارة أخرى. نستطيع الإشارة إلى شواهد أخرى عديدة لكن نكتفي بهذه النكات الكلية و نشير إلى بعض النقاط في ما يلي من توضيح العبارات الأخرى.

ب. أقسام المخاطب للزيارة

يمكن أن القارئ و السامع للزيارة لا يلفته الإنتباه إلى أن الإمام الهادي عليه السلام في هذا التخاطب مع أمير المؤمنين عليه السلام، بالكناية يقصد نفسه من العديد من الأمور التي يعدها للإمام عليه السلام خاصة مع أنه هناك أكثر من مئتين نعت و صفة من صفات أمير المؤمنين عليه السلام يوجد في هذه الزيارة، لكن الأمر هكذا. على سبيل المثال، انظروا إلى هذه العبارة من الزيارة:

"أَشْهَدُ شَهَادَةً حَقًّا، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَمَ صِدْقٍ أَنَّ مُحَمَّدًا وَآلَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ سَادَاتُ الْخَلْقِ، وَأَنْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ..."

إن كان آل محمد سادات الخلق و يقسم هادي الإمام بالله لهذا الأمر، هذا تلويحاً معناه أن باقي الصفات المذكورة لأmir المؤمنين الاختصاصاته تجري للآخرين من الأئمة المعصومين عليهم السلام. هذا ما يستفاده المتأمل في هذه الزيارة دون أن يجلب الأنظار حتى يؤدي إلى التحديات غير اللازمة.

والأمر كذلك في هذه الفقرة:

"اللَّهُمَّ الْعَنْ قَتْلَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ قَتَلْتَهُ، وَأَشْيَاعَهُمْ وَأَنْصَارَهُمْ، اللَّهُمَّ الْعَنْ ظَالِمِي الْحُسَيْنِ وَقَاتِلِيهِ وَالتَّابِعِينَ عَدُوَّهُ وَنَاصِرِيهِ، وَالرَّاضِينَ بِقَتْلِهِ وَخَاذِلِيهِ، لَعْنًا وَبَيًّا."

اللَّهُمَّ الْعَنِ أَوَّلَ ظَالِمٍ ظَلَمَ آلَ مُحَمَّدٍ وَ مَانِعِيهِمْ حُقُوقَهُمْ، اللَّهُمَّ خُصِّ
أَوَّلَ ظَالِمٍ وَ غَاصِبٍ لِآلِ مُحَمَّدٍ بِاللَّعْنِ وَ كُلِّ مُسْتَنٍّ بِمَا سَنَّ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ."
إستخدام صيغة الجمع في هذه التعابير مؤيد لما بيناه.

إذا نظر إلى الزيارة بهذا المنظار، نستفيد منها أشياء كثيرة و نفهم
الأمر التي لم نعرف قبله. هذا هو الفكرة الرئيسية التي خطرت ببالي
لكتابة هذه المقالة.

الإمام عليه السلام بطبيعة الحال له مشروع، و زيارته في تلك الظروف داخلية
في مشروعه. ما نعلمه أنه هناك معارضة بين مدرسة أهل البيت عليه السلام و خط
الإمامة و التوحيد و بين خط الخلافة و الطاغوت و هذا هو سرّ استشهاد
أئمة أهل البيت عليه السلام بيد الحكام مع أنهم حسب الظواهر كانوا مشغولون
بالتعليم و التربية في هذه الحرب الناعمة لو صح التعبير. الغرض لهذا
الكفاح كان إرجاع الحكومة إلى يد من له الحق و هو المنتصب من الله
سبحانه و تعالى، و من إمامة الناس و رئاسة الدين بيده، لكن عبر تنوير
الأفكار و قيام الناس بواجبهم طبعاً. بهذه الرؤية و مع ما نقلته عن
العلامة الجواد حفظه الله حول مهمات الأئمة عليه السلام، ولكل عبارة من هذه
الزيارة المباركة معنى آخر عميق و لطيف و سنشير إلى بعضها بإذن الله.

ج. إرائة نظرية الإمامة

الإشارة إلى مميزات أمير المؤمنين عليه السلام ليست بقصد المدح فحسب، بل
زائر الإمام عليه السلام في الحقيقة يبين أجزاء الفكرة الإسلامية الأصيلة حول
الإمامة خاصة بجوانبها الدنيوية مع تبين كيفية علاقة الأمور الروحية أو
لو صح التعبير الميتافيزيقية مع الأمور الدنيوية في الفكر الإسلامي و عقائده.
مثلاً إن نتدبر في مثل هذه العبارة:

"أَنْتَ مُطْعِمُ الطَّعَامِ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا لَوْجِهَ اللَّهِ، لَا تَرْيَدُ مِنْهُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، وَفِيكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وَأَنْتَ الْكَافِي لِنَفْسِكَ، وَالْعَافِي عَنِ النَّاسِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَأَنْتَ الصَّابِرُ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ، وَأَنْتَ الْقَاسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَالْعَادِلُ فِي الرِّعْيَةِ، وَالْعَالِمُ بِحُدُودِ اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ عَمَّا أَوْلَاكَ مِنْ فَضْلِهِ بِقَوْلِهِ (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)".

نرى أن الإمام عليه السلام يشير إلى مواصفات من له حق الإمامة على الناس وخاصة المؤمنين وفي الوقت الذي يعطي التعاليم إلى الشيعة، لكلامه مفهوم مخالف^{٣٤} كنائي أعني من ليس له هذه المواصفات ليس له حق الزعامة والخلافة. هذا اندماج بين الساحة الفكرية والساحة العملية الذي يدعونا إليه الإسلام الأصيل.

د. تركيب الساحة الفردية مع الساحة الاجتماعية والسياسية

هناك فقرات كثيرة في هذه الزيارة الهامة في تراثنا الروائي يرتبط الإمام عليه السلام فيها بين الساحات المختلفة للحياة وبالتالى يعلمنا كيفية رشد كل منها. تبين كل هذه العبارات والفقرات العديدة يحتاج تصنيف الكثير من الكتب بقلم كبار العلماء ولكن هنا نكتفي ببعض منها للإشارة السريعة إلى أصل الفكرة وأرجو الله أن يوفقنا للمزيد من هذا العمل المفيد في المستقبل.

١- في عبارة "آمَنْتَ بِاللَّهِ وَهُمْ مُشْرِكُونَ، وَصَدَقْتَ بِالْحَقِّ وَهُمْ مُكَذِّبُونَ، وَجَاهَدْتَ وَهُمْ مُحْجَمُونَ، وَعَبَدْتَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، صَابِرًا مُحْتَسِبًا حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ". نرى أن الإمام مع

الإشارة إلى الإيمان، الصدق، العبادة والصبر كالخصائص الممدوحة و الفضائل الجميلة لأمر المؤمنين، يشير أيضاً إلى الصفات المقابلة لهؤلاء أعني الشرك والتكذيب والظلم وفي الحقيقة يتذكر الجبهات الحق والباطل. هذا يعنى بدء التربية من الأمور الفردية والوصول إلى الساحة السياسية والاجتماعية.

٢- في عبارة " وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مَا اتَّقَيْتَ ضَارِعاً، وَلَا أَمْسَكَتَ عَنْ حَقِّكَ جَارِعاً، وَلَا أَحْجَمْتَ عَنْ مُجَاهَدَةِ عَاصِيكَ نَاكِلاً، وَلَا أَظْهَرْتَ الرِّضَا بِخِلَافِ مَا يَرْضَى اللَّهُ مُدَاهِناً، وَلَا وَهَنْتَ لِمَا أَصَابَكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا ضَعُفْتَ وَلَا اسْتَكْنْتَ عَنْ طَلَبِ حَقِّكَ مُرَاقِباً. مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ، بَلْ إِذْ ظَلِمْتَ فَاحْتَسَبْتَ رَبَّكَ، وَفَوَّضْتَ إِلَيْهِ أَمْرَكَ، وَذَكَرْتَ فَمَا ذَكَرُوا، وَعَظْتَ فَمَا اتَّعَظُوا، وَخَوَّفْتَهُمُ اللَّهَ فَمَا يَخَافُوا. " نشاهد أن الإمام يرتبط بين الخصال الحسنة كعدم الوهن والضعف وبين العقيدة بتفويض الأمور إلى الله ومع ذلك يمتد هذه الخصال إلى المشهد الذي كان أمير المؤمنين مواجهاً معه. النقطة التي يلزم التوجه إليها وأشرنا إليها سابقاً هي التأثير لهذه الأمور والمواقف تجاه ما جرى في عهد أمير المؤمنين على الأحداث في زمن الإمام الهادي عليه السلام.

٣- في عبارة " وَأَنْتَ الْقَائِلُ: لَا تَزِيدُنِي كَثْرَةَ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلَا تَفَرِّقُهُمْ عَنِّي وَخَشَةً، وَلَوْ أَسْلَمَنِي النَّاسُ جَمِيعاً لَمْ أَكُنْ مُتَضَرَّعاً. " في المستوى الأولى هذا كرامة وفضل لأمر المؤمنين وفي المستوى الثانية، هذا تعليم وتربية للأمة حتى يكونوا كذلك في النوائب والشدائد وفي المستوى الثالثة، فيه تلميح إلى وضعية عصر الإمام الهادي عليه السلام وهذا موقف حاسم من جانب الإمام حتى يرعب العدو ويسدد الأصحاب.

٤- في عبارة "فَمَا تَنَاقَضَتْ أَفْعَالُكَ، وَلَا اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُكَ، وَلَا تَقَلَّبَتْ أَحْوَالُكَ، وَلَا ادَّعَيْتَ وَلَا افْتَرَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِباً، وَلَا شَرِهْتَ إِلَى الْخُطَامِ، وَلَا دَنَسَكَ الْأَنْثَامُ، وَلَمْ تَزَلْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَيَقِينٍ مِنْ أَمْرِكَ، تَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ." الإمام أيضاً يمدح الأمير ويرد بعض المطاعن المتوجهة إلى علي بن أبي طالب بسبب إقداماته كالحرب مع أهل القبلة. هذا مع أنه تأكيد وتأييد على ما يفعله أبو الحسن الهادي عليه السلام بما أن أهل البيت نور واحد وكلهم معصومون والإمام نفسه تبين هذا الأمر مفصلاً في الزيارة الجامعة الكبيرة^{٣٥}. بعبارة أخرى حضور الإمام في المدينة وحضوره في سامراء ليس فيه تناقض وتهافت وكله في الصراط المستقيم. إذن تم دمج الساحة التربوية الفردية مع التربية العقيدية ومع التربية السياسية وهذا يعطى البصيرة إلى الأمة لمعرفة مصيرها ومسيرها.



الخاتمة

زمن إمامة العسكريين وخاصة عهد إمامة هادي الأمام (عليه السلام) و مواقفهما فيه نكت و فوائد كثيرة لزماننا هذا. نص الزيارة الغديرية مليئة بالتعاليم القيمة فكرياً و عقدياً و اجتماعياً و سياسياً و تعلّمنا كيفية اتخاذ الموقف تجاه العدو و في الوقت نفسه تعلّمنا كيفية الحرب و المواجهة مع الظروف الغاشمة و المعقدة بأسلوب توحيدي إسلامي أصيل.

تبين كيفية إعلان الموقف مع التقية، البحث عن المخاطب الرئيسي و غير الرئيسي للزيارة، الإشارة إلى إرائة نظرية الإمامة من جانب الإمام و أيضاً كيفية تركيب الساحة الفردية مع الساحة الاجتماعية و السياسية كان أمهات ما تبين في هذا البحث الموجز.

ما أشير إليه في هذا البحث، قطرة من يَمّ معارف الموجودة في هذه الزيارة و كان القصد الإشارة العابرة إلى أصل الفكرة و تطبيقها في بعض مقطعات هذا التراث العزيز. طبعاً التفصيل في هذا المجال يتطلب كتابة كتب مع كثير من المجلدات و أرجو أن يوفقني الله و أيضاً الباحثين الأخر لأداء حق هذه الكنزة العظيمة و الله الهادي الموفق المعين.



الهوامش:

- ١- بصائر الدرجات، ج ١، ص ٤١٣.
- "حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَدِيمٍ عَنْ شَرِيكِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام دَعَا رَسُولُ اللَّهِ أَصْحَابَهُ بِمَنْى فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَمَّا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا - كِتَابَ اللَّهِ وَ عِترتي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ الْحَدِيث."
- ٢- رحيم دل و ملكي، ١٣٩٥.
- ٣- لسان العرب، ج ١، ص ٤٠١.
- ٤- نفس المصدر، ج ١٤، ص ٣٠٧.
- ٥- نهج البلاغة، الخطبة الأولى، لكن ليس عينها.
- ٦- بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٤٤.
- ٧- القرآن الكريم، سورة الأنعام، آية ٥٩.
- ٨- القرآن الكريم، سورة يس، آية ١٢.
- ٩- مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٥٠٥.
- ١٠- الإنسان ٢٥٠ سنة، ح ٢، ص ٤٤١.
- ١١- مقاتل الطالبين، ج ١، ص ٤٧٦.
- ١٢- رحيم دل و ملكي، ١٣٩٥.
- ١٣- مقاتل الطالبين، ج ١، ص ٤٧٨.
- ١٤- المصدر نفسه، ص ٥٠٤.
- ١٥- مفاتيح الجنان، ص ٤٥٧.
- ١٦- المزار الكبير، ص ٢٦٤.
- ١٧- طالعي، ١٣٩٥.
- ١٨- رحيم دل و ملكي، ١٣٩٥.
- ١٩- المصدر نفسه.
- ٢٠- معجم رجال الحديث، ج ٩، ص ٧.
- ٢١- معجم رجال الحديث، ج ١٤، ص ٢٩٧.
- ٢٢- تنقيح المقال، ج ٢٠، ص ٣٩٤.
- ٢٣- رجال النجاشي، ص ٤٠٣.
- ٢٤- نفس المصدر، ص ٣٩٩.
- ٢٥- نفس المصدر، ص ١٢٤.

- ٢٦- رجال النجاشي، ص ٣٧٨.
- ٢٧- نفس المصدر، ص ٢٦٠.
- ٢٨- الخلاصة، ص ٥.
- ٢٩- معجم رجال الحديث، ج ٥، ص ٢٣٦.
- ٣٠- معجم رجال الحديث، ج ١١، ص ١١١.
- ٣١- رحيم دل و ملكي، ١٣٩٥.
- ٣٢- پور حسيني، غلامپور، ١٣٩٤.
- ٣٣- وسائل الشيعة، ج ١٦، الصفحة ٢١٠.
- ٣٤- بحسب المصطلح في علم أصول الفقه و تقسيم المفهوم إلى قسمي الموافق و المخالف و كلاهما في مقابل المنطوق من الكلام.
- ٣٥- قمت بدراسته في بحث موسوم بـ "عصمة أهل البيت في الزيارة الجامعة الكبيرة" و ألقيته في مؤتمر "الهادي والعسكري (عليه السلام) تمهيد مهدوي"، من مؤتمرات أسبوع الإمامة الدولي الأول.



المصادر و المراجع:

القرآن الكريم

* نهج البلاغة

* ابن المشهدي، محمد بن جعفر،

"المزار الكبير"؛ مصحح: قيومي

اصفهانى، جواد؛ دفتر النشر

الإسلامي؛ ١٤١٩ق؛ الطبعة

الأولى؛ قم؛ إيران.

* ابن منظور، محمد بن مكرم؛

"لسان العرب"؛ محقق: احمد

فارس صاحب الجوائب؛ دار الفكر

للطباعة و النشر و التوزيع - دار

صادر؛ ١٤١٤ق؛ الطبعة الثالثة؛

بيروت، لبنان.

* الإصفهاني، ابوالفرج؛ "مقاتل

الطالبين"؛ بلا تا؛ بلا مكان.

* پورحسيني، مريم؛ غلام پور،

عقيله؛ "اثبات ولايت حضرت

على درزيارت غديريہ"؛ پژوهش

های جديد در گستره تاريخ،

فرهنگ و تمدن شيعة؛ الربيع و

الصيف ١٣٩٤ش، الرقم الإعدادي

٥، صص: ٣٣-١٩.

* الحرالعالمي، محمد بن الحسن؛

"تفصيل وسائل الشيعة إلى

تحصيل مسائل الشريعة" مؤسسة

آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث؛

١٤١٤ق؛ قم؛ إيران.

* حسيني الخامنئي، السيدعلي؛

"حلقات الإنسان الـ ٢٥٠ سنة؛

الحلقة الثانية"؛ صهبا؛ نشر مؤسسة

الإيمان الجهادي؛ ١٤٠١ش؛

النسخة الإلكترونية (pdf)

التفاعلية.

* رحيم دل، فاطمه؛ ملكى تراكمه

اي، محمود؛ "سبب صدور زيارت

غديريہ ي امام هادي (عليه السلام)؛

صحيفه اهل بيت (عليه السلام)؛ الربيع و

الصيف ١٣٩٥ش؛ رقم ٤٣ و؛

صص: ٣٠-١١.

* سجادي، رضيه سادات؛ رضوي،

زينب سادات؛ "بررسی شیوه

های مدیریتی امیرالمؤمنین (عليه السلام)

در مقابله با دشمنان برگرفته از

زيارت غديريہ امام هادي (عليه السلام)؛

مطالعات حديث پژوهي؛ الخريف

و الشتاء ١٤٠١ش؛ رقم ١٤؛

صص: ١٠٧-٧٤.

* شهيد أول، محمد بن مكى؛

"المزار"؛ مصحح: موحد ابطحى

اصفهانى، محمد باقر؛ مدرسه

امام مهدى (عليه السلام)؛ ١٤١٠ق؛ الطبعة

الأولي؛ قم؛ إيران.

* صفار، محمد بن حسن؛ "بصائر

الدرجات في فضائل آل محمد صلى

الله عليهم"؛ محقق: كوجه باغي،

محسن بن عباسعلي؛ مكتبة آية الله

المرعشي النجفي؛ ١٤٠٤ق؛ الطبعة

الثانية؛ قم؛ إيران.

* طالعى، عبدالحسين؛ "درس

هاي امامت از زيارت غديريّه"؛
صحيفه اهل بيت (عليه السلام)؛ الربيع و
الصيف ١٣٩٥ ش؛ رقم ٣ و ٤؛
صص: ٧٠-٤٥.

* العلامة الحلي، حسن بن يوسف؛
"خلاصة الأقوال في معرفة
أحوال الرجال"؛ دار الذخائر؛
١٤١١ ق؛ الطبعة الثانية؛ النجف
الأشرف؛ العراق.

* قمي، عباس، "مفاتيح الجنان"؛
المحقق: الشيخ علي آل كوثر؛ مجمع
إحياء الثقافة الإسلامية؛ بلاتا؛
بلا مكان.

* المازندراني، محمد بن علي بن شهر
آشوب، "مناقب آل أبي طالب"؛
المحقق: لجنة من أساتذة النجف
الأشرف؛ مطبعة الحيدرية؛ بلاتا؛
النجف الأشرف؛ العراق.

* مامقاني، عبدالله؛ مامقاني،

محمدرضا؛ مامقاني، محي الدين؛
"تنقيح المقال في علم الرجال"؛
موسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء
التراث؛ بلاتا؛ بلا مكان.

* مجلسي، محمد باقر بن محمد تقى،
"بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار
الأئمة الأطهار (عليه السلام)؛ دار إحياء
التراث العربي؛ ١٤٠٣ ق؛ الطبعة
الثانية؛ بيروت؛ لبنان.

* الموسوي الخوئي، السيد
أبوالقاسم؛ "معجم رجال الحديث
وتفصيل طبقات الرواة"؛ تصحيح
مؤسسة النور في برنامجها؛ النسخة

* الكمبيوترية رقم ١/ ٢؛ قم؛ إيران.
نجاشي، أحمد بن علي؛ "فهرست
أسماء مصنفي الشيعة"؛ مؤسسة
النشر الاسلامي التابعة لجامعة
المدرسين بقم المشرفة؛ ١٣٦٥ ش؛
الطبعة السادسة؛ قم؛ إيران.

شخصية الإمام الهادي عليه السلام على لسان العلماء والمفكرين

م.د. إيمان فرحان كاظم

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

من الصعب أن يتمكن أحد من غير أولي البصائر أن يصف بحق شخصية من شخصيات أهل البيت عليه السلام، فكبيرهم لا يقاس وصغيرهم جمرة لا يداس، كيف لا وهم نفس جدهم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله، والكتابة عنهم كمثل الكتابة في وصف المعجزات، وإذا ما خصصنا الحديث عن الإمام الهادي عليه السلام موضوع بحثنا، فاننا نتكلم عن الذي كان منار الدنيا بعلمه وزهده ومآثره التي لا تعد، فقد كان حديث مجالس أهل العلم والحكم والسياسة، ولطالما أقلق ذكره ساسة الدولة آنذاك، وهذا ما حدا بالمتوكل إلى إستقدامه عليه السلام من المدينة إلى سامراء وكان السبب وراء هذا القلق والخوف هو ميل الناس من العامة إليه لما شاهدوه ولمسوه من صفاتٍ جلية.

تناولت أقلام العديد من العلماء والمفكرين تدوين آراءهم الخاصة بشخص الإمام ومنهم من كان ينتمي إلى مذاهب مخالفة لمذهب أهل البيت المذهب المحمدي الحقيقي، إلا أنهم أبدوا إكبارهم وإعجابهم بشخصه الكريم، ومن هؤلاء ابن كثير وابن حجر وابن خلكان واليافعي والحنبلي

... الخ وغيرهم ممن ذكرناهم في ثنايا البحث واعتمدنا على المصادر
التأريخية لتثبيت أقوالهم .

الكلمات المفتاحية: الإمام الهادي -شهادات العلماء - أنطباعات
المفكرين



Abstract

It is difficult for any of the common people to be able to describe one of the personalities of the People of the House, peace be upon them. The great of them cannot be measured and the smallest of them is an ember that cannot be trampled on. How could it not be that they were the same as their grandfather, the Seal of the Prophets and Messengers, Muhammad, may God bless him and grant him peace. Writing about them is like writing about describing miracles, and if we limit the hadith to About Imam Al-Hadi, peace be upon him, the subject of our research, who occupied the world with his knowledge, asceticism, and his countless deeds. He was the talk of scholars' councils and political councils, and his mention always worried state politicians at that time. This is what prompted Caliph Al-Mutawakkil to bring him, peace be upon him, from Medina to Samarra, and it was the reason behind this anxiety and fear. It is the inclination of common people towards him because of the great qualities they have seen and felt. The pens of many scholars and thinkers wrote down their opinions regarding the person of the Imam, and some of them belonged to sects contrary to the doctrine of Ahl al-Bayt, the true Muhammadan doctrine. However, they expressed their greatness and admiration for his honorable person, and among these were Ibn Katheer, Ibn Hajar, Ibn Khallikan, al-Yafi'i, al-Hanbali... etc. and others who. We confined them to the folds of the research and relied on historical sources to confirm their statements. Keywords: Imam al-Hadi - testimonies of scholars - impressions of thinkers



المقدمة

نحاول في هذه الدراسة بيان رأي العلماء والمفكرين في شخصية الإمام الهادي عليه السلام ولو إن الشمس لا تحجب بغربال والمعرف لا يعرف، إلا إننا أردنا تثبيت شهاداتهم التاريخية وإنطباعاتهم الشخصية خصوصاً وإن قسماً منهم كان على المذاهب المعادية للمذهب الصحيح مذهب محمد وآل محمد عليه السلام، مع إعطاء ترجمة سريعة لهؤلاء المفكرين والعلماء، بالاعتماد على المصادر الموثوقة وقد رتبناها على مقدمة ومبحثين وخاتمة، ومن الله التوفيق.

المبحث الأول : سيرة الإمام الهادي عليه السلام في كتابات المؤرخين .

إسمه ونسبه وولادته عليه السلام

هو علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي، الحسيني الفقيه ^(١) وهو أحد الأئمة الاثني عشر ^(٢)

اختلفت المصادر في تأريخ وفاته وفي تأريخ ولادته عليه السلام، فذكر ابن شهر آشوب أن ولادته سنة ٢١٠ هـ، ولم يشترك معه أحد من المؤرخين في هذا القول، بينما ذهب المفيد والطبرسي والأربلي والشامي والموصلي والطحطاقي والمجلسي، ان ولادته كانت سنة ٢١٢ هـ ^(٣)، بينما ذهب أبو الفدا وابن الوردي والصفدي والياضي إلى أن ولادته كانت سنة ٢١٣ هـ ^(٤)، بينما إتفق الكليني والخصيبي والإسكافي والطبري والخطيب البغدادي ومصادر أخرى كانت ولادته ٢١٤ هـ ^(٥)، وأنفرد ابن تغري بردي في تأريخ متأخر فذكر ولادته سنة ٢٢٤ هـ ^(٦)، ولعله وقع من خطأ النسخ، فلعل المراد سنة ٢١٤ هـ .

أما تأريخ ولادته من حيث اليوم والشهر فكان ذكره مختلف ايضاً، فقد ذكر الصفدي في يوم الأحد الثالث عشر من شهر رجب^(٧)، وذكرت مصادر أخرى أياماً مختلفة^(٨).

كناه والقابه عليه السلام

بينما أجمعت المصادر على أن للإمام علي الهادي عليه السلام كنية واحدة أكثر شهرة وهي أبو الحسن^(٩) وفي نصوص أخرى أبو الحسن الثالث^(١٠) تميزاً له عن الإمام الكاظم عليه السلام الذي عرف بابي الحسن الأول وعن الإمام الرضا عليه السلام الذي عرف بأبي الحسن الثاني ولم تشير المصادر الشامية المتأخرة إلى ذلك.

ورغم أن للإمام علي الهادي ألقاب عديدة إلا أن المصادر الشامية المتأخرة لم تذكر سوى لقب واحد وهو الهادي^(١١) وأنفرد أبو الفدا في ذكر لقب الزكي والعسكري، ولقب بهذا اللقب لأنه سكن في سر من رأى يقال لها العسكر لسكن العسكر فيها^(١٢) وقد إشتراك الإمام عليه السلام مع ابنه الحسن العسكري عليه السلام بهذا اللقب، وقد وردت له عدة ألقاب في مصادر متعددة^(١٣).

مكانته العلمية عليه السلام

كان الإمام علي الهادي يمثل مرجعية فكرية، يلجأ إليه الكثير في مختلف المسائل الشرعية، ذكر الطبري رواية عن الإمام نصها "إن المتوكل إعتل فقال: لئن برأت لأتصدقن بدنابير كثيرة، فلما عوفي جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك فأختلفوا، فبعث إلى أبي الحسن العسكري فسأله، فقال يتصدق بثلاثة وثمانين دينار فعجب القوم وقالوا: من أين له هذا فأرسل إليه فقال: لأن الله يقول: لقد نصركم الله في مواطن كثيرة، فروى أهلنا جميعاً إن المواطنين والسرايا كانت ثلاثة وثمانين موطناً"^(١٤).

علاقته ﷺ بالحكم العباسي

عاصر الإمام علي الهادي ﷺ عدة حكام عباسيين، أولهم المأمون وآخرهم المعتز، وحسب ما جاء في المصادر الشامية المتأخرة أنَّها ذكرت لنا نصاً بين الإمام ﷺ والمتوكل، بعد أن أخبر المتوكل أن في منزل الإمام علي الهادي ﷺ سلاحاً وكتباً، فأرسل مجموعة من الأتراك أقتحموا وهجموا على منزل الإمام ﷺ على غفلةٍ مَن في داره، فوجدوه في "بيت مُغلق، وعليه مدرعة من شعر وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ليس بينه وبين الأرض بساطاً إلا الرمل والحصى، فحمل على هيئته إلى المتوكل، والمتوكل يستعمل الشراب في يده الكأس، فلما رآه المتوكل أعظمه، وأجلسه إلى جانبه وناولَه الكأس فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط، فأعفني منه فأعفاه" ^(١٥) فطلب من الإمام أن ينشده شعراً، فقال إني قليل الرواية للشعر، فقال المتوكل: لا بد من ذلك، فأنشده: باتوا على قُلل الأُجبال تحرسهم، غُلب الرجال فما أغنتهم القُلل، وأستنزَلوا بعد عز عن معاقلهم، فأودعوا حفراً يا بُئس ما نزلوا، ناداهم صارخ من بعد ما قُبروا، أين الأسرة والتيجان والحلل، أين الوجوه التي كانت منعمة، من دونها تضرب الأستار الكلل، فأفصح القبر عنهم حين سائلهم، تلك الوجوه عليها الدود يقتتل، وقد طال دهرها ما أكلوا وما شربوا، فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا" ^(١٦)، فبكى المتوكل بكاءً حتى إبتلت لحيته وبكى من كان في المجلس ثم أمر برفع الشراب وقال: "يا أبا الحسن أعليك دين؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار، فأمر بدفعها إليه، وردّه إلى منزله مكرماً" ^(١٧).

لم تذكر المصادر الشامية حادثة إستشهاد الإمام علي الهادي عليه السلام، ودس السم له، على الرغم من ذكرها في العديد من المصادر الحديثة^(١٨).

المبحث الثاني : الشهادات التاريخية لشخصية الإمام الهادي عليه السلام

تلاقت أقلام المؤرخين وألسنة العلماء والمفكرين الكتابة والحديث عن سير الأئمة الأطهار عليه السلام وما يهمننا في هذا البحث هو الإمام الهادي عليه السلام وسنقوم بإدراج كلماتهم بحق الإمام عليه السلام وفقاً للبعد الزمني، وهم :-

يحيى بن هرثمة (٢٦٠ هـ)

أرسله المتوكل العباسي إلى المدينة بمهمة إستقدام الإمام علي الهادي عليه السلام إلى سامراء لما وصل إلى أسماع المتوكل من أخبار مفادها تبجيل وحب وإحترام عامة الناس للإمام عليه السلام وهذا ما أخاف المتوكل وأزعجه، وذكر يحيى ما رآه قائلاً : "فذهبت إلى المدينة فلما دخلتها ضجَّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على الهادي، وقامت الدنيا على ساق لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا، ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلا مصاحف وأدعية وكتب العلم فعظم في عيني، وتوليت خدمته بنفسه وأحسن عشرته، فلما قدمت به بغداد وبدأت بإسحاق الطاهري وكان والياً على بغداد فقال لي: يا يحيى أن هذا الرجل قد ولده رسول الله ﷺ، والمتوكل من تعلم فإن حرضته عليه قتله وكان رسول الله ﷺ خصمك يوم القيامة، فقلت له : ما وقفت منه إلا على كل أمر جميل"^(١٩). وروي أن يحيى بن هرثمة كان "من الحشوية ثم تشيع لما رأى من علي بن محمد بن الرضا عليه السلام"^(٢٠) وهنا نرى سطوع شمس الحق التي أجبرت شخصاً كان على المذهب الحشوي -رمز التعصب- أن يقر ويعترف

بأفضليه الإمام (عليه السلام) على مَنْ سِواه من ناحية الصفات الجلية، ووضع نفسه
بمكان الخادم له .

أبو عبد الله الجندي

وكان ممن عاصر الإمام (عليه السلام) وإطلع على فيض علمه وكراماته، قال في
حقه (عليه السلام) "والله تعالى هو خير أهل الأرض، وأفضل من برأه الله تعالى" (٢١)،
على الرغم مما كان يعانيه الإمام (عليه السلام) من ظلم جرّاء فرض الإقامة الجبرية
عليه، إلا أنه كان من بيت معدن النبوة، وعلمه ومعجزاته خلدها كبار
العلماء بمثل هذه الكلمات الصادقة .

إبن خلكان (٦٨١ هـ)

وصف إبن خلكان في بضع سطور شخص الإمام الهادي (عليه السلام) في أوسع
كتب الترجمة التابعة له قائلا : "أبو الحسن الهادي إبن محمد الجواد بن علي
الرضا (عليه السلام) وهو أحد الأئمة الأثني عشر، وكان قد سعي به المتوكل وقيل:
أن في منزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته، وأوهموه أن يطلب الأمر
لنفسه فوجه إليه بعدة من الأتراك ليلا فهجموا عليه في منزله على غفلة
فوجدوه في بيت مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر وعلى رأسه ملحفة
من صوف وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن والوعد والوعيد،
ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصي" (٢٢) كيف لا وهو حفيد
سلالة الأطهار الذي كان جده الكرار (عليه السلام) دائم القول: يا دنيا إليك عني،
يا صفراء ويا بيضاء غرّري .



الذهبي (٧٤٨ هـ)

ذكره في تاريخ الإسلام بترجمة قصيرة قائلا : "علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن زين العابدين بن السيد الشريف العلوي الحسيني الفقيه أحد الأثني عشر وتلقبه الإمامية الهادي" (٢٣)

محمد بن طلحة الشافعي (٦٥٢ هـ)

ثبت الشافعي وصفا جميلا بكلمات وعبارات مسجوعة لشخصية الإمام علي الهادي عليه السلام بقوله : "أما مناقب علي الهادي ما حلّ في الأذان محل حلاها بأشنانها وأكتنفه شغفا به إكتناف اللئالي الثمينة بأصدافها، وشهد لأبي الحسن علي الهادي أن نفسه موصوفة بنفائس أوصافها وغنها نازلة من الدرجة النبوة في ذرى أشرافها وشرفات أعرافها" (٢٤)

إبن كثير (٧٧٣ هـ)

كثيرا ما نرى تحامل إبن كثير على الأئمة الأطهار عليهم السلام وغالبا عندما يذكر حديث عن منزلة الإمام علي عليه السلام يحاول تضعيفه بقول وهذا حديث ضعيف أو الراوي ليس بثقة أو حديث مرفوع وغيرها من المفردات التي تحيط القول بهالة من الشبهات وعدم التأكيد، إلا إننا نراه يذكره للإمام الهادي عليه السلام يحله ويكبره ويكتب قلمه الحق ولو على مضض إذ قال "وأما أبو الحسن علي الهادي فهو ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي ابن أبي طالب، أحد الأئمة الأثني عشر وهو والد الحسن بن علي العسكري، وقد كان عابدا زاهدا نقله المتوكل إلى سامراء فقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر وما بها في

هذه السنة سنة أربع وخمسين مائتين، وقد ذكر المتوكل أن بمنزله سلاحا وكتبا كثيرة من الناس، فبعث كبسة فوجدوه جالسا مستقبل القبلة وعليه مدرعة من صوف وهو على التراب ليس دونه حائل فأخذه كذلك فحملوه إلى المتوكل" (٢٥) .

إبن عنبه (٨٢٨ هـ)

من كبار نسابة العرب قال بحق الإمام علي الهادي عليه السلام ترجمة مختصرة نصها "أما علي الهادي فيلقب بالعسكري لمقامه بسر من رأى، وكانت تسمى العسكر وأمه أم ولد وكان في غاية الفضل ونهاية النبل" (٢٦) .

سراج الدين الرفاعي (٨٨٥ هـ)

ترجم هذا العالم للإمام الهادي عليه السلام بقوله : "الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد ولقبه النقي والعالم والفقير والأمير والدليل والعسكري والنقيب ولد في المدينة سنة عشرة ومائتين من الهجرة وتوفي شهيدا بالسم في خلافة المعتز العباسي يوم الاثنين لثلاث خلون من رجب سنة أربع وخمسين ومائتين، وكان له خمسة أولاد: الإمام الحسن العسكري، والحسين، ومحمد، وجعفر، وعائشة، فالحسن العسكري أعقب صاحب السرداب الحجة المنتظر ولي الله محمد المهدي" (٢٧)

أحمد بن حجر الهيتمي (٩٧٤ هـ)

عالم شافعي ترجم للإمام العسكري ذاكرًا سبب تسميته بذلك، والذي يهمننا من ذلك هو إقراره صراحة بعلم وفضل الأبن والأب قائلا "كان وارث أبيه علما وسخاء" (٢٨) .

الدمشقي القرماني (١٠١٩ هـ)

كانت ترجماته موجزة مختصرة، ترجم للإمام الهادي عليه السلام تحت باب عنوانه بيت الحلم والعلم وبعد أن أشار إلى إسمه ونسبه قال : " ولد بالمدينة وأمه أم ولد وكنيته أبو الحسن ولقبه الهادي والمتوكل وكان أسمر نقش خاتمه (الله ربي وعصمتي من خلقه) وأما مناقبه فنفيسة وأوصافه شريفة " (٢٩) .

الحنبلي (١٠٨٩ هـ)

نقل ابن عماد الحنبلي عن سبقة من المؤرخين ترجمة سريعة مقتضبة عن الإمام الهادي عليه السلام ولم يعط رأيه الخاص بل الملاحظ من وراء كلماته أنه كان من المتطرفين وغير المصدقين بما عرف به أهل بيت البيوة من العصمة والنزاهة من الخطأ عليهم صلوات الله وتسليمه، قال : " كان أبو الحسن بن علي الجواد بن الرضا بن الكاظم موسى بن جعفر الصادق العلوي الحسيني المعروف بالهادي فقيها إماما متعبدا وهو أحد الأئمة الذين تعتقد غلاة الشيعة عصمتهم كالأنبياء " (٣٠) .

خير الدين الزركلي (ت ١١٣٠ هـ)

أبدى خير الدين الزركلي إعجابه بشخص الإمام علي الهادي وصفاته الجليلة والرفيعة قائلا : " علي الملقب بالهادي بن محمد الجواد بن علي الرضي بن موسى بن جعفر الحسيني الطالبي، عاشر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية وأحد الأتقياء الصالحاء " (٣١)

عبد الله الشبرواري الشافعي (١١٧١ هـ)

ذكر الإمام الهادي مشيراً إلى كراماته وسنة ولادته بقوله : "العاشر من الأئمة علي الهادي ولد عليه السلام بالمدينة في رجب سنة أربع عشرة ومائتين وكراماته كثيرة" (٣٢).

السويدي البغدادي ١٢٤٦ هـ

كانت إشارته لترجمة الإمام الهادي عليه السلام تقريباً مشابهة لإشارة القرماني بقول "ولد بالمدينة وكنيته أبو الحسن ولقبه الهادي وكان أسمر اللون نقش خاتمه (الله ربي وهو عصمتي من خلقه) ومناقبه كثيرة" (٣٣).

مؤمن الشبلنجي (١٢٩١ هـ)

ذكر علمه وسخاءه بقوله "كان أبو الحسن العسكري وارث أبيه علماً وسخاءاً" وقال أيضاً "سمي العسكري لأن المتوكل لما كثرت السعاية فيه عنده أحضره من المدينة وأقره بسر من رأى" (٣٤).



الخاتمة

في نهاية الدراسة توصلنا إلى جملة من النقاط وهي
ترجم عدد كبير من كبار المؤرخين الأوائل فضلا عن الباحثين
المحدثين لشخص الإمام الهادي عليه السلام مع إعطاء آرائهم الخاصة به، وحوث
الدراسة ذكر النصوص الواردة في كتبهم .

أستحسننت كتب التأريخ شخصية الإمام الهادي عليه السلام وهذا ما لا يخفى
والواضح وضوح الشمس حتى وإن كان المؤرخ غير معتقد بعصمة الإمام
سلام الله عليه إلا إن الحق يظهر ويزهق الباطل

اتفق المؤرخون على أن الإمام الهادي عليه السلام كان حاذق العلم والمعرفة،
وهذا ما ورثه من آبائه وأجداده، كيف لا فهم مهد النبوة ومعدن الرسالة.
كادت أن تجمع المصادر على الظلم الذي لحق بالإمام الهادي عليه السلام، والضغط
الذي مارسه السياسة العباسية على الإمام الهادي عليه السلام، إلا إنه مارس
دوره ونشاطه الإرشادي والتوجيهي بكل حذر ودقة .

عاصر الإمام عليه السلام ستة من حكام الدولة العباسية وهم : المعتصم،
والواثق، المتوكل، المستعين، المعتز .

تغافل عدد من المؤرخين لا سيما مؤرخي الشام ذكر حادثة إستشهاد
الإمام الهادي عليه السلام بالسّم والسبب في ذلك هو الإنحياز المذهبي والعنصري
الذي كان واضحا في كتاباتهم .

الهوامش:

- ١ - يُنظر الذهبي - تأريخ الإسلام - ج ١٩ / ص ٢١٨ .
- ٢ - يُنظر اليعقوبي - تأريخ اليعقوبي - ج ٢ / ص ٥٠٣ ؛ الطبري - دلائل الإمامة - ص ٢١٣ ؛ الخصبي - الهداية الكبرى - ص ٣١٣ ؛ ابن الصباغ - الفصول المهمة - ص ٢٢٧ ؛ الذهبي - تأريخ الإسلام - ج ١٩ / ص ٢١٨ ؛ الصفدي - الوافي بالوفيات - ج ٢ / ص ١١٩ ؛ ابن كثير - البداية والنهاية - ج ١١ / ص ١٩ .
- ٣ - المقنعة - ص ٤٨٤ ؛ تاج المواليد - ص ١٣١ ؛ كشف الغمة - ج ٢ / ص ٨٨٥ ؛ الدر النظيم - ص ٧٢١ ؛ النعيم المقيم - ص ٤٢٦ ؛ الأصيلي - ص ١٥٨ جامع الرواة - ج ٢ / ص ٤٦٤ ؛ بحار الأنوار - ج ٢٠ / ص ٢٨١ .
- ٤ - وفيات الأعيان - ج ٣ / ص ٢٧٣ ؛ تأريخ ابن الوردي - ج ١ / ص ٣١٩ ؛ الوافي بالوفيات - ج ١٤ / ص ٥٦٢ ؛ امرأة الجنان - ج ٢ / ص ١١٩ .
- ٥ - الهداية الكبرى - ص ٢١٢ ؛ منتخب الأنوار - ص ٨٥ ؛ دلائل الإمامة - ص ٢١٢ ؛ تأريخ بغداد - ج ٢ / ص ٥٧ .
- ٦ - النجوم الزاهرة - ج ٢ / ص ٤١٠ .
- ٧ - الوافي بالوفيات ج ٢٢ / ص ٤٨ ؛ اليافعي امرأة الجنان - ج ٢ / ص ١١٩ .
- ٨ - ينظر : اليافعي - امرأة الجنان - ج ٢ / ص .
- ٩ - الجهضمي - تأريخ أهل البيت / ص ١٤٩ ؛ المفيد - المقنعة / ص ٤٨٤ ؛ الإسكافي - منتخب الأنوار / ص ٨٤ ؛ الطبرسي - تاج المواليد / ص ١٣٠ ؛ الذهبي - تأريخ الإسلام - ج ١٩ / ص ٢١٨ ؛ الصفدي - الوافي بالوفيات - ج ٢٢ / ص ٤٨ ؛ ابن كثير - البداية والنهاية - ج ١١ / ص ١٩ .
- ١٠ - الطبرسي - تاج المواليد / ص ١٣٠ ؛ ابن شهر آشوب - مناقب - ج ٤ / ص ٤٣٢ ؛ الإربلي - كشف الغمة - ج ٢ / ص ٩٠٤ ؛ الكاشاني - أخلاق النبوة / ص ٢٢٦ .
- ١١ - الطبري - دلائل الإمامة / ص ٢١٣ ؛ ابن شهر آشوب - مناقب - ج ٤ / ص ٢٣٢ ؛ الموصلي - النعيم المقيم / ص ٢٢٥ ؛ الذهبي - تأريخ الإسلام - ج ١٩ / ص ٢١٨ ؛ ابن الوري - تأريخ ابن الوردي - ج ١ / ص ٣١٨ ؛ الصفدي - الوافي بالوفيات - ج ٢٢ / ص ٤٨ ؛ ابن كثير - البداية والنهاية - ج ١١ / ص ١٩ - ٢٠ ؛ ابن الصباغ - الفصول المهمة / ص ٢٧٧ ؛ الديار بكري - تأريخ الخميس - ج ٢ / ص ٣٤١ ؛ ابن العماد الحنبلي - سذرات الذهبي - ج ٢ / ص ١٢٨ .
- ١٢ - المختصر - ج ٢ / ص ٤٤ - ٤٥ .
- ١٣ - ابن شاذان - مائة منقبة - ص ٢٣ ؛ ابن شهر آشوب - مناقب - ج ٤ / ص ٤٣٢ ؛ ابن

المصادر والمراجع

- * الأربلي - علي بن الفتح (٦١٣ هـ).
- * كشف الغمة في معرفة الأئمة - دار الأضواء - (د-ت)
- * الأردبيلي - أحمد بن محمد (ت ٩٩٣ هـ).
- جامع الرواة وإزاحة الإشتباهات عن الطرق والإسناد (د-ت) (د-م).
- * الإسكافي - أبو علي محمد بن همام (ت ٣٣٦ هـ).
- منتخب الأنوار في تأريخ الأئمة الأطهار - تحقيق علي رضا هزار - قم - (د-ت) (د-م).
- * البروجردي - علي أصغر بن العلامة السيد محمد شفيع (ت ١٣١٣ هـ)
- طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال - ط ١ - (١٤١٠) (د-م).
- * الجهضمي - نصرت بن علي (ت ٢٥٠ هـ).
- تأريخ أهل البيت (عليه السلام) - بيروت (د-ت)
- (د-م).
- * الجويني - المحدث الكبير إبراهيم الخراساني (ت ٦٤٤ هـ).
- فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين (د-ت) (د-م).
- * الحنبلي عبد الحي العكري الدمشقي (١٠٨٩ هـ).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - دار إحياء التراث العربي - (د-ت).
- * الخصيبي - أبو عبد الله الحسين بن حمدان (ت ٣٣٤ هـ).
- الهداية الكبرى - تحقيق - مصطفى الحمصي (د-ت) (د-م).
- * ابن خلكان - شمس الدين أبو العباس أحمد (ت ٦٨١ هـ).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق إحسان عباس (د-ت) (د-م).
- * الديار بكري - الشيخ حسين بن محمد بن الحسن (٩٩٦ هـ).
- تأريخ الخميس في أحوال النفيس - بيروت - (د-ت).
- * الذهبي - شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ).
- تأريخ الإسلام - تحقيق عمر عبد السلام تدمري - لبنان - ١٩٨٧.
- * الزركلي - خير الدين (ت ١٤١٠ هـ).
- (هـ). الإعلام - بيروت (١٩٨٠).
- * سبط بن الجوزي - شمس الدين أبو المظفر - (ت ٦٥٢ هـ).
- تذكرة الخواص - مكتبة نينوى الحديثة - (د-ت) (د-م).
- * ابن شاذان - محمد بن أحمد بن علي القمي (ت ٤٩٠ هـ)
- مائة منقبة - تحقيق مدرسة الإمام المهدي عجل - قم - (د-ت).
- * شبر - السيد عبد الله شبر (ت ١٩٥٤).
- جللاء العيون - تحقيق السيد علي بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد سين بن المؤلف - المطبعة الحيدرية.

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة
الأطهار - تحقيق محمد الباقر البهبودي -
ط ٣ - (لبنان - ١٩٨٣).

* المازندراني - محمد صالح المازندراني
(ت ١٠٨١هـ).

شرح أصول الكافي - ط ١ (بيروت -
٢٠٠٠)

* الموصلي - شرف الدين أبو محمد
عمر بن شجاع الدين (ت
٦٥٧هـ)

النعيم المقيم لعرة النبأ العظيم - (د-ت)
(د-م).

* المفيد - عبد الله محمد بن محمد بن
النعمان (ت ٤١٣هـ).

المقنعة - مؤسسة النشر الإسلامي جماعة
مدرسين - قم - د.ت.

* ابن الوردي - زين الدين عمر بن
مظفر (ت ٧٤٩هـ).

تتمة المختصر في أخبار البشر - تحقيق
أحمد رفعت البدرائي - دار المعرفة -
بيروت - د.ت.

* البيعقوبي - أحمد بن يعقوب بن
جعفر (ت ٢٨٤).

تأريخ اليعقوبي - (د-ت) (د-م).





مؤتمر الإمام العسكري عليه السلام الدولي الثاني

أسلوبية المستوى الصوتي في دعاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام في القنوت

أ.د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي
جامعة الكوفة/ كلية التربية الأساسية

المقدمة

الحمد لله الذي منّ علينا بنبيه محمد صلّى الله عليه وآله وأهل بيته الطيبين وعرفنا
بمنه وجوده عليهم والصلاة والسلام على أفضل خلقه واشرف بريته أئمة
الهدى وسفن النجاة نبينا محمد صلّى الله عليه وآله وآله الطاهرين، وبعد:

فتاريخ البشرية يزخر بالأحداث والتطورات المتتالية، ولو تصفحناه
وبحثنا في طياته عن القدوات الإنسانية والعظماء، لجذبتنا اليه صحائف
تفوح منها رائحة المسك، وتهلّ علينا نسائم طيب العنبر .

ومن هذه القدوات الإنسانية، شخصية سجل التاريخ مسيرتها بأحرف
من الأنوار الإلهية، والاشراقات الربانية، أنوار سعت في دنياها إلى سلوك
الطريق نحو الكمال الإنساني، لم تركع الا للواحد الأحد، ولم تنكس رأسها
خضوعاً وخشوعاً إلا للفرد الصمد، فرفعها ربّها الى عليين، وأقعدها في
مقعد صدق مع أنبيائه وأصفياه، تلك الشخصية العظيمة، هي شخصيه
الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

مما لا شك فيه أنّ دراسة النصوص التراثية هي مظهر من مظاهر
الرقى في العربية، ولاسيما نصوص أهل البيت عليهم السلام التي انهازت بفصاحة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي منّ علينا بنبيه محمد صلّى الله عليه وآله



والصلاة والسلام على
أفضل خلقه واشرف بريته
أئمة الهدى وسفن النجاة
نبينا محمد صلّى الله عليه وآله

الألفاظ وجودة السبك وجزالة اللفظ، وللدراسة الأسلوبية دورٌ بارزٌ في فهم النتاج الأدبي والوقوف على أسرارهِ عبر مستوياتها المختلفة، وذلك عبر استنطاق النصّ، للوقوف على سماته الفكرية والفنية والإبداعية وعبر دراسة العناصر المستعملة ليفرض على القارئ طريقة تفكيره، ومن ثمّ إظهار رؤيته وأفكاره، والكشف للمتلقي عمّا وراء السّياق من معانٍ ينطوي عليها النصّ .

وفي ضوء ذلك كانت لنا هذه الورقيات في محاولة كشف غاية خطاب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) من خلال مقارنة أسلوبية المستوى الصوتي في نص من نصوصه، وهو دعاؤه (عليه السلام) في القنوت، وبذلك وسم البحث بـ (أسلوبية المستوى الصوتي في دعاء الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في القنوت) وقسم على مقدمة ومبحثين، عمل المبحث الأول على التعريف بالمصطلحات الواردة بالبحث كأسلوبية المستوى الصوتي، والدعاء، القنوت، أهمية دعاء القنوت وفضله للإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، والمبحث الثاني تضمن الحديث عن الإطار التطبيقي وقسم على فقرات وهي: التكرار، والجناس، والسجع، ثمّ الخاتمة التي تمثلت بعرض أهم نتائج البحث، وأخيراً ثبت المصادر والمراجع .

وختاماً هذا ما وفقنا الله اليه من انجاز البحث فإن أصبنا فهو نعمة من نعم الله علينا، وإن أخطأنا فللضعف والهوان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المبحث الاول: التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث:

أسلوبية المستوى الصوتي:

يُعدُّ المستوى الصوتي من أهم الوسائل التي تعتمد عليها الدراسات التحليلية؛ وذلك بوصفه آلية إبداعية تُثير انتباه المتلقي عبر حاسة السَّمْع؛ لأنَّ الصوتَ عاملٌ مهم في النص الإبداعي الذي يَكْمُن في براعة اختيار ما يُمكن أن تُنسَج منه الجملة الأدبية^(١).

وله الأثر البالغ في استنباط دلالة الألفاظ في سياق الخطاب؛ فما الكلمة إلا (صورة صوتية، وتصور ذهني)^(٢)، وأنَّ (الصوتيات عنصر من عناصر البنية الشعرية)^(٣)، فالموسيقى النابعة من تآلف أصوات الحروف في الكلمة الواحدة، فضلاً عن تآلف الكلمات المنتظمة في فقرات داخل السياق تعني (أنَّ هناك نوعاً من الموسيقى الداخلية يُلاحظ ولا يُشرح وهو كامنٌ في نسيج اللفظة المفردة وتركيب الجملة الواحدة، وهو يُدرك بحاسة خفية)^(٤)، وإنَّ القيمة الفنية لجرس الألفاظ ومادة حروفها في تشكّل صوتها الموسيقي وأثر ذلك في النفس تقبلاً ونفوراً هو المعيار الفني والبلاغي للفظ^(٥)؛ لأنَّ الصوت هو (آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم عليه التقطيع، وبه يُوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً إلا بظهور الصوت)^(٦)، فطلب المعاني إنّما يثيره بناء الكلمات كأصوات أكثر مما يثيره بناء الكلمات كمعانٍ^(٧)، ومؤدى هذا أنَّ (المعنى يحدده شكل العبارة وصياغتها، ومن الشكل والصياغة يتولد الإيقاع الذي يحمل في جوهره الصلة العميقة بالمعنى)^(٨)، فضلاً عن أنَّ المستوى الجمالي للصوت يَمُنَح النصَّ موسيقى عذبة تَعْمَلُ على جذب الانتباه فتصغي إليها الأسماع مؤثرة في المتلقي (فالشكل واسطة إيصال مستقلة ومعبرة عن نفسها قادرة على

توسيع نطاق اللغة إلى أبعد من الإطار اليومي للمعنى عن طريق الإيقاع والتداعي والإيحاء^(٩).

لذا نجد أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد وظّف هذه الوسيلة في خطابه محققاً بواسطتها أنساقاً صوتيةً لحمل أبعاد تجربته الروحية، وللتأثير في المتلقي، إذ إنّ عملية التحول بالصوت الدال إلى دال مدرك عملية قصدية يشحنها الأديب بالتوتر الذاتي حسب مقتضيات بحيث يجعل من الصوت صدى للمعنى^(١٠)، فقد (تؤدي شدة التأثير بالباعث الصوتي على توليد الكلمات إلى ما يكاد يكون اعتقاداً غامضاً في وجود مطابقة خفية بين الصوت والمعنى)^(١١)، فاهتم التحليل على قيمة أداء الصوت في السياق وما يثمر عنه من إيجاءات دلالية وأبعاد جمالية؛ لأنّ الصوت يرتبط بالمعنى عبر تجسيده للألفاظ في سياقات تركيبية معينة^(١٢).

الدعاء:

إنّ التبصر بآداب الدعاء الذي ورد عن أهل البيت عليهم السلام يكشف لنا عن سلوكه التهذيبي الذي يتحقق بعض صورته عن طريق (إعمام الدعاء) ذلك الإعمام الذي يدفع بالنفس الإنسانية إلى الخروج من دائرة الذات الضيقة والإنصهار في عالم الملكوت الإلهي، فالدعاء يمثل العلاقة بين المخلوق وخالقه، وعلاقة العبد الذليل الضعيف بربه القادر المهيمن، ومن ذلك أدعية الأئمة عليهم السلام التي هي دائرة معارف واسعة قد ملئت بالكلام النفيس في التوحيد والعدل، والتنزيه لله تعالى عمّا ينسب إليه الظالمون، والترغيب في مرضاته ومغفرته، والتعوذ من سخطه وبأسه، وشكره على نعمه وإحسانه، وتعلم المسلم على اللهجة التي يجب أن يُخاطب بها العبد مولاه، وكيفية التوسل بالمولى^(١٣)، فهو وسيلة للتقرب والتضرع إلى الله و اعتراف بالربوبية

والتذلل والارتباط بين العبد وربّه فضلاً عن أثره العميق في تهذيب النفس، وكما أنّ القرآن الكريم حبل الله الممدود منه إلى عباده، فإنّ الدعاء سلّم العبد الصاعد إلى خالقه^(١٤).

ولما كان أهل البيت عليهم السلام سادات المؤمنين وعنوان المتقين ومؤدبي البشرية، قد ارتضعوا من ثدي الرسالة ودرجوا في بيت الوحي والتزيل والنبوة ومنهم تتعلم الأخلاق والآداب والفضيلة، فقد اختطوا لنا منهجاً واضحاً وطريقاً رجباً في أدب الدعاء والمناجاة، وعلمونا أسلوب التخاطب والتأدب في حضرته المقدسة؛ لأنّه خالق الخلق وصاحب الفضل العظيم^(١٥).

وقد عني الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالدعاء عناية بالغة ذلك لما يترتب عليه من آثار تعود لصالح الداعي في الدنيا والآخرة، فهو من أنجع الوسائل وأعمقها في تهذيب النفوس، وهي من حيث الصياغة والبلاغة آية من آيات الفن الرفيع، ومن حيث المضمون فهي خلاصة المعارف الدينية والأخلاقية، ووسيلة لنشر تعاليم القرآن والإسلام.

القنوت:

القنوت من الأعمال المستحبة في الصلاة، ففي الركعة الثانية تُرفع الأيدي إلى السماء حيال الوجه وتقرأ الدعاء، ويُؤدى القنوت في معظم الصلوات مرة واحدة فقط، وهي في الركعة الثانية بعد قراءة الحمد والسورة وقبل الركوع، ولا يشترط في القنوت ذكر أو دعاء خاص.

والقنوت يعني الإقرار بالعبودية والخشوع، وقد ورد ذكر كلمة القنوت ومشتقاتها ثلاث عشرة مرات في معاني متعددة: كالطاعة، والخشوع، والصلاة، والدعاء، والعبادة، والقيام، وطول القيام، والسكوت. ويقال في الفقه القنوت اصطلاحاً: هو (الدُّعاءُ في الصَّلَاةِ في محلٍّ مخصوصٍ من القيام)^(١٦).

أهمية دعاء القنوت وفضله للإمام الحسن العسكري (عليه السلام):

قال في مكيال المكارم : (دعاء القنوت المروي عن مولانا الزكيّ الرضي، الحسن بن عليّ العسكريّ عليهما الصلاة والسلام الذي ذكره الشيخ الطوسي رحمه الله في المصباح ومختصر المصباح في باب أدعية قنوت صلاة الوتر، وذكره السيّد بن طاووس رحمه الله في مهج الدعوات في باب قنوتات الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، لكنّ الظاهر من بعض الروايات عدم اختصاصه بوقت من الأوقات، وإن كان الأفضل أن يدعى به في أفضل الأوقات والحالات، ويظهر من رواية السيّد وغيره، أنّ لهذا الدعاء تأثيراً تامّاً في دفع الظالم، والإنصار منه للمظلوم، بل يمكن أن يستفاد من ذلك أنّ من جملة فوائد الدعاء في فرج صاحب الزمان (عليه السلام) وطلب ظهوره ونصرته دفع الظالم، والخلاص من بأسه وسطوته) (١٧).

قال السيّد عند ذكر الدعاء المشار إليه : (ودعا (عليه السلام)، يعني الإمام الزكيّ الحسن بن عليّ العسكريّ (عليه السلام) في قنوته، وأمر أهل قم بذلك، لما شكوا من موسى بن بغي) (١٨).

حكى صاحب كتاب منح البركات، وهو شرح لمهج الدعوات، عن كتاب إعلام الوري في تسمية القرى تأليف أبي سعيد إسماعيل بن عليّ السمعانيّ الحنفيّ : (أنّ موسى بن بغي بن كليب بن شمر بن مروان بن عمرو بن غطه كان من أصحاب المتوكّل العباسيّ وأمرائه، وكان عاملاً له على بلدة قم، وهو الخبيث الذي كان يحرض المتوكّل على تخريب قبر مولانا المظلوم أبي عبدالله الحسين عليه الصلوة والسلام وحرثه، وكان ظالماً سفاكاً هتاكاً، وكان عاملاً على قم، حاكماً على أهله أكثر من عشر سنين، وكان أهل قم خائفين منه؛ لأنّه كان شديد العناد للأئمة الأجداد،

وكان يلقي الفساد بينهم، ويهددهم بالقتل، وعزم عليهم، فشكوا ذلك إلى مولانا الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام، فأمرهم بأن يصلّوا صلاة المظلوم، ويدعوا عليه بهذا الدعاء، فلمّا فعلوا ذلك أخذ الله في الحال أخذ عزيز مقتدر ولم يمهلّه طرفة عين) ^(١٩).



المبحث الثاني: الإطار التطبيقي:

التكرار:

إنَّ التكرارَ من التقنيات الأسلوبية في كلام العرب، وهو أسلوبٌ من أساليب البلاغة يستعملونه في خطاباتهم؛ لأنَّه يزيد الكلام بلاغة إذا كان في محله وجاء وفقاً لمقتضى الحال، وأصله في اللغة من الكرّ بمعنى الرجوع، ويأتي بمعنى الإعادة والعطف، فـ(كرر) الشيء وكرره أي: أعاده مرة بعد مرة أخرى فهو دلالة اللفظ على المعنى مردداً^(٢٠)، وقد يعبر عن التكرار (الإتيان بعناصر مُتماثلة في مواضع مُختلفة من العمل الفني)^(٢١).

وظاهرة التكرار تُعدُّ من الظواهر البارزة في النصّ، ولا شك أنَّها ترتبط بعلاقةٍ مع مُنشئ النصّ، فهو من خلاله يحاول تأكيد فكرة ما تسيطر على خياله وشعوره، عبر الإلحاح على جهة مهمة في العبارة أكثر من عنايته بسواها^(٢٢).

ويُعدُّ من المنبهات النصية التي توقظ المتلقي وتؤثر فيه، فهو من الوسائل الموسيقية التي ترسخ المعنى وتعمقه، وغالباً ما يأتي لزيادة التنعيم وتقوية الجرس ثمّ تقوية المعنى، والتكرار مرتبط بالشكل والمضمون ارتباطاً وثيقاً إذ أنَّه يُحدث نوعاً خاصاً من الإيقاع تستلزمه المفردة، أو العبارة، أو النص فيمدّها قوّة في الإيحاء^(٢٣) فهو يحمل طاقة وظيفية متميزة تتمثل في الدعم الدلالي لمفردات محددة في النص، وإبقائه عليها في بؤرة التعبير^(٢٤)، إذ (يعكس جانباً من الموقف الشعوري والانفعالي)^(٢٥) للمبدع ويضفي سمات (إيحائية موضوعية تنتج دلالات مختلفة في النص)^(٢٦)، وبهذا يحافظ التكرار على المستوى الصوتي والمستوى الدلالي للنص في الآن ذاته؛

لأنه يتصل بالمعنى والدلالة^(٢٧)، شريطة أن يستمد توجيه معانيه بوساطة السياق الذي يرد فيه وإلا ظهرت النتائج مكررة ليس لها قيمة تذكر، ف(اللفظة المرددة، هي إحدى وسائل المحلل الأدبي؛ لأنها تكشف في الوقت نفسه عن دوافع السلوك وحيثياته)^(٢٨).

وللتكرار أشكال متعددة، وهذه الأشكال (لا تقوم بوظيفة واحدة، وإنما تقوم بوظائف متعددة، ومن هذه الوظائف ما يتصل بالإيقاع، وما يتصل بالوصف، وما يتصل بالتوكيد)^(٢٩).

والتكرار في خطاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام على مستويات منها:

أولاً: تكرار الحرف

لا يخفى على المتتبع أن تكرار الحرف في النص يمنح النص جرساً ملائماً يضيف عليه إيقاعاً خاصاً يؤدي إلى إشاعة النغم الموسيقي، فتكرار حرف معين بذاته، وإعادته مرات عديدة في النص، يُشكّل إثارة نغم موسيقي وتأكيذاً للمعنى^(٣٠).

فضلاً عن إن الصوت هو مظهر الفعل اللغوي، وهو يُعدُّ عنصراً معتبراً بعلاقته بالفاعل، بمعنى أن الفاعلية في الفعل اللغوي هي التي تحدد الفعل اللغوي صوتاً يعود إمكان تحديد صلة القول بقائله^(٣١). ولا شك في أن استعادة صوت الحرف يثري العبارة بمزيدٍ من التنغيم^(٣٢).

إن الإمام الحسن العسكري عليه السلام بما أوتي من جوامع الكلم، استطاع أن يثري نصوصه بهندسة تكرارية لها وقع خاص تجعل القارئ يحس بوقعها وتنقله إلى أجواء معرفية وروحية، وتخلق تأثيراً ينعكس على المتلقي بفوائد كثيرة منها الاستمتاع، والتأمل وشد الانتباه بما يتناسب وغاية المنشئ الذي اتخذ من التكرار وسيلة لشحن المتلقي، وتعميق فكرة ما في نفوس السامعين وتثبيتها حتى تتمكن وتستقر.

ومن الأصوات التي وردت في دعائه :

صوت الدال:

الدال هو (صوت أسناني لثوي، شديد مجهور مرقق) (٣٣)، يتكون بأن يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل مخرج الصوت فينجبس هناك فترة قصيرة جداً بسبب التقاء اللسان مع أصول الثنايا العليا، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا العليا سُمع صوت انفجاري نسميه الدال (٣٤).

وقد ورد في دعاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام في قوله:

﴿اللَّهُمَّ وَقَدْ اسْتَحْصَدَ زَرْعُ الْبَاطِلِ، وَبَلَغَ نَهَائَتَهُ، وَاسْتَحْكَمَ عُمُودُهُ، وَاسْتَجْمَعَ طَرِيدُهُ، وَخَذِرَفَ وَلِيدُهُ، وَبَسَقَ فَرْعُهُ، وَضُرِبَ بِجِرَانِهِ .
اللَّهُمَّ فَاتِّخِ لَهُ مِنَ الْحَقِّ يَدًا حَاصِدَةً تَصْدَعُ قَائِمَهُ، وَتَهْشُمُ سُوقَهُ، وَتَجْبُ سَنَامَهُ، وَتَجْدَعُ مَرَاغِمَهُ، لِيَسْتَخْفِيَ الْبَاطِلُ بِقُبْحِ صُورَتِهِ، وَيُظْهَرَ الْحَقُّ بِحُسْنِ حُلِيِّهِ ﴾ (٣٥).

فقد كرر الإمام عليه السلام صوت (الدال) تسع مرات، وهذا التكرار لصوت الدال قد خلق جواً موسيقياً قائماً على صفات الشدة والصلابة المتمثلة بـ (استحصد، عموده، طريده، وخذرف، وليده، يداً، حاصدة، تصدع، وتجدع) حيث أشاع صوت الدال جواً من الصلابة بسبب شدته؛

لأن السياق هنا هو سياق إظهار قوة الله تعالى وإعلاءً لصفات الله تعالى بعد أن علا شأن الباطل، وطال مكثه، وهذا الانتشار لصوت الدال جعل الموسيقى أكثر متانة وحدة، إذ أنها شكّلت ملمحاً أسلوبياً في استعمال

الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) لمستويات العملية الاستدلالية بين الباث والمتلقي، إذ إنَّ وجود أصوات في نسق تعبري متصل، يوحي بوحدة إيقاع القيمة الصوتية في تمثيلها للحدث؛ لأنَّ التراكم الصوتي يفيد في التكرار توكيداً ذا طاقة تعبيرية تكون كالموسيقى التصويرية تصاحب الحدث؛ لترفع طاقة الأداء الفني جماليات الاستعمال اللغوي وتثريه بارتفاعه عن مستوى الرتبة والمباشرة^(٣٦).

صوت الكاف:

إنَّ صوت الكاف هو صوت مهموس^(٣٧) (من أقصى اللسان والحنك، وما يليهما، أي ما يلي أقصى اللسان والحنك، يريد أن يخرج الكاف أرفع من مخرج القاف أي أقرب منه إلى مقدم الفم)^(٣٨).

ومن أمثلته في دعاء الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) قوله:

(اللَّهُمَّ وَالِدَاعِي إِلَيْكَ، وَالْقَائِمُ بِالْقِسْطِ مِنْ عِبَادِكَ، الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَتِكَ، الْمُحْتَاجُ إِلَى مَعُونَتِكَ عَلَى طَاعَتِكَ، إِذْ ابْتَدَأْتَهُ بِنِعْمَتِكَ، وَأَلْبَسْتَهُ أَنْوَابَ كَرَامَتِكَ، وَأَلْقَيْتَ عَلَيْهِ حَبَّةَ طَاعَتِكَ، وَثَبَّتَ وَطْأَتَهُ فِي الْقُلُوبِ مِنْ حَبِّتِكَ، وَوَفَّقْتَهُ لِلْقِيَامِ بِهَا أَغْمَضَ فِيهِ أَهْلُ زَمَانِهِ مِنْ أَمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُ مَفْرَعاً لِمَظْلُومِ عِبَادِكَ، وَنَاصِراً لِمَنْ لَا يَجِدُ نَاصِراً غَيْرَكَ، وَتَجَدَّداً لِمَا عَطَلَ مِنْ أَحْكَامِ كِتَابِكَ، وَمُشِيداً لِمَا رُدَّ مِنْ أَعْلَامِ دِينِكَ، وَسُنَنِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَلَامُكَ وَصَلَوَاتُكَ وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكَاتُكَ)^(٣٩).

ف نجد تكرار صوت (الكاف) لاثنتين وعشرين مرةً إذ شكّل ملمحاً فيه القوة والتعظيم، فهو صوت انفجاري شديد القدرة على منح الكلام قوة وحزماً مؤكداً شدة التصاق هذه الصفات والألفاظ من (إليك، عبادك،

رحمتك، معونتك، طاعتك .. إلخ) بالخالق عز وجل.

إنَّ هذا التكرار قد زاد من درجة الانسجام الإيقاعي بين ألفاظ النص ومعانيه، (فالأصوات لها فاعلية جمالية ومعنوية تؤثر في النشاط الإيقاعي، والانبعاث الموسيقي) ^(٤٠)، فضلاً عن زيادة التكثيف الدلالي القائم على صدق التوكل للباط وثباته بالخالق تعالى، فتريد صوت ما أو لفظ وترجيحه يحقق إضافات معنوية للنص؛ لأنَّه يضع في أيدينا وعقولنا وقلوبنا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على المنشئ بوصفها جزءاً من الهندسة اللفظية للعبارة التي تنظم كلماته؛ حيث يستدعيه السياق النفسي، والعاطفي، والجمالي، والشكلي معاً ^(٤١).

وبوصف لغة الدعاء تعبيراً ذاتياً صادقاً؛ فإنَّ طاقته التعبيرية تتناسب مع عمق الإنفعال ودلالته؛ فيكون الأثر الإنطباعي هو المعادل الموضوعي للذات ^(٤٢).

ثانياً: تكرار اللفظة:

يكون التكرار اللفظي في تكرار الكلمة أكثر من مرة لغايات دلالية ونغمية، عبر تأكيد المعنى وتقوية النغم حيث يمتلك تكرار اللفظة في النصَّ أثراً عظيماً في مَوْسَقَتِهِ، فالقيمة السمعية لهذا التكرار أكبر من قيمة تكرار الحرف الواحد في الكلمة، ويكون هذا التكرار ناتجاً عن أهمية هذه المفردة، وأثرها في إيصال المعنى حيث تأتي مرة لتأكيد أو التحريض أو لكشف اللبس، إضافة إلى ما تقوم به من إيقاع صوتي داخل النص ^(٤٣).

ويتضح ذلك مثلاً من خلال تكرار الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أداة النهي (لا) مع أداة الاستثناء (إلا) بوصفهما من لوازم أسلوب

القصر في قوله:

(اللَّهُمَّ وَلَا تَدْعُ لِلْجَوْرِ دِعَامَةً إِلَّا قَصَمْتَهَا، وَلَا جُنَّةً إِلَّا هَتَكْتَهُ، وَلَا كَلِمَةً مُجْتَمِعَةً إِلَّا فَرَقْتَهَا، وَلَا سَرِيَّةً ثَقُلَ إِلَّا خَفَفْتَهَا، وَلَا قَائِمَةً عَلُوًّا إِلَّا حَطَّطْتَهَا، وَلَا رَافِعَةً عِلْمٍ إِلَّا نَكَّسْتَهَا، وَلَا خَصْرَاءَ إِلَّا أَبْرَتَهَا) (٤٤).

حيث أسهم تكرارهما في تواشج الجمل وازدياد فاعليتها الدلالية داخل النص، وولدت انسجاماً دلالياً وإيقاعياً بين الفقرات، وهذا يؤكد (أن) التكرار هو الممثل للبنية العميقة التي تحكم حركة المعنى في مختلف أنواع البديع ولا يمكن الكشف عن هذه البنية إلا بتتبع المفردات البديعية في شكلها السطحي، ثم ربطها بحركة المعنى (٤٥).

(اللَّهُمَّ وَالِدَّاعِي إِلَيْكَ، وَالْقَائِمُ بِالْقِسْطِ مِنْ عِبَادِكَ، الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَتِكَ، الْمُحْتَاجُ إِلَى مَعُونَتِكَ عَلَى طَاعَتِكَ، إِذْ ابْتَدَأْتَهُ بِنِعْمَتِكَ، وَأَلْبَسْتَهُ أَثْوَابَ كَرَامَتِكَ، وَأَلْقَيْتَ عَلَيْهِ مَحَبَّةَ طَاعَتِكَ، وَثَبَّتَ وَطْأَتَهُ فِي الْقُلُوبِ مِنْ مَحَبَّتِكَ، وَوَفَّقْتَهُ لِلْقِيَامِ بِهَا أَعْمَصَ فِيهِ أَهْلُ زَمَانِهِ مِنْ أَمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُ مَفْرَعًا لِمَظْلُومِ عِبَادِكَ، وَنَاصِرًا لِمَنْ لَا يَجِدُ نَاصِرًا غَيْرَكَ، وَمُجَدِّدًا لِمَا عُطِّلَ مِنْ أَحْكَامِ كِتَابِكَ، وَمُسَيِّدًا لِمَا رَدَّ مِنْ أَعْلَامِ دِينِكَ، وَسُنَنِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَلَامُكَ وَصَلَوَاتُكَ وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكَاتُكَ) (٤٦).

فقد وقع التكرار في الكلمات (عبادك، طاعتك، ناصراً) التي تؤدي الفائدة الصوتية من خلال انتشار مجموعة من التوافقات الصوتية على نحو تكراري، شكّلت مناخاً له القدرة على استنفار الذائقة الجمالية وحثها على التوقف بأزاء هذه المظاهر الصوتية (٤٧) فتكرار هذه الكلمات يؤكد دلالة الإحاطة الإلهية وزاد في قيمة النص التنغيمية، لتؤدي الفائدة الدلالية في

التأكيد على الإحاطة بكل شيء محط عنايته سبحانه وتعالى.

ثالثاً: التكرار الاستهلالي:

تعدُّ وظيفة الاستهلال المهمّة في بُعدَه الفني للنصّ الأدبي، بأنّه الأساس في استقطاب ذهن المتلقي_ القارئ أو السامع_ وشدّ انتباهه إلى الموضوع عبر الإشارة إليه بتكثيف موجزٍ عما يضمّه النصّ، فمن دون تحقق انتباهه به تضيع الغاية وينتهي المطلب^(٤٨)، فالتكرار الاستهلالي (وظيفة هذا التكرار هو التأكيد والتنبيه، وإثارة التوقع لدى السامع للموقف الجديد)^(٤٩).

ومنه قوله ﷺ:

(اللَّهُمَّ إِنَّكَ نَدَبْتَ إِلَى فَضْلِكَ، وَأَمَرْتَ بِدُعَائِكَ، وَضَمَنْتَ الْإِجَابَةَ لِعِبَادِكَ، وَلَمْ تُخَيِّبْ مَنْ فَزَعَ إِلَيْكَ بِرَغْبَتِهِ، وَقَصَدَ إِلَيْكَ بِحَاجَتِهِ، وَلَمْ تَرْجَعْ يَدَ طَالِبَةٍ صِفْراً مِنْ عَطَائِكَ، وَلَا خَائِبَةً مِنْ نَحْلِ هِبَاتِكَ، وَأَيُّ رَاحِلٍ رَحَلَ إِلَيْكَ فَلَمْ يَجِدْكَ قَرِيباً، أَوْ وَافِدٍ وَقَدْ عَلَيْكَ فَاقْتَطَعَتْهُ عَوَاقِقُ الرَّدِّ دُونَكَ، بَلْ أَيُّ مُحْتَفِرٍ مِنْ فَضْلِكَ لَمْ يَمِهِهِ فَيْضُ جُودِكَ، وَأَيُّ مُسْتَنْبِطٍ لَمْ يَزِدْكَ أَكْدَى دُونَ اسْتِمَاحَةِ سَجَالِ عَطِيَّتِكَ. اللَّهُمَّ وَقَدْ قَصَدْتُ إِلَيْكَ بِرَغْبَتِي، وَقَرَعْتُ بَابَ فَضْلِكَ يَدُ مَسْأَلَتِي، وَنَاجَاكَ بِخُشُوعِ الْإِسْتِكَانَةِ قَلْبِي، وَوَجَدْتُكَ خَيْرَ شَفِيعٍ لِي إِلَيْكَ، وَقَدْ عَلِمْتُ مَا يَحْدُثُ مِنْ طَلِبَتِي قَبْلَ أَنْ يَخْطُرَ بِفِكْرِي، أَوْ يَقَعَ فِي خَلْدِي، فَصَلِّ.

اللَّهُمَّ دُعَائِي إِيَّاكَ بِإِحَابَتِي، وَاشْفَعْ مَسْأَلَتِي بِنُجْحِ طَلِبَتِي .

اللَّهُمَّ وَقَدْ شَمَلَنَا زَيْغُ الْفِتَنِ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْنَا عَشْوَةُ الْحَيْرَةِ، وَقَارَعَنَا الدُّلُّ وَالصَّغَارُ، وَحَكَمَ عَلَيْنَا غَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي دِينِكَ، وَابْتَزَّ أُمُورَنَا مَعَادِنُ الْأَبْنِ يَمْنُ عَطَلِ حُكْمِكَ، وَسَعَى فِي إِتْلَافِ عِبَادِكَ وَإِفْسَادِ بِلَادِكَ^(٥٠).

فحقق الإمام الحسن العسكري عليه السلام من خلال تكرار لفظة (اللهم) في نصّ الدعاء كلّهُ تنوعاً إيقاعياً استطاع به أن يكسر الرتابة التي قد تتحصل في داخل النص حيث أصبحت هذه اللفظة في النص تمثل محفزاً ذهنياً عند المتلقي أو القارئ بما تفعله إلى الالتفات إلى المضمون الفكري للفقرة المقروءة والتهيؤ للقدام من الأفكار^(٥١).

الجناس:

يعرّف البلاغيون الجناس بأنّه: إتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع الاختلاف في المعنى^(٥٢)، وهذا ما أقرّه الباحثون المعاصرون أيضاً^(٥٣)، إذ يقوم على تكرار أصوات كلمتين من ناحية التآليف الحرفي، فهو نسق صوتي، وضرب من التكرار يراد به تقوية الجرس^(٥٤) ويعد من المنبهات الأسلوبية التي تركز على القيم الصوتية الخالصة التي تفرز إيقاعات معينة ذات تناسب صوتي أو دلالي^(٥٥). ويتطلب الجناس من الأديب براعة في التآليف، وحساً فنياً، وذوقاً أدبياً، يكسب الألفاظ والمعاني رونقاً، فالجناس بوصفه بنية (صوتية دلالية) تنهاز بإنتاجها الإيقاعي والدلالي^(٥٦)، وأحد المحسنات التي يتوسلها الباث لإغناء نصّه موسيقياً^(٥٧).

أولاً: الجناس الناقص:

وفيه يختلف اللفظان المتجانسان (في الهيئّة دون الصورة)^(٥٨)، أي أنّهما يختلفان في أعداد الحروف فقط^(٥٩) ولهذا يُعرّف (هو أن تجيء بكلمتين متجانستي اللفظ متفقتي الحركات غير أنّهما يختلفان بحرف)^(٦٠)، وسمي ناقصاً لأنّ أحد الركنين المتجانسين ينقص عن الآخر حرفاً أو حرفين^(٦١).

ومنه قوله ﷺ الذي جانس فيه بين (الساغية، اللاغية):

(وَأَقَمَ بِهِ الْخُدُودَ الْمُعْطَلَّةَ وَالْأَحْكَامَ الْمُهْمَلَةَ وَأَشْبَعَ بِهِ الْخِمَاصَ السَّاعِبَةَ
وَأَرَحَ بِهِ الْأَبْدَانَ اللَّاعِبَةَ الْمُتَعَبَةَ) (٦٢).

ثانياً: الجناس الاشتقاقي:

وهو (ما تجانس ركناه في الأصل، واختلفا في الهيئة؛ إذ كل منهما على صورة من صور الاشتقاق مع المحافظة على ترتيب الحروف الأصلية في الركنين) (٦٣). إذ فيه يجمع اللفظين الاشتقاق (٦٤)، وهذا يعني (أن يجيء بالفاظ يجمعهما أصل واحد في اللغة) (٦٥).

ومن الجناس الاشتقاقي قوله ﷺ الذي جانس فيه بين (راحل، رحل):
(وَأَيُّ رَاحِلٍ رَحَلَ إِلَيْكَ فَلَمْ يَجِدْكَ قَرِيبًا) (٦٦).

وقوله ﷺ الذي جانس فيه بين (سبباً، أسبابه) و(علماً، أعلامه) و
(معقلاً، معاقله):

(اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا سَبَبًا مِنْ أَسْبَابِهِ، وَعَلَمًا مِنْ أَعْلَامِهِ، وَمَعْقَلًا مِنْ مَعَاقِلِهِ) (٦٧).

السجع:

يُعَدُّ السجع أحد القيم الصوتية الأسلوبية الفاعلة في النص، فقد عرّفه ابن الأثير هو (تواطؤ الفواصل في الكلام المشور على حرف واحد) (٦٨). وتأتي أهمية السجع من كونه يمتلك القدرة على نقل الكلام من الحالة الثرية التقريرية إلى حالة جديدة مختلفة ذات طابع إيقاعي متميز (٦٩)، فالنهايات المتشابهة التي يعمل السجع على خلقها تعطي للنص دعماً صوتياً يشكل وسيلة قوية للإقناع لا سيما إذا كان بين الكلمتين المسجوعتين علاقة

دلالية؛ ولا يغيب عن أذهاننا التماثل الصوتي عن تلك النهايات المتشابهة ؛لأن فواصل الأسجاع موضوعة لتكون ساكنة الأعجاز موقوفاً عليها ؛ لأن الغرض هو المزاجية بينها^(٧٠) فضلاً عن إن السجع منطقته النثر، ولا يعني هذا خلوه من النص الشعري، لكنه يكاد يكون صفة ملازمة للنص النثري وبضاعته الرئيسة، وقد يختلف في النص الشعري لوجود عناصر إيقاعية أخرى، ولكن الحال يكاد يكون منفرداً في وظيفته الإيقاعية^(٧١)، كما تختلف قواعد القافية في السجع عنها في الشعر بانتهاء الكلمات الأخيرة في العبارة المسجوعة بالسكون^(٧٢).

ورد في دعاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام السجع بأشكال مختلفة وهي:

أولاً: السجع المرصع:

وهو (ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والحرف الأخير)^(٧٣). أي مقابلة كل لفظ بلفظة على وزنها ورويها^(٧٤). وهذا النوع من السجع نجده وبسبب تقسيمه للعبارات المسجوعة إلى وحدات صوتية تلتزم بتماثل الحرف الأخير في كل لفظتين متقابلتين منها صار يمتلك بعداً صوتياً مؤثراً^(٧٥).

ومن امثلته في دعائه عليه السلام الذي لا يحتاج إلى كد في الذهن، وعسر في الفهم لإبانته:

(اَللّٰهُمَّ وَلَا تَدْعُ مِنْهُ بَقِيَّةٌ اِلَّا اُفْنِيَتْ، وَلَا بُنْيَةٌ اِلَّا سَوِيَتْ، وَلَا حَلَقَةٌ اِلَّا قَصُمَتْ، وَلَا سِلَاحٌ اِلَّا اَكْلَلَتْ، وَلَا حَدٌّ اِلَّا فَلَئَتْ، وَلَا كُرَاعٌ اِلَّا اَجْتَحَتْ، وَلَا حَامِلَةٌ عَلِمٌ اِلَّا نَكَسَتْ)^(٧٦).

وقوله ﷺ:

(اللَّهُمَّ وَأَخِي بِهِ الْقُلُوبَ الْمُتَيَّةَ، وَاجْمَعْ بِهِ الْأَهْوَاءَ الْمُتَفَرِّقَةَ، وَالْآرَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ، وَأَقِمْ بِهِ الْحُدُودَ الْمُعْطَلَةَ، وَالْأَحْكَامَ الْمُهْمَلَةَ، وَأَشْبِعْ بِهِ الْخِمَاصَ السَّاعِبَةَ، وَأَرْحْ بِهِ الْأَبْدَانَ اللَّاغِبَةَ الْمُتَعَبَةَ) (٧٧).

ثانياً: السجع المتوازي

وهو اتفاق الفاصلتين في الوزن والتقفية (٧٨)، أي أن تتفق الكلمتان المسجوعتان في الوزن والروي (٧٩). ويتطلب هذا النوع من السجع مهارة في الانتقاء وتفنناً في التركيب، علاوة على ما يعكسه من متانة الرصيد اللغوي لصاحبه (٨٠)، إذ يعمد المبدع من خلاله إلى اختيار لفظة تطابق أختها المسجوعة معها وزناً وروياً وهذا لا يأتي عفواً في الكلام وإنما يقع عن قصد وإدراك (٨١).

ومنه قوله ﷺ الذي رُصّع فيه بين الكلمات: (بدعائك، لعبادك) و(برغبته، بحاجته):

(اللَّهُمَّ إِنَّكَ نَذَبْتَ إِلَى فَضْلِكَ، وَأَمَرْتَ بِدُعَائِكَ، وَضَمِنْتَ الْإِجَابَةَ لِعِبَادِكَ، وَلَمْ تُخَيِّبْ مَنْ فَرَعَ إِلَيْكَ بِرَغْبَتِهِ، وَقَصَدَ إِلَيْكَ بِحَاجَتِهِ) (٨٢).

ثالثاً: السجع المطرّف

وهو ما اختلفت فاصلته المسجوعتان في الوزن واتفقتا في الروي (٨٣). وسُمّي بالمطرّف؛ لأنَّ قيمته الإيقاعية تكمنُ عندَ الأطراف، إذ يُحِلُّ التوافق والانسجام الحرّفي (٨٤). وهذا الشكل السجعي يكون أكثر مرونة من سابقه؛ لأنّه يتيح للمنشئين حرية أكبر في الاختيار لعدم تقييده بالزنة الصرفية (٨٥).

ومنه قوله ﷺ الذي رصع فيه بين: (القسمة، المشورة، للأمة،
والارملة، الذمة):

(اللَّهُمَّ وَقَدْ عَادَ فَيْئُنَا دَوْلَةً بَعْدَ الْقِسْمَةِ، وَإِمَارَتُنَا غَلَبَةً بَعْدَ الْمَشُورَةِ،
وَعُدْنَا مِيرَاثًا بَعْدَ الْإِخْتِيَارِ لِلْأُمَّةِ، فَاشْتَرَيْتِ الْمُلَاهِي وَالْمُعَازِفُ بِسَهْمِ الْيَتِيمِ
وَالْأَرْمَلَةِ، وَحَكَمَ فِي أَبْشَارِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلُ الذِّمَّةِ) ^(٨٦).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهوامش:

- ١- ينظر: أسلوبية الحجاج في نثر الإمام الحسين (عليه السلام) دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير): ١٨
- ٢- تشرح النص مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة: ١٧
- ٣- تحليل الخطاب الشعري- استراتيجية التناس: ٣١.
- ٤- التصوير الفني في القرآن: ١٠٦.
- ٥- ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٢١
- ٦- البيان والتبيين: ١/ ٧٩
- ٧- ينظر: الشعر والتجربة: ٢٣
- ٨- الإعجاز الفني في القرآن: ٢٤٤.
- ٩- البنيوية وعلم الإشارة: ٥٦.
- ١٠- ينظر: الأسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق (بحث): ٦٨
- ١١- دور الكلمة في اللغة: ٨١
- ١٢- ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة): ١٩٤
- ١٣- ينظر: أئمتنا - سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢/ ٢٣٦.
- ١٤- ينظر: الدعاء وأثره في تهذيب النفس: ٣٥.
- ١٥- ينظر: منهج الدعاء عند أهل البيت ونماذج منه: ٣٨-٣٩.
- ١٦- مستمسك العروة الوثقى: ٦/ ٤٨٧.
- ١٧- مكيال المكارم: ٢/ ٧٨.
- ١٨- مهج الدعوات ومنهج العبادات: ٦٣.
- ١٩- قال المؤلف: هذا كلام صاحب كتاب منح البركات، قد نقلته بالمعنى؛ لأنه كان باللغة الفارسية، ولم يذكر صفة صلاة المظلوم، ونحن نذكر ما وجدناه في كتاب مكارم الأخلاق عند ذكر جملة من الصلوات مكيال المكارم: ٢/ ٧٩.
- ٢٠- ينظر: المثل السائر: ٢/ ١٣٧.
- ٢١- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ١١٧.
- ٢٢- ينظر: قضايا الشعر المعاصر: ٢٤٢.
- ٢٣- ينظر: خطب نساء أهل البيت (عليه السلام) بعد واقعة الطف - مدة السبي - دراسة أسلوبية: ٣.
- ٢٤- ينظر: نحو أجرومية النص الشعري (بحث): ١٥٨.
- ٢٥- التكرار في الشعر الجاهلي (بحث): ١٦٠.
- ٢٦- التكوين التكراري في شعر جميل بن معمر (بحث): ٨٠.
- ٢٧- ينظر: البلاغة والأسلوبية: ٢٩٥.

- ٢٨- في النقد الأدبي والتحليل النفسي : ٤٠ .
- ٢٩- النص القرآني من الجملة إلى العالم : ٤٤ .
- ٣٠- ينظر: القصيدة العربية الحديثة بين الدلالة والبنية : ١٨٤ .
- ٣١- ينظر: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق : ٩٣ والخصاص الأسلوبية في أدعية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الصحيفة العلوية _دراسة أسلوبية_ (أطروحة دكتوراه) : ٥٢ .
- ٣٢- ينظر: المرشد إلى فهم أشعر العرب وصناعتها : ٤٨ / ٢ .
- ٣٣- علم الأصوات اللغوية : ٦٠ .
- ٣٤- ينظر: الأصوات اللغوية : ٥١ .
- ٣٥- مهج الدعوات : ٦٤ .
- ٣٦- ينظر: جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني : ٢٥٣ .
- ٣٧- ينظر: سر صناعة الإعراب : ١ / ٢٨٩ .
- ٣٨- شرح الشافية للجاربردي : ١ / ٣٣٦ .
- ٣٩- مهج الدعوات : ٦٥ .
- ٤٠- البنيات الأسلوبية في مراثية بلقيس لنزار قباني (رسالة ماجستير) : ٢٢ .
- ٤١- ينظر: خصائص الأسلوب في شعر الجواهري المطولات انموذجاً (أطروحة دكتوراه) : ٢٧٤ وينظر: الخصائص الأسلوبية في أدعية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الصحيفة العلوية : ٦٢ .
- ٤٢- ينظر: علم النفس اللغوي : ٨ .
- ٤٣- ينظر: أسلوب التكرار ومثيراته الدلالية في الصحيفة السجادية (بحث) : ٢٢٤ .
- ٤٤- مهج الدعوات : ٦٤ .
- ٤٥- بناء الأسلوب في شعر الحداثة : ١٠٩ .
- ٤٦- مهج الدعوات : ٦٥ .
- ٤٧- ينظر: المستويات الجمالية في نهج البلاغة دراسة في شعرية النثر : ٦٥ .
- ٤٨- ينظر: الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي : ٢٢-٢٣ .
- ٤٩- الشعرية أجمال الدين ابن الشيخ : ٢٢ .
- ٥٠- مهج الدعوات : ٦٣ _ ٦٤ .
- ٥١- ينظر: في أسلوبية النص السجادي المناجيات و أدعية الأيام مثلاً (بحث) : ١٠٢ .
- ٥٢- ينظر: كتاب البديع : ٣٦ ، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١ / ٢٣٩ .
- ٥٣- ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ١٣٨ .

- ٥٤- ينظر: جرس الألفاظ ودلالاتها : ٢٧٠.
- ٥٥- ينظر: جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم : ١٣٧.
- ٥٦- ينظر: قراءات أسلوبية في الشعر: ٣٦.
- ٥٧- ينظر: دير الملاك- دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر : ٣٤٢.
- ٥٨- مفتاح العلوم : ٤٢٩.
- ٥٩- ينظر: زهر الربيع في شواهد البديع: ٦٤، والتحبير في علم التفسير: ١٣٣، والبلاغة الاصطلاحية: ٣٤٣، ودراسات في البلاغة : ٢١١.
- ٦٠- حسن التوصل إلى صناعة الترسل : ١٨٧.
- ٦١- ينظر: علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومساائل البديع : ٢٤٠ .
- ٦٢- مهج الدعوات: ٦٤.
- ٦٣- التكرير بين المثير والتأثير : ٢٠٧.
- ٦٤- ينظر: التحبير في علم التفسير: ٢٩٤ البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل: ٦٦.
- ٦٥- حسن التوصل إلى صناعة الترسل : ١٩٣ أو ينظر : شرح التلخيص : ٦٧٣.
- ٦٦- مهج الدعوات: ٦٣.
- ٦٧- مهج الدعوات: ٦٥.
- ٦٨- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١ / ١٩٠
- ٦٩- ينظر: الرسائل المشرقية الفنية في القرن الثامن للهجرة دراسة أسلوبية (اطروحة دكتوراه): ٤٠.
- ٧٠- ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص الثري: ١٧ أو ينظر: الخصائص الأسلوبية في الصحيفة العلوية (اطروحة دكتوراه) : ٧٤.
- ٧١- ينظر : أسلوبية الحجاج في نثر الإمام الحسين (رسالة ماجستير) : ٤٢.
- ٧٢- الأمثال الحضارية القديمة دراسة أسلوبية سردية حضارية: ٨٠.
- ٧٣- مدخل إلى البلاغة العربية: ٢٨٩.
- ٧٤- ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب: ٢٧٣ / ٤.
- ٧٥- ينظر: دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير): ٥٦.
- ٧٦- مهج الدعوات: ٦٤.
- ٧٧- مهج الدعوات: ٦٤.
- ٧٨- ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة : ٢ / ٣٢٥
- ٧٩- (٢) ينظر: شرح التلخيص في علوم البلاغة : ١٩٠، خزانة الأدب وغاية الأرب : ٢٤٨ / ٤

- ٨٠- ينظر: المناجيات وأدعية الأيام دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير) : ٤٤
- ٨١- ينظر: النثر الفني في ثورة التوابين وإمارة المختار الثقفي دراسة لغوية أسلوبية : ١٠٩ .
- ٨٢- مهج الدعوات: ٦٣ .
- ٨٣- ينظر: شرح التبيان في علم البيان : ٣٧٣ و معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ١٩٧ .
- ٨٤- ينظر: السجع القرآني دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير) : ٣٧ .
- ٨٥- ينظر: دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير): ٥٢ .
- ٨٦- مهج الدعوات: ٦٤ .



المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

*الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي : ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، (د.ط)، ١٩٩٣ م .

*الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة)، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د.ط)، ١٩٩٢ م .

*أسلوبية الحجاج في نثر الإمام الحسين (عليه السلام) دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير)، أحمد سميسم علاوي الطوكي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٦ م.

*أسلوب التكرار ومثيراته الدلالية في الصحيفة السجادية (بحث) د.رسول بلاوي، مجلة آداب الكوفة، ٢٠١٦ م.

*الأسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق (بحث) د.ماهر مهدي هلال، مجلة آفاق عربية، العدد الثاني عشر، كانون الأول، ١٩٩٢، السنة السابعة عشرة .

*الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر . (د.ط)، (د.ت).

*الإعجاز الفني في القرآن، د.عمر محمد سلامي، منشورات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ط١، ١٩٨٠ م.

*إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى الرافعي، دار الكتاب، بيروت، ط ٩، ١٩٧٣ م.

*الأمثال الحضارية القديمة دراسة أسلوبية سرديّة حضارية، د.أماني سليمان داوود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩ م .

*أئمتنا _سيرة الأئمة الاثني عشر، علي محمد علي دخیل، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، مطبعة ستار، ط٣، ٢٠٠٨ م .

*البديع: أبو العباس عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ) شرحه وحققه: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٢ م.

*البلاغة الاصطلاحية، د. عبدة عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

*البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل د. محمد بركات حمدي أبو علي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

*البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤ م.

*بناء الأسلوب في شعر الحداثة، د.محمد عبد المطلب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٥ م.

*البنيات الأسلوبية في مرثية بلقيس لنزار قباني (رسالة ماجستير)، رشيد

بديدة، كلية الآداب واللغات،
جامعة الحاج لخضر-باتنة، الجزائر،
٢٠١٠م-٢٠١١م .

*النبوية وعلم الإشارة، ترنس هوكرز،
ترجمة مجيد الماشطة، مراجعة د. ناصر
حلاوي، سلسلة المائة كتاب، تصدر
عن دار الشؤون الثقافية العامة،
بغداد- العراق، ط١، ١٩٨٦م.

*البيان والتبيين، عمر بن بحر الجاحظ
(ت٢٥٥هـ) تحقيق: عبد السلام
هارون، مكتبة الخانجي القاهرة،
مصر، ط٤، ١٩٧٥م .

*التجوير في علم التفسير، أبو الفضل
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الكتب
العلمية، بيروت، لبنان، ط١،
١٩٨٨م.

*تحليل الخطاب الشعري- استراتيجية
التناص، د. محمد مفتاح، دار التنوير،
بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥.

*تشريح النص مقاربات تشريحية
لنصوص شعرية معاصرة، د. عبد الله
محمد الغدامي، المركز الثقافي العربي،
الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٦م.
*التصوير الفني في القرآن، سيّد قطب،
دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

*التكرار في الشعر الجاهلي، د. موسى
ربايعة، مجلة مؤتة، المجلد٥،
العدد١، ١٩٩١م.

*التكوين التكراري في شعر جميل بن
معمر، فايز القرعان، مجلة مؤتة،
مجلد١١، عدد٧، ١٩٩٦م .

*جدلية الخفاء والتجلي (دراسات نبوية
للشعر) كمال أبو ديب، دار العلم
للملايين، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٩م.
*جرس الألفاظ ودلالاتها، د. ماهر
مهدي هلال، دار الرشيد للنشر،
سلسلة دراسات (١٩٥)، وزارة
الثقافة والأعلام، بغداد، دار الحرية
للطباعة، ١٩٨٠م.

*حسن التوسل إلى صناعة الترسل،
شهاب الدين محمود الحلبي (ت
٧٢٥هـ) تحقيق: أكرم عثمان
يوسف، دار الحرية للطباعة، بغداد،
(د.ط)، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

*خزانة الأدب وغاية الأرب، أبو بكر بن
علي بن عبد الله المعروف بابن حجة
الحموي (ت٨٣٧هـ)، تحقيق، كوكب
دياب، دار صادر، بيروت، لبنان،
ط١، ٢٠٠١م.

*الخصائص الأسلوبية في أدعية الأمام
علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الصحيفة
العلوية - دراسة أسلوبية - أطروحة
دكتوراه، محمد الجوراني، كلية
الآداب، المستنصرية، ٢٠١٦م.

*خصائص الأسلوب في شعر الجواهري،
المطولات انموذجاً، د. ساهرة عدنان
العنكي، دار الفراهيدي للنشر
والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٢م.

*خطب نساء أهل البيت (عليه السلام) بعد واقعة
الطف - مدة السي - دراسة أسلوبية،
رسالة ماجستير، خنساء مهدي حمود،
كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١١م.
*دراسات في البلاغة العربية، د. عبد
العاطي غريب غلام، منشورات
جامعة تونس، (د.ط)، ١٩٩٧م.
*دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة
دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير)،
آمنة حسين يوسف الشريفي، كلية
التربية للعلوم الإنسانية، جامعة
بابل، ٢٠١٥م.
*الدعاء وأثره في تهذيب النفس، حسين
الشاكري، مطبعة الهادي، ط١،
(د.ت).
*دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان،
ترجمة وقدم له وعلق عليه د. كمال
محمد بشر، المطبعة العثمانية، القاهرة،
ط٣، ١٩٧٢م.
*دير الملاك - دراسة نقدية للظواهر
الفنية في الشعر العراقي المعاصر:
محسن أطيّمش، دار الشؤون الثقافية
العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦م.
*الرسائل المشرقية الفنية في القرن الثامن
للهجرة دراسة أسلوبية (اطروحة
دكتوراه)، كريمة نوماس محمد
المدني، كلية التربية للعلوم الإنسانية،
جامعة كربلاء، ٢٠١٣م.
*زهرة الربيع في شواهد البديع، ناصر
الدين محمد بن قمراس (ت ٨٨٢

هـ). تحقيق: د. مهدي أسعد غرار،
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
*السجع القرآني دراسة أسلوبية (رسالة
ماجستير)، هدى عطية عبد الغفار،
جامعة عين شمس، كلية الآداب،
٢٠٠١م.
*سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان
بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق، محمد
حسن محمد، وشارك في التحقيق:
أحمد رشدي شحاتة عامر، دار
الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢،
٢٠٠٧م.
*شرح التبيان في علم البيان، الشيخ الإمام
أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي
(ت ٩٠٩هـ) دراسة وتحقيق: د. أبو
أزهر بلخير غانم، دار الكتب العلمية،
بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
*شرح التلخيص في علوم البلاغة،
جلال الدين محمد بن عبد الرحمن
القزويني، محمد هاشم دويدري،
منشورات دار الحكمة، دمشق،
سوريا، ط١، ١٩٧٠م.
*شرح الشافية، أحمد بن الحسن بن
يوسف الجاربردي (ت ٧٤٦هـ) تحقيق:
محمد عبد السلام هارون، دار الكتب
العلمية، بيروت، لبنان، ط١،
٢٠١٤م.
*الشعر والتجربة، أرشيبالد مكليش،
ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي،

*معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤م.

*مفتاح العلوم، أبو يعقوب بن يوسف بن أبو بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ) تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٣م.

*مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام، ميرزا محمد تقي الموسوي الأصفهاني، تحقيق: علي عاشور، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، بيروت، لبنان ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

*المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين عليه السلام - دراسة أسلوية - رسالة ماجستير، إدريس طارق حسين، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، ٢٠٠٦م.

*منهج الدعاء عند أهل البيت ونماذج منه، صباح علي البياتي، المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، مطبعة ليلي، قم، إيران، ط ١، ١٤٢٧هـ.

*منهج الدعوات ومنهج العبادات، رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (ت ٦٦٤هـ) منشورات دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٤م.

*النشر الفني في ثورة التوابين وإمارة المختار الثقفي دراسة لغوية أسلوية، هاشم جبار الزرقي، مؤسسة وارث الأنبياء، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، العراق، ط ١، ٢٠١٦م.

*نحو أجرومية النص الشعري (بحث): د. سعد مصلوح، مجلة فصول الهيئة العامة المصرية للكتاب، المجلد ١٠، العدد ١-٢.

*النص القرآني من الجملة إلى العالم، وليد منير، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م.

*النص والأسلوية بين النظرية والتطبيق، دراسة: عدنان بن ذريل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، ٢٠٠٠م.

*نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٧م.



المنهج التربوي الفقهي عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأثره في بناء الفكر الإنساني

م.م وثام علي خميس القرغولي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

الملخص

إن سيرة الأئمة عليهم السلام تحمل تاريخاً تربوياً وعلمياً عظيماً، كان له دورٌ في بلورة الفكر الإنساني وتهيئة الذهنية البشرية، فأهل البيت عليهم السلام هم امتدادٌ للنبوّة وولاية الأمر الذين أوجب الله تعالى ولايتهم ومودتهم، كما أنهم عدلُ القرآن الكريم، فمن نعم الله تعالى أن هدانا للإسلام الذي أكمله بولايتهم عليهم السلام.

فكانوا عليهم السلام سراجاً مضيئاً أنارَ للامة طريقها، فقد فقهوا الأحكام الشرعية فعنهم أخذت، وعرفوا الحلال من الحرام، فكانوا الإِدْلاء إلى دين الله، والموضحين لمنهجه، والمربين لخلقهم، فكانت اقوالهم أقوال المولى عز وجل، وأفعالهم تجلياتٌ لإرادته سبحانه.

ومن أفذاذ تلك السلسلة المحمدية هو إمامنا الحادي عشر أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام فقد كان مدرسةً رسالية كبرى، ونبأً نبياً يهدي السائرين الى طريق الحق، ومربياً ملهماً، وعالمًا ومعلماً، سار على الطريق الذي أسسه آباؤه الكرام، وهو بناء الجماعة الصالحة التي تمثل خط أهل البيت عليهم السلام فكرياً، وعقدياً وسلوكياً، وأخلاقياً.



وقد اتسمَ عصر إمامنا العسكري (عليه السلام) باتساع رقعة التشيع وكثرة العلماء واكتمال معالم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الفقهية التي أسسها الإمامان الصادقان (عليهما السلام)، لذا عمَد إمامنا العسكري (عليه السلام) إلى تربية ثلثة من الفقهاء والعلماء، وذلك لأنَّ التربية الفقهية هي المنهاج لِدوام علم الفقه الإسلامي، ولأنَّ الفقهاء هم ورثة وحفظة تراث أهل البيت (عليهم السلام)، والأئمَّاء على الأُمَّة الإسلامية بعدهم، كذلك لما لعلم الفقه من تأثير على عقلية الفرد واستقامة تربيتِه، فهذا العلم مُهمِّن على الميادين كافة، فلهُ دوره الأساس في تنظيم الحياة بكافة جوانبها وتعويد الفرد على الالتزام الذي لا يصلح المجتمع عامَّةً والفرد خاصَّةً إلا بِهِ.

وعليه فإنَّ تربية الإمام العسكري (عليه السلام) لجيل من الفقهاء والعلماء كان استجابةً لضرورة الحياة من جانب، وتمهيدًا لعصر الغيبة من جانب آخر، مما يجعل الفرد قادرًا على مواجهة الأحداث المُستقبلية.

الكلمات المفتاحية: الإمام العسكري (عليه السلام)، التربية الفقهية، عصر الغيبة، الفقهاء.

Abstract

The biography of the Imams (peace be upon them) carries a great educational and scientific history , which played a role in crystallizing human thought and preparing the human mentality. The People of the House (peace be upon them) are an extension of the prophecy and the rulers whom God Almighty has enjoined on their guardianship and affection. They are also the justices of the Holy Qur'an. May God Almighty guide us to Islam, which He completed with their guardianship (peace be upon them).

They (peace be upon them) were a shining lamp that illuminated the path of the nation. They understood the rulings and from them they were taken, and they knew what was permissible from what was forbidden. They were the guides to the religion of God, the clarifiers of His method , and the educators of His creation. Their words were the words of the Lord Almighty, and their actions were manifestations of His will , Glory be to Him.

One of the most distinguished of that series is our eleventh Imam , Abu Muhammad al-Hasan al-Askari (peace be upon him). He was a major missionary school , a shining beacon guiding those walking to the path of truth , an inspiring educator , a scholar and a teacher. He followed the path established by his honorable fathers , which is building a righteous community that follows in the line of Ahl al-Bayt (peace be upon them) , intellectually , ideologically , behaviorally , and morally. The era of our Imam al-Askari (peace be upon them) was characterized by the expansion of Shiism , the abundance of scholars, and the completion of the features of the Ahl al-Bayt school of jurisprudence , which was founded by the Imams al-Sadiq (peace





be upon them). Therefore , Imam al-Askari (peace be upon them) had a great interest , like his fathers , in raising a group of jurists and scholars , because jurisprudential education is A platform for the continuity of the science of Islamic jurisprudence , and because scholars are the heirs of the prophets , in explaining and clarifying the legal rulings , and also because the science of jurisprudence has an impact on the individual's mentality and the integrity of his upbringing , this science dominates all fields of life , as it has its fundamental role in organizing life , raising the individual, building his thought , and accustoming him to commitment. The one who does not improve society in general and the individual in particular.

Therefore , the upbringing of Imam Askari (peace be upon him) for a generation of jurists and scholars was a response to the necessity of life and a prelude to the era of occultation , which makes the individual , by resorting to them, able to face future events during the occultation of the Infallible One (peace be upon him).

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله الهداة المهديين الذين اجتباهم الله وجعلهم حجة صراطه المستقيم وارتضاهم لغيره واختارهم لغيره وجعلهم خلفاء في أرضه وحججاً على بريته.

وبعد:

فإن الإنسان بصورة عامة لا يمكنه أن يبلغ أي مبلغ من النضوج الفكري أو التقدم العلمي من دون أن تتوفر له سبل التربية الهادفة التي تعمل على بنائه وتطويره وتنمية فكره، لذا حرص الإسلام على تربية الفرد من كافة الجوانب فكرياً وعقدياً وأخلاقياً وسلوكياً، وهناك الكثير من العلوم الشرعية التي لها أثرها في هذه التربية، وعلم الفقه من أهم العلوم الشرعية التي تحتل مكانة مرموقة ومحلاً رفيعاً بين العلوم، وهذا العلم بوصفه يعد منهجاً تربوياً متكامل المراحل، وطريقاً مستقيماً واضح المعالم، فهو يرتبط بالإنسان ارتباطاً كلياً، إذ ينظم علاقته مع الله تعالى، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع الآخرين، لذا أولى الأئمة (عليهم السلام) هذا العلم اهتماماً كبيراً لما له من دور اساس في تنظيم الحياة وتربية الفرد وتعويده على الالتزام الذي لا يصلح المجتمع عامة والفرد خاصة إلا به.

لذا عمد إمامنا العسكري (عليه السلام) إلى تربية ثلة من الفقهاء والعلماء استجابة لضرورة الحياة من جانب، وتمهيداً لعصر الغيبة من جانب آخر، فالفقهاء هم ورثة وحفظة تراث أهل البيت (عليهم السلام)، والأمناء على الأمة الإسلامية

بَعْدَهُمْ، وَقَدْ نَهَضَ الْفُقَهَاءُ فِي مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بِأَدَاءِ هَذِهِ الْوُضُوفَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَعَمَلُوا عَلَى نَشْرِ فِقْهِ آلِ مُحَمَّدٍ وَبَيَانِ وَتَوْضِيحِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَقَدْ أَمَرَ الْإِمَامُ الْعَسْكَرِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَوْلِيَاءَهُ وَشُيْعَتَهُ بِالرَّجُوعِ إِلَيْهِمْ وَالْأَخْذَ عَنْهُمْ، وَبِهَذَا يَكُونُ الْإِمَامُ الْعَسْكَرِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَدْ ثَبَتَ قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَغَيْبَةِ وَلَدِهِ الْمُهْدِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، مِمَّا يَجْعَلُ الْفَرْدَ قَادِرًا عَلَى بِنَاءِ نَفْسِهِ مِنْ جِهَةٍ، وَمُوَاجَهَةِ الْأَحْدَاثِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ الَّتِي تَوَاجَهَهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَعَلَيْهِ فَقَدْ اقْتَضَتْ طَبِيعَةُ الْبَحْثِ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَبْحَثِينَ، تَسْبِقُهُ مَقْدَمَةٌ وَتَعْقِبُهُ خَاتِمَةٌ ذُكِرَ فِيهَا أَهَمُّ نَتَائِجِ الْبَحْثِ، وَقَدْ جَاءَ الْمُبْحَثُ الْأَوَّلُ بِعَنْوَانِ شَذَرَاتٍ مِنْ حَيَاةِ الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فِي حِينٍ تَنَاقُلُ الْمُبْحَثُ الثَّانِي التَّرْبِيَةَ الْفَقْهِيَّةَ فِي فِكْرِ الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَأَثَرِهَا فِي بِنَاءِ الْإِنْسَانِ.

وَأَخِرَ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



المبحث الأول: شذرات من حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

إن من الأمور المهمة التي ينبغي التعرض إليها في طيات البحث هو ذكر لمحات من حياة مولانا الإمام العسكري عليه السلام بشكل موجز وبحسب طبيعة البحث، وعليه فقد اختص المطلب الأول بذكر السيرة الشخصية للإمام العسكري عليه السلام، في حين تناول المطلب الثاني عطاؤه العلمي واستشهاده عليه السلام.

المطلب الأول: السيرة الشخصية للإمام العسكري عليه السلام:

أولاً: نسبه وولادته:

هو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام^(١)، واختلف في اسم والدته، فقيل: اسمها السليل، وهي التي قال الإمام في حقها: «السليل مسلولة من الآفات والعاهات والأرجاس والأنجاس، ثم قال لها سيهب الله لك حجته على خلقه يملأ الأرض عدلاً»^(٢)، وقيل: أسمها حربية أو ریحانة أو سوسن، وهناك من ذكر أن اسمها حديث أو حديثة، وقيل أم ولد^(٣)، «وكانت من العارفات الصالحات»^(٤).

ولد أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام في المدينة المنورة، واختلف في تاريخ ولادته فذكر أنه ولد في يوم الجمعة، وقيل في الاثنين، وقيل في يوم الأربعاء، في شهر رمضان أو في شهر ربيع الأول أو الآخر، في سنة ٢٣١هـ، أو في ٢٣٢هـ أو في سنة ٢٣٣هـ^(٥).

ثانيا: كنيته وألقابه:

كنيته، أبو محمد، أما ألقابه، فقد كان الحسن العسكري هو وأبوه وجده يعرف كل منهم في زمانه بـ(ابن الرضا)، وكذلك يلقب بالعسكري، ومر في سيرة أبيه أنه كَانَ يعرف أيضًا بالعسكري لسكناهما في محلة تعرف بالعسكر^(٦)، وذكر في مناقب ابن شهر آشوب أن من ألقابه عليه السلام الصامت، الهادي الرفيق، التقي، الخالص، الزكي، السراج المضيء، الشافي المرضي^(٧).

ثالثا: إمامته:

مدّة إمامته عليه السلام ست سنوات (٢٥٤ - ٢٦٠ هـ) عاصر فيها من سلاطين بني العباس المعتز (٢٥١ - ٢٥٥ هـ) والمهتدي (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ) والمعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ)^(٨)، وقد «أخبر الإمام الهادي عليه السلام في سنة وفاته عام ٢٥٤ هـ، بوصيته لولده الإمام الحسن العسكري بإمامة الشيعة الاثني عشرية»^(٩)، وهناك الكثير من النصوص الدالة على إمامته عليه السلام فقد جاء عن علي بن محمد، عن محمد بن أحمد النهدي، عن يحيى بن يسار القنبري قال: «أوصى أبو الحسن عليه السلام إلى ابنه الحسن قبل مضيه بأربعة أشهر، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي»^(١٠)، وكذلك جاء عن بشار بن أحمد، عن عبد الله بن محمد الأصفهاني قال: قال أبو الحسن عليه السلام: «صاحبكم بعدي الذي يصلي علي، قال: ولم نعرف أبا محمد قبل ذلك، قال: فخرج أبو محمد فصلى عليه»^(١١).

وجاء أيضاً عن محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد، عن جعفر بن محمد الكوفي، عن يسار بن أحمد البصري عن علي بن عمرو النوفلي قال: كُنت مع أبي الحسن (عليه السلام) في صحن داره فمر بنا محمد ابنه فقلت: جعلت فداك، هذا صاحبنا بعدك؟ فقال: «لا صاحبكم بعدي الحسن» (١٢).

وكذلك ورد عن علان الكلابي، عن إسحاق بن إسماعيل النيشابوري، قال: حدثني شاهويه بن عبد الله الجلاب قال: «كنت رويت دلائل كثيرة عن أبي الحسن (عليه السلام) في ابنه محمد فلما مضى بقيت متحيراً وخفت أن اكتب في ذلك فلا أدري ما يكون، فكتبت أسأل الدعاء، فخرج الجواب بالدعاء لي، وفي آخر الكتاب: أردت أن تسأل عن الخلف وقلقت لذلك، فلا تغتم فإن الله عز وجل لا يضلّ قوماً بعد أن هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، وصاحبك بعدي أبو محمد ابني عنده علم ما تحتاجون إليه، يقدم الله ما يشاء ويؤخر ما يشاء، قد كتبت بما فيه تبيان لذي لب يقظان» (١٣).

وعن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني (رحمته الله) قال: حدثنا الصقر بن أبي دلف، قال: سمعت علي بن محمد بن علي الرضا (عليه السلام) يقول: «إن الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» (١٤).

وجاء أيضاً عن ابن أبي الخطاب، عن ابن أبي الصهبان قال: «لما مات أبو جعفر محمد بن علي بن محمد بن علي بن موسى، وضع لأبي الحسن علي بن محمد كرسي فجلس عليه، وكان أبو محمد الحسن بن علي قائماً في ناحية، فلما فرغ من غسل أبي جعفر، التفت أبو الحسن إلى أبي محمد فقال: يا بني أحدث الله شكراً فقد أحدث فيك أمراً» (١٥).



رابعاً: زوجته وأولاده:

زوجة الإمام العسكري (عليه السلام) هي حفيدة قيصر الروم السيدة نرجس أو مليكة، من ذرية شمعون الصفا وصي عيسى (عليه السلام)، وقد أوصلها الله تعالى بقدرته إلى الإمام العسكري (عليه السلام) أسيرة من أرض الروم (١٦)، أما أولاده فلم يكن له سوى الإمام المهدي (عليه السلام)، ويدل على ذلك ما جاء عن الشيخ المفيد حيث قال: «أما الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) فلم يكن له ولد سوى صاحب الزمان (عليه السلام)، ولم يَخْلَفْ ولداً غيره ظاهراً أو باطناً» (١٧)، كما ذهب إلى ذلك ابن شهر آشوب حيث قال: «وولده القائم لا غيره» (١٨)، وهناك الكثير من النصوص والروايات الدالة على ذلك، لا يسع المقام لذكرها جميعاً (١٩).

خامساً: منزلته (عليه السلام):

حظي الإمام العسكري (عليه السلام) كسائر آبائه المعصومين (عليهم السلام) بمنزلة رفيعة ومكانة اجتماعية مرموقة، تتمثل بوافر من مظاهر التعظيم والتبجيل والاحترام التي يكتنّها له غالب من عاصره، بمن فيهم الذين خاصموه وناوؤه وسجنوه، وذلك للدرجات العالية من صفات الكمال ومعالي الأخلاق التي يتحلّى بها، من العبادة والعلم والحلم والزهد والكرم والشجاعة وغيرها من مظاهر العظمة التي ميزت شخصه الكريم (٢٠)، وقد اشتهر الإمام الحسن العسكري بأن أخلاقه كانت «كأخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان رجلاً أسمر حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن حدث السن، له جلاله وهيبه وهيئة حسنة، يعظمه العامة والخاصة اضطراباً، يعظمونه لفضله، ويقدمونه لعفافه وصيانتته وزهده وعبادته وصلاحه واصلاحه، وكان جليلاً نبيلاً فاضلاً كريماً يحمل الأثقال، ولا يتضعضع للنواب» (٢١).

وقد ذكر في مناقبه عليه السلام بأنه « السري بن السري، فلا يشك في إمامته أحد ولا تمتري، واعلم أنه متى بيعت مكرمة أو اشتريت فسواه بايعها وهو المشتري، يضرب في السورة والفخار بالقداح الفائزة، وإذا أجز كرم للشرف والمجد فاز بالجائزة، واحد زمانه غير مدافع، ونسيج وحده غير منازع، وسيد أهل عصره وامام أهل دهره، فالسعيد من وقف عند نهيه وأمره، فله العلاء الذي علا على النجوم الزاهرة، والمحتد الذي قرع العظماء عند المنافرة والمفاخرة، والمنصب الذي ملك به معادتي الدنيا والآخرة، فمن الذي يرجو اللحاق بهذه الخلال الفاخرة والمزايا الظاهر والأخلاق الشريفة الطاهرة، أقواله سديدة، وأفعاله رشيدة، سيرته حميدة، وعهوده في ذات الله وكيدة، فالخيرات منه قريبة والشرور عنه بعيدة» (٢٢).

وكان مولانا العسكري عليه السلام أنموذجاً عظيماً في طاعة الله وعبادته، فكان لا يشغله شيء عن عبادة الله عز وجل، ومن شدة ورعه وتقواه ونقاؤه كانت تلين له القلوب وتجذب إليه العقول، وقد تركت عبادته أثرها في الأشخاص المنحرفين البعيدين عن الدين كل البعد، فقد ذكر في أعلام الوري أنه: «عندما دخل العباسيون على صالح بن وصيف عندما حبس أبو محمد عليه السلام فقالوا له: ضيق عليه، فقال لهم صالح: ما أصنع به وقد وكلت به رجلين شر من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام على أمر عظيم، ثم أمر بإحضار الموكلين فقال لهما: ويحكمما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ فقالا: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة، وإذا نظرنا، إليه أرعدت فرائصنا ودخلنا ما لا نملكه من أنفسنا» (٢٣).



وجاء كذلك عن محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد، عن محمد بن إسماعيل العلوي قال: «حبس أبو محمد عند علي بن أوتامش، وكان شديد العداوة لآل محمد ﷺ، غليظاً على آل أبي طالب، وقيل له: إفعل به وافعل، قال: فما أقام إلا يوماً حتى وضع خديه له، وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً له وإعظاماً، وخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وأحسنهم فيه قولاً» (٢٤).

فكان ﷺ بسلوكه وتقواه وورعه وزهده وسخائه مدرسة حية لأتباعه تتبع بالدروس الإسلامية العظيمة، فقد جاء عن علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن الكردي، عن محمد بن علي ابن إبراهيم بن موسى بن جعفر، قال: ضاق بنا الأمر فقال لي أبي: «امض بنا حتى نصير إلى هذا الرجل يعني أبا محمد، فإنه قد وصف عنه سباحة، فقلت: تعرفه؟ فقال: ما أعرفه ولا رأيته قط، قال: فقصدناه فقال لي [أبي] وهو في طريقه: ما أخرجنا إلى أن يأمر لنا بخمسمائة درهم مائتا درهم للكسوة ومائتا درهم للدين ومائة للنفقة، فقلت في نفسي: ليتني أمر لي بثلاثمائة درهم، مائة أشتري بها حماراً ومائة للنفقة، ومائة للكسوة، وأخرج إلى الجبل، قال: فلما وافينا الباب خرج إلينا غلامه فقال: يدخل علي بن إبراهيم ومحمد ابنه، فلما دخلنا عليه وسلمنا قال لأبي: يا علي ما خلفك عنا إلى هذا الوقت؟ فقال: يا سيدي استحييت أن ألقاك على هذه الحال، فلما خرجنا من عنده جاءنا غلامه فناول أبي صرة فقال: هذه خمسمائة درهم، مائتان للكسوة، ومائتان للدين، ومائة للنفقة، وأعطاني صرة فقال: هذه ثلاثمائة درهم، اجعل مائة في ثمن حمار، ومائة للكسوة، ومائة للنفقة، ولا تخرج إلى الجبل، وصر إلى سورا فصار إلى سورا» (٢٥).

وَعَلَيْهِ فَتَلُكُ الشَّخْصِيَّةُ الْعَظِيمَةُ امْتَلَكْتَ الْمَنْزِلَةَ السَّامِيَّةَ وَالْهَيْبَةَ الْإِلَهِيَّةَ،
وَأَصْبَحَتْ فِيهَا كُلُّ الْخِصَالِ الرُّوحَانِيَّةِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ وَالكَرَمِ
وَنَحْوِهَا مِنْ الصِّفَاتِ الَّتِي اسْتَهْرَجَتْ بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ (عليه السلام).

المطلب الثاني: عطاؤه العلمي واستشهاده (عليه السلام):

أولاً: عطاؤه العلمي:

كان الإمام العسكري (عليه السلام) أعلم أهل زمانه، وقد بدت عليه مظاهر العلم والمعرفة منذ حداثة سنّه، واستطاع الإمام (عليه السلام) بعلمه الذي لا يحارى، وفكره الثاقب، ونظيره الصائب، أن يكشف الحقائق ويظهر الدقائق (٢٦)، فقد روى المؤرخون « أنه رآه بهلول، وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون، فظنّ أنه يتحسّر على ما في أيديهم، فقال: اشتري لك ما تلعب به؟ فقال: ما للعب خلّقنا، فقال له: فلماذا خلّقنا؟ قال: للعلم والعبادة، فقال له: من أين لك هذا؟ قال: من قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٧)، ثمّ وعظه بأبيات من الشعر حتى خرّ مغشياً عليه» (٢٨).

وعلى الرغم من إقصاء الإمام العسكري (عليه السلام) عن موقعه الريادي والقيادي، فقد استطاع أن ينهض بمهمته الرسالية، فكان له رصيد علمي وعطاء معرفي واسع على صعيد ترسيخ أصول الاعتقاد والأحكام والشرائع، والتصدي للدعوات المنحرفة والشبهات الباطلة (٢٩)، ومن شذرات علمه (عليه السلام) ما ورد عن أبي حمزة نصر الخادم قال: «سمعت أبا محمد (عليه السلام) غير مرة يكلم غلماناً بلغاتهم، وفيهم ترك، وروم وصقالبة، فتعجّبت من ذلك وقلت: هذا ولد بالمدينة ولم يظهر لأحد حتى مضى

أبو الحسن - أي الإمام الهادي عليه السلام - ولا رآه أحد فكيف هذا؟! أحدث نفسي بذلك، فأقبل عليّ وقال: إن الله جل اسمه بين حجته من ساير خلقه وأعطاه معرفة بكل شيء ويعطيه اللغات ومعرفة الأسباب والآجال والحوادث: ولولا ذلك لم يكن بين الحجة والمججوج فرق» (٣٠).

وفي رواية أخرى عن الشيخ المفيد، عن أبي القاسم جعفر بن محمد، عن محمد بن يعقوب عن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر، قال: «كتب أبو محمد عليه السلام إلى أبي القاسم إسحاق بن جعفر الزيري قبل موت المعتز بنحو عشرين يوماً، ألزم بيتك حتى يحدث الحادث، فلما قتل بريجة، كتبت إليه: قد حدث الحادث، فما تأمرني؟ فكتب إليه: ليس هذا الحادث، الحادث الآخر. فكان من المعتز ما كان» (٣١)، وهناك الكثير من العطاءات العلمية الواردة حول هذا المضمون لا يسع المقام لذكرها (٣٢).

ثانياً: استشهاد وموضع قبره:

سقي الإمام العسكري عليه السلام، وله من العمر ثمانية وعشرون سنة (٣٣)، واستشهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام «بسر من رأى يوم الجمعة مع صلاة الغداة، وقيل يوم الأربعاء» (٣٤)، و«قيل يوم الأحد في ٨ ربيع الأول، وقيل أول يوم منه سنة ٢٦٠ هـ، مرض في أوله وبقي مريضاً ثمانية أيام، وتوفي وعمره ٢٩ أو ٢٨ سنة أقام منها مع أبيه ٢٣ سنة وأشهرًا وبعد أبيه خمس سنين وشهورًا وقيل ثمانية أشهر و١٣ يوماً، وقيل ست سنين وهي مدة إمامته وخلافته وهي بقية ملك المعتز أشهرًا، ثم ملك المهدي ١١ شهرًا و ٢٨ يوماً وتوفي بعد مضي خمس سنين من ملك المعتمد، ودفن في داره بسامراء إلى جنب قبر أبيه» (٣٥).

المبحث الثاني: التربية الفقهية في فكر الإمام العسكري (عليه السلام) وأثرها في بناء الإنسان

سار الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) على الخطّ الي أسّسه أباه الكرام (عليهم السلام) وهو إنشاء جماعة صالحة تمثل خط أهل البيت (عليهم السلام) فقهياً وفكرياً وأخلاقياً وسلوكياً، ومن هذا المنطلق نتطرق في المطلب الأول إلى بيان أثر الفقه في تربية الإنسان وبناء فكره، في حين نتناول في المطلب الثاني المنهج التربوي الفقهي في فكر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

المطلب الأول: أثر الفقه في تربية الإنسان وبناء فكره:

يعد الفقه مجموعة تربوية متكاملة في بناء الإنسان وتطوير فكره، فالشريعة الإسلامية جاءت لبناء وتطوير الفرد، لكونها شريعة إلهية حقّة، خاتمة الشرائع وأكملها وأوفقها في سعادة البشر، وأجمعها لمصالحهم في دنياهم وآخرتهم، فهي صالحة للبقاء على مدى الدهور والعصور، لا تتغيّر ولا تبدّل، وجامعة لجميع ما يحتاجه البشر من كافة النواحي، سواء كانت الفردية أو الاجتماعية أو السياسية، ولو طبّقت الشريعة الإسلامية بقوانينها الجامعة في الأرض تطبيقاً كاملاً صحيحاً لعمّ السلام بين البشر وتمت السعادة لهم، وبلغوا أقصى ما يحلم به الإنسان من الرفاه والسعة والعزّة، ولزال الفقر والظلم من صفحة الوجود، وسادت المحبّة والإخاء بين المسلمين جميعاً (٣٦).

وعلم الفقه بدوره منهج تربوي متكامل المراحل، وطريق مستقيم واضح المعالم، يعدّ هو الأساس لفهم الشريعة الإسلامية وتطبيقها للوصول إلى الكمال الإنساني في مختلف شؤون الحياة، فهو مرتبط بالإنسان ارتباطاً

كلياً، إذ من خلاله يعرف الإنسان أوامر الله تعالى ونواهيه، وعبادة الله تعالى لا تنحصر في الطقوس والممارسات التي تتعلق بحياة الإنسان كفردٍ مستقلٍّ بذاته، بل هي تشمل الحياة الفردية والحياة الاجتماعية والاقتصادية ونحوها، فالفقه يُنظم علاقة الفرد مع الله تعالى وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع الآخرين^(٣٧)، وما اشتمل عليه من عبادات ومعاملات وأحكام، جميعها جاءت لتزكية النفس والبدن والمال والعرض، وتنمية للروح وتطويراً للإرادة، فهي بمثابة معراج تتدرّج به النفس البشرية نحو السمو والرفعة، فالإسلام جعل لكل فعلٍ عبادي أثراً إصلاحياً على صحّة الجسم وعلى النفس وعلى الأخلاق، فالطهارة، والصوم، والصلاة، والزكاة والخمس، والحج، والجهاد والامر بالمعروف.. وغيرها، كلها عبادات ذات مردودٍ إصلاحٍ على الفرد، جسداً وروحاً، فضلاً عن أثرها الإصلاحي على المجتمع^(٣٨).

فقد جعل الإسلام الصلاة تنزيهاً للإنسان من الكبرياء والتعالي، وغرساً لفضيلة التواضع والحب للآخرين، إضافة لذلك هي لقاء مع الله تعالى للاستغفار والاستقالة من الذنوب والآثام، وشحذاً لهمة النفس وقيادتها في طريق التسامي والصعود، فالصلاة بهيئتها المحددة في الإسلام، أي الحركات والأذكار المخصوصة تدعو المصلّي بصورة طبيعية إلى الابتعاد عن الذنب والرذيلة، وهذه الدعوة المستمرة لها القدرة على إنقاذ أيّ كان من المستنقعات المظلمة، فالصلاة تُحيي في المصلّي روح العبودية والخضوع أمام ساحة الباري وتزرع في قلب وروح المصلّي تلك السكينة وذلك الاطمئنان اللذين يعتبران الشرطين الأساسيين للنجاح في جميع ميادين الحياة، وتبعد عنه التزلزل والاضطراب اللذين يعتبران مانعاً كبيراً في طريق السعي الجاد في التربية الأخلاقية والسلوكية^(٣٩).



أما العبادات الأخرى كالصوم مثلاً فلها أثرها أيضاً في تزكية وتهذيب النفس، فالصوم عبادة مهمة وقيّمة إذا أدي بشروطه الخاصة وبالكيفية التي شرعها الشارع الإسلامي المقدس، فالصوم له أثر كبير في مرحلة تخلية النفس من الذنوب والأخلاق السيئة، وتجهيزها للتكامل والتحلية، والاستفاضة من الإشراقات الإلهية، فالصائم يروض نفسه الأمّارة من خلال ترك الذنوب ويجعلها تحت سيطرته، وإضافة إلى ما يحصل في هذه المرحلة من تطهير للنفس من الذنوب والمعاصي، فإنه وبالامتناع عن اللذائذ المشروعة مثل الأكل والشرب، ومن خلال غض البصر يعطي لنفسه الصفاء والنورانية^(٤٠)، وأما في العبادات المالية كالخمس والزكاة والتي تعدّ نوعاً من الضرائب على الإنتاج والأرباح وعلى الأموال الراكدة، والتي قد أولاهما الإسلام اهتماماً خاصاً حتى أنّه اعتبرها من أهم العبادات، وقد ذكرت جنباً إلى جنب مع الصلاة في كثير من الموارد، بل إنّها اعتبرها شرطاً لقبول الصلاة، فالإسلام ظهر إلى الوجود كدين وقانونٍ كاملٍ وشاملٍ عولجت فيه كل الحاجات المادية والمعنوية^(٤١).

وحتى يكون لهذه العبادات أثرها على ذات الفرد وعلى المجتمع، يجب أن تكون بتعقل وتفكر، فكثرة العبادة بدون العلم بشرائطها وكيفيةها وأحكامها وآثارها، فهذه ليست بعبادة، وكذلك بدون التفكير في معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة أئمة الهدى لاتعد عبادة صادقة^(٤٢)، فالإنسان الذي يعبد الله تعالى بعقله وفكره سيعرف الطريق الصحيح لهذه العبادات التي ستؤتي نتائجها في سلوكه وأخلاقه وفي كافة جوانب حياته، فقد ورد عن مولانا الإمام العسكري (عليه السلام) بقوله: «ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكير في أمر الله»^(٤٣).

وإضافة إلى أحكام العبادات وما لها من أثر في بناء الفرد، كذلك هناك أحكام المعاملات من العقود والايقات، والتي تهدف إلى إقامة العدل والقسط ومنع الارتباب، والابتعاد عن الغش والغبن والغرر وصيانة الحقوق سواء كانت مادية أو معنوية، ولا يمكن أن تحصل هذه الآثار العظيمة، إلا من خلال التفقه في الدين، فالتفقه في الدين، ومعرفة أحكام الشريعة من البرامج المكّملة لشخصية الفرد المسلم^(٤٤)، لأنها السبب في تنظيم علاقاته الاجتماعية، والسبب في توازن سلوك الشخص واستقامته فكرياً وأخلاقياً وتربوياً^(٤٥)، ومن هذا المنطلق أكد الإمام العسكري عليه السلام على ضرورة التفقه في الدين، فقد جاء في نسخة توقيع ورد عنه عليه السلام إلى علي بن الحسين بن بابويه القمي: «أمّا بعد أوصيك بتقوى الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر..»^(٤٦).

المطلب الثاني: المنهج التربوي الفقهي في فكر الامام الحسن العسكري عليه السلام:

أكمل الإمام العسكري عليه السلام الدور الموكل إليه والمناطق به في هذه المرحلة المهمة من تاريخ الرسالة الإسلامية، فقد أنشأ مدرسة علمية كان لها الدور الأكبر في حفظ ونقل تراث أهل البيت عليه السلام، ومن ثم كان لها دور في نشر فكرة الغيبة وتهيئة الذهنية العامة لتقبلها^(٤٧)، كذلك ساهمت بتربية ثلة من الفقهاء والرواة والمحدثين تربية علمية وفق قيم الشريعة الإسلامية ليقوموا بنشر علوم مدرسة أهل البيت عليه السلام وتدريبهم على مواجهة الأحداث المستقبلية التي ستعصف بالشيعة في زمن غيبة المعصوم، وتكون بذلك قد استوفت كل متطلبات المدرسة العلمية ومستلزمات التشريع الإسلامي لأتباعها من

الشيعة خاصة والمسلمين عامة، وذلك من حيث وضع المنهج وتوفير المادة وتكوين الرجال^(٤٨)، وعلى ضوء ما تقدم نشير إلى أهم الخطوات المنهجية التي أتبعها الإمام العسكري عليه السلام في تربية أصحابه وتلامذته:

١- تحديد معالم وصفات الفقهاء:

بين الإمام العسكري عليه السلام أهم معالم وصفات الفقيه الذي يجوز الرجوع إليه في مدرسة أهل البيت عليه السلام، فقد ذكر عليه السلام الصفات الأخلاقية والدينية للفقيه، إلى جانب الصفات العلمية المفروغ من توفرها فيه كالفقاهة والاجتهاد ونحوها، فعلى الناس أن يتحروا عن هذه الصفات ولا يكتفوا بالشهرة العلمية^(٤٩)، وذلك لأن المرجعية الدينية تتحمل مسؤولية قيادة المؤمنين في شؤونهم الدينية بالمعنى الشامل لما يتعلق بالحياة الدنيا وما يرتبط بالآخرة، وتعد مرجعية الفقهاء من أهم نقاط القوة والحيوية لدى أتباع مذهب أهل البيت عليه السلام، فالفقيه المؤهل للمرجعية يعدّ نائباً عاماً عن الإمام المعصوم، فتقع عليه كافة المسؤوليات القيادية العامة التي وضعها الله للإمامة تجاه الناس، فعلى الفقيه أن يكون عادلاً ورعاً تقياً بعيداً عن الإغراءات الدنيوية، ولا يخضع لضغط الشهوات والجبت والطاغوت، لذلك فهو يبحث دائماً عن مرضاة الله ورسوله والأئمة المعصومين عليه السلام، ويسعى لتحقيق مصالح الناس وتوفير الخير والأمن والتقدم لهم^(٥٠)، ومن هنا نذكر ما جاء عن الإمام العسكري عليه السلام بقوله: «... فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَانِتاً لِنَفْسِهِ، حَافِظاً لِدِينِهِ، مُحَالِفاً لِهَوَاهُ، مُطِيعاً لِأَمْرِ مَوْلَاهُ فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يُقْلَدُوهُ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي بَعْضِ فُقَهَاءِ الشَّيْعَةِ لَا جَمِيعِهِمْ، فَإِنَّ مَنْ رَكِبَ مِنَ الْقَبَائِحِ وَالْفَوَاحِشِ - مَرَائِبَ فَسَقَةِ فُقَهَاءِ الْعَامَّةِ فَلَا تَقْبَلُوا مِنْهُمْ عَنَا شَيْئاً، وَلَا كَرَامَةً لَهُمْ... »^(٥١).



ففي الحديث الشريف نقاط مهمة أشار إليها الإمام العسكري عليه السلام
 فصيانه النفس، والمحافظة على الدين، ومخالفة الهوى شرط أساس لتنفيذ
 الحكم والعمل بالفتوى، ولو أن رجلاً بلغ من العلم ما بلغ، ولم يكن
 على هذا الوصف لا ينفذ له قضاء، ولا تسمع له فتوى ولا يؤتمن على
 فتيل لقاصر أو غائب^(٥٢)، ونظراً لأهمية المرجعية، وما يكنّه المسلمون من
 احترام وتقدير كبيرين للشخص الذي يقوم بأعباء هذا المنصب ولا يجوز
 الرجوع بالتقليد إلى أولئك الذين يتهافتون على متع الحياة، ويتهاكون على
 الزعامة والشهرة والظهور متجاوزين في ذلك الوسائل والطرق المشروعة،
 فإنّ اختيار أمثال هؤلاء لمثل هذه المسؤولية الإسلامية الخطيرة قد يؤدي
 إلى تعريض هذا المنصب لأخطار الانزلاق^(٥٣).

كذلك على الفقيه أن يكون عارفاً بزمانه، مواكباً لعصره، يفهم مشاكل
 الناس وتعقيدات الحياة، ويستوعب كل متطلبات العصر ومستجداته،
 ويعمل لبناء مشروع حضاريّ مستلهم من مبادئ الوحي وأصول
 الشريعة،، كذلك يواجه تيارات الانحراف الفكري والعقائدي في الأمة،
 سواء تلك التي تهاجم الفكر والعقيدة بالاستناد إلى الأفكار البائدة، أو
 تلك التي توجه سهامها من منصّات الفكر المادي الجديد^(٥٤).

وعليه فإنّ «الأساس والمرتكز الذي تقوم عليه فكرة إرجاع الأمة
 إلى الفقهاء العدول هو أن الأجيال المسلمة تحتاج باستمرار إلى المرشد
 والموجه والمفكر المدبر كي يعطيهم تعاليم دينهم ويرتفع بمستوى
 إيمانهم وعقيدتهم ويشرح لهم إسلامهم ويوجههم في سلوكهم إلى العدل
 والصلاح ورضا الله عز وجل»^(٥٥).

A vertical decorative separator featuring a central band with geometric patterns and calligraphic text. The text includes "سُبْحَانَكَ يَا وَهَّابُ", "الْبَيْتُ وَالْأَمَامَةُ يَدُورَانِ", and "الْبَيْتُ وَالْأَمَامَةُ يَدُورَانِ". The number "١٩٠" is at the bottom.

19.

جاء عن علي بن محمد ومحمد بن أبي عبد الله، عن إسحاق بن محمد النخعي قال: حدثني سفيان بن محمد الضبعي قال: « كتبت إلى أبي محمد أسأله عن الوليعة، وهو قول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ ^(٥٩)، قلت في نفسي - لا في كتاب - من ترى المؤمنين ههنا؟ فرجع الجواب الوليعة الذي يقام دون ولي الأمر، وحدثك نفسك عن المؤمنين من هم في هذا الموضع؟ فهم الأئمة الذين يؤمنون على الله فيجيز أمانهم » ^(٦٠).

كذلك أكدت مدرسة أهل البيت عليهم السلام على ضرورة الرجوع في تعلّم العلوم الشرعية وأخذ الفتوى إلى الإمام المعصوم إن أمكن، وكان أصحاب الإمام العسكري عليه السلام يرجعون إليه بأخذ الفتوى في الأحكام الشرعية، وقد وردت الكثير من الروايات الدالة على ذلك، منها ما جاء عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار قال: « كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله هل يصلي في قلنسوة حرير محض أو قلنسوة ديباج؟ فكتب عليه السلام: لا تحل الصلاة في حرير محض » ^(٦١)، فكان العلماء في عصر الإمام العسكري عليه السلام يسألون ويراسلون الإمام فيما تأتيهم من مسائل غامضة، فيأتيهم الجواب المختوم بتوقيعه ^(٦٢)، وإذا تعذر الرجوع إلى الأئمة عليهم السلام يتم الرجوع إلى الفقهاء الثقات، وقد أشار إلى ذلك الإمام الصادق عليه السلام فقد روي عن حمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن عيسى، عن صفوان، عن داود بن الحصين، عن عمر بن حنظلة قال: « سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحل ذلك؟ فقال: من تحاكم إلى الطاغوت فحكم له فإنما يأخذ سحتا وإن كان حقه ثابتا لأنه أخذ بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به، قلت: كيف يصنعان؟ قال: انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في

حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً»^(٦٣)، كذلك من النقاط المهمة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام يجب أن يكون الإفتاء بنص الرواية أو بتطبيق القاعدة المستخلصة من الرواية^(٦٤).

٣- الحرص على حماية شيعته وأتباعه:

انتهج الإمام الحسن العسكري عليه السلام نهج آبائه في المحافظة على شيعته وأتباعه الذين يمثلون خط الجماعة الصالحة في المجتمع الاسلامي، وقد شدد الإمام العسكري عليه السلام دعوته إلى الكتمان وعدم الإذاعة والحذر في التعامل مع الآخرين، والتشدد في نقل الأخبار والوصايا عنه ونقل أوامره إلى أصحابه ونقل أخبارهم إليه، فإن أتباعه قد انتشروا في أقطار الدولة الاسلامية في عصره عليه السلام بعد أن أخذ التشيع طابع المعارضة واتسعت دائرته تحت راية أهل البيت عليهم السلام وكثيراً ما كانت تصدر عنه عليهم السلام التحذيرات المهمة لهم تجاه الفتن والابتلاءات المستقبلية تحجباً لهم من الوقوع في شرك السلطة وحفظاً لهم من مكائدها^(٦٥)، فعن محمد بن عبد العزيز البلخي قال: «أصبحت يوماً فجلست في شارع الغنم فإذا بأبي محمد أقبل من منزله يريد دار العائمة، فقلت في نفسي: ترى إن صحت: أيها الناس هذا حجة الله عليكم فاعرفوه، يقتلونني؟ فلما دنا مني أوماً بإصبعه السبابة على فيه: أن اسكت، ورأيت تلك الليلة يقول: إنما هو الكتمان أو القتل، فاتق الله على نفسك»^(٦٦)، كذلك جاء عن علي بن جعفر عن أحد أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقال: «اجتمعنا بالعسكر - أي سامراء - وقد صرنا لأبي محمد عليه السلام يوم ركوبه فخرج توقيعه: لا يسلمن علي أحد، ولا يشير إلي بيده، ولا يومئ، فإنكم لا تأمنون على أنفسكم»^(٦٧).

ويتضح من الروايات المتقدمة أن الإمام (عليه السلام) كشف عن نيّة أحد أصحابه لمعرفته بما في دخيلة نفسه، ومنعه من التحدث بما عزم عليه من إظهار أمر الإمام (عليه السلام)، كذلك كشف عن حراجة الظروف التي كانت تحيط بالإمام (عليه السلام) وأصحابه ومحاولة السلطة للتعرف عليهم لتطويق عملهم، واتضح لنا من النص المتقدم أن استغلال الإمام (عليه السلام) للمناسبات المختلفة لتحذير أصحابه من الإفصاح عن أنفسهم وإظهار علاقتهم بالإمام، هو أحد أساليب عمله المنظم والمحاط بالسرية التامة (٦٨).

وقد ابتكر الإمام (عليه السلام) أساليب جديدة في إيصال أوامره ووصاياه الى شيعته، فقد روى أبو هاشم الجعفري عن داود بن الأسود قال: «دعاني سيدي أبو محمد الحسن العسكري (عليه السلام) فدفع لي خشبة، كأنها رجل باب مدوّرة طويلة ملء الكف فقال (عليه السلام): صر بهذه الخشبة إلى العمري فمضيت إلى بعض الطريق فعرض لي سقاء معه بغل، فزاحمني البغل على الطريق ... فضربت البغل فانشقت - الخشبة - فنظرت إلى كسرهما فإذا فيها كتب، فبادرت سريعاً فرددت الخشبة إلى كمّي فجعل السقاء يناديني ويشتمني، ويشتم صاحبي فلما دنوت من الدار راجعا استقبلني عيسى الخادم عند الباب الثاني، فقال: يقول لك مولاي: لم ضربت البغل وكسرت رجل الباب؟ فقلت: يا سيدي لم أعلم ما في رجل الباب، فقال (عليه السلام): ولم احتجت أن تعمل عملاً تحتاج أن تعتذر منه، إياك بعدها أن تعود إلى مثلها، وإذا سمعت لنا شأنًا فامض لسبيلك التي أمرت بها، وإياك أن تجاوب من يشتمنا، أو تعرّفه من أنت، فإننا في بلد سوء، ومصر سوء وامض في طريقك فإن أخبارك وأحوالك ترد إلينا فاعلم ذلك» (٦٩).

ويتضح من الرواية دلالات كثيرة ومهمة في مجال العمل المنظم، كما أنّه يعكس السرية التامة في العمل من جهة الإمام وأصحابه المقرّبين من أجل تجاوز ما يثيره الظرف من إشكالات تجاه العاملين، لذا نجد الإمام عليه السلام يمنع رسوله من التعرّض لأيّ أمر يمكن من خلاله أن تكشف هويته وشخصيته وصلته بالإمام عليه السلام حتى لو شتمه أحد أو ربما يسبّ الإمام عليه السلام أمامه، فعليه أن يغضّ الطرف وكأنه ليس هو المقصود، ويتضح كذلك من هذه الروايات أن الظروف الصعبة والقاهرة التي عاشها الإمام عليه السلام وأصحابه هي التي ألجأته إلى اتخاذ السرية والكتمان الشديد في تعامله مع قواعده الشعبية، وبالتالي فهي الطريق الأصوب إلى تربية شيعة ومواليه وتهيئة قواعده لعصر الغيبة الصغرى والتي سوف يتم اتصال الشيعة خلالها بالإمام المهدي عليه السلام عن طريق وكيل له، حيث لا يتيسّر الاتصال المباشر به ولا يكون الالتقاء به ممكناً وعملياً وذلك لما كانت السلطة العباسية قد فرضته من رقابة شديدة على الشيعة لمعرفة محلّ اختفاء الإمام المهدي عليه السلام (٧٠).

٤- العمل بأسلوب المكاتبة والمراسلة:

إن المتتبع لحياة الإمامين العسكريين عليه السلام يرى إن المكاتبة والتواقيع قد اتخذت حيزاً واسعاً من مساحة تراثهما، كما يتبين له دورها في تعميق الوعي الاسلامي الأصيل، وتعزيز مبادئ مدرسة أهل البيت عليه السلام، والتمهيد لغيبة ولده الحجة عليه السلام من بعده، فضلاً عن المزيد من المكاتبات المتعلقة بالأبواب الفقهية والمسائل الشرعية المبثوثة في كتب الفقه والمجاميع الحديثية، وكان للوكلاء دور رئيس في إيصالها من وإلى الإمام عليه السلام، واستطاع الإمام العسكري عليه السلام أن يكسر بعض حاجز الحصار والاحتجاب القسري

بالمكاتبة والوكلاء، وأتاح له هذا الأسلوب أن يمهد ذهنية شيعته كي تتقبل أمر الغيبة دون مضاعفات وتداعيات قد تكون غير محمودة لولا هذا التمهيد^(٧١).

وبالمقابل كان أصحابه يتفانون لأجل اللقاء به، فإذا حظي أحدهم بذلك، لم تطب نفسه أن يفوته حديثه ولو أضناه العطش، فقد روى ابن شهر آشوب عن أبي العباس محمد بن القاسم قال: «عطشت عند أبي محمد عليه السلام، ولم تطب نفسي أن يفوتني حديثه، وصبرت على العطش وهو يتحدث، فقطع الكلام وقال: يا غلام أسق أبا العباس ماءً»^(٧٢).

وكان أصحابه يدققون في معرفة خطئه عليه السلام لتفادي حالة الوضع والتزوير فيطلبون منه عليه السلام أن يكتب لهم نموذجاً من خطه، ومنهم أحمد بن إسحاق الأشعري القمي، وكان من خاصته وثقاته، ومُوفد القميين إلى الإمام عليه السلام فقد قال: «دخلت على أبي محمد عليه السلام فسألته أن يكتب لأنظر إلى خطه فأعرفه إذا ورد، فقال: نعم، ثم قال: يا أحمد، إنّ الخط سيختلف عليك ما بين القلم الغليظ والقلم الدقيق فلا تشكن، ثم دعا بالدواة..»^(٧٣).

وكانوا يدفعون كتبهم وما يجب عليهم من الأموال إلى الوكلاء الذين يغطّون على عملهم بمختلف الوسائل، فكان «أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري يجعلها في جراب السمن وزقاه ويحملها إلى الإمام العسكري عليه السلام تقيّة وخوفاً، وقد قيل له السمن لأنه كان يتجر في السمن تغطيه على هذا الأمر»^(٧٤).

وعليه فقد مارس الإمام عليه السلام دور التربية والتوجيه والأعداد الخاصة أصحابه وقاعدته المؤمنة بمرجعيتهم الفكرية والروحية، لتحسينهم والحفاظ عليهم والحرص على سلامتهم في أداء هذه المهمة الرسالية^(٧٥).

٥- تعزيز نظام الوكلاء:

بادر الأئمة عليهم السلام إلى تعيين الوكلاء المعتمدين لهم في مختلف المناطق، وأرجعوا إليهم أتباعهم، وكانت لهم أدوار مختلفة مثل بيان الأحكام الشرعية والنصائح والتوجيهات الأخلاقية واستلام الأموال والحقوق الشرعية وحل النزاعات ونحوها من الوظائف الأخرى ^(٧٦)، وينبغي الإشارة إلى أن الإمام العسكري عليه السلام ليس أول من سنّ هذا النظام وإنما كان موجوداً في زمان أبيه الإمام الهادي عليه السلام وما قبله، وكان ذلك أحد الطرق الرئيسية لاتصالهم عليهم السلام بقواعدهم الشعبية وقضايتهم لحوائجهم، واتصال القواعد الشعبية بهم، وإرسال الأموال، والحقوق الإسلامية إليهم ^(٧٧)، «وبفضل هذا النظام والعناصر الفاعلة فيه أصبح الانتقال إلى عصر غيبة الإمام المهدي عليه السلام ميسوراً، وقلّت المخاطر الناشئة من ظاهرة الغيبة للإمام المعصوم إلى حدّ كان نظام الوكلاء بكل خصائصه قد تطوّر إلى نظام النيابة الخاصة في عصر الغيبة الصغرى فكان السفير هو النائب الخاص الذي يقوم بدور الإمام الموجه لمجموعة الوكلاء، وهو الذي يقوم بدور الوساطة بين الإمام والوكلاء وبين الإمام وأتباع الإمام عبر هؤلاء الوكلاء» ^(٧٨)، ومن بين وكلاء الإمام العسكري عليه السلام إبراهيم بن عبدة النيسابوري، وأيوب بن نوح بن دراج النخعي، وجعفر بن سهيل الصيقل، وحفص بن عمرو العمري المعروف بالجمال، وعلي بن جعفر الهمامي البركمي ومنهم أيضاً محمد بن أحمد بن جعفر القمي، ومحمد بن صالح بن محمد الهمداني وغيرهم ^(٧٩).

وبذلك يتضح أنّ عصر الإمام العسكري عليه السلام هو نقطة الانتقال من عصر الحضور إلى عصر الغيبة، مما يستدعي الاعتماد على الوكلاء، ويستدعي إحكام



نظامهم وكثرة مهامهم واتساع دائرة نشاطهم مما يمهد لهذه الفترة^(٨٠)، ويعتبر نظام الوكلاء أحد عوامل التحصين الأمني للجماعة الصالحة في عصر الإمام بالنسبة للإمام وبالنسبة لأتباعه أيضاً، وإضافة لهذه المهمة الكبيرة يساهم نظام الوكلاء أيضاً في التحصين الاقتصادي والقضائي والسياسي للجماعة الصالحة، فهو جهاز حسّاس ومهم للغاية، وهذا هو السبب في اهتمام الأئمة عليهم السلام به وسعيهم المتواصل لتطويره والسهر على صيانتها من عوامل الضعف والانهدام^(٨١).

٦. العمل بمبدأ التوجيه والإرشاد ورد الانحرافات ومواجهتها:

الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أعدّهم الله ورسوله لتربية أبناء الأمة وانتشالهم من الانحراف عبر التوجيه والإرشاد، وتبقى الاستجابة لهدايتهم هي السبب الأعمق لتأثيرها وفعاليتها في كل فرد، وحين يصبح الانحراف خطأً منظماً وفاعلاً في المجتمع الإسلامي ينبغي مواجهته بالإدانة وبتفتيت عناصره وقواه الفاعلة ومحاولة إرجاع العناصر المضللة التي تبغي الحق في عمق وجودها وإن حادت عنه^(٨٢).

واستطاع الإمام العسكري عليه السلام أن ينهض بمهمته العلمية، فكان عليه السلام يُتابع بدقة ما يجري في الساحة الفكرية، فكان يلاحق الأفكار التي تطرح هنا وهناك في مواجهة الفكر الإسلامي، فكان يواجهها بالحجة والأسلوب العلمي والجدل الموضوعي^(٨٣)، ومن ذلك ما نقله ابن شهر آشوب عن «أبو القاسم الكوفي أن إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه أخذ في تأليف تناقض القرآن، وشغل نفسه. بذلك، وتفرد به في منزله، وأن بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري فقال له أبو محمد عليه السلام: «أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي



عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟ فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره، فقال له أبو محمد عليه السلام: أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم، قال عليه السلام: فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل: قد حضرني مسألة أسألك عنها، فإنه يستدعي ذلك منك فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟ فإنه سيقول لك أنه من الجائز لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فيكون واضعاً لغير معانيه، فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة فقال له: أعد عليّ، فأعاد عليه فتفكر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر فقال: أقسمت إليك إلا أخبرتني من أين لك؟ فقال: إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال: كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرّفتني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمد عليه السلام فقال: الآن جئت به وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت؛ ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه» ^(٨٤).

ويتضح من الرواية عدة دلالات منها، «أنك عندما تريد أن تحاور إنساناً وتجادله، فلا يكن العنف سبيلك إلى ذلك، ولا يكن القلب القاسي وسيلتك إلى الانفتاح عليه، بل حاول أن تتلطف به أولاً وأن تؤانسه ثانياً، والأسلوب الذي اتبعه الإمام عليه السلام في مخاطبة هذا العالم هو الانفتاح على علمه وتفكيره، حيث ألقى إليه الفكرة على سبيل الاحتمال ليدفعه إلى التأمل، وإن قول الكندي: (لقد علمت أنه لا يخرج هذا إلا من أهل هذا

البيت)، يدلّ على الثقة العلمية العالية التي كان يحملها الكندي في علم أهل البيت، مما يوحي أنهم كانوا قد بلغوا القمة في العلم حتى خضع الآخرون لعلمهم، واعترفوا بهذا المستوى الكبير من الثقافة»^(٨٥).

وإضافة لما تقدم فالإمام العسكري عليه السلام له مواقف إرشادية وتوجيهية كثيرة لبعض أتباع الفرق الضالّة، فقد نجده صارماً مع رموز بعض هذه الفرق، وجاداً في التحذير منهم لعزلهم والحيلولة دون تأثيرهم في القاعدة الشعبية التي تدين بالولاء لأهل البيت عليه السلام^(٨٦)، وهناك الكثير من الروايات الواردة حول مواجهة الإمام لهذه الفرق من المفوضة والواقفة ونحوها^(٨٧)، كذلك ارشاد المنحرفين والمشككين وإرجاعهم إلى الطريق الصحيح، فقد روي عن علي بن جعفر، عن حليبي قال: «اجتمعنا بالعسكر وترصدنا لأبي محمد عليه السلام يوم ركوبه، فخرج توقيعه: ألا لا يسلمن علي أحد، ولا يشير إلي بيده ولا يومئ فإنكم لا تؤمنون على أنفسكم، قال: وإلى جانبي شاب فقلت: من أين أنت؟ قال من المدينة، قلت: ما تصنع هنا؟ قال: اختلفوا عندنا في أبي محمد عليه السلام فجئت لأراه وأسمع منه أو أرى منه دلالة ليسكن قلبي وإني لولد أبي ذر الغفاري، فبينما نحن كذلك إذ خرج أبو محمد عليه السلام مع خادم له فلما حاذانا نظر إلى الشاب الذي بجنبي، فقال: أغفاري أنت؟ قال: نعم، قال: ما فعلت أمك حمدوية، فقال: صالحة، ومرر فقلت للشاب: أكنت رأيته قط وعرفته بوجهه قبل اليوم؟ قال: لا، قلت: فينفعك هذا؟ قال: ودون هذا»^(٨٨).

وهذا عطاء فكري يدخل في إطار التأثير بالسيرة العملية للإمام العسكري عليه السلام المتمثلة بسمو الاخلاق وحسن السمات والهدي والصلاح، ممّاله الأثر في هداية واستبصار المترددين والمخالفين، وإخراجهم من ظلمات الجهل، والضلال إلى نور العلم وصراط الهداية.

٧- تربيتهم على التأليف الفقهي والروائي:

أيد الإمام العسكري (عليه السلام) جملة من الكتب الفقهية والأصول الروائية التي جمعت في عصره أو قبل عصره، وشكر مساعي أصحابها، وبذلك يكون قد أعطى للمدرسة الفقهية تركيزاً واهتماماً يشير إلى الخط الفقهي المستقبلي الذي يجب على القاعدة الشعبية أن تسير عليه ^(٨٩)، ونشير إلى بعض الكتب التي أيدها الإمام العسكري نحو كتاب يونس بن عبد الرحمن يوم وليلة، فقد روي عن أبي بصير حماد بن عبد الله بن أسيد الهروي، عن داود بن القاسم، أن أبا جعفر الجعفري قال: «أدخلت كتاب يوم وليلة الذي ألفه يونس بن عبد الرحمن على أبي الحسن العسكري (عليه السلام) فنظر فيه وتصفحته كله ثم قال: هذا ديني ودين آبائي وهو الحق كله» ^(٩٠)، وكذلك كتاب أحمد بن عبد الله بن خانبه، فقد روى السيد بن طاوس، بسند صحيح عن سعد بن عبد الله أنه قال: «عرض أحمد بن عبد الله بن خانبه كتابه على مولانا أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) فقرأه وقال: صحيح فاعملوا به» ^(٩١).

واضافة لما تقدم، فقد ترك الإمام العسكري (عليه السلام) تراثاً فقهياً عظيماً في أغلب أبواب الفقه الإسلامي، رغم قلة الروايات المنقولة عنه (عليه السلام)؛ وذلك يرجع لأمرين، هما قصر عمره الشريف حيث استشهد وعمره ٢٨ عاماً، مضافاً إلى إبقائه تحت الرقابة الشديدة، كما هو معروف تاريخياً ^(٩٢)، فكان التركيز على أحكام العبادات بما لها من أهمية عظيمة في تربية الفرد المسلم مما يعكس اهتمام أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الجانب، فكان لكتاب الطهارة تسع روايات، وكتاب الصلاة ثلاث عشرة رواية، وكتاب الزكاة روايتان، وكتاب الخمس أربع روايات، وكتاب الصوم

ثلاث روايات، وكتاب الحج ثلاث روايات، وكتاب الجهاد رواية واحدة، أما روايات العقود فكان عددها تسعاً وعشرين رواية، أما ما يخص روايات الايقاعات فكان عددها ثلاث روايات، وروايات الأحكام فقد كان نصيبها من البحث ثمان عشرة رواية^(٩٣).

وبهذا تكون مدرسة الإمام العسكري عليه السلام قد وفرت كل متطلبات إحياء الشريعة الإسلامية وديمومتها واستمرارها حتى في عصر الغيبة، وهيأت للمسلمين كل مقدمات البناء العقلي والفكري والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وأعطتهم الزخم اللازم للاستمرار في مواجهة الباطل الذي يترصد بالحق في كل زمان ومكان، وذلك من خلال تربية الفقهاء الأمناء على المنهج العلمي المستقيم الذي رسمه الإمام العسكري عليه السلام معالمه وتفصيله بالتدرج، ليكون منهجاً واضحاً لشيئته للسير عليه، ليشمل بذلك كل مبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية وما تدعو إليه من خلق رفيع، وحسن تعامل مع الناس سواء كانوا موافقين لشيئته في المبدأ أو مخالفين لهم^(٩٤).

الخاتمة

بعد الوصول إلى نهاية المطاف نذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والتي يمكن إيجازها بالآتي:

١- يعد الفقه منهجاً تربوياً إسلامياً متكامل المراحل، وطريقاً مستقيماً واضح المعالم، فالتفقه في الدين ومعرفة أحكام الشريعة وتطبيقها من البرامج المكتملة لشخصية الفرد والتي تسمو به إلى الكمال الإنساني.

٢- شكّل عهد الإمام العسكري (عليه السلام) حلقة وصل بين عصر حضور المعصوم وبين عصر الغيبة المهدوية.

٣- بالرغم من كون عصر الإمام العسكري (عليه السلام) من أقسى العصور التي مرت، إلا أنه (عليه السلام) أكمل الدور الموكل إليه والمناط به في هذه المرحلة المهمة من تاريخ الرسالة الإسلامية.

٤- بين الإمام العسكري (عليه السلام) أهم معالم وصفات الفقيه الذي يجوز الرجوع إليه في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، لأن المرجعية الدينية تتحمّل مسؤولية قيادة المؤمنين في شؤونهم الدينية بالمعنى الشامل لما يتعلق بالحياة الدنيا وما يرتبط بالآخرة.

٥- ربى الإمام العسكري (عليه السلام) جيلاً من الفقهاء العدول والرواة الثقات الذين يمثلون خط الجماعة الصالحة، من خلال توجيههم وتسليحهم بالفقه والمعارف الإسلامية، تمهيداً لعصر الغيبة، ليقوموا بترية وتوجيه المجتمع وصيانته من الانحرافات الفكرية والعقائدية.

٦- أخذت المكاتب والتواقيع حيزاً واسعاً في عصر الإمام العسكري (عليه السلام) تمهيداً للذهنية شيعة في عصر الغيبة.

٧- واجه الإمام العسكري (عليه السلام) التيارات الفكرية المختلفة معتمداً على الأسلوب العلمي والجدل الموضوعي، مما كان له الأثر في هداية واستبصار المترددين والمخالفين، وإخراجهم من ظلمات الجهل، والضلال إلى نور العلم والهداية.

٨- شجع الإمام العسكري (عليه السلام) أصحابه وتلامذته على تأليف الكتب الفقهية والأصول الروائية وشكر مساعيهم، ويكون بذلك قد أعطى للمدرسة الفقهية تركيزاً واهتماماً يشير إلى الخط الفقهاء المستقبلي الذي يجب على المسلمين السير عليه.

٩- كان للإمام العسكري (عليه السلام) إسهامات فقهية عظيمة في مختلف أبواب الفقه بالرغم من صعوبة الفترة التي عاشها وقصر عمره الشريف .

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .



الهوامش:

- ١- ظ، الهداية الكبرى، الخصبي، مؤسسة البلاغ، ص ٢٢٧.
- ٢- تراجم اعلام النساء، محمد حسين الأعلمي، ٢/ ٢١٤.
- ٣- ظ، الكافي، الكليني، ١/ ٥٧٤- موسوعة الامام العسكري، ص ١/ ٤٤.
- ٤- اعيان الشيعة، محسن الأمين، ٢/ ٤٠.
- ٥- ظ، بحار الانوار، المجلسي، ٥٠/ ٢٣٧- تاريخ مواليد الأئمة (عليه السلام) البغدادي، ص ٤٣.
- ٦- ظ، اعيان الشيعة، محسن الأمين، ٢/ ٤٠.
- ٧- ظ، المناقب، ابن شهر اشوب، ٤/ ٢٤٣- بحار الانوار، المجلسي، ٥/ ٢٣٦.
- ٨- ظ، أعيان الشيعة، محسن الأمين، ١/ ١٠٢.
- ٩- الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، رسول جعفریان، ٢/ ١٧٦.
- ١٠- الكافي الكليني، ١/ ٣٢٦.
- ١١- المصدر نفسه، ١/ ٣٦٢.
- ١٢- الارشاد، المفيد، ٢/ ٣١٦.
- ١٣- المصدر نفسه، ٢/ ٣٢٣.
- ١٤- بحار الانوار، المجلسي، ٥١/ ٣٠.
- ١٥- الكافي، الكليني، ١/ ٣٢٦- الارشاد، المفيد، ٢/ ٣١٥.
- ١٦- ظ، الامام الحسن العسكري (عليه السلام) علي العاملي، ص ٤٧.
- ١٧- الارشاد، المفيد، ص ٣٣٩.
- ١٨- المناقب، ابن شهر اشوب، ٤/ ٤٥٥.
- ١٩- ظ، بحار الانوار، المجلسي، ٥١/ ٣٠- الكافي، الكليني، ١/ - الارشاد، المفيد، ٢/ ٣١٥.
- ٢٠- ظ، الامام العسكري ع سيرة وتاريخ، علي موسى الكعبي، ١/ ١٢٤.
- ٢١- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ٣/ ٢ - الانوار البهية، عباس القمي، ص ٣٠٥.
- ٢٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة، ابي الفتح الاربلي، ٣/ ٢٣٠.
- ٢٣- اعلام الوری باعلام الهدی، الطبرسي، ٢/ ١٥١.
- ٢٤- المصدر نفسه، ٢/ ١٥٠.
- ٢٥- الكافي، الكليني، ١/ ٥٥٤.
- ٢٦- الامام العسكري سيرة وتاريخ، الكعبي، ١/ ١٣٤.
- ٢٧- سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

- ٢٨- مناقب أهل البيت عليهم السلام، حيدر الشيرازي، ص ٢٩٣.
- ٢٩- ظ، شذرات من حياة الإمام الحسن العسكري، قسم الشؤون الدينية، ص ٣٠.
- ٣٠- الكافي، الكليني، ١/ ٥٠٩- الارشاد، المفيد، ٢/ ٣٣١.
- ٣١- الارشاد، المفيد، ٢/ ٣٢٥.
- ٣٢- ظ، الكافي، الكليني، ١/ ٥٠٩.
- ٣٣- ظ، وفيات الائمة، من علماء البحرين، دار البلاغة، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ، ص ٤١٥.
- ٣٤- بحار الانوار، المجلسي، ٥٠/ ٢٣٦.
- ٣٥- ظ، اعيان الشيعة، محسن الأمين، ٢/ ٤٠.
- ٣٦- ظ، موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة المعارف، ص ١٧٥.
- ٣٧- ظ، روح العباد، تأليف ونشر دار المعارف، ص ٢١.
- ٣٨- ظ، المصدر نفسه، ص ٢٤.
- ٣٩- ظ، مكارم الاخلاق ورذائلها، خامني، ١/ ٢١١.
- ٤٠- ظ، تزكية النفس وتهذيبها، إبراهيم الاميني، ص ٢٢٤.
- ٤١- ظ، مختصر الأمل، ناصر مكارم الشيرازي، ٢/ ٢٧٩.
- ٤٢- ظ، مرآة العقول، المجلسي، ٧/ ٣٢٤.
- ٤٣- تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، ص ٤٩٩.
- ٤٤- ظ، اخلاق النبي ص وأهل بيته عليهم السلام، باقر شريف القرشي، ص ٢١٢.
- ٤٥- ظ، النظام التربوي الإسلامي، باقر شريف القرشي، ص ١٦٩.
- ٤٦- الامامة والتبصرة، علي بن بابويه القمي، ص - موسوعة الامام العسكري عليه السلام، أبو القاسم الخزعلي، ٣/ ٣١٩.
- ٤٧- ظ، اعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ١٣/ ١٧٠.
- ٤٨- ظ، تاريخ الشريعة الإسلامي، الفضلي، ص ١٩٤.
- ٤٩- ظ، تاريخ علم الفقه، مجموعة باحثين، ٢/ ٤٢٥.
- ٥٠- ظ، المرجع والأمر، محمد تقى المدرسي، ص ١٢.
- ٥١- تفسير الامام العسكري عليه السلام، المنسوب إلى الامام العسكري ع، ص ٣٠١.
- ٥٢- الإسلام والعقل، محمد جواد مغنية، ص ٢٢٦.
- ٥٣- الاجتهاد والتقليد، محمد مهدي الاصفى، ص ٢٢٦.
- ٥٤- ظ، المرجع والأمة، المدرسي، ص ١٢.
- ٥٥- اعلام الهداية، ١٣/ ١٧١.



- ٥٦- المصدر نفسه، ١٣ / ١٧١.
- ٥٧- تحف العقول عن ال الرسول، ابن شعبة الخرافي، ص ٤٨٧.
- ٥٨- ظ، اعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، ١٣ / ١٧٠.
- ٥٩- سورة التوبة، الآية ١٦.
- ٦٠- بحار الانوار، المجلسي، ١ / ٥٥٦.
- ٦١- الكافي، الكليني، ٣ / ٤٠٣.
- ٦٢- ظ، تاريخ علم الفقه، مجموعة باحثين، ص ٤٢٤.
- ٦٣- الكافي، الكليني، ٧ / ٤١١.
- ٦٤- ظ، اعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، ١٣ / ١٧٠.
- ٦٥- المصدر نفسه، ١٣ / ١٨١.
- ٦٦- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ١ / ٤٤٧.
- ٦٧- بحار الانوار، المجلسي، ٥٠ / ٢٦٩.
- ٦٨- ظ، اعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، ١٣ / ١٨٤.
- ٦٩- المناقب، ابن شهر آشوب، ٤ / ٤٢٨.
- ٧٠- ظ، اعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، ١٣ / ١٨٣ وما بعدها.
- ٧١- ظ، الامام العسكري سيرة وتاريخ، الكعبي، ص ٣٥ وما بعدها.
- ٧٢- بحار الانوار، المجلسي، ٥٠ / ٢٨٨.
- ٧٣- الكافي، الكليني، ١ / ٥١٣.
- ٧٤- ظ، الغيبة، الطوسي، مؤسسة المعارف، قم، ط ١، ١٤١١ هـ، ص ٣٥٤.
- ٧٥- ظ، تاريخ علم الفقه، مجموعة باحثين، ص ٤٣٦.
- ٧٦- المصدر نفسه، ص ٤٣٥.
- ٧٧- ظ، تاريخ الغيبة الصغرى، محمد الصدر، ١ / ٢٢٦.
- ٧٨- اعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، ١٢ / ١٩١.
- ٧٩- المصدر نفسه، ١٢ / ١٩٢.
- ٨٠- ط، تاريخ علم الفقه، مجموعة باحثين، ص ٤٣٦.
- ٨١- ظ، اعلام الهداية المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، ١٢ / ١٩٣.
- ٨٢- المصدر نفسه، ١٣ / ١٧٨.
- ٨٣- ظ، الامام الحسن العسكري ورواياته الفقهية، عبد السادة محمد الحداد، ص ٥٤.
- ٨٤- المناقب، ابن شهر آشوب، ٤ / ٤٢٤.
- ٨٥- الامام العسكري ورواياته الفقهية، عبد السادة الحداد، ص ٧٥.

٨٦- ظ، اعلام الهداية المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، ١٣/ ١٧٨.

٨٧- ظ، المصدر نفسه، ١٣/ ١٧٨.

٨٨- بحار الانوار، المجلسي، ٥٠/ ٢٧٠.

٨٩- ظ، اعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، ١٣/ ١٦٥.

٩٠- ظ، وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢٧/ ١٠٠- مجمع الرجال، زكي الدين عناية،

٨٦/ ٦ -

٩١- فلاح السائل، ابن طاووس، ص ١٨٣- بحار الانوار، المجلسي، ٨٤/ ٣٠٢

٩٢- ط، تاريخ علم الفقه، مجموعة باحثين، ص ٤٣٦.

٩٣- ظ، الامام العسكري (عليه السلام) ورواياته الفقهية، الحداد، ص ٢٦٣ وما بعدها.

٩٤- ظ، اعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، ١٣/ ١٦٥.





المصادر والمراجع:

ـ القرآن الكريم

* الاجتهاد والتقليد، محمد مهدي الآصفى، دار المعارف، قم، ط ٤، ١٤٢٦هـ.

* اخلاق النبي ﷺ واهل بيته ﷺ، باقر شريف القرشي، مهر امير المؤمنين، قم، ط ١، ١٤٣٣هـ.

* الارشاد، المفيد، دار المفيد، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ.

* الاسلام والعقل، محمد جواد مغنية، مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.

* اعلام الهداية، تأليف ونشر المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، ايران، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

* اعلام الورى بإعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة ال البيت، ط ١، ١٤١٧هـ.

* اعيان الشيعة، محسن الأمين، دار التعارف، بيروت، د ط، د ت.

* الامام الحسن العسكري ورواياته الفقهية، عبد السادة الحداد، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية، ط ١، ٢٠١٥م.

* الامام العسكري ﷺ سيرة وتاريخ، علي موسى الكعبي، سلسلة المعارف الإسلامية، مركز الرسالة، د ط، د ت.

* الانوار البهية، عباس القمي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط ١، ١٤١٤هـ.

* بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث، ط ٣، ١٤٠٣هـ.

* تاريخ التشريع الإسلامي، عبد الهادي الفضلي، دار النصر، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.

* تاريخ الغيبة الصغرى، محمد الصدر، دار التعارف، د ط، ١٤١٢هـ.

* تاريخ علم الفقه، مجموعة باحثين العتبة العباسية، ط ١، ١٤٢٥هـ.

* تاريخ مواليد الائمة ﷺ، ابن خشاب البغدادي، نشر مكتب اية الله مرعشي، قم، ١٤٠٦هـ.

* تحف العقول عن ال الرسول، ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

* تراجم اعلام النساء، محمد حسين الأعلام، مؤسسة الأعلمي، ط ١، ١٤٠٧هـ.

* تركية النفس وتهذيبها، إبراهيم الاميني، دار البلاغة، بيروت، ط ٤، ١٤٢١هـ.

* تفسير الامام العسكري ﷺ، المنسوب الى الامام العسكري ﷺ، مدرسة الامام المهدي، قم، ط ١، ١٤٠٩هـ.

* الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت ﷺ، رسول جعفریان، دار الحق، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.

* الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، مؤسسة الامام الحجة، قم، ط ١، ١٤٠٩هـ.

*روح العباداة، تأليف ونشر دار المعارف، ط ١، ١٤٣٨هـ.

*شذرات من حياة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، قسم الشؤون الدينية، النجف، ط ٢، ١٤٣٨هـ.

*الغيبة، محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة المعارف، قم، ط ١، ١٤١١هـ.

*فلاح السائل، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن طاووس، مكتبة اهل البيت الالكترونية د ط، د ت.

*الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، طهران، ط ١، ١٣٩٨هـ.

*كشف الغمة في معرفة الأئمة (عليهم السلام)، ابي الفتح الاربلي، دار الأضواء، بيروت، د ط، د ت.

*مجمع الرجال، زكي الدين عناية، اسماعيليان، قم، ط ٢، ١٤٦٤هـ.

*مختصر الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، الناشر مدرسة الامام علي (عليه السلام) ط ١، ١٤٢٨هـ.

*مرآة العقول، محمد باقر المجلسي، دار الكتب الإسلامية، د ط، د ت.

*المرجع والأمة، محمد تقى المدرسي، دار الهدى، كربلاء، ط ١، ١٤٣٠هـ.

*مكارم الاخلاق وورثاتها، علي الحسيني الخامني، دار احياء، ط ١، ١٤٢٨هـ.

*مناقب أهل البيت (عليهم السلام)، حيدر الشيرازي، د ط، ١٤١٤هـ.

*المناقب، ابن شهر اشوب، الناشر علامة، قم، ط ١، ١٣٧٩هـ.

*موسوعة الامام العسكري (عليه السلام)، أبو القاسم الخزعلي، مؤسسة ولي العصر ع، ط ١، ١٤٢٦هـ.

*موسوعة الفقه الإسلامي طبقا لمذهب اهل البيت (عليهم السلام)، مؤسسة المعارف، ط ١، ١٤٢٣هـ.

*النظام التربوي الإسلامي، باقر شريف القرشي، دار الكتاب، ط ١، ١٣٧٧هـ.

*الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط ٤، ١٤١١هـ.

*وفيات الأئمة (عليهم السلام)، من علماء البحرين، دار البلاغة، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.



سياسة الإمام الحسن العسكري عليه السلام للقيادة وتربية الشيعة

الشيخ محسن مظاهر شعبان
المعهد العالي للتراث/ النجف الأشرف

الملخص

لا ريب أن عطاءات الإمام العسكري عليه السلام والأدوار التي قام بها على مستوى الرسالة، تمتاز بالخصوصية والاستثناء؛ نظراً للمقطع الزمني الخطير الذي عاشه عليه السلام، والذي يتمثل في شدة رقابة السلطة وإمعانها في عزل الإمام عن المجتمع، ولجوء القوة الحاكمة إلى شتى وسائل القمع والأذية للشيعة والعلويين عامة والإمام عليه السلام خاصة، وذلك لأنه والد الإمام الحجة عليه السلام، الذي عرفوا بما أثار عندهم من الأحاديث والآثار، انه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت جوراً وظلماً. وضعف الخلفاء والانحراف وفسادهم الأخلاقي، وتولّد الفرق الضالّة. كما أجهّد الإمام غاية الجهد ونجحت سياسته في مواجهة هذه التحديات من خلال وكلائه وخواص شيعته لمساعدة الشيعة وتعليم الأحكام لهم، وأعلن ولادة ابنه سلام الله عليه وإمامته وأوصى شيعته بالتوصيات الأخلاقية لهدايتهم وتبعية الإمام الحجة سلام الله عليه بعده، والصبر وانتظار فرجه.





Abstract

There is no doubt that the contributions of Imam Al-Askari (peace be upon him) and the roles he played at the level of his message are characterized by uniqueness and exceptionality. This is due to the dangerous time period he lived in, characterized by the intense scrutiny and isolation imposed on him by the ruling authority. The ruling power resorted to various means of oppression and harm against the Shia and the Alawites in general, and particularly against the Imam, as he was the father of Imam Al-Mahdi (may Allah hasten his reappearance), who is known for the traditions and narrations attributed to him, promising to fill the earth with justice and equity after it had been filled with oppression and injustice. The weakness of the caliphs, their deviation, and moral corruption led to the emergence of misguided sects. The Imam exerted tremendous efforts, and his policies succeeded in facing these challenges through his deputies and special Shia assistants to help and educate the Shia. He announced the birth of his son, Imam Al-Mahdi, and his Imamate. He also advised his Shia followers with ethical recommendations for their guidance, urging them to follow Imam Al-Mahdi after him, and to be patient and await his reappearance.

المقدمة

إنّ البحث في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام وتاريخهم يسهم في تأصيل الوعي الرسالي في ضمير الأمة، وتصحيح مسار الرسالة من حالات الانحراف الفكري؛ لأنهم قادة الرسالة والقُدوة الحسنة المتميزة بخصائص العظمة والاستقامة، وهم الامتداد الواقعي لنهج النبوة وسيرتها المعطاء، وهم الحُماة والأمناء لمفاهيم الرسالة وعقائدها من حالة التردّي والتحريف والضلال.

وضرورة الإمامة تبدو جلية لمسك أمور الأمة في مجالي التشريع والقيادة، ولذا نراها تتجلى في اثني عشر فرداً حدّدت أسماءهم السنة المطهرة ونصّ كل واحد منهم على الذي يليه فتكونت المنظومة القيادية للشريعة متكاملة حتى إذا بلغ الدور إلى الحادي عشر منهم وهو الإمام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام، كان عليه أن يواجه أمراً هو من أصعب ما مُني به أباًؤه، رغم تميز كل واحد منهم بأمر صعب يختلف عمّا قبله، وعلى رغم من إقصاء وتغيب رموز القُدوة الحسنة في زمانه عليه السلام عن التواصل مع حياة الأمة السياسية والاجتماعية وملاحقته وعزله عن قواعده، فقد تمسكت به غالبية الأمة ومنحته مظاهر الودّ والثقة، لما ملسته من سيرته الغنية بالعطاء ودوره المشرف في جميع المستويات.

ويبدو أن أهم ما يستوقف الباحث في حياة الإمام العسكري عليه السلام هو كونه آخر إمام ختمت به الإمامة الظاهرة، ليبدأ بعده عصر الغيبة الذي بدأت تباشيره وأوشك زمانه، لذلك وقع على الإمام العسكري عليه السلام العبء الأكبر في ترسيخ مبدأ الغيبة وتأصيله في نفوس شيعته للحفاظ على خطهم الرسالي من الضياع والانهار، وقد استطاع الإمام العسكري عليه السلام أن ينجز هذه المهمة الخطيرة بكلّ جدارة وقوة، وأن يحافظ على حياة ولده المهدي عليه السلام من

ملاحقة السلطة وأدوات قمعها، في وقت عصيب عُزل فيه الإمام عن أصحابه وشدّدت الرقابة عليه. وفي هذا الاتجاه استطاع أن يهيئ أذهان شيعته لتقبل عصر الغيبة باتباع عين الأسلوب الذي سيّخذ ولده المهدي (عليه السلام) في عصر الغيبة، وهو الاحتجاب عن الناس واتخاذ الوكلاء الذين يختارهم من خاصته، والاتصال بأصحابه عن طريق المكاتبات والتواقيع التي صارت سمة بارزة في حياة الإمامين العسكريين (عليهم السلام).

يوجد بين أيدينا العديد من البحوث والكثير من المؤلفات حول حياة الأئمة (عليهم السلام)، ومنهم الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، إذ كُتبت عن حياته وفصائله ومواقفه مع الخلفاء وكذلك الأحداث والوقائع التي شهدتها المجتمع الإسلامي في تلك الآونة، لكن الحاجة لا تزال قائمة في هذا المجال؛ لأن كل باحث ومتتبع يأخذ من أنوارهم (عليهم السلام) على قدر استعدادهم ووجهة نظره، ومن زاوية معينة من حياتهم، وكم ترك الأول للآخر.

نحن في هذا المقال سلطنا الضوء على سياسة الإمام (عليه السلام) للإدارة والقيادة ومن خلالها تربية الشيعة، فقسمناه إلى مقدمة، وأربعة مباحث، والنتائج، وحاولنا في هذه الدراسة بعد نبذة مختصرة عن حياة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في المبحث الأول، نبحت عن الظروف السياسية وبتبعها الظروف الاجتماعية المؤثرة في المبحث الثاني، ومن ثم سياسة الإمام (عليه السلام) لمواجهة هذه الأوضاع بتأسيس مجموعة من ثقات أصحابه، وتعيينهم كوكلائه والمعتمدين في المناطق الشيعية، والاهتمام بالوضع المادي والاقتصادي وجمع الأموال وتوزيعها على فقراء الشيعة ومستحقّينهم، وتعليمهم الأحكام الشرعية، وتمهيدهم لإمامة ابنه (عليه السلام) وغيبته في المبحث الثالث، والتوجّه بالجانب التربوي للشيعة بإرسال الرسائل والوصايا والتوقيعات التي تخاطب شيعته مباشرة، مع ذكر نماذج مختصرة من تراثه (عليه السلام) في المبحث الرابع.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وخدمة للدين الحنيف ومذهب أهل البيت (عليهم السلام) إنه سميع مجيب والحمد لله ربّ العالمين.

المبحث الأول: حياة الإمام الحسن العسكري في سطور

هو الإمام الحسن بن علي بن محمد عليه السلام، والإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليه السلام ووالد الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام، وُلد في سنة ٢٣١ من الهجرة^(١) بالمدينة، ولُقّب بالعسكري - بفتح العين وسكون السين وفتح الكاف - نسبةً إلى سَرٍّ من رأى، ولما بناها المعتصم وانتقل إليها بعسكره، وأقام الإمام علي الهادي عليه السلام في زمن المتوكل فيها عشرين سنة وتسعة أشهر^(٢)، فنسب هو وولده إليها، لكن إذا أُطلق هذا اللقب ينصرف إلى الإمام الحسن لا إلى أبيه.

ويذكر الراوندي: «وأما الحسن بن علي العسكري عليه السلام، فقد كانت أخلاقه كأخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان رجلاً أسمر، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، حدث السن، له جلاله وهيبة وهيئة حسنة، يعظمه العامة والخاصة اضطراراً، يعظمونه لفضله، ويقدمونه لعفاهه وصيانتة وزهده وعبادته وصلاحه وإصلاحه، وكان جليلاً نبيلاً فاضلاً كريماً يحمل الأثقال، ولا يتضعضع للنوائب، أخلاقه خارقة للعادة على طريقة واحدة»^(٣).

لقد فرضوا عليه الإقامة الجبرية، وكان يراقبه الخليفة بجهاز خاص، ومع ذلك قام بأعمال، جعلت بعض شخصيات السلطة يؤمنون به، وعندما سجنه الخليفة العباسي عند رجل يدعى صالح بن وصيف، فوكل به رجلين من الأشرار بقصد إيذائه والتضييق عليه، فأصبحا بمعاشرة الإمام من الصلحاء الأبرار، فقال لهما صالح: «ويحكمما ما شأنكما في هذا الرجل؟ قالوا: ما نقول في رجل يصوم نهاره، ويقوم ليله كله، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة، وإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا»^(٤)، ودخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، أسير لا يملك حولاً ولا قوة، ينظر إلى أسرهِ فيرتعد خوفاً وفزعاً»^(٥).

ولا تفسير لذلك إلا هبة الإمامة، وإلا الرياسة الحقّة التي تفرض نفسها على الناس أجمعين^(٦).

وينقل ابن شهر آشوب عن أبي القاسم الكوفي في كتابه التبديل والتحريف: «ان إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه أخذ في تأليف تناقض القرآن وشغل نفسه بذلك وتفرد به في منزله، وان بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري فقال له الإمام عليه السلام: أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله القرآن؟ فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره، فقال له الإمام: أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم، قال: فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله فإذا وقعت الانسة في ذلك فقل قد حضرتني مسألة أسألك عنها، فإنه يستدعي ذلك منك، فقل له: ان اتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها انك ذهبت إليها؟ فإنه سيقول لك: انه من الجائز؛ لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك، فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فيكون واضعاً لغير معانيه.

فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن القى عليه هذه المسألة فقال له: أعد علي، فأعاد عليه فتفكر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر، فقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟ فقال: انه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال: كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا ولا من بلغ هذه المنزلة فعرفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمد، فقال: الآن جئت به وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت، ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألّفه^(٧).

لقد حاول الحكام العباسيون قتل الإمام الحسن العسكري عليه السلام، حتى تولى المعتمد الحكم وكان كبقية الخلفاء يعمل للخلاص من الأئمة عليهم السلام بالحبس والقتل، كما عن السيد ابن طاووس، قال: «اعلم أن مولانا الحسن بن علي العسكري عليه السلام كان قد أراد قتله ثلاثة ملوك الذين كانوا في زمانه حيث بلغهم أن مولانا المهدي عليه السلام يكون من ظهره صلوات الله عليهما، وحسوه عدة دفعات، فدعا على من دعا عليه منهم، فهلك في سريع من الأوقات»^(٨).
قد أقدم المعتمد على قتل الإمام عليه السلام، ومن المؤكد أنه حبسه مدة قصيرة قبيل شهادته^(٩)، فدرس له سماً قاتلاً^(١٠)، وأطلقه من السجن وأرسل معه حرساً وأطباء لمراقبته حتى توفي^(١١). عاش الإمام ثمانين وعشرين سنة^(١٢)، واستشهد في سنة مائتين وستين ودُفن في داره في البيت الذي دُفن فيه أبوه^(١٣).



المبحث الثاني: الوضع السياسي والاجتماعي في عصر الإمام المطلب الأول الوضع السياسي:

قد عاصر الإمام الحسن العسكري كل من الحكام العباسيين: الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز في إمامة والده، وعاصر أئبان إمامته ثلاثة من الحكام العباسيين هم: المعتز والمهتدي والمعتمد، وامتاز العصر العباسي الثاني الذي بدأ بحكم المتوكل من سنة (٢٣٢ هـ) بالنفوذ الواسع الذي تمتع به الأتراك الذين غلبوا الحكام وسلبوهم زمام إدارة الدولة، وأساءوا التعامل مع الأهالي منذ أيام المعتصم الذي سبق المتوكل إلى الحكم، وهذا الوضع قد اضطرّ المعتصم لنقل مركز حكمه من بغداد إلى سامراء بسبب السلوك التركي الخشن وشكاية أهالي بغداد منهم^(١٤).

كما اتّسم بضعف القدرة المركزية للدولة الإسلامية وفقدانها بالتدرّج لهبتها التي كانت قد ورثتها من العصر الأول، لأسباب عديدة منها انشغال الحكّام بملاذّهم وشهواتهم، ومنها سيطرة الموالي ولا سيّما الأتراك على مقاليد السياسة العامة بعد انهماك الحكّام بالملاهي. وكانت سيطرة الأتراك وقوّادهم قد بلغت حدّا لا مثيل له، إذ كان تنصيب الحكّام وعزلهم يتمّ حسب إرادة هؤلاء القوّاد الأتراك، وأنتج تعدّد الإرادات السياسية وضعف الخلفاء ظاهرة خطيرة للغاية، وهي قصر أعمار حكوماتهم وسرعة تبدّل الحكّام وعدم استقرار مركز الخلافة الذي يمثّل السلطة المركزية للدولة الإسلامية.

وأن التاريخ يؤكد ضعف الخلافة العباسية، ويذكر لنا أن الأتراك والموالي لم يكتفوا بعزل خليفة وتنصيب آخر، بل سيطروا على دفة السياسة العليا وقاموا بعزل الخليفة انعزالاً، يكاد يكون كلياً عن ممارسة الحكم والنظر إلى شؤون الدولة وإلى هذه الحقيقة يشير أحد الشعراء بقوله:

خليفة في قفصٍ بين وصيف وبغا
يقول ما قال له كما تقول البيغا^(١٥)

كما أن الخليفة المعتمد قد اشار إلى ذلك بقوله^(١٦):

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
إليه تحمل الأموال طراً ويمنع بعض ما يجبي عليه

ومن المهم أن سياسة القواد الأتراك كانت تابعة للمصالح الشخصية؛ فيقاتلون الحاكم ويثرون ضده تارة ويدافعون عن الخليفة ويقاتلون أعداءه تارة أخرى، وذلك بحسب ما تملي لهم الظروف من المضار والفوائد العائدة إليهم. ومن الأمور والحوادث التي عاصرها الإمام العسكري (عليه السلام) هي انتشار الفتن والشغب والحروب في بغداد وسائر الأمصار بسبب ضعف الخلافة والحكومة المركزية وانشغالها عن العمال في أطراف البلاد، فانفك الارتباط بين مركز الخلافة وأطرافها وأصبح كل عامل في الأطراف يصنع ما يحلو له.

ومن أحداث هذا العصر هو انغماس الملوك العباسيين في اللهو والفساد والطرب وصرف الأموال الطائلة على الجواري والشعراء، وتنعم القادة والمسؤولين بأموال ضخمة وبناء القصور، في حين يعيش سائر الناس بالمستوى المتوسط أو ما دونه إلى حالة الفقر المدقع، من دون ضمان عيش أو أمل حياة، كما أن الكثير من الأموال كانت تصرف على سيدات البلاط العباسي؛ فكانت زبيدة زوجة هارون الرشيد مثلاً تلبس ثوباً قيمته خمسين ألف دينار^(١٧).

ولو أردنا استعراض شواهد على ذلك الترف واللهو لطال بنا المقام،
والتأريخ مليء بتلك الحقائق وهو لا يخفى على كل بصير.

على رغم ذلك الضعف الذي كان قد أحاط بالدولة العباسية في عصر الإمام،
لكن مواقف الإمام الحسن العسكري عليه السلام كانت امتداداً لمواقف أبيه عليه السلام، بوصفه
المرجع الفكري والروحي لأصحابه وقواعده وراعياً لمصالحهم العقائدية
والاجتماعية بالإضافة إلى تخطيطه وتمهيده لغيبة ولده الإمام المهدي
المنتظر عليه السلام، والسلطة الحاكمة كانت تضاعف اجراءاتها المتشددة في مواجهة
الإمام الحسن العسكري عليه السلام والجماعة الصالحة المنقادة لتعاليمه وارشاداته.
فلم تضعف في مراقبته ولم تترك الشدة في التعامل معه بسجنه أو محاولة تسفيره
إلى الكوفة خشية منه ومن حركته الفاعلة في الأمة وتأثيره الكبير فيها. كما
يظهر من الروايات أنه عليه السلام كان أكثر أوقاته محبوساً ومنوعاً من المعاشرة، وكان
مشغولاً بالعبادة لله عز وجل ^(١٨).

المطلب الثاني الوضع الاجتماعي:

تحدثنا فيما سبق عن الوضع السياسي، وهذا الوضع دون شك ينعكس
سلباً على الظروف الاجتماعية التي كان يعيشها أبناء الأمة المسلمة ورعايا
الدولة الاسلامية فينجم عنه توتر في علاقة السلطة بالشعب، وكان من
الطبعي أن تعاني الأغلبية الساحقة من الشعوب الإسلامية البؤس
والحرمان وعدم استقرار الوضع الاجتماعي نتيجة لذلك، كما أن اختلال
الظروف السياسية يتسبب في التفاوت الاجتماعي وظهور الطبقة أو
الفئات المتفاوتة في المستوى المعيشي والمتباينة في الحقوق والواجبات تبعاً
لولائها وقربها أو بعدها من البلاط ورجاله، فانقسم أبناء الأمة وأتباع
الدين الذي كان يركز على الاخوة الايمانية والمساواة والعدل والانصاف،
إلى جماعة قليلة مترفة ومتمتعة بقوة السلطان وأخرى واسعة - تمثل غالبية

أبناء الأمة الاسلامية - وهي معدمة ومسحوقة أنهلكها الصراع وزجّها في النزاعات والحروب والتي ما تخمد إحداها حتى تتأجج الثانية وتتسع لتشمل مساحة أوسع من أرض الدولة الاسلامية^(١٩).

لقد كان المجتمع الإسلامي في أواخر العصر العباسي الأوّل يتألف من عدة عناصر وهي: العرب والفرس والمغاربة وظّهر العنصر التركي أيضاً على مسرح السياسة في عهد المعتصم الذي اتخذهم حرساً له، وأسند إليهم مناصب الدولة وأهمّل العرب والفرس، ولما رأوا الخطر المحدق بهم من قبل الأتراك استعانوا بالمغاربة وغيرهم من الجنود المرتزقة^(٢٠).

كما نلاحظ انقسام المسلمين في هذا العصر إلى شيعة وطوائف وكان احتجاج الإمام عليه السلام في سامراء قريباً من أعين السلطان وفصله عن أواسط الأمة، له أثر كبير في خلوّ الساحة أمام انتشار الأفكار والاعتقادات الفاسدة، والمذاهب الباطلة والمنحرفة، وتعرّض المجتمع الاسلامي إلى أنواع الانحرافات الفكرية والبُدع، والتنازع المذهبي المؤدي إلى التفكك^(٢١).

ورغم تلك الظروف السياسية والاجتماعية الحالكة استطاع الإمام أن يقدم للأمة عطاءً واسعاً، ويمثل دوراً فاعلاً في إيصال سنن جدّه المصطفى ﷺ وآبائه المعصومين عليه السلام، وتمكن بالإشراف على شيعته عن طريق التواقيع والمراسلات والوكلاء، وأن يخطط لسلوكها ويحمي وجودها وينمي وعيها ويمدها بكل الأساليب التي تساعد على صمودها وارتقائها إلى مستوى الحاجة الإسلامية. وتمكن الإمام الحسن العسكري عليه السلام من إنقاذ الأمة من حالة التعثر في مهاوي الضلال واليه، عن طريق مقاومة التيارات الفكرية المنحرفة^(٢٢).

كما يروي موسى بن جعفر بن وهب البغدادي أنه خرج من أبي محمد العسكري عليه السلام توقيع: «زعموا أنهم يريدون قتلي ليقطعوا هذا النسل وقد كذب الله عزّ وجلّ قولهم والحمد لله»^(٢٣). لقد ظنوا أنهم يستطيعون النيل من حجة الله المودع بعين الله وحفظه، فخيّب الله ظنّهم.

المبحث الثالث: قيادة الشيعة عن طريق الوكلاء

لقد دأب حكام بني العباس على استدعاء أئمة أهل البيت عليهم السلام من المدينة المنورة إلى بغداد، وخراسان، وسامراء عواصم السلطات الحاكمة؛ ليجعلوهم تحت المتابعة والرقابة الشديدة، وليضيقوا عليهم ويعزلوهم عن شيعتهم، خاصة الإمام الحسن العسكري عليه السلام؛ لأن لديهم العلم والدراية بأن المهدي الموعود سلام الله عليه ابنه، لذلك الأئمة عليهم السلام لجأوا إلى تأسيس نظام الوكلاء لقيادة الأمة الإسلامية عندما اتسعت الرقعة الجغرافية للقاعدة المالية لأهل البيت عليهم السلام في تلك الظروف الصعبة.

والإمام الحسن العسكري عليه السلام كأبيه عليه السلام أعدّ بجهد الوافر جيلاً من الثقات، فكانوا رواة وطلاباً وفقهاء ومؤلفين ووكلاء، منتشرين في البلاد واختارهم من بين أصحابه وأوكل إليهم جملة من المهام، كقبض الحقوق الشرعية، وتلقي الأسئلة والاستفتاءات، وتوزيع الأموال على مستحقيها بأمر الإمام، ويحرصون على تبليغ رسالته عليه السلام وإيصال كتبه ورسائله في مختلف أطراف البلاد الشاسعة في ظل الظروف الصعبة والتوترات الموجودة، والرقابة الشديدة على الإمام من قبل السلطة.

هذا النظام في الحقيقة يُعد حلقة الوصل والوسيط بين الإمام عليه السلام وأتباعه، وحتى بعده أصبح الطريق الوحيد للارتباط بابنه الإمام المهدي عليه السلام في زمن الغيبة الصغرى.

وعندما نقارن عدد وكلاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام بوكلاء أبيه الإمام الهادي عليه السلام، وتواجههم في المناطق العديدة ومسؤولياتهم المخولة من الإمام، نشهد دورهم الكبير في هذه الفترة القصيرة، وهي ست سنوات تقريباً، واهتمام الإمام بشؤونهم وأمورهم، ومراقبة أفعالهم وكيفية تعاملهم مع الناس كما كان الإمام عليه السلام يؤيدهم قولاً ومكاتبة، كما أيد العمري وغيره من الوكلاء، وكذلك أيد أفعالهم، كما أيد علي بن جعفر بصرف الأموال في موسم الحج ^(٢٤).

وان كشف انحراف بعض الوكلاء من قبل الإمام (عليه السلام)، وحذفهم وإخبار الأتباع بانحرافهم، دليل على المراقبة المستمرة لهم ومدى متابعة الإمام (عليه السلام) لأوضاعهم ونشاطاتهم. كما لعن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، عروة بن يحيى المعروف بالدهقان وتبراً منه، وأمر شيعته بلعنه بعد أن كان من جملة وكلائه والمعتمد عليه عند الشيعة في بغداد، ثم انحراف وكذب على الإمام الهادي والإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، واقتطع الأموال لنفسه، ومن شدة انحرافه وغبطه، أحرق بيت المال الذي سُلِم إليه من بعد ابن راشد في بغداد (٢٥).

المطلب الأول: بعض وكلاء الإمام العسكري عليه السلام

هنا نتعرض لأسماء بعض وكلاء الإمام (عليه السلام) كما ورد في المصادر:

١. إبراهيم بن عبدة النيسابوري، الذي كان وكيلاً في نيسابور بنصّ منه (عليه السلام) (٢٦).
٢. أيوب بن نوح بن درّاج النخعي، كان وكيلاً للإمام الهادي والإمام الحسن العسكري (عليه السلام) (٢٧). وكان من المدّوحين حيث قال الإمام (عليه السلام) لعمر بن سعيد المدائني في حقه: «يا عمرو إن أحببت أن تنظر إلى رجل من أهل الجنة، فانظر إلى هذا» (٢٨).
٣. جعفر بن سهيل الصيقل، كان وكيلاً للإمام الهادي والإمام الحسن العسكري (عليه السلام) (٢٩).
٤. أحمد بن اسحاق بن سعد الأشعري القمي، الذي كان وكيلاً للإمام (عليه السلام) بقم (٣٠).
٥. أحمد بن اسحاق الرازي، كان وكيلاً للإمام (عليه السلام) بنصه الذي كتبه (عليه السلام) إلى اسحاق بن اسماعيل (٣١).
٦. أيوب بن الباب، كان وكيلاً للإمام (عليه السلام) بنيسابور (٣٢).
٧. عثمان بن سعيد العمري (٣٣)، كان وكيلاً للإمام الهادي والإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، وكان من المدّوحين، حيث حدّث أحمد بن اسحاق القمي،

قال: «وصلت إلى أبي محمد الحسن العسكري ذات يوم، فقلت له: يا سيدي أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل وأمر من نمثل؟ فقال عليه السلام: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي في الحيا والمات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يقول، فاسمع له وأطع، فانه الثقة والمأمون»^(٣٤).

وذكر المامقاني في ترجمته، يقال له: السمان؛ لأنه يتجر في السمن تغطية على الأمر، وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال، أنفذوا إليه، فجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى الإمام عليه السلام تقيّة وخوفاً^(٣٥).

٨. علي بن جعفر الهماني، كان وكيلاً للإمام الهادي والإمام الحسن العسكري عليه السلام^(٣٦).

٩. القاسم بن العلاء، من أهالي أذربيجان ووكيل الإمام الحسن العسكري عليه السلام ومن وكلاء الناحية، وممن رأى الحجة سلام الله عليه ووقف على معجزته^(٣٧).

١٠. محمد بن أحمد بن جعفر العطار القمي، كان وكيلاً للإمام عليه السلام، وأدرك أبا الحسن عليه السلام^(٣٨).

١١. محمد بن صالح بن محمد الهمداني، كان وكيلاً للإمام عليه السلام بنصه الذي كتبه عليه السلام إلى اسحاق بن اسماعيل^(٣٩).

المطلب الثاني: تمهيد الأمة لإمامة المهدي عجل الله وغيبته

خطَّط الإمام الحسن العسكري عليه السلام لمستقبل الإمامة والتحضير لزمان الغيبة بتدارك المقدمات للانتقال إلى إمامة ابنه عليه السلام، ومرحلة الغيبة، وتعويد الشيعة على ذلك، وهذه المهمة في تلك الظروف التي عاشها الإمام عليه السلام صعبة للغاية، ويقع عليه العبء الأكبر لترسيخ مبدأ الغيبة، ثم تعريف ابنه للشيعة حتى لا يكذبوه بعده، وفي نفس الوقت عدم علم السلطة الحاكمة التي فرضت عليه الرقابة الشديدة.

فقد اتخذ الإمام الحسن العسكري عليه السلام أسلوباً شبيهاً بمنهج الإمام المهدي سلام الله عليه، كما قال المسعودي في إثبات الوصية: «روي أن أبا الحسن صاحب العسكر عليه السلام احتجب عن كثير من الشيعة إلا عن عددٍ يسير من خواصه، فلما أفضى الأمر إلى أبي محمد عليه السلام، كان يكلم شيعته الخواص وغيرهم من وراء الستر إلا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان، وإن ذلك إنما كان منه ومن أبيه قبله مقدمةً لغيبة صاحب الزمان عليه السلام لتألف الشيعة ذلك، ولا تنكر الغيبة، وتجري العادة بالاحتجاب والاستتار»^(٤٠).

وحتى يمكننا ان نقول: وكالة عثمان بن سعيد للإمام العسكري عليه السلام، كأنها كانت خطة مدروسة من الإمامين وهي بمثابة التمهيد للسفارة المهدوية؛ لأن عثمان بن سعيد كان السفير الأول للإمام الحجة عليه السلام، وتعيينه للوكالة يزيد من ثقة الشيعة به، لاسيما انه منصوص على ثقته وأمانته وعدالته وصلاحه لهذا الأمر من قبل الإمامين العسكريين عليه السلام كما مرّ آنفاً في ذكر أسماء الوكلاء.

وقد كتم الإمام عليه السلام ولادة ولده الحجة سلام الله عليه؛ خوفاً عليه من الأعداء والسلطة الحاكمة، وبشّر خواص شيعته بهذه الولادة ضمن

مكاتباته إليهم أو حين حضورهم عنده عليه السلام، ففي كتاب له عليه السلام بخطه إلى أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري، يقول عليه السلام: «ولد لنا مولود، فليكن عندك مستوراً، وعن جميع الناس مكتوماً»^(٤١).

وحتى لم يعق عن ابنه عليه السلام في داره، كما روي أنه عليه السلام وجّه إلى إبراهيم بن إدريس بكشين، وكتب إليه: «عق هذين الكبشين عن مولاك، وكل هناك الله، وأطعم إخوانك»^(٤٢).

وقد أعلن الإمام الحسن العسكري إمامة ابنه سلام الله عليه وعرض ابنه على خواصّ شيعته، كما في حديث طويل عنه عليه السلام، منه: «يا أحمد بن إسحاق، لولا كرامتك على الله عزّ وجل وعلى حججه، ما عرضت عليك ابني هذا إنّه سمي باسم رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيته، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٤٣).

وقد استطاع الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن ينهض بهذه المهمة بكل جدارة وقوّة، وحافظ على التشيع من الانحراف، والانهار، والضياع، والاختلاف في الفترة الانتقالية من الظهور إلى الغيبة.

المبحث الرابع: تراث الإمام الحسن العسكري ووصاياه للشيعة

قد تعرض التراث الفكري للإمام العسكري عليه السلام لما تعرّض إليه تراث الأئمة عليهم السلام من الإخفاء والضياع والتلف والتحريف في النصوص لغايات سياسية، والنهب والحرق الذي طال كثير من الكتب الشيعية، ثم بقى ووصل إلينا ما حفظه وجمعه خواص الشيعة. ومن هذا التراث العظيم ما سنذكره في المطلب الآتي.

المطلب الأول: بعض تراث الإمام العسكري (عليه السلام):

١- كتاب عمل، ولعلّه يشبه الرسائل العملية في أحكام العبادات والمعاملات. روى النجاشي في ترجمة محمد بن أحمد بن عبد الله بن مهران بن خانبه الكرخي، بالإسناد عن الصفواني، قال: «حدّثنا الحسن بن محمد بن الوجناء، أبو محمد النصيبي، قال: كتبنا إلى أبي محمد (عليه السلام)، نسأله أن يكتب أو يخرج إلينا كتاباً نعمل به، فأخرج إلينا كتاب عمل. قال الصفواني: نسَخْنَاهُ، فقابل به كتاب ابن خانبه زيادة حروف أو نقصان حروف يسيرة» (٤٤).

٢- كتاب المقنعة، قال ابن شهر آشوب: «خرج من عند أبي محمد (عليه السلام) في سنة خمس وخمسين ومائتين كتاب ترجمة في جهة رسالة المقنعة، يشتمل على أكثر علم الحلال والحرام، وذكر الحميري في كتاب سماه مكاتبات الرجال عن العسكريين (عليهم السلام) من قطعه ومن أحكام الدين» (٤٥).

وفي إقبال الأعمال عند ذكره إسناد أكثر الأدعية اختصاراً، وهو دعاء وجده يدعى به بين كل ركعتين من نوافل شهر رمضان، قال: (علي بن عبد الواحد بإسناده إلى رجاء بن يحيى بن سامان، قال: خرج إلينا من دار سيدنا أبي محمد الحسن بن علي صاحب العسكر سنة خمس وخمسين ومائتين، فذكر الرسالة المقنعة بأسرها...) (٤٦).

وذكرها النجاشي بنفس العنوان في ترجمة رجاء بن يحيى، غير أنه يوحى أنّها للإمام الهادي (عليه السلام)، قال: (رجاء بن يحيى بن سامان، أبو الحسين العبرتائي الكاتب، وروى عن أبي الحسن علي بن محمد صاحب العسكر (عليه السلام)، وروى رجاء رسالة تسمّى المقنعة في أبواب الشريعة» (٤٧). وسماه الشيخ آقا بزرك الطهراني بكتاب المنقبة، حيث قال: «كتاب المنقبة، المشتمل على أكثر الأحكام ومسائل الحلال والحرام، عن مناقب

ابن شهر آشوب، والصراط المستقيم للبياضى أنه تصنيف الإمام أبي محمد العسكري (عليه السلام) (٤٨).

٣- التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام)، نُسبَ إلى الإمام أبي محمد (عليه السلام) التفسير المعروف بتفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، وهو يحتوي على تفسير سورتي الحمد والبقرة مع استطرادات كثيرة، وقد اختلف المحدثون والمفسرون والفقهاء وأصحاب كتب الرجال منذ القرن الرابع الهجري إلى عصرنا هذا في نسبته إليه (عليه السلام) إلى فريقين (٤٩)، وهما:

الفريق الأول: ذهب بعض العلماء إلى القول بصدوره عن الإمام (عليه السلام)، وهو كسائر الكتب الروائية المعتمدة، مصدرٌ لتفسير آيات القرآن الكريم ومن الكنوز الصادرة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، منهم: الشيخ الصدوق (٥٠)، وابن شهر آشوب (٥١)، والطبرسي (٥٢)، والحر العاملي (٥٣)، الفيض الكاشاني (٥٤).

الفريق الثاني: وذهب الآخرون إلى عدم اعتبار هذا الكتاب، وأنه لا يليق أن يصدر عن الإمام (عليه السلام)، ولا يشك أنه موضوع، منهم: ابن الغضائري (٥٥)، والعلامة الحلي (٥٦)، والبلاغي (٥٧)، والسيد الخويي (٥٨). وأما البحث عن صحة هذه النسبة مطول ولا يسع هذا المقال.

٤- والكثير من الرسائل والوصايا والمواعظ والحكم والأحاديث نقلها المحدثون، كما أورد النجاشي في كتابه (٥٩): مسائل وجوابات، رواها عنه (عليه السلام) محمد بن سليمان بن الحسن بن الجهم بن بُكير بن أعين الزراري، ومسائل رواها عنه (عليه السلام) محمد بن علي بن عيسى القمي، ومسائل له (عليه السلام) على يد محمد بن عثمان العمري، جمعها عبد الله بن جعفر الحميري، مسائل وتوقيعات له (عليه السلام)، جمعها أيضاً عبد الله بن جعفر الحميري، مسائل كتب بها إليه (عليه السلام) محمد بن الحسن الصفار القمي (٦٠).

المطلب الثاني: من وصاياه عليه السلام لشييعته:

اهتم الإمام الحسن العسكري عليه السلام اهتماماً تاماً بشييعته والقيام بشؤونهم، رغم التضيق الذي كان عليه، وقد أوصى الإمام عليه السلام شييعته بوصية جمع فيها مكارم الأخلاق وأسس التقوى والصلاح، قال عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر وفاجر، وطول السجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد ﷺ، صلوا في عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا شيعي فيسرني ذلك.

اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك. لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذاب. أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ، فإن الصلاة على رسول الله عشر حسنات. احفظوا ما وصيكم به واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام»^(٦١).

وفي توقيع كتبه الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى أحد أصحابه وهو علي بن الحسين بن بابويه القمي، قوله عليه السلام: «اعتصمت بحبل الله. بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والجنة للموحدين، والنار للملحدين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا إله إلا الله أحسن الخالقين، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين.

عليك بالصبر وانتظار الفرج، فإن النبي ﷺ قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا تزال شييعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن

علي، وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا، ورحمة الله وبركاته» (٦٢).

ثم رُوي عنه (عليه السلام) قال للرجل الذي قال إنه من شيعة علي (عليه السلام): «يا عبد الله لست من شيعة علي (عليه السلام) إنما أنت من محبيه، إنما شيعة علي (عليه السلام) الذين قال الله عز وجل فيهم: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)» (٦٣)، هم الذين آمنوا بالله، ووصفوه بصفاته، ونزهوه عن خلاف صفاته، وصدقوا محمداً في أقواله وصوبوه في أفعاله، ورأوا علياً بعده سيداً إماماً وقرماً هماماً، لا يعدله من أمة محمد أحد، ولا كلهم لو جمعوا في كفة يوزنون بوزنه بل يرجح عليهم كما يرجح السماء على الأرض، والأرض على الذرة، وشيعة علي (عليه السلام) هم الذين لا يبالون في سبيل الله أوقع الموت عليهم أو وقعوا على الموت، وشيعة علي (عليه السلام) هم الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وهم الذين لا يراهم الله حيث نهاهم، ولا يفقدهم حيث أمرهم، وشيعة علي (عليه السلام) هم الذين يقتدون بعلي (عليه السلام) في إكرام إخوانهم المؤمنين» (٦٤).



النتائج

إلى هنا وقد تمّ البحث بمباحثه الأربعة بحمد الله، وتوصلت إلى النتائج الآتية:

قام الإمام الحسن العسكري عليه السلام بأعمال سياسية كبيرة للوصول إلى الأهداف العظيمة التي لأجلها شرّع الدين الإسلامي في الظروف الحرجة والخطيرة التي عايشها.

منها: تأسيس شبكة الوكلاء من ثقات شيعته، كما كان نظام الوكلاء معهوداً ومعروفاً حتى في زمن آبائه عليهم السلام، لكن قد تطوّر هذا النظام بتوسعة البلاد وتضييق الدائرة على الأئمة عليهم السلام، وسجنهم واحتجازهم في الإقامة الجبرية حتى بلغ درجة متقدمة من التكامل في زمن الإمام العسكري ليمهّد الشيعة للغيبة الصغرى.

ومنها: إخبار شيعته بالقائم من بعده وتعيينه إماماً لهم من خلال بعض التوقيعات واللقاءات مع خواص شيعته.

ومنها: الرسائل والتوقيعات التي أرسلها إلى وكلائه ومن خلاها خاطب شيعته بالوصايا الأخلاقية والأحكام الشرعية.

ومنها: التراث الروائي والأدعية الماثورة وتفسير القرآن الكريم المنسوب إليه عليه السلام.

وربما هناك جوانب أخرى مررت بها سريعاً في اثناء هذه الدراسة المتواضعة، وختاماً أسأل الله أن يغفر لي ما فيه من الخطأ والزلل، وأستغفر الله من ذلك وأسأله علماً نافعاً صالحاً خالصاً متقبلاً، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلّم، والحمد لله ربّ العالمين.

الهوامش:

- ١- كما ذكره المفيد في مسار الشيعة: ٥٢، والطبرسي في أعلام الوري: ٣٤٩، وابن شهر آشوب في المناقب: ٤/ ٤٣٤.
- ٢- وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٩٥/ ٢.
- ٣- الخرائج والجرائح، الراوندي: ٩٠٢/ ٢.
- ٤- جمع الفريضة، اللحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد. ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ٦٢٥.
- ٥- الإرشاد، المفيد: ٣٤٤.
- ٦- الشيعة في الميزان، مغنية: ٢٤٩.
- ٧- المناقب، ابن شهر آشوب: ٥٢٥/ ٣.
- ٨- مهج الدعوات، السيد ابن طاووس: ٢٧٣.
- ٩- وقد ورد أنهم سجنوه في صفر سنة ٢٦٠هـ، ينظر: اثبات الوصية، المسعودي: ٢٥٣/ ١.
- ١٠- الإرشاد، المفيد: ٣٨٣.
- ١١- الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، كوراني: ٤٢٩.
- ١٢- أصول الكافي، الكليني: ٥٠٣/ ١.
- ١٣- الإرشاد، المفيد: ٥١٠.
- ١٤- أعلام الهداية، الحكيم: ٩٩/ ١٣.
- ١٥- تاريخ ابن خلدون: ٢٥/ ١.
- ١٦- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤٥٥/ ٧.
- ١٧- مروج الذهب، المسعودي: ٣٦٦/ ٢.
- ١٨- الأنوار البهية، القمي: ٣١٥.
- ١٩- أعلام الهداية، الحكيم: ١٠٠/ ١٣.
- ٢٠- تاريخ الإسلام السياسي، حسن: ٤٢٢/ ٣.
- ٢١- على سبيل المثال ظهور الصوفية، والواقفة، والثنوية، والمفوضة، ومواقف الإمام (عليه السلام) منهم، كموقفه (عليه السلام) من الجاثليق النصرائي، وموقفه (عليه السلام) من اسحاق الكندي الذي مرّ في البحث الأول من هذا المقال. ينظر: حياة الإمام العسكري (عليه السلام)، الطبرسي: ٢٢٤-٢١٧.
- ٢٢- الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وسيرة وتاريخ، الكعبي: ٩.
- ٢٣- كمال الدين، الصدوق: ٤٣٥، ب، ٣٨، ح، ٣.
- ٢٤- حياة الإمام العسكري (عليه السلام)، الطبرسي: ٢٤٧.
- ٢٥- رجال الكشي، الكشي: ٤٨٠.



- ٢٦- رجال الكشي: ٤٨٥-٤٨٦.
- ٢٧- الفهرست، الطوسي: ٦٤.
- ٢٨- الغيبة، النعماني: ٢١٢.
- ٢٩- جامع الرواة، الأردبيلي: ١/ ١٥٢.
- ٣٠- دلائل الإمامة، الطبري: ٢٧٢.
- ٣١- رجال الكشي، الكشي: ٤٨٤.
- ٣٢- المصدر السابق: ٤٥٤.
- ٣٣- والظاهر هو نفس حفص بن عمرو العمري الذي ذكره الشيخ الطوسي في رجاله، ولا وجود لهذا الشخص ولا لابنه كما يدعيه الكشي، أولاً: لأنه لم يترجم لعثمان بن سعيد ولا لابنه، واكتفى بحفص وابنه، وثانياً: كل ما قاله في رجاله بحق حفص بن عمرو العمري، ينطبق على عثمان بن سعيد العمري. ولذلك تردد السيد الخوئي في أن لهذا الشخص وجوداً خارجياً، وبعد بحث طويل يقول: «لم يعلم وجود لحفص بن عمرو العمري ولا لابنه، فضلاً عن أن يكونا وكيلين». ينظر: معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ١١/ ١٢٠.
- ٣٤- الغيبة، النعماني: ٢١٥.
- ٣٥- تنقيح المقال، المامقاني: ٢/ ٢٤٦.
- ٣٦- رجال الطوسي، الشيخ الطوسي: ٤١٨.
- ٣٧- كمال الدين، الصدوق: ٢/ ٤٧ في ذكر من شاهد القائم عليه السلام، ح ١٧. وذكره الشيخ في المصباح بعنوان القاسم بن العلاء الهمداني وكيلاً لأبي محمد عليه السلام. ينظر: مصباح المتهجد، الطوسي: ٢/ ٨٢٦.
- ٣٨- رجال الطوسي، الشيخ الطوسي: ٤٣٦.
- ٣٩- معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ١٦/ ٢٠٤.
- ٤٠- اثبات الوصية، المسعودي: ٢٧٢.
- ٤١- كمال الدين، الصدوق: ٢/ ٤٣٤.
- ٤٢- الغيبة، الطوسي: ٢٧٠، ح ٢١٤.
- ٤٣- كمال الدين، الصدوق: ٤١٢، ب ٣٨.
- ٤٤- رجال النجاشي، النجاشي: ٣٤٦.
- ٤٥- المناقب، ابن شهر آشوب: ٤/ ٤٥٧.
- ٤٦- إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس: ٢٨٢.
- ٤٧- رجال النجاشي، النجاشي: ١٦٦.
- ٤٨- الذريعة، الطهراني: ٢٣/ ١٤٩.

٤٩- الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ورواياته الفقهية، الحداد: ٥٢.

٥٠- نقل الشيخ الصدوق في كتبه بعض روايات هذا التفسير أو غيرها إما بعين سند التفسير وإما مع اختلاف يسير، وأنه لا ينقل في الفقيه إلا رواية تكون حجة بينه وبين الله، كما قاله في مقدمته وما نقل في الفقيه بسند هذا التفسير موجود بعينه في تفسير العسكري. ينظر: الفقيه، الصدوق: ٣٢٧/٢، والتفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ١٣.

٥١- المناقب، ابن شهر آشوب: ١/ ١٢٩. فإنه نسب التفسير المذكور إليه (عليه السلام) جزماً، ونقل عنه في مناقبه في مواضع عديدة.

٥٢- الاحتجاج، الطبرسي: ٤/ ١.

٥٣- وسائل الشريعة، العاملي: ٥٩/ ٢٠.

٥٤- تفسير الصافي، الكاشاني: ١١٩/ ٦.

٥٥- مجمع الرجال، القهباي: ٢٥/ ٦.

٥٦- خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٢٥٦.

٥٧- قد ألف الشيخ محمد جواد البلاغي رسالة في نسبة هذا التفسير، فصل فيها أوجه الاضطراب والخلط، وخلص إلى كونه موضوعاً مكذوباً على الإمام (عليه السلام). ينظر: آلاء الرحمن، البلاغي: ٤٩/ ١.

٥٨- معجم رجال الحديث، الخوئي: ١٥٩/ ١٣.

٥٩- رجال النجاشي، النجاشي: ٣٤٧، ٣٧١، ٢٢٠.

٦٠- الفهرست، الشيخ الطوسي: ٤٠٨.

٦١- تحف العقول، الحراني: ٣٦١.

٦٢- جامع المقال، الطريحي: ١٩٥.

٦٣- سورة البقرة/ ٨٢.

٦٤- بحار الأنوار، المجلسي: ١٦٢/ ٦٥.



المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

✽إثبات الوصية، علي بن الحسين المسعودي،
نشر أنصاريان، قم، ١٤٢٣هـ.

✽ الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب
الطبرسي، انتشارات الشريف الرضي،
الطبعة الأولى، قم، ١٤٢٣هـ.

*اختيار معرفة الرجال المعروف برجال
الكشي، محمد بن عمر الكشي، بتصحيح
الشيخ الطوسي، مؤسسة نشر دانشگاه
مشهد، الطبعة الأولى، مشهد، ١٤٠٩هـ.
*الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد،
الشيخ محمد بن محمد بن نعمان العكبري
البغدادى المفيد، مؤسسة آل البيت عليه السلام،
الطبعة الأولى، قم، ١٤١٣هـ.

*الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد،
الشيخ محمد بن محمد بن نعمان العكبري
البغدادى المفيد، مؤسسة آل البيت (عليه السلام)،
الطبعة الأولى، قم، ١٤١٣هـ.

✽ أصول الكافي، ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، دار المرتضى، الطبعة الاولى، بيروت، ١٤٢٦هـ.

❖ أعلام الهداية، السيد منذر الحكيم بمساهمة
جمع من المحققين، المجمع العالمي لأهل
البيت عليه السلام، الطبعة الأولى، قم، ١٤٢٤ هـ.

*إعلام الوري بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٤هـ.

*إقبال الأعمال، السيد علي بن موسى
بن طاووس، مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت،
١٤١٧هـ.

✽آلاء الرحمن في تفسير القرآن، الشيخ محمد
جواد البلاغي، نشر بنياد بعثت، الطبعة
الأولى، قم، ١٤٢٠هـ.

*الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) سيرة وتاريخ،
علي موسى الكعبي، نشر مركز الرسالة.
*الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ورواياته
الفقهية دراسة في دلالات المتون، عبد
السادة محمد الحداد، العتبة الحسينية
المقدسة قسم الشؤون الفكرية، الطبعة
الأولى، كربلاء، ١٤٣٦ هـ.

*الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ورواياته
الفقهية دراسة في دلالات المتون، عبد
السادة محمد الحداد، العتبة الحسينية
المقدسة قسم الشؤون الفكرية، الطبعة
الأولى، كربلاء، ١٤٣٦هـ.

*الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، علي الكوراني
العامل، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

* الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية،
الشيخ عباس القمي، مؤسسة النشر
الإسلامي، الطبعة الأولى، قم،
١٣٥٩ هـ.

✽بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة
الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي،
مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة،
بيروت، ١٤٠٣هـ.

*تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠١هـ.

*تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن ابراهيم حسن، دار الجليل، الطبعة الرابعة عشرة، بيروت، ١٤١٦هـ.

✽ تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، الحسن بن علي ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، قم، ١٤٠٤ هـ.

✽التفسير الصافي، المولى محسن الفيض الكاشاني، مؤسسة الهادي، الطبعة الثانية، قم، ١٤١٦هـ.

✽التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، الطبعة الثانية، قم، ١٤٣٣هـ.

✽تنقيح المقال في علم الرجال، الشيخ عبد الله المامقاني، تحقيق الشيخ محمد رضا المامقاني، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، الطبعة الأولى، قم، ١٤٣١هـ.

✽جامع الرواة وازاحة الاشتباهات عن الطرق والأسناد، محمد بن علي الأردبيلي، مكتبة آية الله المرعشي، الطبعة الأولى، قم، ١٤٠٢هـ.

✽جامع المقال فيما يتعلق في أحوال الحديث والرجال، الشيخ فخر الدين الطريحي، تحقيق محمد كاظم الطريحي، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٣٢هـ.

✽حياة الإمام العسكري (عليه السلام)، محمد جواد الطبسي، مؤسسة بوستان كتاب، الطبعة الثالثة، قم، ١٤٢٥هـ.

✽الخرائج والجرائح، سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، عجل الله فرجه الشريف، الطبعة الأولى، قم، ١٤٠٩هـ.

✽خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٧هـ.

✽دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٣هـ.

✽الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني، نشر اسماعيليان، قم، ١٤٠٨هـ.

✽رجال الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٥هـ.

✽الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٩٩هـ.

✽الغيبة، محمد بن ابن ابراهيم النعماني، تحقيق فارس حسون كريم، منشورات أنوار الهدى، الطبعة الأولى، قم، ١٤٢٢هـ.

✽الغيبة، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، قم، ١٤١١هـ.

✽فهرست أساء مصنفی الشيعة المشتهر برجال النجاشي، أحمد بن علي النجاشي الكوفي، تحقيق آية الله السيد موسى الشيرازي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، قم، ١٤٠٧هـ.

✽الفهرست، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٧هـ.

✽القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق التراث في مؤسسة



الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة الثامنة، بيروت، ١٤٢٦هـ.

*الكامل في التاريخ، علي بن محمد ابن الأثير، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٧هـ.

*كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، قم، ١٤٠٥هـ.

*مجمع الرجال، عناية الله القهبائي، نشر اسماعيليان، الطبعة الثانية، قم، ١٣٦٤هـ.

*مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٥هـ.

*مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، الشيخ محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي المفيد، تحقيق الشيخ مهدي نجف، دار المفيد للطباعة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٤هـ.

*مصباح المتهجد، محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١١هـ.

*معجم رجال الحديث، السيد ابوالقاسم الخوئي، مؤسسة الإمام الخوئي الإسلامية، الطبعة الأولى، النجف الأشرف.

*من لا يحضره الفقيه، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٦هـ.

*مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب، تحقيق يوسف البقاعي، دار الأضواء، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٢هـ.

*مهج الدعوات ومنهج العبادات، السيد ابن طاووس، دار الذخائر، الطبعة الأولى، قم، ١٤١١هـ.

*وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، قم، ١٤٢٦هـ.

*وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي، تحقيق احسان عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧١م.



على
فريق العمل

مؤتمر الإمام الحجة الدولي الثاني

إثبات ولادة الإمام المهدي عليه السلام في التوقيعات الشريفة

السيد أحمد زيد الموسوي

الكويت / الحوزة العلمية / النجف الاشرف

ملخص البحث:

إنَّ من المسائل التي تشكل أساساً في عقيدة الشيعة الإمامية مسألة ولادة الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن عليه السلام قبل وفاة أبيه الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، وهذه العقيدة من العقائد التي تمثل التثاماً تاماً بين مضامين مجموعة من الأدلة التي تثبت صحة عقيدة الشيعة الإمامية في انحصار حق الحكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بأئمتهم الاثني عشر عليهم الصلاة والسلام، كآية أولي الأمر، وحديث السفينة، وحديث الاثني عشر إماماً، وحديث لزوم وجود إمام في كل زمان، وغيرها.

وقد وقعت هذه المسألة موقع إثارة الشبهة والتشكيك والإنكار منذ الزمن الأول للغيبة، ما سبب في وقوع حالة من الحيرة عند البعض في الاعتقاد بوجود الإمام الثاني عشر، وولادته، فنهض مجموعة من أعلام الطائفة في زمان الغيبتين للتأليف والتصنيف في مسألة الغيبة.

هذا، ووضوح الحجة على هذه المسألة بالدليل التام والمدرک البالغ قطع تشكيك المشككين، فكان لله عز وجل في ذلك الحجة البالغة على خلقه مع وفور الحجج البالغة على أصول الدين ومعالمه.

إلا أنها كغيرها من المسائل حرفها بعض المخالفين عن المسار الصحيح في الاستدلال عليها بالطريقة المعروفة عند الطائفة والمتداولة لدى الأصحاب، ما يستدعي تنبيهاً على ذلك.

ومن هنا سلط الضوء على الاستدلال عليها بالمقدار الوارد في بعض التوقيعات الشريفة الواردة عن الناحية المقدسة، وبيان مدى انسجامه مع ما ورد في الأحاديث الشريفة بشكل عام، وما ورد في كلمات الأعلام في هذه المسألة، وقد انبلج صبح الحجة والدليل منذ الزمن الأول لولادته ﷺ.



المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطاهرين
لا سيما إمامنا الثاني عشر والحجة المنتظر عليه السلام

إنّ من أهم المسائل في عقيدة الشيعة الإمامية عقيدتهم بإمامة أئمتهم
الاثني عشر عليهم الصلاة والسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكون هذه العقيدة
من شرائط النجاة يوم الجزاء ودخول الجنة.

ومن أهم ما قد أثير من شبهات منذ زمان الغيبة إلى اليوم مسألة
التشكيك بوجود الإمام الثاني عشر صاحب الزمان عليه السلام وولادته؛ لعدم
كونه ظاهراً بين الناس، يرونهم ويراهم، ويعرفونه بهويته الشخصية،
وكانت هذه الشبهة مقارنة لأوّل أزمنة الغيبة، حتى سمي زمان الغيبة
الأوّل بزمان الحيرة.

وقد وردت بعض التوقيعات في مقام الجواب عن هذه الشبهة، أحيينا
سردها والتعليق عليها بما تيسر، ثمّ بيان أن ما ورد فيها من دليل على
وجوده عليه السلام وولادته بعد أبيه الإمام العسكري عليه السلام هو ما كان عليه تركيز
العلماء الذين عاصروا بدايات زمان الغيبة.

وكان عمدة الدليل في ذلك الأدلّة التي تثبت عدم خلوّ الأرض من
حجة، وهي أدلة متعددة متكررة، اكتفي في التوقيع الشريف بالتذكير بها،
وأنها مما يجب التمسك به لدفع مثل هذه الشبهة المذكورة، فلم يستدلّ في
توقيع من التوقيعات، ولا في بيانات العلماء، على ولادته عليه السلام، باشتهاار الولادة
بين المسلمين، وكون ذلك معلناً واضحاً، وإنما كان الاستدلال بها عرفت.

نعم، هناك أدلة أخرى متعددة على وجوده ﷺ غير روايات عدم خلوّ الأرض من حجة، وقد وردت تلك الأدلة موزّعة في كتب الحديث والكلام وغيرها، إلّا أنّ المقصود في هذا البحث على اختصاره بيان أنّ ما سلّط عليه الضوء في بعض التوقعات دليل عدم خلوّ الأرض من حجة الله تعالى.

ونحن في هذا المقام لسنا بصدد البيان التفصيلي لقاعدة عدم خلوّ الأرض من حجة، فإنّ هذا يقتضي وقفة خاصّة أخرى، وإنّما المطلوب في هذا البحث بيان أنّ هذا مما استدلّ به في التوقيع الشريف على ولادته صلوات الله وسلامه وعليه، وعلى هذا جرى بعض العلماء من المتقدمين في مقام بيان الأدلة على وجوده ﷺ.

وعليه فالبحث يقع في مقامين:

المقام الأول: في ذكر بعض التوقعات الشريفة.

المقام الثاني: في بيانات العلماء.

المقام الأول: في ذكر التوقعات الشريفة:

التوقيع الأول:

ما رواه الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب الغيبة: أخبرني جماعة، عن أبي محمد التلعكبري، عن أحمد بن علي الرازي، عن الحسين بن علي القمي، قال: حدثني محمد بن علي بن بنان الطلحي الآبي، عن علي بن محمد بن عبدة النيسابوري، قال: حدثني علي بن إبراهيم الرازي، قال: حدثني الشيخ الموثوق به بمدينة السلام قال: تشاجر ابن أبي غانم القزويني وجماعة من الشيعة في الخلف، فذكر ابن أبي غانم أن أبا محمد عليه السلام مضى

ولا خلف له، ثم إنهم كتبوا في ذلك كتابا وأنفذوه إلى الناحية، وأعلموه بما تشاجروا فيه، فورد جواب كتابهم بخطه عليه وعلى آبائه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم عافانا الله وإياكم من الضلالة والفتن، ووهب لنا ولكم روح اليقين، وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب أنه أنهى إلي ارتياب جماعة منكم في الدين، وما دخلهم من الشك والخيرة في ولاية أمورهم، فغمنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا، لأن الله معنا ولا فاقة بنا إلى غيره، والحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنا، ونحن صنائع ربنا، والخلق بعد صنائعنا.

يا هؤلاء! ما لكم في الريب ترددون، وفي الخيرة تنعكسون؟ أو ما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾؟ أو ما علمتم ما جاءت به الآثار مما يكون ويحدث في أئمتكم عن الماضين والباقيين منهم ﷺ؟ أو ما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاما تهتدون بها من لدن آدم ﷺ إلى أن ظهر الماضي ﷺ، كلما غاب علم بدا علم، وإذا أفل نجم طلع نجم؟ فلما قبضه الله إليه ظننتم أن الله تعالى أبطل دينه، وقطع السبب بينه وبين خلقه، كلا ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة، ويظهر أمر الله سبحانه وهم كارهون. وإن الماضي ﷺ مضى سعيدا فقيدا على منهاج آبائه ﷺ حذو النعل بالنعل، وفينا وصيته وعلمه، ومن هو خلفه ومن هو يسد مسده، لا ينازعنا موضعه إلا ظالم آثم، ولا يدعيه دوننا إلا جاحد كافر، ولولا أن أمر الله تعالى لا يغلب، وسره لا يظهر ولا يعلن، لظهر لكم من حقنا ما تبين منه عقولكم، ويزيل شكوككم، لكنه ما شاء الله كان، ولكل أجل كتاب. فاتقوا الله وسلموا لنا، وردوا الأمر إلينا، فعلينا الاصدار كما كان منا الايراد، ولا تحاولوا كشف ما غطي عنكم ولا تميلوا عن

اليمين، وتعدلوا إلى الشمال، واجعلوا قصدكم إلينا بالمودعة على السنة الواضحة، فقد نصحت لكم، والله شاهد علي وعليكم، ولولا ما عندنا من محبة صلاحكم ورحمتكم، والاشفاق عليكم، لكننا عن مخاطبتكم في شغل فيما قد امتحنا به من منازعة الظالم العتل الضال المتتابع في غيه، المضاد لربه، الداعي ما ليس له، الجاحد حق من افترض الله طاعته، الظالم الغاصب.

وفي ابنة رسول الله ﷺ لي أسوة حسنة وسيردي الجاهل رداة عمله، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار، عصمنا الله وإياكم من المهالك والأسواء، والآفات والعاهات كلها برحمته، فإنه ولي ذلك والقادر على ما يشاء، وكان لنا ولكم وليا وحافظا، والسلام على جميع الأوصياء والأولياء والمؤمنين ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما^١.

وفي هذا التوقيع الشريف عدة مطالب:

المطلب الأول: أنه مسوق لبيان ما به اندفاع الشبهة حول إمامة الإمام الثاني عشر عليه السلام، حيث وقع التشاجر بين البعض في أنه هل للإمام العسكري عليه السلام خلف أم لا، وهذا يعني وقوع التنازع والتشكيك في وجود الإمام بعد الإمام العسكري عليه السلام، ومثل هذه الشبهة من شأنها أن تشكك المبطل بها في مذهبه ككل؛ لأن مذهب الإمامية مبني على اثني عشر إماماً لا أحد عشر، فإذا شك في الثاني عشر منهم عليهم الصلاة والسلام سرى الشك إلى جميعهم، فتلاشت عقيدته.

المطلب الثاني: بيان كون تفاعل الأئمة عليهم السلام في مثل هذه المطالب - أعني رفع الشبهات وبيان الأدلة - مع شيعتهم وأوليائهم إنما هو لأجل مصلحة الشيعة أنفسهم، لا لمصلحة الأئمة عليهم الصلاة والسلام؛ فإن كل إمام

منهم عليهم الصلاة والسلام لا يحتاج إلى غير الله عز وجل، فعلمه من الله تعالى عن طريق رسوله، وفهمه منه تعالى بالتسديد والتأييد، وإنما المحتاج إلى الأئمة هم الشيعة أنفسهم، احتاجوا إليهم في التعليم والتفهم والتربية والعناية بعد أن اعتقدوا بعصمتهم وأذعنوا بإمامتهم، فكلّ تصدّد من هذا القبيل فيه تفضل بيّن لهم عليهم الصلاة والسلام على شيعتهم وأوليائهم.

وقد ورد هذا المطلب بشكل واضح في صدر التوقيع وذيله أيضاً.

المطلب الثالث: أن قوله ﷺ كما في هذا التوقيع: «نحن صنائع ربنا، والخلق بعد صنائعنا». في سياق بيان التفضل برفع الشبهات ونحو ذلك يكون دالاً بوضوح على أن المراد من الصنيعة العناية والتأديب والتربية في دين الله عز وجل.

المطلب الرابع: أن الجواب عن شبهة عدم ولادة صاحب الزمان ﷺ وعدم وجود خلف للإمام العسكري عليه السلام والصلاة وانقطاع سلسلة الأئمة لم يكن ببيان تواتر الولادة حتى يشكل على ذلك بعدم تحقق مثل هذا التواتر، وإنما كان بالتذكير بعدة أدلة هي بنفسها تثبت ضرورة وجود إمام في كل زمان، أو تنفي الشبهة عن المطلب، وإليك هذه الأدلة المذكورة في هذا التوقيع مع وجود غيرها في غيره:

الدليل الأول: آية أولي الأمر، وهي قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.

وتقريب الاستدلال بها على المطلوب قد لا يخلو من خفاء، وربما يكون ذلك من باب أن الدول والحكومات مستمرة ما استمر الناس المكلفون، والحكام الذين هم أولوا الأمر مستمرّون ما استمرّت الدول والحكومات،

ويشترط في الحاكم دائماً أن يكون معصوماً؛ لما تقرّر في محله من دلالة آية أولي الأمر على اشتراط العصمة في الحكام المعبر عنهم بأولي الأمر، فلا بد في كل زمان تكون فيه حكومات ودول أن يكون الحاكم معصوماً، ففي زمان الإمام العسكري كان الحاكم المعصوم هو عليه السلام، وبعد زمانه لا احتمال غير أن يكون الحاكم المعصوم هو ولده أعني الإمام الثاني عشر عليه السلام.

الدليل الثاني: ما ورد عن الأئمة عليهم الصلاة والسلام في بيان ما سيحصل على الأئمة الباقين، ولعلّ ذلك إشارة إلى الأخبار المتكثرة عنهم عليهم الصلاة والسلام في أنّ الإمام الثاني عشر عليه السلام سيغيب غيبة، وفي بعضها تفصيل الغيبة بغيبتين، ولن يكون ظاهراً في أول أمره لعامة الناس والمؤمنين، بل تطول مدّة غيبة كما نصّ على ذلك في بعض الروايات^(٢)، فلو كان عليه السلام من أول أمره ظاهراً لكانت أقوال الأئمة المتقدمين عليه عليه السلام أجمعين مخالفة للواقع، وهذا يدعو للشك في إمامتهم؛ لعدم صدق إخبارهم والعياذ بالله تعالى، ولكن لما وقعت الغيبة، واتضح أن الأخبار الصادرة من الأئمة المتقدمين كانت صادقة، كان ذلك دالاً على حقانية المذهب، ومثبتاً كذلك لصدق ما أخبر به الأئمة المتقدمون عليه عليه السلام، وهذا المطلب هو بحدّ ذاته دليل إثبات إمامته عليه السلام؛ فإنّهم حينما أخبروا بأنّ الغيبة واقعة لا محالة، قالوا لشيعتهم إنّ إمامكم الثاني عشر سيغيب غيبة طويلة، فلمّا صدق إخبارهم في الغيبة، صدق إخبارهم في إمامته عليه السلام كذلك.

الدليل الثالث: روايات عدم خلو الأرض من حجة، واستمرار ذلك منذ نشأة الخليقة إلى زمن الإمام العسكري عليه السلام، أي من زمن آدم فما دونه من أزمان، ومع كون مضيّ الإمام العسكري عليه السلام قطعياً، يثبت ضرورة

وجود إمام في ذلك الزمان الذي أثير فيه التشكيك، وهو زمان ما بعد مضي الإمام العسكري عليه الصلّام والسلام، ولا احتمال لإمامة غير ولده (عليه السلام)، فيثبت وجود الإمام الثاني عشر (عليه السلام).

وهذه الروايات مبنوثة في كتب الحديث، ويمكن تقسيمها إلى طوائف متعددة كما صنع بعض المحدثين على ما سيأتي في المقام الثاني عند ذكر بيانات العلماء رضوان الله تعالى عليهم.

التوقيع الثاني:

ما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله تعالى في كمال الدين، وإليك نصّ ما ذكره رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن الحسن (عليه السلام)، عن سعد بن عبد الله، عن علي بن محمد الرازي المعروف بعلان الكليني، قال: حدثني محمد بن جبرئيل الأهوازي، عن إبراهيم ومحمد ابني الفرج، عن محمد بن إبراهيم بن مهزيار أنه ورد العراق شاكا مرتادا، فخرج إليه: «قل للمهزياري قد فهمنا ما حكيتك عن موالينا بناحيتمكم» فقل لهم: أما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ هل أمر إلا بما هو كائن إلى يوم القيامة، أو لم تروا أن الله عز وجل جعل لكم معاقل تأوون إليها وأعلاما تهتدون بها من لدن آدم (عليه السلام) إلى أن ظهر الماضي (أبو محمد) (عليه السلام)، كلما غاب علم بدا علم، وإذا أفل نجم طلع نجم، فلما قبضه الله إليه ظننتم أن الله عز وجل قد قطع السبب بينه وبين خلقه كلا ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة ويظهر أمر الله عز وجل وهم كارهون، أليس قال لك أبوك قبل وفاته: أحضر الساعة من يعير هذه الدنانير التي عندي: فلما أبطى ذلك عليه وخاف الشيخ على نفسه الوحا قال لك: غيرها على نفسك وأخرج إليك كيسا كبيرا وعندك

بالحضرة ثلاثة أكياس وصره فيها دنانير مختلفة النقد فغيرتها وختم الشيخ بخاتمة وقال لك: اختتم مع خاتمي، فإن أعش فأنا أحق بها، وإن أمت فاتق الله في نفسك وأولا ثم في، فخلصني وكن عند ظني بك. أخرج رحمك الله الدنانير التي استفضلتها من بين النقدين من حسابنا وهي بضعة عشر دينارا واسترد من قبلك فإن الزمان أصعب مما كان، وحسبنا الله ونعم الوكيل. قال محمد بن إبراهيم: وقدمت العسكر زائرا فقصدت الناحية فلقيتني امرأة وقالت: أنت محمد بن إبراهيم؟ فقلت: نعم، فقالت لي: انصرف فإنك لا تصل في هذا الوقت وارجع الليلة فإن الباب مفتوح لك فادخل الدار واقصد البيت الذي فيه السراج، ففعلت وقصدت الباب فإذا هو مفتوح فدخلت الدار وقصدت البيت الذي وصفته فبينا أنا بين القبرين أنتحب وأبكي إذ سمعت صوتا وهو يقول: يا محمد اتق الله وتب من كل ما أنت عليه فقد قلدت أمرا عظيما.^٣

أقول: هذا التوقيع الشريف كسابقه في الجملة من حيث الدليل على وجود الخلف للإمام العسكري (عليه السلام) بعد مضيئه، وأنه الإمام بعده (عليه السلام)، إلا أن فيه زيادة بيان وجه دلالة آية أولي الأمر على المطلوب، وهو قوله (عليه السلام) حسب ما ورد فيه: (هل أمر إلا بها هو كائن إلى يوم القيامة)، ولعل فيه إشارة إلى ما ذكرناه ضمن التعليق على التوقيع السابق من فكرة استمرار الدول ما استمر الناس وبقوا، وهذا يقتضي استمرار وجود ولاية الأمر والحكام عليهم، فتشترط الآية العصمة في أولي الأمر.

والمهم في هذا التوقيع الشريف وسابقه هو دليل عدم خلوّ الأرض من حجة، فقد تكرر ذكره وورد هنا أيضاً.

الحاصل:

ويمكن القول بأنّ عمدة ما تحصل من أدلة وجود الإمام الثاني عشر عليه السلام في هذين التوقيعين عدم خلوّ الأرض من حجّة، ولزوم وجود إمام في كلّ زمان، بضميمة مضي الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام.

المقام الثاني: في بيانات العلماء:

أ- الشيخ علي بن الحسين بن بابويه القمي (المتوفى سنة ٣٢٩هـ):

كتب الشيخ علي بن الحسين بن بابويه رحمه الله تعالى كتاب الإمامة والتبصرة من الحيرة، وكان كتابه هذا مخصصاً لإثبات وجود صاحب الزمان الإمام الثاني عشر عليه السلام وولادته، فقد قال رحمه الله تعالى في بيان الحيرة التي وقعت في زمانه بالنسبة إلى مسألة إمامة الإمام الثاني عشر عليه السلام: (ورأيت كثيراً ممن صح عقده، وثبتت على دين الله وطأته، وظهرت في الله خشيته، قد أحادثه الغيبة، وطال عليه الأمد حتى دخلته الوحشة، وأفكرته الأخبار المختلفة، والآثار الواردة، فجمعت أخباراً تكشف الحيرة وتجسم النعمة وتنبي عن العدد، وتؤنس من وحشة طول الأمد. وبالله للصواب أرتشد، وعلى صالح القول أستعين، وإياه أسأل أن يحرس الحق ويحفظه على أهله، ويصون مستقره ومستودعه)^٤.

أقول: هذه الحالة التي أشار إليها الشيخ علي بن الحسين بن بابويه القمي رحمه الله تعالى قد أشار إليه غير واحد من الأصحاب، منهم الشيخ الصدوق رحمه الله تعالى في مقدمة كتاب كمال الدين، قال رحمه الله تعالى: (لما قضيت وطري من زيارة علي بن موسى الرضا عليه السلام رجعت إلى نيسابور وأقمت بها، فوجدت أكثر المختلفين إلي من الشيعة قد حيرتهم الغيبة، ودخلت عليهم في

أمر القائم عليه السلام الشبهة، وعدلوا عن طريق التسليم إلى الآراء والمقائيس، فجعلت أبذل مجهودي في إرشادهم إلى الحق وردهم إلى الصواب بالأخبار الواردة في ذلك عن النبي والأئمة عليهم السلام.^٥

وفيه نحو ما في كلام والده رضوان الله تعالى عليهما.

وقد استدل ضمن الأحاديث التي ساقها على المطلب بروايات أن الأرض لا تخلو من حجة.^٦

ب- الشيخ محمد بن ابراهيم النعماني (المتوفى سنة ٣٦٠ هـ):

للشيخ محمد بن ابراهيم النعماني رحمه الله تعالى بيانان في المقام:

البيان الأول: ما ذكره في مقدمة الكتاب، حيث أشار إلى هذا الدليل بقوله: (وإن الله تعالى نهى الشيعة عن الشك في حجة الله تعالى، أو أن يظنوا أن الله تعالى يخلي أرضه منها طرفة عين، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه لكميل بن زياد: بلى اللهم لا تخلو الأرض من حجة لله إما ظاهر معلوم، أو خائف مغمور، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته، وحذرهم من أن يشكوا أو يرتابوا فيطول عليهم الأمد فتفسوا قلوبهم).^٧

البيان الثاني: ما ذكره من روايات تدل على أن الأرض لا تخلو من حجة في سياق الأدلة التي تثبت وجوده عليه السلام، الباب الأول: ما روي في أن الله لا يخلي أرضه بغير حجة.^٨

الباب الثاني: لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لساخت بأهلها وماجت كما يموج البحر بأهله.^٩

الباب الثالث: ما روي في أنه لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة.^{١٠}

ج- الشيخ محمد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق (المتوفى سنة ٣٨١هـ):

هناك بيانان للشيخ الصدوق رحمه الله تعالى في المقام:

البيان الأول: ما ذكره في مقدمته المفصلة حول الإمام الثاني عشر عليه السلام، وقد قال ضمنها: (ولقوله عز وجل: "وإذ قال ربك للملائكة - الآية" في الخطاب الذي خاطب الله عز وجل به نبيه عليه السلام لما قال: "ربك" من أصح الدليل على أنه سبحانه يستعمل هذا المعنى في أمته إلى يوم القيامة، فإن الأرض لا تخلو من حجة له عليهم، ولولا ذلك لما كان لقوله: "ربك" حكمة وكان يجب أن يقول: "ربهم" وحكمة الله في السلف كحكمته في الخلف لا يختلف في مر الأيام وكر الأعوام، وذلك أنه عز وجل عدل حكيم لا يجمعه وأحد من خلقه نسب، جل الله عن ذلك)^{١١}.

البيان الثاني: ما ذكره رحمه الله تعالى من روايات دالة على عدم خلوّ الأرض من حجة في سياق إثبات وجود صاحب الزمان الإمام الثاني عشر عليه السلام.

د- الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠هـ):

قال رحمه الله تعالى: (وأما من قال: إن الامر مشتبه فلا يدري هل للحسن عليه السلام ولد أم لا؟ وهو مستمسك بالأول حتى يتحقق ولادة ابنه، فقلوه أيضا يبطل بما قلناه: من أن الزمان لا يخلو من إمام لان موت الحسن عليه السلام قد علمناه كما علمنا موت غيره، وسنين ولادة ولده فيبطل قولهم أيضا. وأما من قال: إنه لا إمام بعد الحسن عليه السلام، فقلوه باطل بما دللنا عليه من أن الزمان لا يخلو من حجة لله عقلا وشرعا. وأما من قال: إن أبا محمد عليه السلام مات ويحيى بعد موته، فقلوه باطل بمثل ما قلناه، لأنه يؤدي إلى خلو الخلق من إمام من وقت وفاته عليه السلام إلى حين يحييه الله تعالى)^{١٢}.

وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر: (وما دللنا عليه من أن الزمان لا يخلو من إمام عقلا وشرعا يفسد هذا القول أيضا)^{١٣}.

قال رحمه الله تعالى في مقام الردّ: (وأما من قال بإمامة الحسن عليه السلام وقالوا: انقطعت الإمامة كما انقطعت النبوة. فقولهم باطل بما دللنا عليه من أن الزمان لا يخلو عن إمام عقلا وشرعا وبما بيناه من أن الأئمة اثنا عشر، وسنين صحة ولادة القائم عليه السلام بعده، فسقط قولهم من كل وجه، على أن هؤلاء قد انقضوا بحمد الله)^{١٤}.

وتلاحظ بعد هذا العرض لكلمات الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى أنّه أكثر من الاستدلال بقاعدة عدم خلو الأرض من حجة على وجود صاحب العصر والزمان الإمام الثاني عشر عليه السلام.

الخلاصة في كلمات العلماء:

وجدت في هذه الكلمات وغيرها لأعلام الطائفة ممن عاصر بدايات زمان الغيبة الاستدلال بمثل ما ورد في التوقيعين الشريفين على وجود صاحب الزمان عليه السلام بأدلة أنّ الأرض لا تخلو من حجة، وقد وردت بأكثر من صياغة، وفيها أكثر من طائفة من الأخبار.

هذا تمام ما أردناه من هذا البحث والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين

الهوامش:

- ١- الغيبة للشيخ الطوسي: ٣٠٨١١.
- ٢- المصدر
- ٣- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٧١١.
- ٤- الإمامة والتبصرة من الحيرة ٩.
- ٥- كمال الدين وتمام النعمة: ٣٠١١.
- ٦- لاحظ: الإمامة والتبصرة من الحيرة: ٢٥.
- ٧- غيبة النعماني: ٣٠١١.
- ٨- غيبة النعماني: ١٣٤١١.
- ٩- غيبة النعماني: ١٣٨١١.
- ١٠- غيبة النعماني: ١٣٩١١.
- ١١- كمال الدين: ٣٨١١.
- ١٢- الغيبة للشيخ الطوسي: ١٠٨١١.
- ١٣- الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٤٨١١.
- ١٤- الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٤٩١١.



إضاءات تربويّة في جملة من التواقيع المهدويّة

ضياء الشيخ علاء الكربلائي
الحوزة العلميّة / كربلاء المقدّسة

الملخّص

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١)، لا شكّ ولا ريب أنّ الله تعالى هو العالم بمصالح الإنسان ومفاسده، وباللّازم هو علمٌ بالمنفعة والمضرة؛ فهو الخالق له والعالم بحاله، وأوصل جلّ وعلا هذا العلم إلى البشر كلّهم عن طريق بعث الأنبياء والأوصياء.

فما زال المعصومون (عليه السلام) يوصون الناس بالبرّ والإحسان، ويدعونهم إلى مكارم الأخلاق ونبذ رذائلها؛ وذلك بكلّ الطرق والوسائل، فتارةً البيان، وأخرى الكناية والإشارة، وثالثة العمل المقتدى به، وما إلى ذلك من لطائف الطرق.

وكان لإمامنا الغائب عن الأنظار (عليه السلام) طريقته في إيصال تلك العلوم إلى العالم؛ وذلك عن طريق التواقيع التي كانت تصدر من ناحيته الشريفة إلى سفرائه ونوابه، فحملت في طيّاتها الكثير من التوجيه والإرشاد الدينيّ والتربويّ.

وفي هذه الورقة البحثية نبرز ذلك التوجيه والإرشاد الذي وقفنا عليه،
مصنّفه على ثلاث إضاءات:

الأولى: الدلالات التربوية العقائدية.

الثانية: الدلالات التربوية الفقهية.

الثالثة: الدلالات التربوية الأخلاقية.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إنّ التعاليم السماوية عامّة والإسلامية خاصّة أكّدت على مجموعة من
المبادئ والتعاليم الرفيعة، والتي تهدف إلى تخلّق الإنسان بالمثّل والقيم
السامية، ممّا يحفظ حرمة الإنسان وكرامته، كما ورسمت طريقاً واضحاً وجليّاً
إلى تطبيق ذلك كلّ على أكمل وجه وأتمّه، بحيث لم يبقَ عذرٌ يعتذر به المرء
من عدم الانقياد والانصياع إلى الحقّ سوى تعديّ الظلمة وتجهيلهم الناس.

ولذلك سعى الذين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^(٢) إلى
تطمس ذلك النور الإلهي، ولكن ﴿يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ
كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).

وهذا الوعد الربّانيّ كان كفيلاً في صدّ كلّ المحاولات والطرق الشيطانية
التي جرت على يد بعض فسقة الإنس، والتي كان هدفها النيل من الحنيفيّة
البيضاء؛ وذلك عن طريق أناسٍ وُصفوا بأنهم: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا يُخَافُونَ يَوْمًا
تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(٤).

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن يتخذ المرء وسيلةً إلى ربه، وذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (٥).

ونجد هذا المعنى - أي التوجه إلى الله تعالى والتوسل إليه بكل عزيز وكذا التشفع - في التوقيع المروي عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري؛ فلقد قال عليه السلام في جملة كلامه: «لا لأمر الله تعقلون، ولا من أوليائه تقبلون، ﴿حِكْمَةٌ بِالْغَةِ فَمَا تُغْنِ النَّدْرُ﴾» (٦) عن قوم لا يؤمنون، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

إذا أردتم التوجه بنا إلى الله وإلينا فقولوا كما قال الله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٧) .. (٨).

ويمكن أن نستفيد من كلامه عليه السلام منطوقاً أو مفهوماً ما يلي:

١ - أن تكون الوسيلة إلى الله تعالى عظمة جليلة؛ لتزيد نسبة استجابة الدعوة وقضاء الحاجة، ولا يوجد في الوجود أعظم عند الحق عز وجل من آله عليه السلام.

٢ - أن يكون الطلب ذا أهمية بالغة، ولا شيء في الدنيا كلها أكثر أهمية للمرء من الحفاظ على دينه ومعتقده.

٣ - أن الوسيلة أمر اختياري يلوذ به المؤمن ولا يكره عليه.

الإضاءة الثانية: الدلالات التربويّة الفقهيّة

البحث هنا أيضاً عن اللازم كما سبق بيان المراد منه في الإضاءة الأولى، والذي وقفنا عليه حسب التتبّع هو:

إظهار البراءة من أعداء الدّين

يمكن أن يكون هذا العنوان مصداقاً لواجب النهي عن المنكر بمرتبه الوسطى، أي التغيير باللسان، والمتابع لسيرة الأئمة عليهم السلام يجد أن الحركات الضلاليّة كانت في زمن كلّ إمامٍ معصومٍ تقريباً، بدءاً بالمخمّسة وانتهاءً بما ظهر ويظهر في زماني الغيبة الصغرى والكبرى من ادّعاءات كاذبة وافتراءات.

ويلاحظ أيضاً التصدّي القويّ والشديد من قبل الأئمة صلوات الله عليهم لتلك الأراجيف والأباطيل ولمن تبناها وروج لها، وهذا كان نهج إمام الزمان روعي له الفداء مع كلّ حركة ضلال ظهرت حال غيبته الصغرى، فكانت التواقيع تأتي بلعن أصحابها والتحذير منهم، سواء كانت هذه الفرق ابتدعت أمرها في زمان الإمام عليه السلام أو في سابقه ولكن في زمانه تمّ الترويج لها والعمل بآرائها، كما وأسّس عليه السلام قواعد عامّة يعمل بها الشيعة بعد انقطاع السفارة الخاصّة؛ وذلك بوضع منهج وإثبات كليات تنجي المؤمن من التّيّه والعمى.

وقد صدر من ناحيته الشريفة في هذا الأمر ما يلي:

١ - حذّر الإمام من فكر ورأي محمّد بن أبي زينب مقلّاص، أبو الخطّاب الأسديّ الكوفيّ، والذي كان من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، فجاء التوقيع فيه وفي أصحابه: «وأما أبو الخطّاب محمّد بن أبي زينب

الأجدع ملعون، وأصحابه ملعونون فلا تجالس أهل مقالتهم؛ فإنِّي منهم بريء وآبائي عليهم السلام منهم براء»^(١٠).

٢- وقد قال عليه السلام في جواب كتاب محمد بن علي بن هلال الكرخي ردّاً على مقولة الغلاة: «وأشهدك وأشهد كلَّ مَنْ سمع كتابي هذا، أنّي بريء إلى الله وإلى رسوله ممّن يقول: إنّنا نعلم الغيب، أو نشارك الله في ملكه، أو يحلّنا محلاً سوى المحلّ الذي رضىه الله لنا وخلقنا له..»^(١١).

٣- ومن جملة ما قد قال رُوحِي فداه في البراءة من الشلمغانيّ ابن أبي العزّاقر: «وإنّا برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله -صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته- منه، ولعنا، عليه لعائن الله تترى، في الظاهر منّا والباطن، في السرّ والجهر، وفي كلّ وقت وعلى كلّ حال، وعلى كلّ مَنْ شايعه وبلغه هذا القول منّا فأقام على تولاه بعده.

أَعْلِمُهُمْ -تولّاك الله- أنّنا في التوقّي والمحاذرة منه على مثل ما كنّا عليه ممّن تقدّمه من نظرائه»^(١٢).

والدلالات التي يمكن أن تستشفّ من هذه الكلمات النورانيّة هي:

١- عدم التهاون والمسامحة في البدع والضلال التي تدخل الدّين مهماً كان شأن المبتدع ومستواه المعرفيّ والاجتماعيّ؛ لأنّ بدعته تضلّه أولاً وتضلّ غيره ثانياً.

٢- وجوب إظهار البراءة اللفظيّة من أصحاب البدع في الدّين؛ كي لا ينفّر الضعفاء بمغالطاتهم، فضلاً عن إظهار البراءة العمليّة التي تكون من خلال عدم الانجرار إلى العمل بفكرهم.

وبهذا الصدد نجد الإمام الصادق عليه السلام استنكر أو تعجب من سؤال سائل سأله عن وقت صلاة المغرب، فقال: «أؤخر المغرب حتى تستبين النجوم؟ فقال: خطيئة؟! إن جبرئيل عليه السلام نزل بها على محمد صلى الله عليه وآله حين سقط القرص»^(١٣).

وقصد بالخطيئة رأي أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع.

٣- لزوم التواصي والتذاكر في الابتعاد عن أصحاب الضلال والتمسك بالحق، وأشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾^(١٤).

الإضاءة الثالثة: الدلالات التربوية الأخلاقية

مادة هذا العنوان في التواقيع الشريفة هي الأكثر من قسيميه المتقدمين؛ للتلازم الجلي بين الأمور الأخلاقية والتربوية، وعليه فإننا سنقسم مطالبه إلى النقاط التالية:

أولاً: الاهتمام بالجانب الغيبي -الدعاء إنموذجاً-

سعى الأئمة عليهم السلام -بعد تعبيد طريق العمل لأتباعهم وتوضيحه سواء المعاشي منه أو المعادي- إلى الاهتمام بدفع الناس إلى التوسل بجانب روحي يلجؤون إليه لدعم الجانب المادي، وذلك الجانب تمثل بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة من رامها طلبها من مظانها^(١٥)، ونتيجة الدعاء تتفق في الواقع الخارجي بما يتلائم ومقتضى الأسباب والمسببات.

ولعلَّ أهمُّ أمرٍ يدعو المرءَ ربَّه له هو قبول عمله وحسن عاقبته اللذان يضمنان له حياة كريمة مطمئنة وفي الآخرة أجراً عظيماً، بل هما مفتاح كلِّ صلاح، فلا يمكن أن يعتمد المؤمن كلَّ الاعتماد على نفسه في دينك الأمرين؛ فصلاح الحال والثبات على المعتقد السوي، لا يمكن أن يكون بمعزلٍ عن الدعاء لبلوغ تلك الغاية؛ فهذا القرآن والتاريخ ذكرنا لنا مصاديق كان لها ما لها من الشأن لكنَّها اغترَّت بما عندها فهلكت وأهلكت، ودوننا ابن باعورا والشلمغانيّ وسواهما عبرة وعظة في ذلك.

وحين ملاحظة الفترة الزمانيّة التي خرجت فيها توافيع إمامنا المهدي (عليه السلام) نجد أنّه قد رافقتها أو سبقتها ادّعاءات وأكاذيب أضلّت الناس عن النهج القويم، فكان من اللازم بمكان تنبيه الناس على أنّ الجانب الغيبيّ أحد أسباب حفظ دينه، علاوة على الحجّة والبرهان، ولذلك وردت أدعية في الخصوص أبرزها وأشهرها دعاء الغريق^(١٦).

هذا وقد ورد الدعاء من الإمام (عليه السلام) في مفتتح بعض التوافيع المباركة بصيغ مختلفة، وكذا في ختام بعضها، أو في طيّاتها، نذكر أمثلة على ذلك:

١. ورد في جوابه (عليه السلام) على كتاب ابن أبي غانم القزويني: «عافانا الله وإياكم من الفتن، ووهب لنا ولكم روح اليقين، وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب»^(١٧).

٢. وقال في آخر جوابه السابق: «عصمنا الله وإياكم من المهالك والأسواء والآفات والعاهات كلّها برحمته، فإنّه وليّ ذلك والقادر على ما يشاء، وكان لنا ولكم وليّاً وحافظاً»^(١٨).

٣. وأجاب أحمد بن إسحاق الأشعريّ: «أتاني كتابك أبقاك الله... حفظ الله الحقّ على أهله، وأقرّه في مستقرّه»^(١٩).

ثالثاً: التسليم لمن فرض التسليم لهم

من الخصال التي لا بد أن يتّصف المؤمن بها المتابعة المطلقة لأولي الأمر المعيّنين من قبل الله تعالى؛ ليوصلوه بالأخيرة إلى برّ الأمان والنجاة، فسعادته وهدايته مقرونة بذلك؛ لأنّهم الحبل المتّصل بين السماء والأرض، وبهم ينزل الله الغيث ويكشف الله الهمم، ولذا أورد عزّ وجلّ في الكتاب الحكيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢٨).

وعلى نور هذه الآية قال ﷺ: «فاتّقوا الله وسلّموا لنا وردّوا الأمر إلينا فعلينا الإصدار كما كان منّا الإيراد» (٢٩).

رابعاً: التواصي بالحقّ

الحثّ على أن يوصي الناس بعضهم بعضاً باتّباع الحقّ وعدم كتمانهم، وإشاعة الإحسان والخير، وهذا مبدأ قرآنيّ أوصى الله تعالى به عباده، ونفى عن المتلبّس به الخسران، فقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٣٠)، ثمّ جعل من يعمل به من أصحاب اليمين الذين لهم الجنة والنعيم المقيم، فقال عزّ من قائل: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُئِمَّنَةِ﴾ (٣١)، ومما يدلّ على هذا المضمون في توابع صاحب الزمان ﷺ:

١. ما جاء ردّاً على الغلاة بقوله ﷺ: «وجعلت هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانةً في عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتمه من أحدٍ من مواليّ وشيعتي حتّى يظهر على هذا التوقيع الكلّ من المواليّ لعلّ الله

عز وجل يتلافهم فيرجعون إلى دين الله الحق ويتتهون عما لا يعلمون
منتهى أمره ولا يبلغ متنها»^(٣٢).

٢. وكذلك ما أمر به الحسين بن روح النوبختي رضوان الله تعالى عليه
بقوله جعلني الله فداه: «عرّف - أطل الله بقاءك، وعرفك الله الخير كله
وختم به عملك - من تثق بدينه وتسكن إلى نيّته من إخواننا أدام
الله سعادتهم بأنّ محمّد بن عليّ المعروف بـ(الشلمغاني) - عجل الله له
النقمة ولا أمهله - قد ارتدّ عن الإسلام وفارقه..»^(٣٣).

خامساً: عدم التدخّل في شؤون الغير

إنّ بترك الإنسان ما لا يعنيه تمام العقل، وإدراك ما يعنيه، فضلاً عن
الراحة النفسيّة التي سيحظى بها، وقد وردت في هذه المعاني وغيرها
روايات عدّة^(٣٤)، كما نهى أولو الأمر والنهي عن إشغال المرء نفسه في ما لا
يخصّه وما لا علاقة له به^(٣٥).

ولا يخفى أنّ ثمرة إشغال المرء بنفسه صلاحها وسدّ ثغراتها والرقى
بها إلى أعلى مدارج الكمال وتهذيب النفس، وأمّا إذا كان منشغلاً عنها بما
لا ينفعه فسيضرّه هذا الانشغال ويستدرجه إلى ما لا أجر له فيه ولا ثناء.
ومن هنا أكّد علينا إمام زماننا (عليه السلام) وأمرنا بأن نبقي أنفسنا منشغلة بما تعنيها،
فقال صلوات الله وسلامه عليه: «فأغلقوا أبواب السؤال عما لا يعينكم»^(٣٦).



سادساً: المواساة

إنّ مواساة الإخوان في المصائب وتسليتهم بما يهوّن مصابهم ويذهب شيئاً من حزنهم لها الأجر العظيم والثواب الجزيل، فضلاً عن دلالة على أواصر الأخوة والمحبة بين الناس.

وقد ورد في الأجر للمعزّي بأنّ الله تعالى يكسوه يوم القيامة بحلّة خضراء، كما ويكسى برداً في الجنّة، وله مثل أجر صاحب المصاب، إلى غير ذلك من الكرم الإلهي^(٣٧).

وقد عزّى الإمام المهديّ ﷺ سفيره الثاني الشيخ محمّد بن عثمان العمريّ بوفاة أبيه: «إنّا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لأمره، ورضاً بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه ﷺ، فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً فيما يقربه إلى الله عزّ وجلّ، نصر الله وجهه، وأقاله عثرته».

وفي فصل آخر: «أجزل الله لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رزيت ورزينا وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسرّه الله في منقلبه، كما كان من كمال سعادته أن رزقه الله ولداً مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه..»^(٣٨).

سابعاً: النهي عن الريب والشكّ في الدّين

منشأ الشكّ هو الجهل وعدم المعرفة والتردد، ونتيجته أنّه يحبط الإيمان، ويطفئ نور القلب، ويورث الحيرة، وبالتالي قد يوصل إلى الشرك، وقد قال مولانا عليّ ﷺ: «مَنْ كَثُرَ شَكُّهُ فَسَدَ دِينُهُ»^(٣٩).

ولقد استنكر الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عليه السلام فعل مَنْ شكَّ في أمره وأنكر وجود إمام بعد أبيه الإمام العسكري عليه السلام، علماً أنَّ أمره قد صرح به آبؤه وأجداده الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، فقال عليه السلام: «إنَّه أنهي إليَّ ارتياب جماعة منكم في الدِّين، وما دخلهم من الشكِّ والحيرة في ولاية أمرهم، فعمَّنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا؛ لأنَّ الله معنا فلا فاقة بنا لي غيره، والحقُّ معنا فلن يوحشنا مَنْ قعد عنَّا، ونحن صنایع ربِّنا والخلق بعد صنایعنا.

يا هؤلاء، ما لكم في الريب تتردّدون، وفي الحيرة تنعكسون..»^(٤٠).

ومن خلال هذه النقاط يمكن أن نستخلص ما يلي:

١- الحرص الشديد من الإمام عليه السلام على أن يتحلَّى شيعته وأتباعه بأفضل الصفات وأحسنها.

٢- ألم ولوعة الإمام عليه السلام من تردّي أحوال شيعته المعرفيّة وجهلهم.

٣- السعادة السرمديّة منحصرة عند محمّد وآله عليهم الصلاة والسلام.

٤- تقوية الجانب الغيبيّ والمعنويّ في طلب الحصول على الهداية والصّلاح وانضمامه إلى الجانب العمليّ.

وفي ختام هذه الورقة البحثيّة أبتهل إلى الله تعالى أن يتقبَّل منّي وأن يكون إعداد هذه الكلمات جُنّة واقية لي يوم المعاد، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين.



الهوامش:

- ١- سورة ق: ١٦.
- ٢- سورة الصف: من الآية ٨.
- ٣- سورة التوبة: من الآية ٣٢.
- ٤- سورة النور: من الآية ٣٧.
- ٥- سورة المائدة: ٣٥.
- ٦- سورة القمر: ٥.
- ٧- سورة الصافات: ١٣٠.
- ٨- الاحتجاج: ٢/ ٥٩١.
- ٩- ينظر: رجال الطوسي: ٢٩٦، خلاصة الأقوال: ٣٩٢.
- ١٠- الاحتجاج: ٢/ ٥٤٣.
- ١١- المصدر نفسه: ٢/ ٥٥١-٥٥٠.
- ١٢- المصدر نفسه: ٢/ ٥٥٤-٥٥٣.
- ١٣- تهذيب الأحكام: ٢/ ٢٨، ب: أوقات الصلاة، ح ٨٠، الاستبصار: ١/ ٢٦٢، ب: وقت صلاة المغرب والعشاء الآخرة، ح ٩٤٣.
- ١٤- سورة العصر: ٣.
- ١٥- ينظر الكافي: ٢/ ٥٠٧-٥٠٨، ب: الدعاء للإخوان بظهر الغيب.
- ١٦- ينظر كمال الدين: ٣٥٢.
- ١٧- الاحتجاج: ٢/ ٥٣٦.
- ١٨- المصدر نفسه: ٢/ ٥٣٧-٥٣٨.
- ١٩- المصدر نفسه: ٢/ ٥٣٨، ٥٤١.
- ٢٠- المصدر نفسه: ٢/ ٥٤٢.
- ٢١- المصدر نفسه: ٢/ ٥٥٣.
- ٢٢- المصدر نفسه: ٢/ ٥٥٤.
- ٢٣- ينظر نهج البلاغة: ٣٩.
- ٢٤- ينظر: المحاسن: ١/ ٢٢٥-٢٢٦، الكافي: ١/ ٣٠-٣١، ب: فرض العلم ووجوب طلبه...
- ٢٥- ينظر المحاسن: ١/ ٢٢٩.
- ٢٦- الاحتجاج: ٢/ ٥٣٦.
- ٢٧- المصدر نفسه: ٢/ ٥٥٠.
- ٢٨- سورة الأحزاب: ٥٦.

- ٢٩- المصدر نفسه: ٢/ ٥٣٧.
- ٣٠- سورة العصر: ٢-٣.
- ٣١- سورة البلد: ١٧-١٨.
- ٣٢- الاحتجاج: ٢/ ٥٥١.
- ٣٣- المصدر نفسه: ٢/ ٥٥٣.
- ٣٤- ينظر: تحف العقول: ٢١٨، عيون الحكم والمواعظ: ١٨٩.
- ٣٥- ينظر: مَنْ لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٩٦، ب: النوادر، ح ٥٨٤١، الأمالي للشيخ الصدوق: ٨٥، علل الشرائع: ٢/ ٥٥٩.
- ٣٦- الاحتجاج: ٢/ ٥٤٥.
- ٣٧- ينظر بحار الأنوار: ٧٩/ ٩٤.
- ٣٨- الاحتجاج: ٢/ ٥٦٢.
- ٣٩- عيون الحكم والمواعظ: ٤٣١.
- ٤٠- الاحتجاج: ٢/ ٥٣٦.



المكتبة
العلمية
بمركز
الدراسات
والمطالعة

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

* الاحتجاج: للشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ق ٦هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادر، والشيخ محمد هادي به، إشراف: الشيخ جعفر السبحاني، الناشر: دار الأسوة، ط ٤، ١٤٢٤هـ.

* الاستبصار فيما اختلف من الاخبار: للشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، ط ٤، ١٣٦٣ش. * الأمالي: للشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة البعثة - قم، ط ١، ١٤١٧هـ.

* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: للشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

* تحف العقول عن آل الرسول ﷺ: لأبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (ق ٤هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

* تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه: للشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان،

الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، ط ٣، ١٣٦٤ش.

* خلاصة الأقوال في معرفة الرجال: للشيخ الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (العلامة الحلي) (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة، ط ١، ١٤١٧هـ.

* رجال الطوسي: للشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط ١، ١٤١٥هـ.

* علل الشرائع: للشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تقديم: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف، ط / ١٣٨٥هـ.

* عيون الحكم والمواعظ: للشيخ علي بن محمد الليثي الواسطي (ق ٦هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، الناشر: دار الحديث - قم، ط ١.

* الكافي: للشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٨هـ) أو (٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، ط ٣، ١٣٨٨هـ.

* كمال الدين وتمام النعمة: للشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة

* نهج البلاغة: مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي (ت ٤٠٦هـ) مِنْ كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ)، شرح: الشيخ محمد عبده، الناشر: دار المعرفة- بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

المدرّسين بقم، ط / ١٤٠٥هـ.
* المحاسن: للشيخ أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ)، تحقيق: السيّد جلال الدين الحسيني، الناشر: دار الكتب الإسلامية- طهران، ط / ١٣٧٠هـ.
* مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: للشيخ محمد بن عليّ بن بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين بقم، ط ٢.



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

التوجيهات الإجتماعية في توقيعات الإمام الحجة

الشيخ منتظر الواعظ الخراساني الحوزة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

مقدمة

من الصفات التي ذكرت لصاحب العصر والزمان في الروايات الشريفة هو: «أَخْلَنَّا ذِكْرًا» أي أَخْفَيْ ذِكْرَهُ فلم يُعَرَف ولم يُذَكَّر بين الناس، كما قال الإمام الباقر عليه السلام: «لَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا فِي أَخْلَنَّا ذِكْرًا وَأَخْذَنَّا سِنًّا»^(١)، فالإمام المهدي عليه السلام بمقتضى غيبته لم يُعَرَف بشخصه، ولا يعرف حجم الجهود التي قام بها عليه السلام ولا زال يقوم بها عليه السلام في الحفاظ على الإسلام والتشيع سواء في ولايته التكوينية فهو السبب المتصل بين الأرض والسماء كما هو مقتضى إسمه الشريف «صاحب الأمر» أي صاحب كل أمر ولولاه عليه السلام لساخت الأرض بأهلها أو رعايته عليه السلام لشيعة ومواليه وقد خرج عنه عليه السلام إلى الشيخ المفيد رحمه الله: «إِنَّا غَيْرُ مُهْمَلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ وَلَا نَاسِينَ لِدِكْرِكُمْ...»^(٢)، وأيضاً دعاؤه عليه السلام لشيعة ومواليه، وكونه ملاذاً وعصمة لهم يدفع البلاء عنهم: «اللَّهُمَّ وَنَحْنُ عَيْدُكَ التَّائِقُونَ إِلَيَّ وَلِيَّكَ، الْمُدْكِرُ بِكَ وَبَنِيِّكَ، خَلَقْتَهُ لَنَا عِصْمَةً وَمَلَاذًا...»^(٣) وغيرها من العنايات، وسواء في درء الفتن والبلايا حسب المنظار الطبيعي، وإرشاد العلماء من حيث

يعلمون ومن حيث لا يعلمون وجعل الإسلام على المسار الصحيح الحقّ وعناياته لا تحصى.

وكان للإمام المهدي عليه السلام دورٌ فعّال وفي الوقت نفسه «خفيٌّ» في الغيبة الصغرى وذلك من خلال السفراء الأربعة وتوقيعاته المقدّسة وقد أشرف عليه السلام على حركة المجتمع الشيعي في عدّة محاور ومن أهمّ تلك المحاور:

١- إرجاع الناس الى السفراء لأخذ معالم الدين عنهم

٢- فضح المنحرفين والمدّعين للبابيّة والنيابة كذباً وزوراً، والأمر بلعنهم وطردهم من المجتمع الشيعي.

وقبل الدخول في المحورين:

١) إرجاع الناس الى السفراء أو الثقات.

٢) وفضح المنحرفين.

لا بدّ من ذكر تمهيد ينفع في فهم جملة ما فعله الإمام عليه السلام.



تمهيد:

تسير المجتمع الديني بالمنظار الطبيعي

إنَّ السيرة الإلهية تقتضي تحقق ما وعده الله عز وجل بالأسباب الطبيعية والعادية إلا ما اقتضت إليه الضرورة.

بعبارة أخرى: إنَّ الله عز وجل خلق هذا الكون وهذا الكون تابع لنظام، تابع لأسباب وعللٍ وغايات، وهذا النظام الطبيعي (الأسباب والمسببات) لا يتخلف إلا في حالات نادرة كالمعجزة مثلاً وذلك لفائدةٍ ما، وإذا أوعد الله عز وجل وعداً فإنَّ هذا الوعد الإلهي يتحقق لكن في ضمن هذه المنظومة الطبيعية والعادية إلا ما اقتضت إليه الضرورة.

بل ترى أنَّ عدم خرق النظام الطبيعي من قبل الأنبياء في الأمم السابقة في حياتهم العادية صار محطَّ سؤالٍ وشبهة من قبل المشركين آنذاك وأنَّ الأنبياء ﷺ لماذا يتأثرون بالعوامل الطبيعية يأكلون ويشربون ويمرضون ويمشون في الأسواق؟ ولماذا لا يكونون ملائكة؟

وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك حيث قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾^(٤)، وهذا كله لأجل الحفاظ على النظام الطبيعي والعادي إذ أنَّ هداية البشر هكذا تكون أتم وأكمل كما أنَّه موافق لحكمة الله تعالى الحكيم.

وغية صاحب الزمان ﷺ هي من الوعود الإلهية وتحققت في ضمن منظارٍ طبيعيٍّ وعاديٍّ، وقد كانت إجراءات مسبقة للحفاظ على حياته المباركة ﷺ.

بل قد يكون خفاء الولادة لصاحب الزمان ﷺ أيضاً سببه هذا أي الحفاظ على حياته المباركة، وتعويد الناس على غيبته مع النظام العادي، فهو ﷺ

موجود لكن لا يمكن الوصول اليه، غاية ما هنالك يعرفون مكانه.

كما وقد يكون منع الناس عن ذكره ﷺ باسمه في الغيبة الصغرى أيضاً من هذا الباب، وللحفاظ على حياته ﷺ في ضمن النظام الطبيعي، فإنه إن ذُكِرَ الإِسْمُ فسيُنسَبُ إلى أبيه العسكري (عليه السلام) وحينئذ يكون مشخصاً معيناً بعد أن «صار عند القوم أن هذا النسل قد انقطع»^(٥)، فيُضَيَّقُ على دار الإمام (عليه السلام) ولا بدّ حينئذٍ من كسر النظام الطبيعيّ للحفاظ عليه (عليه السلام) وهذا بخلاف ما لو أُشير إليه بلقبه المبارك -المهدي- فإنه لا ضير في ذلك ولا تشخص معه بعد أن كانت العقيدة المهدويّة مجمعةً عليها عند عامّة المسلمين.

السفراء الأربعة والتوقيعات

ثمّ تمهيداً للغيبة الكبرى والفتنة العظمى للشيعة ترى أن الله تعالى بمقتضى لطفه ورحمته على الناس جعل الغيبة الصغرى لصاحب الزمان (عليه السلام) حتى يعود الناس على غيبته (عليه السلام) والإبتعاد عنه، فإنّ الغيبة الصغرى تختلف عن الغيبة الكبرى في كيفية تواجد الإمام (عليه السلام) في المجتمع وكيفية ارتباط الناس معه وذلك عبر السفراء رضي الله عنهم بخلاف الغيبة الكبرى حيث لا ارتباط مباشر أو غير مباشر مع الإمام ولأنها الانقطاع التام كما سيّضح إن شاء الله تعالى، وقد يكون التعبير بـ«الغيبة الناقصة» أنسب قبال «الغيبة التامة» وهي الغيبة الكبرى كما ورد في توقيعه المبارك (عليه السلام).^(٦)

ومن خصائص الغيبة الصغرى أنّه قد جعل سفراء ونواب للإمام المهدي (عليه السلام) وهم السفراء الأربعة يكون الإرتباط مع الإمام (عليه السلام) بواسطتهم من خلال التوقيعات لصاحب الزمان (عليه السلام) التي كانت تخرج على أيديهم.

المحور الأول: إرجاع الناس الى السفراء والوكلاء والثقات

السفراء الأربعة

تنصيب السفير الأول: (عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه)

فقد قام الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام بعدة إجراءات في توثيق العمري عثمان بن سعيد (وتوثيق الإمام لشخص يوجب الطمأنينة من قوله)، وكذا الأمر بإرجاع الناس اليه في حياتهما المباركة وهذه إشارة واضحة الى عظمتهم وأمانته ووثاقته.

قال الشيخ الطوسي رحمته الله في الغيبة: «أخبرني جماعة عن أبي محمد هارون بن موسى، عن أبي علي محمد بن همام الإسكافي، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدثنا أحمد بن إسحاق بن سعد القمي، قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الأيام فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت فقول من نقبل وأمر من نمثل؟ فقال لي صلوات الله عليه: (هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله وما أذاه إليكم فعني يؤديه)، فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم فقلت له عليه السلام مثل قولي لأبيه، فقال لي: (هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في الحيا والمات فما قاله لكم فعني يقوله وما أذى إليكم فعني يؤديه).

قال أبو العباس الحميري: فكنا كثيراً ما نتذكر هذا القول ونتواصف جلاله محل أبي عمرو»^(٧).

وهذا التعبير جميل: «ثقتي في الحياة والمات» فإنه عليه السلام قد وثق العمري عليه السلام الى آخر لحظة من حياة العمري وقلما تجد هكذا تعبير للأئمة الأطهار عليهم السلام بالنسبة الى أوليائهم وشيعتهم.

واستمرت التوثيقات من قبل الإمام العسكري عليه السلام للعمري عثمان بن سعيد وكذا ابنه محمد بن عثمان، فعن عبدالله بن جعفر الحميري، قال: «اجتمعت أنا والشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو (أي عثمان بن سعيد العمري) رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ فَقُلْتُ (لِلْعَمْرِيِّ): قَدْ أَخْبَرَنِي أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ وَقُلْتُ مَنْ أَعَامِلُ أَوْ عَمَّنْ أَخْذُ وَقَوْلَ مَنْ أَقْبَلُ؟ فَقَالَ لَهُ: «الْعَمْرِيُّ ثِقَتِي فَمَا أَدَى إِلَيْكَ عَنِّي فَعَنِّي يُؤَدِّي وَمَا قَالَ لَكَ عَنِّي فَعَنِّي يَقُولُ فَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ فَإِنَّهُ الثَّقَةُ الْمُأْمُونُ». وَأَخْبَرَنِي أَبُو عَلِيٍّ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا مُحَمَّدٍ عليه السلام عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ: «الْعَمْرِيُّ وَابْنُهُ ثِقَتَانِ فَمَا أَدَى إِلَيْكَ عَنِّي يُؤَدِّيَانِ وَمَا قَالَا لَكَ فَعَنِّي يَقُولَانِ فَاسْمَعْهُمَا وَأَطِعْهُمَا فَإِنَّهُمَا الثَّقَتَانِ الْمُأْمُونَانِ»، فَهَذَا قَوْلُ إِمَامَيْنِ قَدْ مَضَىا فِيكَ. قَالَ: فَخَرَّ أَبُو عَمْرٍو سَاجِدًا وَبَكَى»^(٨).

وقد أعلن الإمام الحسن العسكري عليه السلام مكانة العمري مراراً وتكراراً للشيعة، فقال عليه السلام في كتابه الى اسحاق بن اسماعيل: «فَلَا تَخْرُجَنَّ مِنَ الْبَلَدِ حَتَّى تَلْقَى الْعَمْرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِرِضَايَ عَنْهُ وَتُسَلِّمَ عَلَيْهِ وَتَعْرِفَهُ وَيَعْرِفَكَ فَإِنَّهُ الطَّاهِرُ الْأَمِينُ الْعَفِيفُ الْقَرِيبُ مِنَّا وَإِلَيْنَا فَكُلُّ مَا يُجْمَلُ إِلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ مِنَ النَّوَاحِي فَإِلَيْهِ يَصِيرُ آخِرُ أَمْرِهِ لِيُوصَلَ ذَلِكَ إِلَيْنَا»^(٩).

قال السيد الخوئي عليه السلام بعد ذكر التوقيع: سند التوقيع قوي وفيه تصريح بجلالة العمري وعظمته فضلاً عن وثاقته.^(١٠)

وبعد أن ولد المهدي عليه السلام كان عثمان بن سعيد من الخواص الذين بشرهم الإمام العسكري عليه السلام بولادة المهدي عليه السلام بل أمره الإمام عليه السلام فعق عن المولود الجديد، عن أبي جعفر بن عثمان العمري، قال: «لَمَّا وُلِدَ السَّيِّدُ عليه السلام قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام: ابْعَثُوا إِلَى أَبِي عَمْرٍو (عثمان بن سعيد العمري) فَبِعْثَ إِلَيْهِ فَصَارَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: اشْتَرِ عَشْرَةَ آلَافٍ رِطْلٍ خُبْزٍ وَعَشْرَةَ آلَافٍ رِطْلٍ لَحْمٍ وَفَرَّقْهُ أَحْسَبُهُ قَالَ: عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَعُقِّ عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا شَاةٌ»^(١١). وفيه دلالة على شدة قربه وموالاته.

وقد عقد الإمام العسكري عليه السلام مجلساً عظيماً قريب وفاته عليه السلام وجمع أربعين من وجهاء الشيعة وأراهم الإمام المهدي عليه السلام وكان وجهه عليه السلام كفلقة قمر ثم قال عليه السلام: «هَذَا إِمَامُكُمْ مِنْ بَعْدِي وَخَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ أَطِيعُوهُ وَلَا تَتَفَرَّقُوا مِنْ بَعْدِي فَتَهْلِكُوا فِي أَدْيَانِكُمْ أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَهُ مِنْ بَعْدِ يَوْمِكُمْ هَذَا حَتَّى يَنْمَ لَهُ عُمْرٌ فَأَقْبِلُوا مِنْ عُثْمَانَ (أي عثمان بن سعيد العمري) مَا يَقُولُهُ وَانْتَهُوا إِلَى أَمْرِهِ وَأَقْبِلُوا قَوْلَهُ فَهُوَ خَلِيفَةُ إِمَامِكُمْ وَالْأَمْرُ إِلَيْهِ»^(١٢).

وتعير الإمام عليه السلام عظيم جداً «خليفة إمامكم»، ولعل هذا التعبير دعا صاحب الخرائج أن يعبر عنه بنائب القائم عليه السلام قال تميمي: «وكان عثمان بن سعيد وكيل العسكري عليه السلام ثم نائب القائم عليه السلام»^(١٣).

ومما يدل على عظمته وقربه من دار الإمامة أنه لما مات الإمام العسكري عليه السلام حضر غسله عثمان بن سعيد العمري وتولى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه وتقديره مأموراً بذلك للظاهر من الحال^(١٤).

قال الشيخ الطوسي رحمه الله في جلالته: «وَكَانَتْ تَوْقِيعَاتُ صَاحِبِ الْأَمْرِ عليه السلام تَخْرُجُ عَلَى يَدَيِ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ وَابْنِهِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ

عُثْمَانَ إِلَى شِيعَتِهِ وَخَوَاصِّ أَبِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْأَجُوبَةِ عَمَّا
يَسْأَلُ الشَّيْعَةَ عَنْهُ إِذَا احتَاجَتْ إِلَى السُّؤَالِ فِيهِ بِالْخَطِّ الَّذِي كَانَ يَخْرُجُ فِي
حَيَاةِ الْحَسَنِ عليه السلام فَلَمْ تَزَلِ الشَّيْعَةُ مُقِيمَةً عَلَى عَدَالَتِهِمَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ عُثْمَانُ
بْنُ سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ وَغَسَلَهُ ابْنُهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَتَوَلَّى الْقِيَامَ
بِهِ وَحَصَلَ الْأَمْرُ كُلُّهُ مَرْدُوداً إِلَيْهِ وَالشَّيْعَةُ مُجْتَمِعَةٌ عَلَى عَدَالَتِهِ وَثِقَتِهِ
وَأَمَانَتِهِ لِمَا تَقَدَّمَ لَهُ مِنَ النَّصِّ عَلَيْهِ بِالْأَمَانَةِ وَالْعَدَالَةِ وَالْأَمْرِ بِالرُّجُوعِ
إِلَيْهِ فِي حَيَاةِ الْحَسَنِ عليه السلام وَبَعْدَ مَوْتِهِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ عُثْمَانَ ^(١٥).

تثقيف الشيعة بالمعارف الحقّة

وكان لعثمان بن سعيد العمري دورٌ فعّال وبعد هذه التوثيقات العظيمة
في إخبار الناس عن صاحب الزمان عليه السلام ونقل أوامره المباركة اليهم وكانت
تطمئن الشيعة بما يقوله لجلالته وعظمته وإرجاع الأئمة الناس اليه، «قد حضر
عبدالله بن جعفر الحميري عند الشيخ العمريّ وبحضور أحمد بن اسحاق
القمي وأخبره عن سؤال أحمد بن اسحاق من الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام
وتوثيقهما الشيخ العمري: فَخَرَّ أَبُو عَمْرٍو (العمري) سَاجِداً وَبَكَى ثُمَّ قَالَ
(العمري): سَلْ حَاجَتَكَ. فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ رَأَيْتَ الْخَلْفَ مِنْ بَعْدِ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام؟
فَقَالَ: إِي وَاللَّهِ وَرَقَبَتُهُ مِثْلُ ذَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ. فَقُلْتُ لَهُ: فَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ. فَقَالَ لِي:
هَاتِ. قُلْتُ: فَالْأَسْمُ. قَالَ: مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْأَلُوا عَنْ ذَلِكَ وَلَا أَقُولُ هَذَا
مِنْ عِنْدِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُحْلِلَ وَلَا أُحَرِّمَ وَلَكِنْ عَنْهُ عليه السلام فَإِنَّ الْأَمْرَ عِنْدَ السُّلْطَانِ
أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ مَضَى وَلَمْ يَخْلَفْ وَلَدًا وَقَسَمَ مِيرَاثَهُ وَأَخَذَهُ مَنْ لَا حَقَّ لَهُ فِيهِ وَهُوَ ذَا
عِيَالُهُ يُجُولُونَ لَيْسَ أَحَدٌ يَنْسُرُ أَنْ يَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ أَوْ يُنِيلَهُمْ شَيْئاً وَإِذَا وَقَعَ الْإِسْمُ
وَقَعَ الطَّلَبُ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَمْسِكُوا عَنْ ذَلِكَ» ^(١٦).

وهذه الرواية تدلّ على أمور:

منها: قوله تثني: «وَرَقَبْتُهُ مِثْلُ ذَا» إشارة الى أنّ الإمام عليه السلام رجلٌ كغيره يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وهذا لدرء شبهةٍ يمكن قد تحصل عند بعض الناس بمرور الزمان وأنّ الإمام عليه السلام ليس له وجود بشخصه بل هو قوّة معنويّة يسدّد الناس، وذلك بسبب غيبة الإمام عليه السلام وعدم رؤيته، فكان العمري تثني يرسّخ في ذهنه بأنّ الإمام شخص كالأئمة السابقين إلّا أنّه غائب عن الكثير من الناس.

منها: قوله تثني: «وَلَا أَقُولُ هَذَا مِنْ عِنْدِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْلَلَ وَلَا أَحَرِّمَ وَلَكِنْ عَنْهُ عليه السلام» إذ يدلّ على أنّ ما ينقله السفراء الأربعة من رواية وتوقيع وغيره في أمر الدين فإنّما هو عن صاحب الزمان عليه السلام وما كانوا يفتون كالفقهاء بل يخبرون عمّا يقوله الإمام عليه السلام، سواء أسندوه الى الإمام عليه السلام بتصريح أو كونه في توقيع أم لا، كلّ من صاحب الزمان عليه السلام فإنّه «ليس له أن يحلّل ويحرّم».

منها: أنّه تثني يرشدهم الى منعهم عن ذكر اسم المهدي عليه السلام.

وقد يستل سائل عن وجه العلة في ذلك وما هو الفرق بين ذكر اسمه المبارك عليه السلام وذكر لقبه الشريف «المهدي»؟

والجواب: كما أشار اليه العمري تثني: «إِذَا وَقَعَ الْإِسْمُ وَقَعَ الطَّلَبُ»؛ إذ بعد ذكر الاسم لا بدّ وأن ينسب الى والده العسكري عليه السلام أي يذكر اسمه فيكون معيّناً مشخصاً وهذا بخلاف إذا ذكر بعنوانٍ آخر كـ «المهدي» فليس فيه تعيين وتشخص، كما أنّ الاعتقاد بالمهدي لا ينحصر بالشيعة بل إجماعيٌّ عند المسلمين.

فإذا ذُكر الاسم يقع الطلب وتكون المضايقة على أهل بيته «أمّه وجدّته وأهل الدار» والحال أنّ عند القوم أنّ هذا النسل قد انقطع. وهذا كلّهُ حفاظاً على حياة صاحب الزمان ﷺ وعدم المضايقة عليه وعلى أهل الدار وقد حثّهم على ذلك العمري رحمه الله بأمرٍ من الإمام رحمه الله.

وتأمل كيف قد جلس هؤلاء الفحول (أحمد بن إسحاق القمي وعبدالله بن جعفر الحميري) بين يدي الشيخ العمري رحمه الله ويستفسرون عن معالم دينهم.

فأحمد بن إسحاق القمي رحمه الله من خواص أبي محمد العسكري وكان شيخ القميين ووافدهم، وعبدالله بن جعفر الحميري رحمه الله كذلك شيخ القميين ووجههم إلّا أنّهم مع جلالته وعظم شأنهم يجلسون بين يدي الشيخ العمري رحمه الله ويسألونه عمّا يعلم، ويرشدهم ويعلمهم بل ويأمرهم بالتقوى وعدم الفحص عن أمور توجب مضايقات على صاحب الزمان ﷺ، كلّ هذا يدلّ على وجاهة الشيخ العمري رحمه الله واعتباره وقبوله عند الفحول من العلماء والرواة وقد ألف عبدالله بن جعفر الحميري كتاباً في مسأله عن «محمد بن عثمان بن سعيد العمري» ممّا يؤكد على هذا المعنى.

وفاته

وقد خرج توقيعٌ من صاحب الزمان عليه السلام يعزّي ابنه أبا جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري بوفاة أبيه، وهذا التوقيع يدلّ على عظمة عثمان بن سعيد ومنزلته عند الإمام عليه السلام.

«عن عبد الله بن جعفر الحميري رضي الله عنه قال: خَرَجَ التَّوْقِيعُ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْعَمَرِيِّ فِي التَّعْزِيَةِ بِأَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي فَصْلِ مِنَ الْكِتَابِ:

«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ تَسْلِيمًا لِأَمْرِهِ وَرِضَاءً بِقَضَائِهِ عَاشَ أَبُوكَ سَعِيدًا وَمَاتَ حَمِيدًا (١) فَرَحِمَهُ اللَّهُ وَأَلْحَقَهُ بِأَوْلِيَائِهِ وَمَوَالِيهِ عليه السلام فَلَمْ يَزَلْ مُجْتَهِدًا فِي أَمْرِهِمْ سَاعِيًا فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَيْهِمْ (٢) نَصَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَأَقَالَهُ عَثْرَتَهُ (وَفِي فَصْلِ آخَرَ): أَجَزَلَ اللَّهُ لَكَ الثَّوَابَ وَأَحْسَنَ لَكَ الْعَزَاءَ رَزَنْتَ وَرَزْنُنَا وَأَوْحَشَكَ فِرَاقَهُ وَأَوْحَشَنَا (٣) فَسَرَّهُ اللَّهُ فِي مُتَقَلِّبِهِ وَكَانَ مِنْ كَمَالِ سَعَادَتِهِ أَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدًا مِثْلَكَ يَحْلُقُهُ مِنْ بَعْدِهِ (٤) وَيَقُومُ مَقَامَهُ بِأَمْرِهِ (٥) وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ وَأَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَإِنَّ الْأَنْفُسَ طَيِّبَةً بِمَكَانِكَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيكَ وَعِنْدَكَ أَغَانِكَ اللَّهُ وَقَوَاكَ وَعَضَدَكَ وَوَفَّقَكَ وَكَانَ اللَّهُ لَكَ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَرَاعِيًّا (٦) وَكَافِيًّا وَمُعِينًا» (١٧).

واليك تبين بعض فقراتها:

قوله عليه السلام: «عاش أبوك سعيداً ومات حميداً».

(حميد) فاعيل بمعنى مفعول أي مات حال كونه محموداً وإنما يكون الإنسان محموداً بتمام معنى الكلمة إذا حمده الإمام المعصوم عليه السلام وكان كذلك عثمان بن سعيد، ولذلك قال عليه السلام: «فَرَحِمَهُ اللَّهُ وَأَلْحَقَهُ بِأَوْلِيَائِهِ وَمَوَالِيهِ عليه السلام» ودعاء الإمام عليه السلام لا يردّ.

قوله (عليه السلام): «فَلَمْ يَزَلْ مُجْتَهِدًا فِي أَمْرِهِمْ سَاعِيًا فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِلَيْهِمْ».

يدلّ على شدة سعيه (رضوان الله عليه) واجتهاده في خدمتهم (عليه السلام) وتحصيل رضاهم ودوام ذلك من أول حياته مع الأئمة السابقين إذ خدمهم وعمره إحدى عشرة سنة إلى آخر حياته وأن هذا يقربه إلى الأئمة (عليهم السلام) وإلى الله عز وجل.

قوله (عليه السلام): «وَأَوْحَشَكَ فِرَاقُهُ وَأَوْحَشَنَا».

يدلّ على منزلته العظيمة والقريبة من صاحب الزمان (عليه السلام) بحيث أن موته يوحش الإمام المهدي (عليه السلام) كما فيه دلالة على أن عثمان بن سعيد كان يتشرف دائماً برؤية صاحب الزمان (عليه السلام) ويأنس الإمام (عليه السلام) بحضوره ومجالسته ولذلك أوحش صاحب الزمان (عليه السلام) فراقه.

قوله (عليه السلام): «وَكَانَ مِنْ كَمَالِ سَعَادَتِهِ أَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَلَدًا مِثْلَكَ يُخْلِفُهُ مِنْ بَعْدِهِ».

فيه دلالة على عظمة ولده السفير الثاني محمد بن عثمان بن سعيد (عليه السلام) وهو تنصيب لمحمد بن عثمان بعد أبيه أيضاً.

قوله (عليه السلام): «وَيَقُومُ مَقَامَهُ بِأَمْرِهِ».

«بِأَمْرِهِ» أي بأمر الله عز وجل وذلك بقرينة ما بعده «وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِيكَ وَعِنْدَكَ» وفيه دلالة بينة على أن تنصيب السفراء كان بأمر من الله عز وجل فهناك عناية خاصة من الله عز وجل شملتهم ونصّبهم الإمام (عليه السلام) لهذه المهمة، ولذلك قال (عليه السلام): «فَإِنَّ الْأَنْفُسَ طَيِّبَةً بِمَكَانِكَ».

قوله عليه السلام: «وَكَانَ اللَّهُ لَكَ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَرَاعِيًّا».

الإمام المعصوم عليه السلام الذي دعاؤه لا يردّ يدعو لمحمد بن عثمان (رضوان الله عليه) لحفظه وتقويته وتوفيقه لأداء هذه المهمة، ومن هذه الأدعية نعرف الدور المهم الذي قام به السفراء الأربعة وبالخصوص محمد بن عثمان العمري (رضوان الله عليه) في الغيبة الصغرى.

السفراء الثلاثة الآخرون رضوان الله عليهم

وبعد وفاته وكما ورد في التوقيع المبارك السابقة قد نصّب الإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري نائباً ثانياً عنه عليه السلام، ويكفينا في جلالته وصحة نيابته هذا التوقيع المبارك الذي كان بخط الإمام عليه السلام وكذا الوثائق التي ذكرناها فيما سبق في عظمته وجلالته ولذلك قد اجتمعت الطائفة الشيعية عليه.

قال الشيخ الطوسي رحمه الله: «والشيعية مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته لما تقدم له من النص عليه بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن عليه السلام وبعد موته في حياة أبيه عثمان بن سعيد رحمه الله لا يختلف في عدالته ولا يرتاب بأمانته والتوقيعات تخرج على يده إلى الشيعة في المهمات طول حياته بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيه عثمان، لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره ولا يرجع إلى أحد سواه، وقد نقلت عنه دلائل كثيرة ومعجزات الإمام ظهرت على يده وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرة، وهي مشهورة عند الشيعة وقد قدمنا طرفاً منها فلا نطول بإعادتها فإن في ذلك كفاية للمنصف إن شاء الله عز وجل»^(١٨).

وهكذا كان تنصيب الحسين بن روح النوبختي رحمته الله فإنه كان بأمر من الإمام المهدي عليه السلام واجتمعت الطائفة الشيعية عليه.

في الغيبة للطوسي رحمته الله: «أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ (محمد بن عثمان) الْعَمَرِيَّ لَمَّا اشْتَدَّتْ حَالُهُ اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ وُجُوهِ الشَّيْعَةِ مِنْهُمْ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ هَمَّامٍ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَاقَطَانِيُّ وَأَبُو سَهْلٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ النَّوْبَخْتِيُّ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْوَجَنَاءِ وَغَيْرُهُمْ^(١٩) مِنَ الْوُجُوهِ وَالْأَكَابِرِ فَدَخَلُوا عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ حَدَثَ أَمْرٍ فَمَنْ يَكُونُ مَكَانَكَ فَقَالَ هُمْ: هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنُ بْنُ رَوْحِ بْنِ أَبِي بَحْرٍ النَّوْبَخْتِيُّ الْقَائِمُ مَقَامِي وَالسَّفِيرُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ صَاحِبِ الْأَمْرِ عليه السلام وَالْوَكِيلُ [لَهُ] وَالثَّقَّةُ الْأَمِينُ فَارْجِعُوا إِلَيْهِ فِي أُمُورِكُمْ وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ فِي مِهْمَاتِكُمْ فَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَقَدْ بَلَغْتُ»^(٢٠).

وكذا كان الأمر في السفير الرابع فإنه كان بأمر من الإمام عليه السلام وتنصيب من النوبختي رحمته الله واجتمعت الطائفة عليه.

دور السفراء الأربعة في الغيبة الصغرى

وقد قام السفراء الأربعة بدورٍ فعالٍ في الغيبة الصغرى، منها:

١- إظهارهم المعاجز والخوارق الكثيرة التي نقلها فحول علمائنا كالصدوق والطوسي والطبرسي وغيرهم مع تقيدهم بذكر الأخبار والروايات الصحيحة والثابتة عندهم وهذه المعاجز تدلُّ على أمرين: أولاً: صحّة نيابتهم وصدقهم في ذلك فإنهم لو كانوا كاذبين لا معنى لإعطائهم هذه المعاجز والخوارق فإنه إغراءٌ بالجهل وقبيحٌ من الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وثانياً: صحّة إمامة من نابوا عنه ﷺ فإنّ الخوارق والمعاجز على أيديهم تدلّ على صحّة إمامة المهدي ﷺ إذا شك أحدٌ من ضعاف النفوس، هذا كلّ مع الحفاظ على حياته المباركة.

قال الشيخ الطوسي رحمه الله: «وفي ثبوت وكالتهم وظهور المعجزات على أيديهم دليلٌ واضح على إمامة من انتموا اليه»^(٢١).

٢- خروج توقيعات صاحب الزمان ﷺ على أيديهم، وهذه التوقيعات قد امتازت بخصائص منها:

أتمها بخطّ صاحب الزمان المبارك، وخطّه المبارك هو كخطّ أبيه الحسن العسكري رحمه الله والذي كان معروفاً عند عامّة الناس.

وهذا الأمر -تشابه الخطّين- كان أمانة قويّة عند الشيعة تسكن اليه حتى نفوس الضعفاء، بأنّه توقيع الناحية المقدّسة دون السفراء الأربعة ممّا يوجب الطمأنينة واليقين عادةً. وهذا التطابق بين الخطّين أشير اليه حتى بعد مضيّ السفير الأول فكانت التوقيعات تخرج بالخطّ السابق، كما اشار له الحميري فيما نقل عنه:

عن محمد بن همام: قال لي عبدالله بن جعفر الحميري: «لَمَّا مَضَى أَبُو عَمْرٍو (عثمان بن سعيد العمري) رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَتَيْنَا الْكُتُبَ بِالْخَطِّ الَّذِي كُنَّا نَكْتُبُ بِهِ، بِإِقَامَةِ أَبِي جَعْفَرٍ (العمري الثاني) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَقَامَهُ»^(٢٢)، وهذه شهادة بيّنة من الحميري على تطابق الخطّين.

قال الشيخ الطوسي رحمه الله في الغيبة: «وَكَانَتْ تَوْقِيعَاتُ صَاحِبِ الْأَمْرِ ﷺ تَخْرُجُ عَلَى يَدَيِ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ وَابْنِهِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ إِلَى شِيعَتِهِ وَخَوَاصِّ أَبِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْأَجْوِبَةِ عَمَّا يَسْأَلُ الشَّيْعَةُ عَنْهُ

إِذَا اخْتَجَتْ إِلَى السُّؤَالِ فِيهِ بِالْحَطِّ الَّذِي كَانَ يُخْرِجُ فِي حَيَاةِ الْحَسَنِ (٢٣)،
وقال تَنْثُرُ فِي مَحَلٍّ آخَرَ فِي أَحْوَالِ السَّفَرَاءِ الْأَرْبَعَةِ: «يُنْقَلُونَ إِلَى الشَّيْعَةِ مَعَالِمَ
الدين ويخرجون إليهم أجوبته ﷺ في مسائلهم فيه» (٢٤).

وكان لهذه التوقيعات المقدسة دورٌ مهمٌّ في درءِ الفتن والشبهات وردِّ
المنحرفين والإجابة عن الأسئلة الشرعية والدعاء للناس والتعاطي مع
الحوادث الواقعة وكانت أيضاً مشحونة بالمعاجز والخوارق، والكلام عن
التوقيعات يحتاج إلى بحث آخر مفصّل.

٣- كانوا يخبرون عن حالات صاحب الزمان ﷺ وتواجهه وغير ذلك
من أحواله ﷺ ممّا يقوى قلوب الشيعة، عن الشيخ الصدوق في كمال
الدين عن ابن الوليد عن الحميري قال: «قُلْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ الْعَمَرِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنِّي أَسْأَلُكَ سُؤَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ جَلَّ جَلَالُهُ حِينَ قَالَ لَهُ: ﴿رَبِّ
أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمُؤْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (٢٥)
فَأَخْبَرَنِي عَنْ صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ هَلْ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَهُ رَقَبَةٌ مِثْلُ ذِي
وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عُنُقِهِ» (٢٦).

وكذا عن عبدالله بن جعفر الحميري أنّه قال: «سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ
عَثْمَانَ الْعَمَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُلْتُ لَهُ: رَأَيْتَ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ؟
فَقَالَ: نَعَمْ وَآخِرُ عَهْدِي بِهِ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ
لِي مَا وَعَدْتَنِي» (٢٧).

وقال الصدوق تَنْثُرُ فِي «مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه»، قال محمد بن عثمان رضي
الله عنه وأرضاه: «وَرَأَيْتُهُ (أَيَّ الْمَهْدِيِّ ﷺ) مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فِي الْمُسْتَجَارِ
وَهُوَ يَقُولُ - اللَّهُمَّ انْتَقِمْ لِي مِنْ أَعْدَائِكَ» (٢٨).

وعن عبدالله بن جعفر الحميري، عن محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه قال سمعته يقول: «وَاللَّهِ إِنَّ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ لَيَحْضُرُ الْمَوْسِمَ كُلَّ سَنَةٍ يَرَى النَّاسَ وَيَعْرِفُهُمْ وَيَرَوْنَهُ وَلَا يَعْرِفُونَهُ» (٢٩).

سفراء أو وكلاء

من الخطأ الفادح أن يجعل أحد هؤلاء السفراء الأربعة رحمة الله عليهم في سلسلة وكلاء الأئمة (عليهم السلام) السابقين فيجعلهم في عداد البطائني وغيره، فإنه وإن كان للأئمة (عليهم السلام) وكلاء في أمور الوقف وغيره إلا أن مجرد الوكالة لا تدل على إيمانهم بل حتى وثافتهم إذ يكفي أمانتهم وعلمهم بكيفية المصرف إلا إذا ورد توثيق خاص في حقهم كشهادة الشيخ الطوسي السابقة، وهذا بخلاف السفراء الأربعة رحمة الله عليهم فإن لهم مقام ليس لغيرهم (من الوكلاء) وهو مقام السفارة والنيابة بتعيين خاص.

والذي يدل عليه ظهور المعجزات والخوارق الكثيرة على أيديهم والتي لا ينكرها إلا مكابر والتي قد جعلها العلماء دليلاً على وجود صاحب الزمان (عليه السلام) قال الشيخ الطوسي (رحمته الله): «وفي ثبوت وكالتهم وظهور المعجزات على أيديهم دليل واضح على إمامة من ائتموا إليه» (٣٠). ومما يؤيد هذا ما قاله الامام الحسن العسكري (عليه السلام) في تنصيب عثمان بن سعيد العمري (رحمته الله) سفيراً ونائباً عن ولده المهدي (عليه السلام) وعنه (عليه السلام) فقال (عليه السلام): «فَاقْبَلُوا مِنْ عُثْمَانَ مَا يَقُولُهُ وَأَنْتَهُوا إِلَى أَمْرِهِ وَاقْبَلُوا قَوْلَهُ فَهُوَ خَلِيفَةُ إِمَامِكُمْ وَالْأَمْرُ إِلَيْهِ» (٣١)، فإن هذا التعبير وتعابير أخرى تدل على أن للأربعة (رحمة الله عليهم) مقام السفارة والنيابة وهم ليسوا بعداد باقي الوكلاء في عصر الغيبة وقبلها.

وليس المراد من «السفارة والنيابة» هو أنه لهم مقام الإمامة أو ما شابه ذلك بل المراد أن الإمام المعصوم (عليه السلام) قد أعطى لأوامرهم

بل وتصرفاتهم (فيما يختص بأمر السفارة) صبغة الحجية وأمر الناس باتباعهم، على أن أوامره وتصرفاتهم تكشف عن إرادة المعصوم ذلك، كما صرح النواب بذلك أيضاً.

وقد عبر الكثير من العلماء عنهم بلفظ «النائب» كالكفعمي في البلد الأمين والراوندي في الخرائج^(٣٣) وغيره.

ولذا فإن الشيعة كانوا يلعنون من يتوقف في اتباعهم كما مضى في «أحمد بن هلال العبرتائي»^(٣٣).

والحاصل: أن هناك فرق بين السفارة والنيابة الخاصة والوكالة.

قال السيد الخوئي رحمه الله بعد ذكر هذه الرواية: «عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: شَكَّكْتُ فِي أَمْرِ حَاجِزٍ فَجَمَعْتُ شَيْئاً ثُمَّ صَرْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ فَخَرَجَ إِلَيَّ كَيْسَ فِينَا شَكٌّ وَلَا فِيمَنْ يَقُومُ مَقَامَنَا بِأَمْرِنَا رُدَّ مَا مَعَكَ إِلَى حَاجِزِ بْنِ يَزِيدٍ» قال رحمه الله: (لا تدل على اعتبار كل من كان وكيلاً من قبلهم عليه السلام في أمر من الأمور وإنما تدل على جلالة من قام مقامهم بأمرهم فيختص ذلك بالنواب والسفراء من قبلهم عليه السلام)^(٣٤).

نعم الوكلاء بالواسطة في الغيبة الصغرى أيضاً لهم مقام عالٍ ورفيع عن محمد بن صالح الهمداني، قال: «كَتَبْتُ إِلَى صَاحِبِ الزَّمَانِ عليه السلام: إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي يُؤْذُونَنِي وَيَقْرَعُونَنِي بِالْحَدِيثِ الَّذِي رُوِيَ عَنْ آبَائِكَ عليه السلام أَنَّهُمْ قَالُوا: «قُورَانًا وَخُدَّائُنَا شِرَارُ خَلْقِ اللَّهِ». فَكَتَبَ الإمام عليه السلام: وَيُحْكُمُ أَمَّا تَقْرَؤُونَ مَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً)^(٣٥)، وَنَحْنُ وَاللَّهُ الْقُرَى الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا وَأَنْتُمْ الْقُرَى الظَّاهِرَةُ.^(٣٦)

الوكلاء بالواسطة

قال الشيخ الطوسي رحمته: «وقد كان في زمن السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة»^(٣٧).

مثلاً روي محمد بن يوسف الشاشي رحمته أني لما انصرفْتُ مِنَ الْعِرَاقِ كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ بِمَرَوْ يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْكَاتِبُ وَقَدْ جَمَعَ مَالًا لِلْغَرِيمِ^(٣٨) قَالَ: فَسَأَلَنِي عَنْ أَمْرِهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُهُ مِنَ الدَّلَائِلِ. فَقَالَ: عِنْدِي مَالٌ لِلْغَرِيمِ فَمَا تَأْمُرُنِي؟ فَقُلْتُ: وَجَّهْ إِلَى حَاجِزٍ^(٣٩). فَقَالَ لِي: فَوْقَ حَاجِزٍ أَحَدٌ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ الشَّيْخُ (أَيُّ الشَّيْخِ الْعَمْرِيِّ).^(٤٠)

وكما ورد في أحوال القاسم بن العلاء (وكان وكيلاً للناحية المقدسة في أذربايجان) من أنه كانت لا تنقطع عليه توقيعات مولانا صاحب الزمان عليه السلام على يد أبي جعفر محمد بن عثمان العمري رحمته وبعده على يد الحسين بن روح النوبختي رحمته فانقطعت عنه المكاتبه نحواً من شهرين... الى آخر الخبر^(٤١)، فالقاسم بن العلاء وكيل الناحية لكن يعمل تحت أمر السفراء الأربعة.

وثاقة الوكلاء بالواسطة

قد ذكرنا فيما سبق أن التوقيعات المقدسة كانت تخرج على يد السفراء الأربعة ثم ترسل الى غيرهم من الوكلاء بالواسطة كالأسدي والقاسم بن العلاء والحاجز الوشاء وغيره لكن السؤال الذي قد يطرح هو هل أن مجرد «وكالتهم» وخروج التوقيعات على أيديهم يدل على وثافتهم أم لا؟! الجواب: قال الشيخ الطوسي رحمته: «وقد كان في زمن السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة»^(٤٢)، وهذه

الشهادة من الشيخ الطوسي رحمه الله تُثبت وثاقة الوكلاء بالواسطة كالأسدي والقاسم بن العلاء والحاجز وغيرهم ممن خرج على يدهم توقيعات صاحب الزمان عليه السلام وكانوا وكلاء بالواسطة بعد السفراء الأربعة، فالظاهر من عبارته أن كل من خرج على يده توقيع فهو ثقة.

وقد أشكل بعض بأن هذه الفقرة من كلام الشيخ الطوسي رحمه الله لا تدل على وثاقة الوكلاء بالواسطة بل المراد أن هناك أقوام ثقات خرجت توقيعات (الى غيرهم) في بيان شأنهم ومقامهم ووثاقهم أي «وردت التوقيعات في حقهم» فلا يشمل إلا من ورد توقيع في شأنه ووثاقه مثل الأسدي وأحمد بن إسحاق وغيره، وليس مراد الشيخ الطوسي رحمه الله توثيق كل من خرجت على يده توقيعات وكان وكيلًا، وجعل الشاهد على بيانه ما ذكره الشيخ الطوسي رحمه الله بعد هذه العبارة في توقيعات خرجت في وثاقة الأسدي وأحمد بن إسحاق.

وفيه: أن هذا خلاف ما هو الظاهر من شهادة الشيخ الطوسي رحمه الله فإنه لو كان مراد الشيخ الطوسي رحمه الله كما ذكره المستشكل لكان عليه أن يقول «أقوام ثقات ترد فيهم التوقيعات» بدل «عليهم»، وما ادّعاه من الشاهد على بيانه غير صحيح بل إن الشيخ الطوسي رحمه الله إنما ذكر التوقيعات في وثاقة الأسدي (بعد عبارته هذه) تأييداً لشهادته بوثاقة أمثال الأسدي، والظاهر أن الشيخ الطوسي رحمه الله قد ثبتت له وثاقة أمثال الأسدي من طرق أخرى وجعل هذه التوقيعات تأييداً لشهادته بوثاقة أمثال الأسدي، ومجرد الإحتمال يكفي في ذلك فلا وجه لصرف النظر عن ظهور شهادة الشيخ الطوسي رحمه الله وحملها على خلاف ظاهرها فإن الظاهر من عبارته «أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات»، أن التوقيعات ترد عليهم لا فيهم، كما هو واضح.

بل هذه الشهادة «أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات» تشمل كلّ من كاتب صاحب الزمان عليه السلام وورد عليه توقيع منه عليه السلام ولا تشمل فقط الوكلاء بالواسطة، ولا قصور للعبارة عن شمولها لغير الوكلاء، فإن تعبير «ترد عليهم التوقيعات» عامٌّ يشمل الوكيل الذي ورد عليه التوقيع وغير الوكيل ممّن كاتب صاحب الزمان عليه السلام مثل «اسحاق بن يعقوب»^(٤٣) وكذا «الحميري» بل اخوته، قال النجاشي رحمته الله بعد توثيق «محمد بن عبد الله الحميري»: «كاتب صاحب الأمر عليه السلام، وسأله مسائل في أبواب الشريعة، وكان له إخوة، جعفر والحسين وأحمد كلهم كان له مكاتبة»^(٤٤).

ثم أنّ مطلق خروج توقيع على يد أحدٍ في تلك الظروف الصعبة لازمه العاديّ وثاقة ذلك الرجل وإلا يلزمه نقض الغرض؛ إذ لو كان غير ثقة لايتماد الناس عليه يسقط التوقيع عن الفائدة.

نعم، شهادة الشيخ الطوسي رحمته الله لا تشمل مطلق طالب السؤال ممّن أرسله على يد غيره ولم يرد عليه التوقيع.

ومّا يستأنس الى هذا المعنى وأنّ الوكيل ثقةً معتمد ما ورد في توبة «ابن القاسم بن العلاء» قبل توكيله وأنّ أباه عليه السلام أمره بالتوبة حتى يوفّق للوكالة، وكذا ما ورد في أمر «بن مهزيار» بالتوبة قبل أن يقلّد الأمر العظيم، وكذا ما ورد في عزل من شرب الخمر من الوسائط وغيرها من المؤيّدات، فإنّه وإن كان قد يناقش في واحدٍ واحدٍ من هذه وأنّ مثلاً التوبة من شرب الخمر (وهو ذنبٌ عظيم) لا تدلّ على العدالة فضلاً عن الوثاقة، وكذا ما ورد في ابن مهزيار من أنّه إخباره بنفسه دوريٌّ إلاّ أنّه يمكن الإستئناس بأنّ الواسطة كان له مقامٌ واعتبارٌ وهو مرجع وملاذ للناس في الغيبة الصغرى، فإنّ ضميمه بعضها بالآخر يستأنس منه وثاقة الوكيل بالواسطة وعظمته.

جملة من الوكلاء بالواسطة

أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي بالرِّيِّ، قال الشيخ الطوسي في رجاله: «وَقَدْ كَانَ فِي زَمَانِ السُّفَرَاءِ الْمُحْمُودِينَ أَقْوَامٌ ثَقَاتٌ تَرَدُّ عَلَيْهِمُ التَّوْقِيعَاتُ مِنْ قِبَلِ الْمُنْصَوِّينَ لِلْسَّفَارَةِ مِنْهُمْ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ الْأَسَدِيِّ تَبْنُ . . . عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: سَأَلَنِي بَعْضُ النَّاسِ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ قَبْضَ شَيْءٍ فَأَمْتَنَعْتُ مِنْ ذَلِكَ وَكَتَبْتُ أَسْتَطْلِعُ الرَّأْيَ فَأَتَانِي الْجَوَابُ: بِالرِّيِّ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ الْعَرَبِيِّ فَلْيُدْفَعْ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ مِنْ ثِقَاتِنَا» (٤٥).

وقد خرجت توقيعات كثيرة على يده في فروع من المسائل الفقهيّة والحوادث الواقعة وكان بعضها مشحونة بالمعاجز.

القاسم بن العلاء وابنه في آذربايجان

قال السيد الخوئي تَبْنُ: «من أهل آذربايجان، من وكلاء الناحية (عليه السلام)، ومن رأى الحجة (عليه السلام)، ووقف على معجزته (عليه السلام)، ذكره الصدوق في كمال الدين: الجزء ٢، الباب ٤٧، في ذكر من شاهد القائم (عليه السلام)، الحديث ١٧» (٤٦).

وكان القاسم بن العلاء من مشايخ الكليني وقد ذكره مترجماً عليه (٤٧). وقد خرجت على يده توقيعات مختلفة، ومن روى عنه الصفواني، ومن جملة ما رواه ما هو مسطورٌ معروفٌ من رقعة صاحب الزمان (عليه السلام) إليه وفيها ما يدلّ على جلالة قدر «القاسم بن العلاء» وعظيم شأنه وهي مشحونة بالمعاجز والخوارق (٤٨) وفيها (وَكَانَ لَا تَنْقَطِعُ تَوْقِيعَاتُ مَوْلَانَا صَاحِبِ الزَّمَانِ (عليه السلام) عَلَى يَدِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْعَمَرِيِّ وَبَعْدَهُ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ رَوْحٍ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُمَا) ممّا يؤكد ما ذكرناه مراراً من أنّ «القاسم بن العلاء» وأمثاله هم وكلاء الناحية المقدّسة لكن يعملون تحت أمر السفراء الأربعة (رحمة الله عليهم).

وهناك وكلاء آخرون مثل ابراهيم بن مهزيار^(٤٩) وابنه في الأهواز والحاجز الوشاء في الحجاز وغيرهم.

الثقات المعتمدين

كما كان هناك ثقات معتمدين على اتصال دائم مع السفراء الأربعة بل بعضهم يعملون تحت أيديهم وكانت توقعيات صاحب الزمان عليه السلام تخرج من السفراء اليهم مثل أحمد بن إسحاق القمي فإنه كان شيخ القميين ووافدهم وقد رأى صاحب الزمان عليه السلام وكان على اتصال بالسفراء الأربعة وتخرج التوقعيات بواسطة السفراء الأربعة اليه، وكذا عبدالله بن جعفر الحميري (أبو العباس الحميري) وقد كان على اتصال مع العمري الإبن وقد خرجت توقعيات صاحب الزمان عليه السلام اليه أيضاً بتوسط السفراء الأربعة، وكذا ابنه محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري قال النجاشي في حقه: «أبو جعفر القمي، كان ثقة وجهاً كاتب صاحب الأمر عليه السلام وسأله مسائل في الشريعة، قال لنا أحمد بن الحسين: وقعت هذه المسائل إلي في أصلها والتوقعيات بين السطور. وكان له إخوة جعفر والحسين وأحمد وكل منهم كان له مكاتبة»^(٥٠)، وقد كاتب صاحب الزمان عليه السلام بواسطة الحسين بن روح النوبختي رحمته الله وخرجت اليه توقعيات كثيرة في جواب مسأله وكذا توقعيات في الأدعية والزيارات ومنها زيارة آل يس المعروفة.

وكذا أبو علي بن همام وقد قال النجاشي في حقه: «شيخ أصحابنا ومتقدمهم له منزلة عظيمة»^(٥١)، وكان هذا الشيخ الجليل خصيصاً بالسفراء الأربعة (رحمة الله عليهم) خصوصاً محمد بن عثمان العمري رحمته الله والحسين بن روح النوبختي رحمته الله بل يعمل تحت أمره، وقد روى عن العمري رحمته الله دعاء معرفة الإمام الذي يقرأ في

الغيبة، وذكر أنّ الشيخ العمري رحمه الله أملاه عليه وأمره أن يدعو به، وكان حاضراً عند أبي جعفر العمري رحمه الله حين موته ووصيته الى النوبختي رحمه الله، كما أنّ النوبختي رحمه الله قد بعث خلفه وأخرج على يده التوقيع الشريف في لعن السلمغاني، وقد نقل الكثير من التفاصيل عن الغيبة الصغرى وأحوال السفراء وغيرها.

وأيضاً علي بن الحسين بن بابويه القمي، قال النجاشي: «شيخ القميين في عصره، ومتقدمهم، وفقههم، وثقتهم. كان قدم العراق واجتمع مع أبي القاسم الحسين بن روح رحمه الله وسأله مسائل ثم كاتبه بعد ذلك على يد علي بن جعفر بن الأسود، يسأله أن يوصل له رقعة إلى صاحب السلام ويسأله فيها الولد، فكتب رحمه الله إليه: قد دعونا لك بذلك، وسترزق ولدين ذكرين خيرين. فولد له أبو جعفر (الشيخ الصدوق) وأبو عبد الله من أم ولد. وكان أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله يقول: سمعت أبا جعفر (الصدوق) يقول: أنا ولدت بدعوة صاحب الأمر السلام، ويفتخر بذلك».

ثم عدّ النجاشي رحمه الله كتبه وقال: «ومات علي بن الحسين سنة ٣٢٩، وهي السنة التي تناثرت فيها النجوم. وقال جماعة: من أصحابنا: سمعنا أصحابنا يقولون: كنا عند أبي الحسن علي بن محمد السمرى رحمه الله فقال: رحم الله علي بن الحسين بن بابويه. فقليل له: هو حي، فقال: إنه مات في يومنا هذا. فكتب اليوم، فجاء الخبر بأنه مات فيه»^(٥٢).

وكذا علان الكليني الثقة العين وهو خال الكليني محمد بن يعقوب وله كتاب أخبار القائم قال النجاشي في ترجمته: «وقتل علان بطريق مكة، وكان استأذن صاحب السلام في الحج فخرج (توقف عنه في هذه السنة)، فخالف»^(٥٣). وغيرهم كثيرون.

أهل الدار المقدّسة

الظاهر المستفاد من الروايات الشريفة والأخبار التي نقلها العلماء المجمع على وثافتهم «كالكلينيّ والصدوق والطوسيّ رحمهم الله» المعاصرين لعصر الغيبة الصغرى أو بعده بزمان قليل: أنّ دار الإمام المهدي عليه السلام التي قد ورثها من أبيه العسكري عليه السلام والتي قد وُلِدَ عليه السلام فيها كانت عامرة بأهلها وكان يطلق عليها «دار ابن الرضا عليه السلام»^(٥٤)، فيها البوّاب والخادم والوكيل وغيرهم.

وبسبب التمهيدات الإلهيّة آنذاك من حرمة تسميته عليه السلام باسمه وغيبته عليه السلام حتى في زمن حياة أبيه العسكري عليه السلام وظروف أخرى قلّت المضايقات على هذه الدار المقدّسة بعد أن كانت محلّ المراقبة وبعد أن هجموا عليها مرّات عديدة وكسروا بابه وأخذوا خدمه بكلّ عنفٍ وشدّة.

فصار «الأمر عند السلطان أنّ أبا محمد مضى ولم يخلف ولداً وقسّم ميراثه وأخذ من لا حق له وصبر على ذلك وهو (أي المهدي عليه السلام) ذا، عياله يجولون وليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب»^(٥٥).

وهذه الدار المقدّسة كانت عامرة بأهلها^(٥٦) فمن كان في الدار المقدّسة أو يكثر الحضور فيها: الجدّة أمّ أبي محمد العسكري عليه السلام، والسيدة نرجس أمّ الإمام المهدي عليه السلام، والسيدة حكيمة عمّة الإمام العسكري عليه السلام، والخادم والبواب وغيرهم، واليك نبذة من أحوالهم:

هي أمّ أبي محمد العسكري (عليه السلام) واسمها «سليلى»، ويكفي في فضلها أنّها كانت وعاءاً للإمام العسكري (عليه السلام) وكانت في غاية الورع والصلاح والتقوى وكانت من العارفات الصالحات. (٥٧)

وكان لهذه المرأة المكرّمة دورٌ فعّال بعد شهادة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في دفاعها عن حريم أهل هذا البيت فقد نازعها جعفر (عمّ الإمام (عليه السلام)) في ميراث أبي محمد (عليه السلام) وهذه الدار، فتنازعا عند السلطان العباسي وهو لا يفقه أنّه مع حياة الأمّ لا تصلّ النوبة في الميراث الى الأخ. (٥٨)

وأيضاً كانت الجدّة (عليها السلام) هي الواسطة بين الناس وبين المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى فكانت وصيّته (عليه السلام) تفزع الشيعة اليها فتجيبهم عن مسائلهم ظاهراً وهو من صاحب الزمان (عليه السلام) سترأً وحفاظاً عليه. (٥٩)

- عن أحمد بن إبراهيم قال: «دَخَلْتُ عَلَى حَكِيمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الرِّضَا أُخْتِ أَبِي الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ فَقُلْتُ: إِلَى مَنْ تَفْزَعُ الشَّيْعَةُ؟ فَقَالَتْ: إِلَى الْجَدَّةِ أُمِّ أَبِي مُحَمَّدٍ (عليها السلام). فَقُلْتُ لَهَا: أَقْتَدِي بِمَنْ وَصِيَّتُهُ إِلَى امْرَأَةٍ؟ فَقَالَتْ: أَقْتَدَاءُ بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليه السلام) وَالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليه السلام) أَوْصَى إِلَى أُخْتِهِ زَيْنَبِ بِنْتِ عَلِيٍّ فِي الظَّاهِرِ وَكَانَ مَا يُخْرُجُ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) مِنْ عِلْمٍ يُنْسَبُ إِلَى زَيْنَبَ سَتْرًا عَلَى عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)» (٦٠).

وأوصت الجدّة (عليها السلام) أن تدفن في الدار المقدّسة فنازع جعفر في الأمر ورّدّه صاحب الزمان (عليه السلام)، فدفن (عليه السلام) جدّته في الدار المقدّسة. (٦١)

السيدة نرجس ؑ

الكلام حول السيدة نرجس ؑ وأحوالها وعظمتها يطول وخارج عن هذا المختصر ويكفي في فضلها ما قاله أمير المؤمنين ؑ في حقها: «بأبي ابن خيرة الإمام»^(٦٢).

وقد اختلفت الأقوال في زمن وفاتها: ففي رواية أنها بعد أن علمت بالأحداث المؤلمة التي ستجري على هذه الدار المقدسة بعد وفاة العسكري ؑ، طلبت منه ؑ أن يدعو الله عز وجل بأن يجعل منيتها قبل وفاته ؑ فماتت قبل الإمام العسكري ؑ ودفنت في هذه الدار (وعلى قبرها لوح عليه مكتوب: هذا قبر أم محمد)^(٦٣).

وهناك أخبار بأنها عاشت بعد الإمام الحسن العسكري ؑ وحينما هجموا على الدار ادّعت الحمل تقيّة وحفظاً لصاحب الزمان ؑ فأخرجت من الدار بعنفٍ وشراسة وأشخصوها الى السلطان العباسي لعنة الله عليه فكانت عنده سنين مراقبة من قبل النسوان الى أن حدثت فتنٌ في الدولة العباسية وشغلتهن ثورة صاحب الزنج فتركوها والحمد لله^(٦٤)، وقد ورد أنها كانت عند بعض ذرية أبي الفضل العباس ؑ وفي داره يحافظ عليها.

وعلى أي حال فإنّها دفنت في الدار المقدسة بجوار الإمام العسكري ؑ.

السيدة حكيمة ؑ

هي بنت الإمام الجواد ؑ وأخت الإمام الهادي ؑ وعمّة الإمام الحسن العسكري ؑ، قال العلامة المجلسي تّد في باب زيارة الإمامين الهامين العسكريين ؑ:

«ثم اعلم أن في القبة الشريفة قبراً منسوباً إلى النجبية الكريمة العالمة الفاضلة التقية الرضية حكيمة بنت أبي جعفر الجواد (عليه السلام) ولا أدري لم لم يتعرضوا لزيارتها مع ظهور فضلها وجلالتها وأنها كانت مخصوصة بالأئمة (عليهم السلام) ومودعة أسرارهم وكانت أم القائم (عليه السلام) عندها وكانت حاضرة عند ولادته (عليه السلام) وكانت تراه حيناً بعد حين في حياة أبي محمد العسكري (عليه السلام) وكانت من السفراء والأبواب بعد وفاته فينبغي زيارتها بما أجرى الله عز وجل على اللسان مما يناسب فضلها وشأنها والله الموفق» (٦٥).

قالت السيدة حكيمة لمحمد بن عبدالله المطهري: «وَاللّٰهُ إِنِّي لَأَرَاهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً وَإِنَّهُ لَيُنَبِّئُنِي عَمَّا تَسْأَلُونَ عَنْهُ فَأُخْبِرُكُمْ وَوَاللّٰهُ إِنِّي لَأُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنِ الشَّيْءِ فَيَبْدَأَنِي بِهِ وَإِنَّهُ لَيَرُدُّ عَلَيَّ الْأَمْرَ فَيُخْرِجُ إِلَيَّ مِنْهُ جَوَابُهُ مِنْ سَاعَتِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَتِي» (٦٦).

والحاصل: أن الإمام المهدي (عليه السلام) أدار المجتمع الشيعي من خلال السفراء الأربعة، وكذا الوكلاء بالواسطة، وكذا الثقات والمعتمدين، وكانت أوامر الإمام المهدي (عليه السلام) ومن خلال التوقيعات تخرج إلى السفراء الأربعة ومنهم إلى الوكلاء الآخرين والثقات والمعتمدين في مختلف البلدان، كما أن لأهل هذه الدار المقدسة دور مهم في سامراء لدفع الفتن والشبهات، كل ذلك بتوجيه وإرشاد من صاحب الزمان (عليه السلام).

المحور الثاني: فضح المنحرفين

إنَّ الإمام المهدي عليه السلام كما ربط الناس بالسفراء الأربعة بالأدلة والبراهين القاطعة ومن خلاهم بالوكلاء والثقات والعلماء، كذلك حذّر الناس ومن خلال السفراء الأربعة والتوقيعات المقدّسة من بعض مدّعي الباطنية والمنحرفين الصوفيّين وغيرهم فخرجت توقيعات كثيرة في فضحهم ولعنهم والبراءة منهم واليك جملة من هؤلاء المنحرفين:

أحمد بن هلال العبرتائي

قال الشيخ الطوسي رحمته الله: «قَالَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ هَمَّامٍ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ هَلَالٍ (العبرتائي) مِنْ أَصْحَابِ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام فَاجْتَمَعَتِ الشَّيْعَةُ عَلَى وَكَالَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ رحمته الله بِنَصِّ الْحَسَنِ عليه السلام فِي حَيَاتِهِ وَلَمَّا مَضَى الْحَسَنُ عليه السلام قَالَتِ الشَّيْعَةُ الْجَمَاعَةُ لَهُ: أَلَا تَقْبَلُ أَمْرَ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ وَتَرْجِعُ إِلَيْهِ وَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ الْمَفْتَرِضُ الطَّاعَةُ؟ فَقَالَ لَهُمْ: لَمْ أَسْمَعْهُ يُنْصُ عَلَيْهِ بِالْوِكَالَةِ وَلَيْسَ أَنْكِرُ أَبَاهُ بَعْنِي عُثْمَانَ بْنَ سَعِيدٍ فَأَمَّا أَنْ أَقْطَعَ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ وَكِيلُ صَاحِبِ الزَّمَانِ فَلَا أَجْسُرُ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: قَدْ سَمِعَهُ غَيْرَكَ فَقَالَ: أَنْتُمْ وَمَا سَمِعْتُمْ، وَوَقَفَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَلَعَنُوهُ وَتَبَرَّؤُوا مِنْهُ» (٦٧).

وقد روى محمد بن يعقوب الكليني رحمته الله قال: خَرَجَ إِلَى الْعَمْرِيِّ رحمته الله فِي تَوْقِيعِ طَوِيلٍ اخْتَصَرَ نَأْهُ: «وَنَحْنُ نَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ ابْنِ هَلَالٍ لَا رَحِمَهُ اللَّهُ وَمَنْ لَا يَبْرَأُ مِنْهُ فَأَعْلِمِ الْإِسْحَاقِيَّ وَأَهْلَ بَلَدِهِ بِمَا أَعْلَمْنَاكَ مِنْ حَالِ هَذَا الْفَاجِرِ وَجَمِيعِ مَنْ كَانَ سَأَلَكَ وَيَسْأَلُكَ عَنْهُ» (٦٨).

وقد استثقل بعض الناس ذلك لكثرة رواياته وإظهاره الصلاح (نفاقاً وخداعاً) فعاودوا الواسطة في توقيع آخر، فخرج توقيع آخر منه عليه السلام في لعنه وذمّه (٦٩).

عن محمد بن صالح الهمداني قال: وَلَمَّا وَرَدَ نَعْيُ ابْنِ هِلَالٍ لَعَنَهُ اللَّهُ جَاءَنِي الشَّيْخُ^(٧٠) فَقَالَ لِي: أَخْرِجِ الْكَيْسَ الَّذِي عِنْدَكَ. فَأَخْرَجْتُهُ إِلَيْهِ فَأَخْرَجَ إِلَيَّ رُقْعَةً فِيهَا: «وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الصُّوفِيِّ الْمُتَّصِعِ -يَعْنِي الْهَلَالِيَّ^(٧١) - فَبَيَّرَ اللَّهُ عُمُرَهُ» ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ «فَقَدْ قَصَدْنَا فَصَبَرْنَا عَلَيْهِ فَبَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عُمُرَهُ بِدَعْوَتِنَا»^(٧٢).

ولابد من التأمل في عدّة النقاط:

١ - عظمة السفراء الأربعة واجتماع الطائفة الشيعيّة عليهم بحيث لعنوا (وبحقّ) من توقّف فقط في سفارة السفير الثاني ولم ينكر ذلك، لكنّهم لعنوه وتبرّؤوا منه لأنّ الأمر كان واضحاً كالشمس في رابعة النهار وهذا يكشف عن تدليسه وتصنّعه وخرج التوقيع المبارك في لعنه أيضاً وهذا ممّا يكشف لنا عظمة السفراء الأربعة في المجتمع الشيعي والرجوع اليهم والإمتثال لأمرهم.

٢ - كان أحمد بن هلال صوفياً متّصعاً ينافق ويظهر التعبّد والخشوع وكان قصده العبث في الدين المحمّدي وانحراف الناس وقد استند في تدليسه الى قواعد شبه عقلائيّة حتى يُغوي الناس فلن يجامله الإمام عليه السلام ولن تجامله الشيعة فلعنوه قبل أن يلعنه الإمام عليه السلام وتبرّؤوا منه قبل أن يأمرهم الإمام عليه السلام بذلك عملاً بوظيفتهم وحرصاً على دينهم، فينبغي أن يكون هذا درساً لنا في مواجهة المنحرفين المدّلسين ولا نتعاطف معهم أيّ تعاطف خصوصاً مدّعي البائيّة والنيابة.

٣ - أنّ من يدّعي النيابة كذباً وزوراً سرعان ما يفضحه الإمام عليه السلام «فقد قصدنا فصرنا عليه فبتر الله عز وجل عمره بدعوتنا» فقد يمهّل الله

الكافرين والمنافقين لكنّه لن يمهل من يريد العبث في صاحب الزمان ﷺ
ويدّعي نيابته كذباً وزوراً فسرعان ما يموت أو ينفضح أمام الملاء.

الשלْمغاني

ومن هؤلاء الذين انحرفوا عن الحقّ هو «محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر» فإنّه كان فقيهاً من الفقهاء وله عدّة مؤلّفات إلاّ أنّه حمّله الحسد على الحسين بن روح النوبختي ثبّت إضافة الى سوء سيرته، فانحرف عن طريق الحقّ فما كان ذلك رادعاً عن لعنه والبراءة منه من قبل النوبختي وغيره من الشيعة.

واختلف في حاله قبل انحرافه فقال بعض أنّه كان الواسطة بين الحسين بن روح وبين الناس وكان يحمل الكتب الى الحسين بن روح النوبختي ثبّت لأنّه كان مستتراً عن الناس^(٧٣)، وأنكر آخرون ذلك وأنّه لم يكن الواسطة للنوبختي قطّ ولم ينصبه النوبختي أبداً.

قال أبوعلی محمد بن همام: «إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الشَّلْمَغَانِيَّ لَمْ يَكُنْ قَطُّ بَاباً إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ وَلَا طَرِيقاً لَهُ وَلَا نَصَبَهُ أَبُو الْقَاسِمِ لشيءٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ وَلَا سَبَبٍ وَمَنْ قَالَ بِذَلِكَ فَقَدْ أَبْطَلَ، وَإِنَّمَا كَانَ فَقِيهاً مِنْ فُقُهائِنَا وَخَلَطَ وَظَهَرَ عَنْهُ مَا ظَهَرَ وَأَنْتَشَرَ الْكُفْرُ وَالْإِلْحَادُ عَنْهُ»^(٧٤).

والظاهر أنّه كان بصدد العبث والإفساد في المذهب الحقّ قبل إظهار انحرافه فكان يسعى الى سلب الحجية عن التوقعات الصادرة عن الإمام عليه السلام وأنّه بعضها جواب النوبختي ورأيه وليس رأي الإمام عليه السلام، فقال لعنه الله (في جواب من كتب حاجة الى صاحب الزمان ﷺ) ويتنظر الجواب وقد ساء تأخر الجواب لأنّ جواب شخص دليل إيمانه وما كان

يجيب الإمام (عليه السلام) عن حاجة المنحرفين: «لَا يَسْوُوكَ فَإِنَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ لَكَ وَأَوْمَى إِلَيَّ أَنَّ الْجَوَابَ إِنْ قُرِبَ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ رُوحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِنْ تَأَخَّرَ كَانَ مِنْ جِهَةِ الصَّاحِبِ (عليه السلام)» (٧٥).

وهذا ادّعاء باطل لأنّ الأجوبة كلّها عن صاحب الزمان (عليه السلام) وكانت الشيعة تعرف خطأ إمامها (عليه السلام) وكانت تظهر المعاجز والخوارق من التوقيعات إضافة الى أنّ الحسين بن روح النوبختي (رحمته الله) قد أنكر ذلك وصرّح بأنّه: «لَأَنَّ آخِرَ مَنْ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَنِي الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِي الرِّيحُ مِنْ مَكَانٍ سَحِيقٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ [أَنْ] أَقُولَ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِرَأْيِي وَمِنْ عِنْدِ نَفْسِي» (٧٦).

كما أنّ الشلمغاني (لعنة الله عليه) قد أشاع بعد انحرافه بأنّ بعض التوقيعات التي خرجت كان يجيها هو بنفسه حتى يقدر في توقيعات صاحب الزمان (عليه السلام) فخرج الجواب من صاحب الزمان (عليه السلام) في ردّه: «عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ دَاوُدَ الْقُمِّيِّ قَالَ: وَجَدْتُ بِخَطِّ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ النَّوْبَخْتِيِّ وَإِمْلَاءِ أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ رُوحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ فِيهِ جَوَابَاتٌ وَمَسَائِلُ أَنْفَذْتُ مِنْ قُمْ يَسْأَلُ عَنْهَا هَلْ هِيَ جَوَابَاتُ الْفَقِيهِ (عليه السلام) أَوْ جَوَابَاتُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّلْمَغَانِيِّ لِأَنَّهُ حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: هَذِهِ الْمَسَائِلُ أَنَا أَجَبْتُ عَنْهَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِهِمْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ وَقَفْنَا عَلَى هَذِهِ الرُّقْعَةِ وَمَا تَضَمَّتْهُ فَجَمَعْتُ جَوَابَنَا [عَنِ الْمَسَائِلِ] وَلَا مَدْخَلَ لِلْمَخْذُولِ الضَّالِّ الْمُضِلِّ الْمَعْرُوفِ بِالْعَزَاقِرِيِّ لَعَنَهُ اللَّهُ فِي حَرْفٍ مِنْهُ» (٧٧).

ثمّ إنّ بعد انحرافه حصل اختلاف آخر في المجتمع الشيعي في كيفية التعامل مع كتبه ومن كتبه المعروفة «كتاب التكليف» فسلوا الحسين بن روح (رحمته الله) في ذلك.

الغيبة الطوسي تت: «عن عبد الله الكوفي خادم الشيخ الحسين بن روح رضي الله عنه قال: سئل الشيخ يعني أبا القاسم رضي الله عنه عن كُتُبِ ابنِ أبي العزاقِرِ بعدَ ما ذمَّ وخرَجَتْ فِيهِ اللَّعْنَةُ فَقِيلَ لَهُ فَكَيْفَ نَعْمَلُ بِكُتُبِهِ وَبُيُوتُنَا مِنْهَا مَلَأَى؟ فَقَالَ تت: أَقُولُ فِيهَا مَا قَالَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَقَدْ سُئِلَ عَنْ كُتُبِ بَنِي فَضَّالٍ فَقَالُوا: كَيْفَ نَعْمَلُ بِكُتُبِهِمْ وَبُيُوتُنَا مِنْهَا مَلَأَى؟ فَقَالَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ): خُذُوا بِمَا رَوَوْا وَذَرُّوا مَا رَأَوْا» (٧٨).

وقد راجع الحسين بن روح تت كتاب التكليف بعد انحراف الشلمغاني لدراء الشبهة عن المجتمع الشيعي وللدفاع عن تراث الأئمة الأطهار عليهم السلام وإن كانت الروايات في كتاب ضالاً كالشلمغاني.

الغيبة الطوسي عن روح (٧٩) بن أبي القاسم بن روح النوبختي: «لَمَّا عَمِلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّلْمَغَانِيُّ كِتَابَ التَّكْلِيفِ قَالَ [الشَّيْخُ] يَعْنِي أَبَا الْقَاسِمِ (الحسين بن روح النوبختي) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اِطْلُبُوهُ إِلَيَّ لِأَنْظُرَهُ فَجَاءُوا بِهِ فَقَرَأَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَقَالَ مَا فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ رَوَى عَنِ الْأَئِمَّةِ إِلَّا مَوْضِعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً فَإِنَّهُ كَذَبَ عَلَيْهِمْ فِي رِوَايَتِهَا لَعَنَهُ اللَّهُ» (٨٠).

ومن خلال هذا النقل تعرف مدى تضلّع الحسين بن روح تت في روايات الأئمة الأطهار عليهم السلام وحرصه على الحفاظ على تراثهم عليهم السلام وكذا تعرف عظمتهم وقبول فحول علمائنا كلامه وتسالمهم على صحّة ما يقوله وهو كذلك لأنّه المنسوب من قبل صاحب الزمان عليه السلام ومن هو كذلك لا يخطأ في كلامه.

وعلى كل انحرف الشلمغاني وحمله على ذلك الحسد للحسين بن روح النوبختي فادعى أنّه باب للمهدي عليه السلام كما أنّ الحسين بن روح أيضاً باب ثمّ تمادى في كذبه فادعى الحلول كما قال به الحلاج وهذا شأن من يدّعي البايّة فإنّه ينتهي كذبه الى الحلول والكفر، فكتب النوبختي رحمه الله بلعن الشلمغاني والبراءة منه ومن يتولّاه ورضي بقوله أو كلّمه فضلاً عن موالاته ثم ظهر التوقيع من صاحب الزمان عليه السلام بلعن أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني والبراءة منه وممن تابعه وشايعه ورضي بقوله وأقام على تولّيه بعد المعرفة بهذا التوقيع. (٨١)

والملفت للنظر أنّ النوبختي رحمه الله بعد أن ثبت له إنحراف الشلمغاني لعنه وكاتب الناس بلعنه وهذا يدلّ على مدى صلاحياته من قبل الحجّة عليه السلام وتأثيره على المجتمع ثمّ خرج بعد ذلك التوقيع من صاحب الزمان عليه السلام بلعنه والبراءة منه.

- قال محمد بن همام: «خَرَجَ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ رَوْحٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَلَاثِينَ فِي ابْنِ أَبِي الْعَزَاقِرِ وَالْمِدَادِ رَطْبٌ لَمْ يَجْفَ، وَأَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَاجِعٌ فِي تَرْكِ إِظْهَارِهِ فَإِنَّهُ فِي يَدِ الْقَوْمِ وَحَبْسِهِمْ، فَأَمَرَ بِإِظْهَارِهِ وَأَنْ لَا يَخْشَى وَيَأْمَنَ، فَتَخَلَّصَ وَخَرَجَ مِنَ الْحَبْسِ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ يَسِيرَةٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ» (٨٢).

- التوقيع المبارك

«عَرَّفَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِكَ وَعَرَفَكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَخَتَمَ بِهِ عَمَلَكَ مَنْ تَشَقُّ بِدِينِهِ وَتَسْكُنُ إِلَى نَيْتِهِ مِنْ إِخْوَانِنَا أَسْعَدَكُمْ اللَّهُ بِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفَ بِالشَّلْمَغَانِيِّ وَهُوَ مِمَّنْ عَجَّلَ اللَّهُ لَهُ الثَّقَمَةَ وَلَا أَمْهَلَهُ قَدِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ

وَفَارَقَهُ وَأَلْحَدَ فِي دِينِ اللَّهِ وَادَّعَى مَا كَفَرَ مَعَهُ بِالْخَالِقِ جَلَّ وَتَعَالَى وَافْتَرَى كَذِباً وَزُوراً وَقَالَ بُهْتَاناً وَإِثماً عَظِيماً كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِاللَّهِ وَضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيداً وَخَسِرُوا خُسْرَاناً مُبِيناً وَإِنَّا قَدْ بَرَّئْنَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ وَآلِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِمْ، مِنْهُ وَلَعَنَاهُ (عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللَّهِ تَتَرَى فِي الظَّاهِرِ مِنَّا وَالْبَاطِنِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ وَفِي كُلِّ وَقْتٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ) (١) وَعَلَى مَنْ شَايَعَهُ وَبَايَعَهُ أَوْ بَلَغَهُ هَذَا الْقَوْلَ مِنَّا وَأَقَامَ عَلَى تَوَلِّيهِ بَعْدَهُ (٢) وَأَعْلَمَهُمْ تَوَلَّائَكُمْ اللَّهُ أَنَّنَا فِي التَّوْقِي وَالْمَحَازَرَةِ مِنْهُ (٣) عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِمَّنْ تَقَدَّمَهُ مِنْ نُظَرَائِهِ مِنَ الشَّرِيعِيِّ وَالنُّمَيْرِيِّ وَالْهَلَالِيِّ وَالْبِلَالِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَعَادَةً اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَعَ ذَلِكَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ عِنْدَنَا جَمِيلَةٌ وَبِهِ ثِقٌ وَإِيَّاهُ نَسْتَعِينُ وَهُوَ حَسْبُنَا فِي كُلِّ أُمُورٍ نَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» (٨٣).

ولا بأس بالوقوف عند بعض فقرات هذا التوقيع المبارك:

(١) قوله ﷺ: «وَلَعَنَاهُ (عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللَّهِ تَتَرَى فِي الظَّاهِرِ مِنَّا وَالْبَاطِنِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ وَفِي كُلِّ وَقْتٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ)».

هذه الفقرة تدل على لزوم لعن من يدعي الباطية كذباً وافتراءً وقد لعنه صاحب الزمان ﷺ بعبارات وتأكيدات شتى مما يدل على استحقاق السلمغاني ذلك وشدة بغض صاحب الزمان ﷺ له ولأمثاله وإذا كان المهدي ﷺ هكذا يلعن منحرفاً اتعب الشيعة في مدة من الزمن وهلك واندثر أثره فكيف يلعن من أسس أساس الظلم والجور وحمل الناس على أعناق آل محمد ﷺ وأثره لا يندثر إلا بعد ظهور صاحب الزمان ﷺ؟!!

(٢) قوله ﷺ: «وَعَلَى مَنْ شَايَعَهُ وَبَايَعَهُ أَوْ بَلَغَهُ هَذَا الْقَوْلَ مِنَّا وَأَقَامَ عَلَى تَوَلِّيهِ بَعْدَهُ». بل الإمام ﷺ لا يكتفي بلعنه بل يلعن من شايع أمثال السلمغاني وسائرهم وفتح لهم المجال في العبث في المذهب الحق ولم يتبرأ منهم.

(٣) قوله عليه السلام: «أَنَا فِي التَّوَقِّيِّ وَالْمَحَازَرَةِ مِنْهُ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ تَقَدُّمِهِ مِنْ نَظَرَانِهِ مِنَ الشَّرِيعِيِّ وَالنُّمَيْرِيِّ وَالْهَلَالِيِّ وَالْبَلَالِيِّ وَغَيْرِهِمْ».

ثم أعطى الإمام عليه السلام قاعدة قد جرت في سابقه ممن ادعى المهدوية كالشيعي والهلالي وغيره وتجري في غيرهم ممن هو بعدهم بأنه عليه السلام «في التوقي والمحاذرة منه» وأن الإمام عليه السلام يترصد لهم ويتوقى منهم بأن لا يعشوا بالمذهب الحق بل يفضحهم الإمام عليه السلام ويكشف أمرهم كما كان كذلك فيما سبق وبالله عز وجل يستعين على دفع مكر هؤلاء الدجلة «عادة الله جل ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميله». والحمد لله رب العالمين.

لا تخالط مدعي المهدوية

ثم إن الحسين بن روح النوبختي رحمه الله ما اكتفى بلعن مدعي المهدوية بل نهى الشيعة عن مخالطتهم ومحدثتهم وهذا يدل على عقله وفقهه.

قالت أم كلثوم بنت محمد بن عثمان العمري رحمه الله: «وَقَدْ كُنْتُ أَخْبَرْتُ الشَّيْخَ أَبَا الْقَاسِمِ (النُّوبَخْتِي) أَنَّ أُمَّ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ بِسْطَامَ قَالَتْ لِي يَوْمًا وَقَدْ دَخَلْنَا إِلَيْهَا فَاسْتَقْبَلَتْنِي وَأَعْظَمَتْنِي وَزَادَتْ فِي إِعْظَامِي حَتَّى انْكَبَتْ عَلَى رِجْلِي تُقَبِّلُهَا فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهَا مَهْلًا يَا سَيِّدَتِي فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ وَانْكَبْتُ عَلَى يَدَيْهَا فَبَكَتُ ثُمَّ قَالَتْ: كَيْفَ لَا أَفْعَلُ بِكَ هَذَا وَأَنْتِ مَوْلَاتِي فَاطِمَةُ فَقُلْتُ لَهَا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا سَيِّدَتِي؟ فَقَالَتْ لِي: إِنَّ الشَّيْخَ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ (السُّلَمْغَانِي) خَرَجَ إِلَيْنَا بِالسَّرِّ قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهَا: وَمَا السَّرُّ؟ قَالَتْ: قَدْ أَخَذَ عَلَيْنَا كِتْمَانَهُ وَأَفْرَعُ إِنَّنَا أَدْعُوهُ عُوقِبْتُ. قَالَتْ: وَأَعْطَيْتُهَا مَوْثِقًا أَنِّي لَا أَكْشِفُهُ لِأَحَدٍ وَاعْتَقَدْتُ فِي نَفْسِي الْإِسْتِثْنَاءَ بِالشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْنِي أَبَا الْقَاسِمِ الْحُسَيْنَ بْنَ رُوحٍ. قَالَتْ (أُمُّ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ بِسْطَامَ): إِنَّ الشَّيْخَ أَبَا

جَعْفَرٍ (الשלْمَغَانِي) قَالَ لَنَا: إِنَّ رُوحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَقَلَتْ إِلَى أَبِيكَ يَعْنِي
أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرُوحَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ انْتَقَلَتْ إِلَى
بَدَنِ الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ رُوحٍ وَرُوحَ مَوْلَانَا فَاطِمَةَ ﷺ انْتَقَلَتْ
إِلَيْكَ فَكَيْفَ لَا أُعْظِمُكَ يَا سِتْنًا. فَقُلْتُ لَهَا: مَهْلًا لَا تَفْعَلِي فَإِنَّ هَذَا كَذِبٌ
يَا سِتْنًا فَقَالَتْ لِي: [هُوَ] سِرٌّ عَظِيمٌ وَقَدْ أَخَذَ عَلَيْنَا أَنَّنَا لَا نَكْشِفُ هَذَا
لِأَحَدٍ فَاللَّهُ اللَّهُ فِي لَا يَحِلُّ لِي الْعَذَابُ وَيَا سِتْنِي فَلَوْ [لَا] أَنَّكَ حَمَلْتَنِي عَلَى
كَشْفِهِ مَا كَشَفْتُهُ لَكَ وَلَا لِأَحَدٍ غَيْرِكَ. قَالَتِ الْكَبِيرَةُ أُمُّ كُلْثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
فَلَمَّا انْصَرَفَتْ مِنْ عِنْدِهَا دَخَلَتْ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ رُوحٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ فَأَخْبَرَتْهُ بِالْقِصَّةِ وَكَانَ يَثِقُ بِي وَيَرْكَنُ إِلَى قَوْلِي فَقَالَ لِي: يَا بَنِيَّةُ إِيَّاكَ أَنْ
تَمْضِيَ إِلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ بَعْدَ مَا جَرَى مِنْهَا وَلَا تَقْلِي [لَهَا] رُقْعَةً إِنْ كَاتَبْتُكَ وَلَا
رَسُولًا إِنْ أَنْفَذْتَهُ [إِلَيْكَ] وَلَا تَلْقَيْهَا بَعْدَ قَوْلِهَا فَهَذَا كُفْرٌ بِاللَّهِ تَعَالَى وَإِلْحَادٌ
قَدْ أَحْكَمَهُ هَذَا الرَّجُلُ الْمَلْعُونُ فِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لِيَجْعَلَهُ طَرِيقًا إِلَى أَنْ
يَقُولَ لَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَ بِهِ وَحَلَ فِيهِ كَمَا يَقُولُ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ ع
وَيَعُدُّوهُ إِلَى قَوْلِ الْحَلَّاجِ لَعَنَهُ اللَّهُ^(٨٤).

فينبغي أن لا يفسح المجال للمدعي المهدويّة وأتباعهم ولا حتى
المباحثة معهم بل لابدّ من قطيعتهم ونبذهم وتحقيرهم كما فعله الحسين
بن روح تبتُّ عن عقل وعلمٍ ودرايةٍ، فإنّ مدعي المهدويّة يدّعي شيئاً
جديداً ما أنزل الله به من سلطان ومن خلال البحث والمغالطة يكون
بصدد تثبيت عقائده وأفكاره، والأمر المشكوك بل والباطل سوف
يرسخ في الذهن مع التكرار خصوصاً عند الضعفاء وإن كان الإنسان
لا يعتقد به ويعلم بطلانه.

كيف تعامل علي بن بابويه القمي مع الحلاج

«إِنَّ ابْنَ الْحَلَّاجِ^(٨٥) صَارَ إِلَى قُمْ وَكَاتَبَ قَرَابَةَ أَبِي الْحَسَنِ يَسْتَدْعِيهِ وَيَسْتَدْعِي أَبَا الْحَسَنِ أَيْضاً وَيَقُولُ أَنَا رَسُولُ الْإِمَامِ وَوَكِيلُهُ قَالَ فَلَمَّا وَقَعَتِ الْمَكَاتِبَةُ فِي يَدِ أَبِي (أَي عَلِي بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَابُوِيهِ تَقِيَّةُ وَالِدِ الصَّدُوقِ تَقِيَّةُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَقَهَا وَقَالَ لِمُوصِلِهَا إِلَيْهِ: مَا أَفْرَعَكَ لِلْجَهَالَاتِ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ وَأَظُنُّ أَنَّهُ قَالَ إِنَّهُ ابْنُ عَمَّتِهِ أَوْ ابْنُ عَمِّهِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ اسْتَدْعَانَا فَلَمْ خَرَقْتَ مَكَاتِبَتَهُ، وَصَحِّكُوا مِنْهُ وَهَزَّؤُوا بِهِ ثُمَّ نَهَضَ إِلَى دُكَانِهِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَغُلَمَائِهِ. فَلَمَّا دَخَلَ إِلَى الدَّارِ الَّتِي كَانَ فِيهَا دُكَانُهُ نَهَضَ لَهُ مَنْ كَانَ هُنَاكَ جَالِساً غَيْرَ رَجُلٍ (وهو الحلاج) رَأَاهُ جَالِساً فِي الْمَوْضِعِ فَلَمْ يَنْهَضْ لَهُ وَلَمْ يَعْرِفْهُ أَبِي فَلَمَّا جَلَسَ وَأَخْرَجَ حِسَابَهُ وَدَوَانَهُ كَمَا يَكُونُ التُّجَّارُ أَقْبَلَ عَلَى بَعْضِ مَنْ كَانَ حَاضِراً فَسَأَلَهُ عَنْهُ فَأَخْبَرَهُ فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ عَنْهُ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: تَسْأَلُ عَنِّي وَأَنَا حَاضِرٌ فَقَالَ لَهُ أَبِي: أَكَبَرْتُكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ وَأَعْظَمْتُ قَدْرَكَ أَنْ أَسْأَلَكَ فَقَالَ لَهُ تَحْرِقْ رُقْعَتِي وَأَنَا أَشْهَدُكَ تَحْرِقُهَا فَقَالَ لَهُ أَبِي: فَأَنْتَ الرَّجُلُ إِذَا. ثُمَّ قَالَ يَا غُلَامُ بَرِّجْلِهِ وَبِقَفَاهُ فَخَرَجَ (أَي الْحَلَّاجُ) مِنَ الدَّارِ الْعَدُوِّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَتَدْعِي الْمُعْجَزَاتِ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ أَوْ كَمَا قَالَ فَأَخْرَجَ بِقَفَاهُ فَمَا رَأَيْنَاهُ بَعْدَهَا بِقُمْ»^(٨٦)

فهكذا لا بد أن يتعامل مع أصحاب البدع والشبهات الحديثة ولا يفتح لهم المجال حتى لا يعيشوا في الدين كما عبث العامة العمياء في ذلك من قبل.

كما وأنه ينبغي أن يكون الإنسان على حذر من أصحاب العقائد الباطلة وإن كان واثقاً من دينه لئلا يصيبه العذاب بل ويتبعد عن جداهم والمحادثة معهم قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَجِدَالَ كُلِّ مَفْتُونٍ فَإِنَّ كُلَّ مَفْتُونٍ مُلَقَّنٌ حُجَّتَهُ إِلَى انْقِضَاءِ مُدَّتِهِ فَإِذَا انْقَضَتْ مُدَّتُهُ أُخْرِقَتْهُ فُتِنَتْهُ بِالنَّارِ»^(٨٧).

الحاصل: في كيفية التعامل مع المنحرفين

المستفاد من دور السفراء الأربعة وتوقعات صاحب الزمان عليه السلام في مواجهته مع مدّعي الباطية والنيابة كذباً عدّة أمور:

- عدم مخالطتهم والبحث معهم لا لقصور في أدلتنا فإنّ الحق واضح كالشمس في رابعة النهار إلّا أنّ هؤلاء المنحرفين من خلال بحثهم ومغالطاتهم بصدد إثبات وجودهم على الساحة ولا بدّ أن نمنعهم من ذلك فقد ورد: «إِذَا رَأَيْتُمْ أَهْلَ الرَّيْبِ وَالبِدْعِ مِنْ بَعْدِي فَأَظْهِرُوا الْبَرَاءَةَ مِنْهُمْ وَ أَكْثَرُوا مِنْ سَبِّهِمْ وَ الْقَوْلِ فِيهِمْ وَ الْوَقِيعَةَ وَ بَاهِتُوهُمْ كَيْلًا يَطْمَعُوا فِي الْفَسَادِ فِي الْإِسْلَامِ وَ يَحْذَرَهُمُ النَّاسُ وَ لَا يَتَعَلَّمُوا مِنْ بَدْعِهِمْ يَكْتُبِ اللَّهُ لَكُمْ بِذَلِكَ الْحَسَنَاتِ وَ يَرْفَعَ لَكُمْ بِهِ الدَّرَجَاتِ فِي الْآخِرَةِ»^(٨٨)، فهناك فرق بين العامة وبين هؤلاء المنحرفين فإنّ العامة بسبب خذلان الناس لأمير المؤمنين عليه السلام قد صار لهم وجود على أرض الواقع (وإن كانوا على باطل) وكان ينبغي للناس أن يقفوا بجانب علي عليه السلام فيطردوهم من المجتمع إلّا أنّه وقع التخاذل وكسبوا المقاعد والمناصب فلا بأس بالمناقشة معهم بعد أن صار الحقّ مستضعفاً إظهاراً للحقّ ودفاعاً عن أمير المؤمنين عليه السلام طبعاً بشروطها وحدودها.

وهذا بخلاف مدّعي الباطية والمهدوية فإنّهم لا وجود لهم على أرض الواقع وهم مطرودون ومن خلال البحث والجدال يريدون أن يجعلوا لأنفسهم وجوداً على الساحة وفي المجتمع فلا ينبغي أن يفسح لهم المجال بل لا بدّ من طردهم وعدم البحث معهم فإنّهم يريدون ذلك إثباتاً لوجودهم.

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الروايات الشريفة نجتنا عن البحث مع المنحرفين والمفتونين إذ قد يؤثر في الشخص أو لا أقل يتزلزل في عقيدته فتحرقه نار ذلك المنحرف كما قال رسول الله ﷺ: «يَأْكُمُ وَجَدَالُ كُلِّ مَفْتُونٍ فَإِنَّ كُلَّ مَفْتُونٍ مُلَقَّنٌ حُجَّتَهُ إِلَى انْقِضَاءِ مُدَّتِهِ فَإِذَا انْقَضَتْ مُدَّتُهُ أَحْرَقَتْهُ فِتْنَتُهُ بِالنَّارِ وَرُوي شَغَلَتْهُ خَطِيئَتُهُ فَأَحْرَقَتْهُ» (٨٩).

- ومن خلال دور السفراء الأربعة نعرف أنه لا تقيّة مع مدّعي المهديّة والبابيّة بل لا بدّ من لعنهم والبراءة منهم وإذلالهم مع الأمن من آذاهم وهذا مشهود في تعامل الحسين بن روح النوبختي رحمه الله معهم فإنّه كان معروفاً في شدّة تورّيته وتقيّته حتى أنّه عزل بواباً له لأنّه لعن معاوية إلّا أنّه لم يكن كذلك مع مدّعي البابيّة والمهديّة بل لعنهم وتبرأ منهم وأمر بلعنهم بكلّ صراحة ووضوح.

ثم إن هؤلاء المدّعين عادة يدعون النيابة والوكالة أولاً ثمّ يدّعون أنّهم المهدي ثمّ الألوهيّة، قال هارون التلعكبري: «وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ إِنَّمَا يَكُونُ كَذِبُهُمْ أَوَّلًا عَلَى الْإِمَامِ وَأَتَمُّهُمْ وَكَلَاؤُهُ فَيَدْعُونَ الصَّعْفَةَ بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَى مَوَالِيَتِهِمْ ثُمَّ يَتَرَقَّى [الْأَمْرُ] بِهِمْ إِلَى قَوْلِ الْحَلَا جِيَّة» (٩٠).

كما أنّ الإمام عليه السلام ومن خلال توقعاته المقدّسة كان يفضح بعض المنحرفين بصورة أخرى أيضاً فكان دأب الإمام عليه السلام في التوقعات أنّ جواب «سؤال أحد» في التوقيع والتجاوب معه دليل على إيمانه واستقامته وهذه كانت أمانة عند الناس وعدم التجاوب لسؤال أحد دليل على انحرافه وانحراف فكره.

ذكر الكليني في الكافي الشريف: «إِنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الطَّالِبِينَ كَانُوا يَقُولُونَ بِالْحَقِّ، وَكَانَتْ الْوُظَائِفُ تَرِدُ عَلَيْهِمْ فِي وَقْتٍ مَعْلُومٍ، فَلَمَّا

مَضَى أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام، رَجَعَ قَوْمٌ مِنْهُمْ عَنِ الْقَوْلِ بِالْوَلَدِ، فَوَرَدَتِ الْوُظَائِفُ عَلَى مَنْ ثَبَتَ مِنْهُمْ عَلَى الْقَوْلِ بِالْوَلَدِ، وَقُطِعَ عَنِ الْبَاقِينَ، فَلَا يُذَكَّرُونَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٩١).

وأيضاً في الكافي الشريف عن الحسن بن الفضل بن زيد اليماني قال: «كَتَبَ أَبِي بِخَطِّهِ كِتَاباً فَوَرَدَ جَوَابُهُ ثُمَّ كَتَبْتُ بِخَطِّي فَوَرَدَ جَوَابُهُ ثُمَّ كَتَبَ بِخَطِّهِ رَجُلٌ مِنْ فُقَهَاءِ أَصْحَابِنَا فَلَمْ يَرِدْ جَوَابُهُ فَتَنَظَرْنَا فَكَانَتِ الْعِلَّةُ أَنَّ الرَّجُلَ تَحَوَّلَ قَرْمَطِيًّا»^(٩٢).

وقد كتب جماعة من أهل قم الى الناحية المقدسة كتاباً فخرج التوقيع منه عليه السلام وذُكرت أسمائهم ولم يذكر اسم رجل اسمه «علي بن محمد بن الحسين» فاعتمَّ الرجل لذلك، وكتبوا كتاباً آخر يستفسرون الحال وأنه لماذا لم يذكر اسمه فخرج التوقيع منه عليه السلام: «لم نكتب إلا من كاتبنا»^(٩٣).

قال العلامة المجلسي رحمته الله في بيانه: «وحاصل جوابه عليه السلام أن هؤلاء كاتبوني وسألوني فأجبتهم وهو لم يكاتبني من بينهم فلذا لم أدخله فيهم وليس ذلك من تقصير وذنب»^(٩٤).

الختامة:

هذا مختصرٌ عن دور الإمام عليه السلام في جانبيين فقط وهما

١- إرجاع الناس الى السفراء الأربعة والوكلاء والثقات.

٢- لعن المدّعين للبابية كذباً وزوراً وكيفية التعامل معهم.

ولا يخفى أنّ للإمام عليه السلام أدوار أخرى في الغيبة الصغرى من الناحية الاجتماعية ومواكبة الأحداث السياسية ودفع الشبهات العقائدية وكذا دوره عليه السلام من الناحية التكوينية وأنّه لولاه لساخت الأرض بأهلها وعناياته وألطافه لا تحصى.

اللهم عجل لوليّك الفرج واجعلنا من أعوانه وأنصاره والمستشهرين بين يديه والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا محمد وآله الطاهرين.



الهوامش:

- ١- الغيبة للنعماني ٣٢٣، بحار الأنوار ٥١/٤٣.
- ٢- الخرائج والجرائح ٩٠٣/٢.
- ٣- المزار الكبير ٥٨٣.
- ٤- الفرقان ٧.
- ٥- قَالَ تَتَكَلَّمُ: إِيَّاكَ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ هَذَا فَإِنَّ عِنْدَ الْقَوْمِ أَنَّ هَذَا النَّسْلَ قَدْ انْقَطَعَ. (كمال الدين ٤٤٢/٢).
- ٦- الغيبة للطوسي ٣٩٥.
- ٧- الغيبة للطوسي: ٣٥٤.
- ٨- الكافي: ٣٢٩/١.
- ٩- رجال الكشي: ٥٧٨، بحار الأنوار: ٣٢٣/٥٠.
- ١٠- معجم رجال الحديث: ١٤٥/٦.
- ١١- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣١/٢، بحار الأنوار: ٥/٥١.
- ١٢- الغيبة (الطوسي): ٣٥٧، بحار الأنوار: ٣٤٦/٥١.
- ١٣- الخرائج: ١١١٣/٣.
- ١٤- الغيبة (الطوسي): ٣٥٦، بحار الأنوار: ٣٤٦/٥١.
- ١٥- الغيبة (الطوسي): ٣٥٦، بحار الأنوار: ٣٤٦/٥١.
- ١٦- الكافي: ٣٣٠/١.
- ١٧- الغيبة للطوسي: ٣٦١، كمال الدين: ٥١٠/٢.
- ١٨- الغيبة للطوسي: ٣٦٣، بحار الأنوار: ٣٥٠/٥١.
- ١٩- ومنهم: الحسين بن أحمد بن إدريس وعلوية الصفار. (الغيبة للطوسي: ٣٧١).
- ٢٠- الغيبة للطوسي: ٣٧٢، رجال العلامة: ٢٧٣.
- ٢١- الغيبة للطوسي ٤١٥.
- ٢٢- الغيبة للطوسي: ٣٦٢، بحار الأنوار: ٣٤٩/٥١.
- ٢٣- الغيبة للطوسي: ٣٥٦، بحار الأنوار: ٣٤٦/٥١.
- ٢٤- الغيبة للطوسي: ١٠٩، بحار الأنوار: ٢٠٣/٥١.
- ٢٥- البقرة: ٢٦٠.
- ٢٦- كمال الدين: ٤٣٥/٢، بحار الأنوار: ٢٦/٥٢.
- ٢٧- من لا يحضره الفقيه: ٥٢٠/٢، الغيبة للطوسي: ٢٩٠.
- ٢٨- من لا يحضره الفقيه: ٥٢٠/٢، الغيبة للطوسي: ٣٦٤.

٢٩- من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٥٢٠، الغيبة للطوسي: ٣٦٤.

٣٠- الغيبة للطوسي: ٤١٥، بحار الأنوار: ٥١/ ٣٧٩.

٣١- الغيبة للطوسي: ٣٥٧، بحار الأنوار: ٥١/ ٣٤٦.

٣٢- الخرائج: ٢/ ١١٠٩.

٣٣- راجع ص ٩١.

٣٤- معجم رجال الحديث: ١/ ٧٦.

٣٥- سبأ: ١٨.

٣٦- كمال الدين: ٢/ ٤٨٣، بحار الأنوار: ٥٣/ ١٨٤.

٣٧- الغيبة للطوسي: ٤١٥.

٣٨- أي صاحب الزمان f.

٣٩- أي الحاجز الوشاء وكان من الوكلاء تحت أمر السفراء الأربعة.

٤٠- الخرائج: ٢/ ٦٩٤، بحار الأنوار: ٥١/ ٢٩٤.

٤١- الغيبة للطوسي: ٣١٠، بحار الأنوار: ٥١/ ٣١٤.

٤٢- الغيبة للطوسي: ٤١٥.

٤٣- إلّا أنّ إثبات أنّ صاحب الزمان ﷺ كاتبه ينبغي أن لا يكون دورياً فلا بدّ من إثبات ورود التوقيعات عليه ومكاتبة الإمام ﷺ إياه من طريق آخر غير إخباره بنفسه لأنّه دوريّ.

٤٤- رجال النجاشي: ٣٥٥، راجع معجم رجال الحديث: ١٦/ ٢٣٣.

٤٥- الغيبة: ٤١٣، بحار الأنوار: ٥١/ ٣٦٢.

٤٦- معجم رجال الحديث: ١٥/ ٣٦.

٤٧- معجم رجال الحديث: ١٤/ ٣٣.

٤٨- راجع الغيبة الطوسي: ٣٠٨.

٤٩- بحار الأنوار: ٥١/ ٣١١.

٥٠- رجال النجاشي: ٣٥٥.

٥١- رجال النجاشي: ٣٨٠.

٥٢- رجال النجاشي: ٢٦٢.

٥٣- رجال النجاشي: ٢٦١.

٥٤- فرج المهموم: ٢٣٣، بحار الأنوار: ٥١/ ٣٠١.

٥٥- الكافي: ١/ ٣٣٠، كلمات السفير الأول عثمان بن سعيد العمري تثنّى لبعض

الأجلّة من الشيعة.

٥٦- ولا يبعد أن يكون ما ورد في زيارة صاحب الزمان f يوم الجمعة: «صلوات الله عليك

وعلى آل بيتك» هم هؤلاء الذي كانوا في الدار المقدسة في الغيبة الصغرى والزيارة من القريب جداً أن تكون من التوقعات التي خرجت آنذاك.

٥٧-بحار الأنوار: ٢٣٦/٥٠.

٥٨-راجع بحار الأنوار: ٣٣٢/٥٠.

٥٩-فلاح السائل: ٣٧، بحار الأنوار: ٢١٦/٩٩.

٦٠-كمال الدين ٢/٥٠١، بحار الأنوار ١٩/٤٦.

٦١-بحار الأنوار ٤٢/٥٢.

٦٢-الغيبة للنعماني ٢٢٩.

٦٣-كمال الدين ٢/٤٣١، بحار الأنوار ٦/٥١.

٦٤-راجع بحار الأنوار ٣٣٢/٥٠.

٦٥-بحار الأنوار ٧٨/٩٩، سفينة البحار ٧/٣٠٦.

٦٦-بحار الأنوار ١٤/٥١.

٦٧-الغيبة للطوسي: ٣٩٩، بحار الأنوار: ٣٦٨/٥١.

٦٨-الغيبة للطوسي: ٣٥٣، بحار الأنوار: ٣٠٧/٥٠، مستدرك الوسائل: ٣٢١/١٢.

٦٩-راجع معجم رجال الحديث للسيد الخوئي تَدْنُ في «أحمد بن هلال العبرائي».

٧٠-أي الشيخ محمد بن عثمان بن سعيد العمري تَدْنُ السفير الثاني.

٧١-أي أحمد بن هلال العبرائي.

٧٢-كمال الدين وتمام النعمة: ٢/٤٨٩، بحار الأنوار: ٣٢٨/٥١.

٧٣-راجع بحار الأنوار: ٣٢١/٥١.

٧٤-الغيبة للطوسي: ٤٠٨، بحار الأنوار: ٣٧٤/٥١.

٧٥-الغيبة للطوسي: ٣٠٣، بحار الأنوار: ٣٢٣/٥١.

٧٦-الغيبة للطوسي: ٣٢٢، بحار الأنوار: ٢٧٤/٤٤.

٧٧-الغيبة للطوسي: ٣٧٣.

٧٨-الغيبة للطوسي: ٣٧٤، بحار الأنوار: ٣٥٨/٥١.

٧٩-الظاهر أنَّ روح: هو ابن أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي.

٨٠-الغيبة للطوسي: ٤٠٩، بحار الأنوار: ٣٧٥/٥١، مستدرك الوسائل: ٤٤٧/١٧.

٨١-الغيبة للطوسي: ٤٠٥.

٨٢-الغيبة للطوسي: ٤٠٩، بحار الأنوار: ٣٧٦/٥١، مستدرك الوسائل: ٣٢٠/١٢.

٨٣-الغيبة للطوسي: ٤١٠، الإحتجاج: ٤/٣٠١، بحار الأنوار: ٣٧٦/٥١.

٨٤-الغيبة للطوسي: ٤٠٤، بحار الأنوار: ٣٧٢/٥١.



- ٨٥- المعروف الدائر على الألسنة والمضبوط في الكتب أنّ الحلاج لقب للحسين نفسه وتعبيره عنه في هذا المقام بابن الحلاج يفهم منه أنّ الحلاج لقب لوالده وهو خلاف المعروف، ولعلّ الحلاج لقب للوالد والولد كليهما أو أنّ الابن زائد.
- ٨٦- الغيبة للطوسي ٤٠٢، بحار الأنوار ٥١ / ٣٧٠.
- ٨٧- وسائل الشيعة ١٦ / ٢٠١.
- ٨٨- الكافي ٢ / ٣٧٥.
- ٨٩- التوحيد للصدوق ٤٥٩، وسائل الشيعة ١٦ / ٢٠١.
- ٩٠- الغيبة للطوسي: ٣٩٧.
- ٩١- الكافي: ١ / ٥١٨، بحار الأنوار: ٥١ / ٣٠٩.
- ٩٢- الكافي: ١ / ٥٢٠، بحار الأنوار: ٥٠ / ٣١٠.
- ٩٣- بحار الأنوار: ٥٣ / ١٥٢.
- ٩٤- بحار الأنوار: ٥٣ / ١٥٤.



التوقيّع الأخير عَنْ السّفِيرِ الأخيرِ دراسة تحليلية

أ.م. بشار ياسر آل حلو الشمري
جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية

الخلاصة

يستهدف هذا البحث إلى إبراز أهم المضامين والدلالات المستفادة من التوقيع الأخير الصادر عن الناحية المقدسة والمروي عن خاتمة السفراء علي بن محمد السمري رحمته الله، فقد قام البحث بدراسة عناصر التوقيع الشريف وأهم مضامينه ودلالاته دراسة تحليلية، وقد تكون البحث من ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول بعنوان عناصر التوقيع الشريف تعرضنا فيه لبيان سيرة السفير الرابع ومعالجة إشكالية سند التوقيع، بينما كان المبحث الثاني في مضامين التوقيع الشريف، وقد ذكرنا ثلاثة مضامين وهي الدلالة على إمامة المهدي عليه السلام والإعلان عن انتهاء زمن الغيبة الصغرى ووقوع الغيبة التامة، وملامح عصر ما قبل الظهور، وأما المبحث الثالث فقد كان في دلالات التوقيع الشريف تعرضنا فيه إلى دراسة أهم الدلائل والفوائد المستفادة من التوقيع الأخير.

الكلمات المفتاحية:

التوقيع، دلالة، الإمام المهدي، السفير الرابع، السمري، الغيبة، السفارة، إدعاء.





Abstract

This research aims to highlight the most important contents and connotations learned from the last signature issued by the holy side and narrated by the seal of the ambassadors, Ali bin Muhammad al-Samri (may God be pleased with him). The research studied the components of the noble signature and its most important contents and connotations in an analytical study. The research may consist of three sections. The first is entitled Components of the Noble signature, in which we presented an explanation of the biography of the fourth ambassador and addressed the problem of the signature document, while the second topic was about the contents of the Noble signature, and we mentioned three contents, which are the indication of the imamate of the Mahdi (peace be upon him), the announcement of the end of the period of the minor occultation and the occurrence of the complete occultation, and the features of an era. Before the appearance. As for the third section, it was about the meanings of the noble signature, in which we studied the most important evidence and benefits learned from the last signature.

key words:

Signature, significance, Imam Mahdi, fourth ambassador, Al-Samri, backbiting, embassy, claim.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، وسلام الله خاتم الأوصياء من آل يس، وبعد:
نوجز مقدمة البحث بنقاط عدة:

١. أهمية الموضوع:

لا يخفى على المتتبع ما للتوقيعات الشريفة الصادرة عن الناحية المقدسة من أهمية كبيرة؛ وذلك لما تحتويه من مضامين وتعاليم عقائدية وفقهية وأخلاقية للشريعة، ومن التوقيعات البالغة الأهمية التوقيع الأخير الصادر لآخر السفراء، وهو آخر ما صدر عن الإمام في زمن غيبته الصغرى عن سفيره الأخير، الذي يُعد إعلاناً لبداية حقبة جديدة في تاريخ الإمامة وهي غيبة الإمام المهدي عليه السلام.

٢. سبب إختيار الموضوع:

إن الذي يتدبر في التوقيع الأخير وما فيه من مضامين ودلالات عالية وما يُستفاد منه من فوائد يحده مناسبا للبحث والغوص في أعماق مضامينه ومداليل مفرداته؛ لذلك كان العزم بعد التوكل على الله تعالى كتابة هذا البحث والذي عنوانه التوقيع الأخير عن السفير الأخير، دراسة تحليلية.

٣. منهج البحث:

إن المنهج المعتمد في هذا البحث هو المنهج التحليلي، فقد قام البحث بتحليل مضامين التوقيع الأخير الصادر عن الإمام الحجة عليه السلام الوارد عن خاتمة السفراء رضوان الله عليه.



٤. الدراسات السابقة:

بحسب الاستقراء الناقص والتتبع الذي قام به البحث لم نجد بحثاً مفصلاً مستقلاً تناول التوقيع الأخير للإمام الحجة عليه السلام.

٥. محتويات البحث :

تكوّن البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

جاء المبحث الأول بعنوان: بيان عناصر التوقيع الشريف، وقد تعرض

إلى ثلاثة عناصر:

الاول: المبلّغ:

الثاني: المخبر:

الثالث: الخبر:

وقد جاء المبحث الثاني وعنوانه: مضامين التوقيع الشريف، وقد تكوّن

من ثلاثة مضامين:

المضمون الأول: الدلالة على إمامة المهدي عليه السلام.

المضمون الثاني: الإعلان عن انتهاء الغيبة الصغرى وانقطاع السفارة.

المضمون الثالث: ملامح عصر ما قبل الظهور.

في حين كان المبحث الثالث بعنوان: دلالات آخر التوقيعات.

وأخيراً أحمد الله على توفيق الكتابة في إمام زماننا المهدي عليه السلام، وإن كان في

البحث من فائدة فهو بتوفيق من الله وآل البيت عليهم السلام، وتسديد من سيدي

ومولاي الحجة بن الحسن، واعتذر من القاريء عن كل هفوة أو خطأ،

فالعصمة لأهلها، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: بيان عناصر التوقيع الشريف

يتكون التوقيع من ثلاثة عناصر:

الأول: المبلغ بالتوقيع:

أبو القاسم الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام (ولد في ١٥ شعبان ٢٥٥ هـ) يعتقد الشيعة الاثنا عشرية أنه المتمم لسلسلة الأئمة، فهو الإمام الثاني عشر والأخير من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد غاب غيبتين صغرى وكبرى التي نعيش عصرها الآن، وسيظهر: (ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً).

الثاني: المبلغ بالتوقيع:

اسمه ونسبه:

هو الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السَّمري أو السَّيمري أو الصَّيمري. والمشهور هو الأول مضبوطاً بفتح السين والميم معاً، وربما قيل بالضم أيضاً^(١). ودعاه البعض بالصَّيمري نسبة إلى «صيمر» إحدى القرى التابعة لمدينة البصرة، والتي كانت أسرة السَّمري تقيم فيها^(٢).

ولد السَّمري في عائلة متدينة شيعية، وقد ذاع صيتها في خدمة أئمة أهل البيت عليهم السلام، مما أبعد عنه الاعتراض بتوليّه النيابة الخاصة للإمام الثاني عشر عليه السلام^(٣).

لم يُذكر في المصادر التاريخية تأريخاً عن ميلاده، وإنّما ذكر كواحد من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام^(٤)، وأنّه قائماً بمهام السفارة المهدوية ببغداد، بعد الحسين بن روح السفير الثالث^(٥).

عاصر السفير الرابع علي بن محمد السَّمري خلال مدة سفارته التي امتدّت ثلاث سنوات إلّا أياماً^(٦)، اثنين من خلفاء بني العباس، هما الراضي بالله، الذي حكم حتى ٣٢٨ هـ، وعاصر خلفه المتقي لله مدة خمسة أشهر وخمسة أيام من سنوات حكمه^(٧).

الدليل على سفارته:

مما يدل على سفارته أمور:

١. النص على سفارته من قبل النائب الثالث للإمام الحجة عليه السلام:

روى الشيخ الطوسي رحمه الله بسنده عن عبد الله محمد بن أحمد الصفрани، قال: (أوصى الشيخ أبو القاسم رضي الله عنه إلى أبي الحسن علي بن محمد السمری رضي الله عنه، فقام بما كان إلى أبي القاسم) (٨).

قد يُشكل على هذا النص بأنه غير كافٍ لإثبات سفارة السفير الرابع، ويُجاب عنه: إن وصاية الشيخ أبو القاسم رضي الله عنه النائب الثالث عن الإمام الحجة عليه السلام، المعروف بالجلالة والوثاقة كاشفة عن كون هذا الأمر بتوكيل من الإمام عليه السلام، ولعل الجو المشحون بالتقية حال دون تصريح الإمام بذلك مباشرة.

٢. ظهور الكرامات على يديه:

أولاً: روى الشيخ الطوسي عن الحسين بن علي بن بابويه أخ الصدوق أن جماعة من أهل قم كانوا في بغداد، وكان الشيخ أبو الحسن السمری يسأل عنه دوماً، فنقول له: قد ورد الكتاب بتحسّنه ومعافاته من المرض. حتّى سألنا يوماً فذكرنا له مثل ذلك فقال: أجركم الله في علي بن الحسين فقد قبض في هذه الساعة! قالوا: وبعد سبعة عشر أو ثمانية عشر يوماً ورد الخبر بوفاته في تلك الساعة (٩).

ثانياً: ذكر الشيخ الطوسي رحمه الله: (قد ذكرنا جملاً من أخبار السفراء والأبواب في زمان الغيبة، لأن صحة ذلك مبني على ثبوت إمامة صاحب الزمان عليه السلام وفي ثبوت وكالتهم، وظهور المعجزات على أيديهم دليل واضح على إمامة من انتموا إليه...) (١٠).

٣. ما جاء في التوقيع الأخير:

قبل وفاة السَّمرى أصدر الإمام الحجة عليه السلام توقيعاً يُنبئ عن قرب وفاة السَّمرى، ويعلن فيه انتهاء الغيبة الصغرى، وعهد السفارة بموت السَّمرى، ويمنعه من أن يوصي بعد موته إلى أحد ليكون سفيراً بعده، كما حضر الوكلاء عنده واستنسخوا التوقيع. وفي اليوم السادس حضر الوكلاء بين يدي السَّمرى، وتسالوا عن وصيه من بعده؛ فقال: «الله أمر هو بالغه» وقضى. فهذا آخر كلام سمع منه^(١١) بعد وفاة السَّمرى انقطع الاتصال المباشر مع الإمام الثاني عشر وبدأت بذلك زمن الغيبة الكبرى. وفاته ومدفنه:

توفي علي بن محمد السَّمرى في النصف من شعبان سنة ٣٢٩ هـ^(١٢)، وبوفاته انتهت الغيبة الصغرى وبدأت الغيبة الكبرى للإمام. ودُفن على شاطئ نهر أبي عَتَّاب في ربيع باب المحوّل من أبواب بغداد في شارع الحُلَنجى^(١٣)، بالقرب من قبر الشيخ الكليني. فانتهت بوفاته مرحلة النيابة الخاصة.

الثالث: الخبر: والخبر يتكون من عنصرين:

العنصر الأول: السند:

١. الشيخ محمد بن بابويه القمي رحمته الله:

أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، المولود بدعاء الإمام الحجة عليه السلام، حيث روى الشيخ الطوسي: (أن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه كانت تحته بنت عمه محمد بن موسى بن بابويه فلم يرزق منها ولدا، فكتب إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رحمته الله أن يسأل الحضرة أن يدعو الله أن يرزقه أولادا فقهاء، فجاء الجواب أنك لا ترزق من هذه وستملك جارية ديلمية وترزق منها ولدين فقيهين)^(١٤).

قال الذهبي: (رأس الامامية، أبو جعفر، محمد بن العلامة علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، صاحب التصانيف السائرة بين الرافضة... يضرب بحفظه المثل) (١٥).

قال الخطيب البغدادي: (كان من شيوخ الشيعة ومشهوري الرافضة) (١٦).
قال الطوسي تثني: (محمد بن علي بن بابويه القمي جليل القدر حافظ للأحاديث، بصير بالرجال، ناقد للأخبار، ولم يُر في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه) (١٧).

قال ابن ادريس الحلي رضوان الله عليه: (كان ثقة جليل القدر، بصيرًا بالأخبار ناقدًا للآثار عالمًا بالرجال، وهو أستاذ شيخنا المفيد).
قال السيد بحر العلوم: (وثاقة الصدوق أمر ظاهر جلي، بل معلوم ضروري، كوثاقة أبي ذرّ وسلمان، ولو لم يكن إلاّ اشتهاره بين علماء الأصحاب بلقبه المعروفين لكفى في هذا الباب) (١٨).

٢. الحسن بن أحمد المكتّب:

ذهب المشهور الى جهالته وكونه مهمل؛ لعدم تعرض الرجالين والعلماء القدماء له لا بمدح ولا بقدر بل وعدم ذكر اسمه في مصنفاتهم الرجالية، وغاية الأمر ان الصدوق رضي الله عنه ترضى عليه وترحم! لذلك أشكل بعضهم على هذه الرواية باعتبارها ضعيفة من جهة الحسن بن أحمد المكتّب، ويُرد عليهم:

يمكن إثبات وثاقة الحسن بن أحمد من خلال هذه الطرق:

أولاً: وثاقة مشايخ الإجازة:

هنالك مبنى رجالي مفاده: (مشايخ الإجازة ثقات)، وبحسب هذا المبنى يمكن توثيق الحسن بن أحمد بإعتباره من مشايخ الصدوق تثني، ويكون بذلك التوقيع معتبرًا.

ثانيًا: رواية الثقة:

من المباني الرجالية: (إن الثقة لا يروي إلا عن ثقة) فيُبنى على وثاقة الحسن بن أحمد باعتبار كون الشيخ الصدوق ت وهو في قمة الجلالة والوثاقة قد روى عنه، فالثقة لا يروي إلا عن ثقة.

ثالثًا: كثرة النقل:

قال الشيخ الأيرواني: (إذا أكثر أجلاء الثقات وكبارهم الرواية عن شخص فلا يبعد كونها دليلاً على الوثاقة لعدم إكثار العاقل الرواية عن شخص لا يعتد بوثاقته، انه اتلاف لوقته بلا مبرر لعدم الفائدة في تجميع روايات عن الضعاف) ^(١٩).
والمعروف ان الشيخ الصدوق ت قد نقل عن أبي محمد أحاديث في موارد عدة، منها الدعاء المعروف: (اللهم عرفني نفسك...) ^(٢٠)، وأدعية أخرى وردت في كتاب (جمال الاسبوع) ^(٢١)، وأيضاً روى عنه التوقيع الشريف وهو آخر ما صدر من الناحية المقدسة.

فيمكن البناء على وثاقة المكتّب بحسب هذا المبنى باعتباره ممن روى عنه الشيخ الصدوق كثيراً.

رابعًا: ترضي الشيخ الصدوق رضي الله عنه وترحمه عليه:

وأما الترضي فالصحيح أنه يدل على الجلالة التي هي فوق مستوى الوثاقة. خاصة يلاحظ عدم استعمال الترضي في كلماتهم إلا بحق العظماء والأجلاء عندهم... والحاصل: أن الترضي ليس محض دعاء - كما قيل - بل يدل على التعظيم والتبجيل ^(٢٢).

إن ترضي الصدوق ت وترحمه عليه كاشف على اقل تقدير عن جلالته، بل ان ترضيه عليه في غالبية الموارد التي يذكره فيها إنما كاشف عن توثيقه له.
قال السيد الخوئي ت: (الحسن بن أحمد المكتب: أبو محمد، من مشايخ الصدوق ت ترحم عليه) ^(٢٣).

ولكن السيد الخوئي رحمته ذهب إلى عدم دلالة الترحم والترضي على التوثيق حيث قال: (كما أن الترضي أو الترحم لا يكشفان عن التوثيق، بل غايته صدور عمل حسن استوجب ذلك...) ^(٢٤).

خامساً: توثيق الشيخ الطوسي لكل من وردت اليه التوقيعات:

ذكر السيد ضياء الخباز إمكانية توثيق الحسن بن أحمد، وذلك عن طريق مقدمتين:

الأولى: إن الحسن بن أحمد ممن وردت إليهم التوقيعات من قبل السفراء الأربعة، كما نقل ذلك الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي رحمهما الله .

الثانية: إن الشيخ الطوسي قد وثق جميع من كانت ترد عليهم التوقيعات توثيقاً عاماً، حيث قال: (وقد كان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل) ^(٢٥).

وهذا يعني وثاقة الحسن بن أحمد بمقتضى التوثيق العام للشيخ الطوسي رحمته ^(٢٦) .

سادساً: عمل المشهور:

إن شهرة العمل بالرواية يوجب الإطمئنان بصدورها وصحتها، قال الشيخ الأيرواني: (وهذا الكلام جيد إذا كانت شهرة العمل ثابتة لدى الطبقة المتقدمة من علمائنا الذين عاصروا الغيبة الصغرى أو قاربوا عصرها) ^(٢٧)، ورواية التوقيع الشريف عمل بها المشهور من علمائنا المتقدمين والمتأخرين. ومع فرض ضعف سندها فالشهرة جابرة لضعف السند، فلا يبقى مجال للتشكيك بصحة هذه الرواية.

٣. علي بن محمد السمری:

أورد بعض العلماء في وثاقته وشأنه كالشيخ الوحيد البهبهاني، جلالة أشهر من أن يذكر ^(٢٨).

ونعته الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب بأنه معظم وجليل، قام بأمر النيابة^(٢٩).

ووصفه الشيخ علي النمازي الشاهرودي في رجاله بأن وثاقته وجلالته أشهر من أن يذكر، وأظهر من أن يحزر، وهو كالشمس في رابعة النهار^(٣٠).

العنصر الثاني: المتن:

قال الشيخ الصدوق رحمته الله: حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المكتّـب قال: كنت بمدينة السلام^(٣١) في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمرى قدس الله روحه، فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: (بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فأجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية^(٣٢))، فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي^(٣٣) من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقليل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه. ومضى رحمته الله، فهذا آخر كلام سمع منه^(٣٤). وهناك أمور في هذا التوقيع ينبغي إلفات النظر إليها:

١. قول الحسن بن أحمد المكتّـب: (فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً...) فيه دلالة على علو همة السمرى رضوان الله عليه الذي

يُبلغ آخر ما ورد عن الناحية ولم يبقَ من عمره إلا ستة أيام، فلم ينهد
ركنه ولم تضعف قواه ولم تقل عزيمته بسبب إخبار الإمام بقرب موته.

٢. قوله: (فأخرج للناس) فيه دلالة على شجاعة السمرى؛ لأن تبليغ
هكذا أمر مع وجود الطواغيت وجلال وزتهم الذين يبحثون عن المهدي عليه السلام
وأذرعته، فأعلام الناس بالتوقيع لم يكن أمراً سهلاً، ولكن أهميته البالغة
جعلت من السفير الرابع يُعلمه للناس.

٣. قوله: (فأخرج توقيعاً) فيه دلالة على أن علي بن محمد السمرى
لم يكتفى بتبليغه شفهيّاً بل أخرج التوقيع الشريف مكتوباً وذلك زيادةً
للتأكيد، ودفعاً للتشكيك.

٤. قوله: (فنسخنا التوقيع) فيه دلالة على مدى تفاعل الشيعة مع هذا
التوقيع، ولم يحفظوه في الصدور فحسب بل نسخوه وهذا كاشف عن
مدى أهمية هذا التوقيع.

وتكمن أهمية وقيمة هذا التوقيع الشريف بأمر:

الأول: باعتباره آخر توقيع من آخر سفير للناحية المقدسة.

الثاني: المضامين المهمة العالية التي اشتمل عليها.

الثالث: الإخبارات الغيبية الصادقة من قبل الإمام الحجة عليه السلام

الرابع: قلة الوسائط بين الشيخ الصدوق عليه السلام وبين السفير الرابع
رضوان الله عليه فلا يوجد بينهما سوى واسطة واحدة وهو الحسن بن
أحمد المكتب وهذا يعطي قيمة عالية لهذا النقل.

الخامس: إن هذا التوقيع يُعد بداية لحقبة جديدة في تاريخ الإمامة وهي
مرحلة الغيبة الكبرى.

المبحث الثاني: مضامين التوقيع الشريف

اشتمل التوقيع الأخير الصادر عن الناحية المقدسة، على مضامين عدة: المضمون الأول: الدلالة على إمامة المهدي عليه السلام لقد أخبر الإمام الحجة المنتظر عليه السلام في توقيعه الشريف لسفيره الرابع رضي الله عنه بإخبارين غيبين، وقد تحققا كلاهما:

الإخبار الأول: موت علي بن محمد السمری:

ورد في التوقيع الشريف: (يا علي بن محمد السمری، أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام... قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه. ومضى رضوان الله عليه، فهذا آخر كلام سمع منه) ^(٣٥). وقد تحقق إخبار الإمام المهدي عليه السلام بوفاة سفيره الرابع في اليوم الذي وعده فيه.

الإخبار الثاني: إدعاء المشاهدة:

قال عليه السلام: (وسياتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفیانی والصیحة فهو كاذب مفتر) ^(٣٦).

ومن نماذج الذين أدعوا السفارة كذباً بعد السفير الرابع: (أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان البغدادي) وهو ابن أخي السفير الثاني، إذ يُنقل بأن أبا دلف الكاتب ادّعى له البایة فأنكر ذلك ثم مال إليها، لذا نُقل عن ابن بابويه قوله: (وقد كنا وجهنا إلى أبي بكر البغدادي لما ادعى له هذا ما ادعاه، فأنكر ذلك وحلف عليه، فقبلنا ذلك منه، فلما دخل بغداد مال إليه وعدل عن الطائفة وأوصى إليه، لم نشك أنه على مذهبه، فلعنناه وبرئنا منه، لان عندنا أن كل من ادعى الامر بعد السمری رحمه الله فهو كافر منمس ضال مضل، وبالله التوفيق) ^(٣٧).

ولا يزال أدعياء السفارة كذبًا يظهر بين الحين والآخر وسرعان ما ينكشف كذب دعواهم، وخير شاهد أحمد بن الحسن القاطع البصري، وغيره. إن صدق إخبارات الإمام عليه السلام والتي تدل على علمه بالغيب بتعليم من الله ^(٣٨) (تعالى ذكره) فيها دلالة واضحة على إمامته؛ لأن هذا العلم لا يملكه إلا من اصطفاه الله كالأنبياء والأئمة عليهم السلام.

المضمون الثاني: الإعلان عن إنتهاء الغيبة الصغرى وانقطاع السفارة:

ودلالة التوقيع الشريف على انقطاع السفارة الخاصة تكمن في ثلاثة مواضع :
الموضع الأول: قول الإمام عليه السلام: (فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك) وهذا نهي صريح للسفير الرابع عن الإيضاء لأحد من بعده؛ لأن السفارة قد انتهت، فلا يقوم أحد مقام النائب الرابع.
الموضع الثاني: قوله عليه السلام: (فقد وقعت الغيبة التامة) يدل على أن فترة السفراء الأربعة لم تكن غيبة تامة، وإنما هي غيبة صغرى وليست تامة كبرى، حيث إن نواب الإمام الأربعة كانوا حلقة وصل بينه وبين شيعته، وهذا يدل على أن الغيبة التامة - الكبرى - التي وقعت بعد الصغرى، هي انقطاع النيابة الخاصة المتمثلة بالسفراء الأربعة، وستكون ممتدة حتى الصيحة وخروج السفيناني.
الموضع الثالث: قوله عليه السلام: (سيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر)، والظاهر من ادعاء المشاهدة هو السفارة والنيابة بقرينة السياق والصدور على يد النائب الرابع، حيث أمره بعدم الوصيّة لأحد أن يقوم مقامه في النيابة، ولا سيما وأن ادعاء ذلك هو وسيلة لأجل ادعاء الوساطة بين الإمام عليه السلام والناس. إن معنى غياب المهدي عليه السلام بغيبتين قد أكدت عليه الروايات الكثيرة، فالفكرة والمضمون مستفيضة في الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وما ورد

في التوقيع هو الإعلان عن بداية الغيبة التامة ، وبذلك تصدق إخبارات النبي وآله عليهم صلوات الله ، ونذكر بعض هذه الروايات:

١. عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ بعد عدّ الأئمة عليه السلام ثم يغيب عنهم إمامهم ما شاء الله ، ويكون له غيبتان، إحداهما أطول من الأخرى... (٣٩)

٢. عن إسحاق بن عمار الصيرفي، قال: (سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: للقاء غيبتان: إحداهما طويلة، والأخرى قصيرة، فالأولى يعلم بمكانه فيها خاصة من شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه) (٤٠).

٣. عن إسحاق بن عمار، قال: قال أبو عبد الله للقاء غيبتان: إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه (٤١).

٤. عن حازم بن حبيب قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ، فقلت له: أصلحك الله، إن أبوي هلكا ولم يحجا، وإن الله قد رزق وأحسن فما تقول في الحج عنهما، فقال: افعل فإنه يبرد لهما، ثم قال لي: يا حازم، إن لصاحب هذا الأمر غيبتين يظهر في الثانية، فمن جاءك يقول: إنه نفّض يده من تراب قبره فلا تصدقه.

وعن حازم بن حبيب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبي هلك وهو رجل اعجمي ، وقد أردت أن أحج عنه وأتصدق فما ترى في ذلك؟ فقال: افعل فإنه يصل إليه، ثم قال لي: يا حازم، إن لصاحب هذا الأمر غيبتين « وذكر مثل ما ذكر في الحديث الذي قبله سواء (٤٢).

٥. عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: لقاء آل محمد غيبتان: أحدهما أطول من الأخرى... (٤٣).

٦. عن محمد بن مسلم الثقفي، عن الباقر أبي جعفر (عليه السلام) أنه سمعه يقول:

إن للقائم غيبتين يقال له في أحدهما: هلك ولا يدرى في أي واد سلك (٤٤).

قال الشيخ النعماني معلقاً على هذه الروايات: (هذه الأحاديث التي يذكر فيها أن للقائم (عليه السلام) غيبتين أحاديث قد صحت عندنا بحمد الله، وأوضح الله قول الأئمة (عليهم السلام) وأظهر برهان صدقهم فيها، فأما الغيبة الأولى فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام (عليه السلام) وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص والأعيان، يخرج على أيديهم غوامض العلم، وعويص الحكم، والأجوبة عن كل ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات، وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرمت مدتها، والغيبة الثانية هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط للأمر الذي يريده الله تعالى، والتدبير الذي يمضيه في الخلق، ولوقوع التمهيص والامتحان والبلبل والغربة والتصفية على من يدعي هذا الأمر (٤٥).

المضمون الثالث: ملامح عصر ما قبل الظهور:

قال (عليه السلام): (فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً)

لقد حدد الإمام المهدي (عليه السلام) ملامح عصر ما قبل الظهور، وهي:

أولاً: طول الأمد وقسوة القلوب :

لقد أكد الإمام الحجة بقوله: (...وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب...) ما جاء به القرآن الكريم، إذ قال تعالى: ﴿لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٤٦).

و الأمد هو الزمان، قال الراغب: (والأمد مدة لها حد مجهول إذا أطلق، وقد ينحصر نحو أن يقال أمد كذا كما يقال زمان كذا، والفرق بين الزمان والأمد أن الأمد يقال باعتبار الغاية والزمان عام في المبدأ والغاية، ولذلك قال بعضهم المدى والأمد يتقاربان) (٤٧).

جاء في حديث للإمام علي عليه السلام: (لا تعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، و لا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم) (٤٨).

ومن آثار طول الغيبة قسوة القلوب وبعد الناس عن الدين، ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: (فلو قيل لنا: إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتي سنة وثلاثمائة سنة لقست القلوب و لرجعت عامة الناس عن الإيمان إلى الإسلام)، وفي رواية أخرى: (لقست القلوب، و لرجعت عامة الناس عن الإسلام) (٤٩) تتحدث هذه الرواية الشريفة عن أثر من آثار طول الغيبة للإمام المهدي عليه السلام، وهو قسوة القلوب الذي يؤدي إلى إنكار عقيدة الإمامة لأهل البيت عليه السلام، والرجوع عن الإيمان الإمامي إلى الإسلام بمفهومه العامي المخالف لأهل البيت عليه السلام، أو الخروج من الإسلام بصورة عامة على ما ورد في النص الثاني السابق.

وفي كمال الدين بسند صحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (للقائم منّا غيبة أمدها طويل، كأني بالشيعية يجولون جولان النعم في غيبته، يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة) (٥٠).

ثانياً: امتلاء الأرض جوراً:

ويكون الكلام هنا في عدة نقاط:

النقطة الأولى: تواتر هذا المعنى عند الفريقين:

إن هذا المضمون وهو إمتلاء الأرض جوراً وظلماً من المضامين المتواترة عند الفريقين، وسنذكر بعض الروايات في هذا المعنى:

١. عن النبي الأكرم ﷺ: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً) (٥١).

٢. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي أَجْلَى أَقْنَى يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مِلْتُ قَبْلَهُ ظُلْمًا يَكُونُ سَبْعَ سِنِينَ) (٥٢).

٣. عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ النَّاجِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (يَكُونُ مِنْ أُمَّتِي الْمُهْدِيُّ فَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ أَوْ قَصُرَ عُمُرُهُ عَاشَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا وَتُنْطَرُ السَّمَاءُ قَطَرَهَا) (٥٣).

٤. عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً) (٥٤).

النقطة الثانية: بيان الفرق بين الظلم والجور:

الفرق بين الجور والظلم: (أن الجور خلاف الاستقامة في الحكم، وفي السيرة السلطانية تقول جار الحاكم في حكمه والسلطان في سيرته إذا فارق الاستقامة في ذلك، والظلم ضرر لا يستحق ولا يعقب عوضاً سواء كان

من سلطان أو حاكم أو غيرهما ألا ترى أن خيانة الدانق والدرهم تسمى ظلماً ولا تسمى جوراً فإن أخذ ذلك على وجه القهر أو الميل سمي جوراً وهذا واضح، وأصل الظلم نقصان الحق، والجور العدول عن الحق من قولنا جار عن الطريق إذا عدل عنه وخلف بين النقيضين فقليل في نقيض الظلم الانصاف وهو إعطاء الحق على التمام، وفي نقيض الجور العدل وهو العدول بالفعل إلى الحق^(٥٥).

النقطة الثالثة: ملامح الجور والظلم والفساد قبل الظهور:

وهنا نكتفي بذكر روايتين تبين لنا بعض مصاديق الفساد الذي يسبق الظهور المقدس:

١. روي عن النزال بن سبرة، قال: خطبنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على محمد وآله، ثم قال: «سَلُونِي أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي -ثلاثاً-»، فقام إليه صعصعة بن صوحان، فقال: يا أمير المؤمنين، متى يخرج الدجال؟ فقال له علي عليه السلام: (اقْعُدْ فَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ كَلَامَكَ وَعَلِمَ مَا أَرَدْتَ، وَاللَّهِ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهُ بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ لِيَذْكَ عِلَامَاتٌ وَهِيَئَاتٌ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَحَذْوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِهَا). قَالَ: نَعَمْ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ عليه السلام: (احْفَظْ فَإِنَّ عِلَامَةَ ذَلِكَ إِذَا أَمَاتَ النَّاسُ الصَّلَاةَ، وَأَضَاعُوا الْأَمَانَةَ، وَاسْتَحَلُّوا الْكَذِبَ، وَأَكَلُوا الرِّبَا، وَأَحَذُوا الرِّشَا، وَشَيَّدُوا الْبُيُوتَ، وَبَاعُوا الدِّينَ بِالْدُّنْيَا، وَاسْتَعْمَلُوا الشُّفَهَاءَ، وَشَاوَرُوا النِّسَاءَ، وَقَطَعُوا الْأَرْحَامَ، وَاتَّبَعُوا الْأَهْوَاءَ، وَاسْتَخَفُّوا بِالْأَمَاءِ، وَكَانَ الْحِلْمُ ضَعْفًا، وَالظُّلْمُ فَخْرًا، وَكَانَتِ الْأُمَرَاءُ فَجَرَةً، وَالْوُزَرَاءُ ظُلْمَةً، وَالْعُرَفَاءُ خَوْنَةً، وَالْقُرَاءُ فَسَقَةً، وَظَهَرَتِ شَهَادَةُ الزُّورِ، وَاسْتُعْلِنَ الْفُجُورُ، وَقَوْلُ الْبُهْتَانِ، وَالْإِثْمُ وَالطُّغْيَانُ، وَحُلِّيَتِ الْمَصَاحِفُ، وَزُخِرَتْ الْمَسَاجِدُ،

وَطَوَّلَتِ الْمَنَارَاتُ، وَأُكْرِمَتِ الْأَشْرَارُ، وَازْدَحَمَتِ الصُّفُوفُ، وَاخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ، وَنُقِصَتِ الْعُهُودُ، وَاقْتَرَبَ الْمَوْعُودُ، وَشَارَكَ النِّسَاءُ أَزْوَاجَهُنَّ فِي التِّجَارَةِ حِرْصاً عَلَى الدُّنْيَا، وَعَلَتِ أَصْوَاتُ الْفُسَّاقِ وَاسْتَمِعَ مِنْهُمْ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَاتَّقَى الْفَاجِرُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَصَدَّقَ الْكَاذِبُ، وَاتَّيَمَنَ الْخَائِنُ، وَاتَّخَذَتِ الْقِيَانُ وَالْمَعَارِزُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، وَرَكِبَ ذَوَاتُ الْفُرُوجِ السُّرُوحَ، وَتَشَبَّهَ النِّسَاءُ بِالرِّجَالِ، وَالرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ، وَشَهِدَ الشَّاهِدُ مَنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَشْهَدَ، وَشَهِدَ الْآخِرُ قَضَاءً لِذِمَامٍ بِغَيْرِ حَقٍّ عَرَفَهُ، وَتَفَقَّهَ لَغَيْرِ الدِّينِ، وَآثَرُوا عَمَلَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَلَبِسُوا جُلُودَ الضَّائِنِ عَلَى قُلُوبِ الذَّنَابِ وَقُلُوبُهُمْ أَتَنُّ مِنَ الْحَيْفِ وَأَمَرٌ مِنَ الصَّبْرِ^(٥٦).

٢. وروى محمد بن مسلم في جواب الإمام الباقر عليه السلام له عند سؤاله عن وقت خروج القائم قوله (إذا تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وركبت ذوات الفروج السروج، وقُبلت شهادات الزور، ورُدَّتْ شهادات العدل، واستخفَّ الناس بالدماء، وارتكاب الزنى، وأكل الربا، واتَّقَى الْأَشْرَارُ مَخَافَةَ أَلَسْتَهُمْ، وخرج السفِيَانِي من الشام، واليَمَانِي من اليمن، وخُسِفَ بِالْبِيدَاءِ، وَقُتِلَ غُلَامٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ، وَجَاءَتْ صِيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِأَنَّ الْحَقَّ فِيهِ، وَفِي شِيعَتِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ خُرُوجُ قَائِمِنَا)^(٥٧).

المبحث الثالث: دلالات آخر التوقيعات

أولاً: دلالة التعزية والتأبين:

ورد في مستهل التوقيع الشريف: (بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام...)^(٥٨).

يمكن استفادة دلائل عدة من تعزية وتأبين الإمام المهدي ﷺ لسفيره الرابع علي بن محمد السمري رضوان الله عليه:

الأولى: استحباب التعزية:

يُستفاد من روايات أهل البيت ﷺ استحباب التعزية، وذكرت الروايات الأجر العظيم والثواب الكثير للمُعزي، ونذكر بعض الروايات في فضل التعزية واستحبابها:

- ١- عن رسول الله ﷺ: من عزى مصاباً كان له مثل أجره^(٥٩).
- ٢- عنه ﷺ: من عزى أخاه المؤمن في مصيبة كساه الله عز وجل حلة خضراء يحبر بها يوم القيامة^(٦٠).
- ٣- عن الإمام علي ﷺ: (من عزى الشكلى أظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله)^(٦١).
- ٤- عنه ﷺ: (التعزية تورث الجنة)^(٦٢).

لا ريب أن كل قولٍ أو فعل يصدر من الإمام الحجة ﷺ، فالإمام الحجة ﷺ يطبق سنن آبائه بحذافيرها ومن هذه السنن سنة استحباب التعزية، وكذلك سنة الابتداء بالبسملة.

الثانية: أدب الإمام وخلقه الرفيع:

إن ابتداء الإمام المهدي ﷺ بالتأبين والتعزية لخاتم السفراء قبل إخباره بالموت فيه دلالة على خلقٍ عظيم وأدبٍ رفيع؛ فلم يخبره بقرب موته مباشرةً.

الثالثة: عظمة مقام السمرى عند إخوانه:

إن قول الحجة ﷺ لسفيره الرابع: أعظم الله أجر إخوانك فيك كاشفٌ عن عظمة مقام أبي الحسن السمرى رضوان الله عليه عند إخوانه ومحبيه؛ فرحيله يعني انقطاع حلقة الوصل بين الشيعة وإمامهم، وما أعظمها من مصيبة على أتباع الإمام ﷺ ومحبيه؛ لذلك يعزيهم بموت خاتم السفراء طاب ثراه.

الرابعة: إنقطاع السفارة الخاصة:

باعتباره آخر توقيع فقد ورد التأين والتعزية في حياة السمرى وهذا الأمر يعتبر من النوادر؛ لأن ما جرت عليه العادة هو التأين والتعزية للميت بالفعل ليس إلى الحي؛ ومجيء هذا التوقيع في هذا التوقيت فيه دلالة على انقطاع السفارة الخاصة؛ إذ لا يوجد من يخلف السفير الرابع حتى يرد عليه مثل هذا التوقيع؛ فلأنه لا يوجد من يخلفه، ورد في حقه التأين والتعزية لإخوانه في حياته.

الخامسة: حتمية الأمر:

إن التعزية والتأين يُعدان تأكيداً على حتمية ما سيخبر به الإمام المهدي عليه السلام وهو موت السفير الرابع، فلم يكتفِ الإمام بالإخبار فحسب بل أكد هذا الأمر قبل أن يُخبر به بالتأين والتعزية؛ وذلك لأن الأمر حتمي لا بداء فيه. ثانياً: دلالات الإخبار بالموت:

قال إمامنا المهدي عليه السلام لعلي بن محمد رضوان الله عليه (... أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام...) (٦٣).

إن في إخبار الإمام عليه السلام بموت آخر نوابه الخاصين، فوائد ودلائل عديدة: الأولى: التأكيد:-

هنالك تأكيد للإخبار بأن (إنك ميت) وقبل هذا التأكيد توجد تعزية تؤكد هذا الخبر أكثر، فالإخبار بمثل هكذا تأكيد من المُخبر الصادق عليه السلام يكشف عن مدى أهمية الخبر؛ لأن هذا الخبر يُعد إعلاناً مهماً عن مرحلة جديدة في تاريخ الإمامة لم تُعهد من قبل.

الثانية: الدقة في الإخبار:

لقد حدد الإمام المنتظر (أرواحنا فداءه) المدة التي تكون بين سفيره الرابع وبين الموت وهي ستة أيام فقط، وتُحقق الإخبار بهذه الدقة التي أخبر بها الإمام عليه السلام فيه دلالة على العلم اللدني الإلهي عند الإمام المهدي عليه السلام، وصدق هذا الإخبار يؤكد امامته عليه السلام.

الثالثة: قوة إيمان السّمري وصلابته:

إن إخبار الإمام المهدي ﷺ لسفيره الرابع السّمري بقرب موته، وتقبله لهذا الإخبار بكل رضا وتسليم فلم يرد أنه جزع أو وهن أو ضعفت همته؛ بل قام بتنفيذ ما طلبه الإمام منه على أتم وجه، فقوة إيمانه وتسليمه وتصديقه جعلته أهلاً لتحمل أعباء النيابة الخاصة عن الإمام الحجة ﷺ.

ثالثاً: دلالة أجمع أمرك:

قال ابن منظور: (وجمع أمره وأجمعه وأجمع عليه: عزم عليه كأنه جمع نفسه له، والأمر مجمع. ويقال أيضاً: أجمع أمرك ولا تدعه منتشرًا...) (٦٤). والمعنى اللغوي لجمع الأمر فيه دلالة على أننا لا بد من الاستعداد للموت وعدّ العدة وجمع النفس له.

رابعاً: دلالات الوصية بعدم الإيصاء:

قال مولانا الحجة بن الحسن لسفيره الرابع: (... ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك...) (٦٥).

هذا التعبير لا يخلو من الدلائل والفوائد، والتي أهمها:

الأولى: إنقطاع السفارة الخاصة:

إن هذه الوصية تدل بوضوح عن إنتهاء حقبة النيابة الخاصة، ونهاية فترة الغيبة الصغرى، فلا نيابة خاصة بعد وفاة آخر السفراء الأربعة وهو علي بن محمد السمري رضوان الله عليه.

الثانية: قطع الطريق أمام المدّعين:

إن هذه الوصية نستفيد منها تكذيب كل من يدّعي نيابةً خاصةً أو علاقةً خاصةً تربطه بالإمام ﷺ، فقد أعلن الإمام بهذه الوصية - (ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك) - عن إنقطاع حلقة الوصل الخاصة التي تربطه بشيعته، فكل من يدعي الوصل كذاب مفترٍ.

الثالثة: تأكيد الوصية من الموصى إليه:

ذكر الشيخ الطوسي رحمته: (فلما حضرته الوفاة حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده ولمن يقوم مقامه، فلم يظهر شيئاً من ذلك، وذكر أنه لم يؤمر بأن يوصي إلى أحد بعده في هذا الشأن)^(٦٦).

وجاء في نص آخر: (وفي اليوم السادس حضر الوكلاء بين يدي السّمري، وتسألوا عن وصيه من بعده؛ فقال: «الله أمر هو بالغه» وقضى. فهذا آخر كلام سمع منه)^(٦٧). إن ما قام به علي بن محمد السمري هو تطبيق عملي لما جاء في التوقيع، وعدم إيصاله إلى أحد من بعده فيه تأكيد لما جاء في الوصية، حيث ذكر رضوان الله عليه بأنه لم يؤمر بالإيصال إلى أحد من بعده.

الرابعة: تأكيد ما ورد عن النبي وآله في إن للمهدي غيبتين:

مرّاناً ذكر طائفة من الروايات عن النبي الأعظم عليه السلام وعن الأئمة عليهم السلام، مفادها إن الإمام المهدي له غيبتان صغرى وكبرى أو إحداهما أطول من الأخرى، وما ورد في التوقيع يؤكد هذا المعنى ويصدق ما أخبر به النبي الأعظم عليه السلام والأئمة عليهم السلام.

خامساً: دلالات الإعلان عن الغيبة التامة:

ورد في التوقيع الأخير الصادر عن الناحية المقدسة: (... ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية)^(٦٨)، فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل (...).

يستفاد من هذه الفقرة من التوقيع الشريف فوائد عدة:

الأولى: الإعلان الرسمي لبدء الغيبة الكبرى:

إن كلمات الامام المهدي الشريفة فيها تصريح على بدء الغيبة الكبرى التي أخبر بها الأئمة عليهم السلام ومما يؤكد هذا الأمر أن التوقيع الشريف صدر عن النائب الرابع والسفير الأخير عن الإمام عليه السلام.

الثانية: حرص الإمام على شيعة:

إن صاحب الأمر ﷺ كان بإمكانه أن يغيب دون إعلام الناس ولكن حرصه وجهه لشيعة ومحبيه الذين سيعيشون حالة من القلق على إمامهم؛ لعدم معرفة أخباره، لذلك الإمام أعلم سفيره الرابع عن وقوع الغيبة التامة من خلال هذا التوقيع الشريف.

الثالثة: أنه مولود وموجود:

إن هذه الوثيقة الشريفة تُعد ردًا على من يزعم أن المهدي غير مولود؛ إن إصدار التوقعات الشريفة من ناحيته المقدسة وإرتباطه بالسفراء، وإجابته عن الاستفتاءات والأسئلة الموجه له خير دليل على أنه مولود وموجود ويمارس نشاطاته، لكنه غائب.

سادسًا: دلائل قول الإمام: (وسياي شيعتي من يدعي المشاهدة):

الأولى: الشيعة هم الفئة المستهدفة:

إن ما جاء في التوقيع الشريف: (وسياي شيعتي من يدعي المشاهدة) فيه دلالة على إستهداف عقائد الشيعة وإرادة زحزحتهم عن معتقداتهم الصحيحة. لا يخفى على المطلع في التأريخ ان الشيعة الأمامية هم الفرقة المستهدفة دائماً من قبل الأعداء، فالتاريخ شاهد على قتل الشيعة وتشريدتهم، إن مخطط الأعداء كان ولا زال هو القضاء على الإمامية فكرًا وأشخاصًا، ولكن إرادة الله تعالى ورعاية المولى صاحب الزمان ﷺ حالت دون ذلك، ويؤد هذا المعنى ما جاء في مكتبة الناحية المقدسة للشيخ المفيد رحمه الله: (...). إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللاواء واصطلمكم الأعداء... (٦٩).

الثانية: الادّعاء يُعارض البيّنة:

عرف الشيخ الطريحي الادّعاء: (ادعيت الشيء: طلبته لنفسي، ومنه «الدعوة في الطعام» اسم من دعوت الناس إذا طلبتهم ليأكلوا عندك، والاسم الدعوى).



وفي الحديث: (البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه - والمراد بالمدعي على ما يفهم من الحديث من يكون في إثبات قضية على غيره، ومن « المدعى عليه » المانع من ذلك، وهو المعبر عنه بالمنكر)^(٧٠).

ونطبق ما تقدم على مدعي السفارة، فيقال: إن المدعي لاجل إثبات دعواه يحتاج إلى بينة، والبينة في المقام خلاف الدعوى، وذلك لأن الدليل قام على كون مدعي السفارة كذاب مفترٍ، فيكذب المدعي هنا من جهة كونه ادعى كذباً من دون بينة، ومن جهة أخرى كون المدعي للسفارة محكوم عليه بالكذب من قبل الإمام المهدي عليه السلام.

الثالثة: معنى المشاهدة:

ذهب علماءنا إلى كون معنى المشاهدة إدعاء النيابة الخاصة والسفارة، فالرؤية ممكنة وواقعة سواء مع المعرفة أو بدونها، يقول الشيخ المجلسيرضي الله عنه في بيان معنى المشاهدة: (لعله محمول على من يدعي المشاهدة مع النيابة وإيصال الاخبار من جانبه ﷺ إلى الشيعة، على مثال السفراء لئلا ينافي الاخبار التي مضت وستأتي فيمن رآه ﷺ والله يعلم)^(٧١).

ويؤيد هذا الكلام كون هذا الحديث ورد في سياق الحديث مع سفير، وهو آخر السفراء، علي بن محمد السمری رضي الله عنه.

الرابعة: حكم مدعي المشاهدة:

وقد ذهب الأعلام من الأمامية منهم الصدوق والشيخ الطوسي رحمهما الله، وغيرهم إلى كفر وضلالة من ادعى السفارة بعد السمری، قال الشيخ رحمه الله: (عندنا أن كل من ادعى الامر بعد السمری رحمه الله فهو كافر منمى^(٧٢) ضال مضل)^(٧٣).

وقال الميرزا جواد التبريزي رضي الله عنه معلقاً على دعوى السفارة في زمن الغيبة الكبرى: (هذه الدعوى باطلة، ومدعيها ضالّ مضلّ، فقد انقطع باب السفارة بعد السفراء الأربعة)^(٧٤).

الخامسة: تكليفنا تجاه مدّعي المشاهدة:

وقد أوضح الإمام عليه السلام تكليف الشيعة في حال ادّعاء السفارة بقوله: «ألا أنه فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر» ومنه يتضح أن تكليف الشيعة هو عدم تصديق ذلك المدعي، وعدم اتباعه، والحكم عليه بأنه كذاب على الإمام، مفتر في ادّعاء السفارة. وتأيداً لما تقدم جاء في رواية عمر بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة، والسفيناني، والخسف، وقتل النفس الزكية، واليهامي. فقلت: جعلت فداك، إن خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات أنخرج معه؟ قال: لا) (٧٥).

السادسة: الإختبار والتمحيص:

إن من يتتبع الروايات الشريفة يجد في كثير منها أن الشيعة مقبلون على مرحلة خطيرة وحساسة جداً؛ وذلك بسبب كثرة الدعاوى الباطلة والانحرافات الفكرية وكثرة المدعين للمهدوية أو النيابة عن المهدي عليه السلام، وهذه الحقة التي يغيب فيها الإمام عن شيعته تمثل إختبار وابتلاء في غاية الصعوبة، وقد أفادت الروايات كثيراً هذا المضمون وهو كون المجتمع الشيعي سيمرُّ بمرحلة الغربة والتمحيص، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (مع القائم عليه السلام من العرب شيء يسير، فقليل له: إنَّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير، قال: لا بدَّ للنَّاس من أن يمحصولا ويميزوا ويغربلوا، وسيخرج من الغربال خلق كثير) (٧٦).



سابعاً: إدعاء المشاهدة قبل السففاني والصيحة:

جاء في التوقيع الشريف: (ألا فمن إدعى المشاهدة قبل خروج السففاني والصيحة فهو كذاب مفترٍ).

هذا التعبير فيه دلالة على ان تكذيب مدعي المشاهدة يكون قبل تحقق العلامات الحتمية للظهور، وأما ما بعد تحقق العلامات فلا ضائر ولا مانع من ذلك، من قبيل إرسال ذي النفس الزكية من قبل الإمام المهدي عليه السلام كما روى أبو بصير عن الإمام الكاظم عليه السلام: (بأن الإمام المهدي عليه السلام يدعو رجلاً من أصحابه فيقول له: إمض إلى أهل مكة، فقل: يا أهل مكة، أنا رسول فلان إليكم، وهو يقول لكم: إننا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين، وأنا قد ظلمنا، واضطهدنا، وقهرنا، وابتز منا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصركم فانصرونا. فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام، أتوا إليه، فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية) (٧٧).

الخاتمة ونتائج البحث

أولاً: إن التوقيع الأخير يُعد بداية لمرحلة جديدة في تاريخ الإمامة وهي مرحلة الغيبة الكبرى، وكذلك يُعد من أهم الأدلة التي يُستدل بها على الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام.

ثانياً: إن هذا التوقيع يُعد ردّاً مناسباً ودليلاً قاطعاً على تكذيب مدعي السفارة كذباً؛ فقد ذكر الامام الحجة تصريحاً بضرورة تكذيب كل من ادعى النيابة الخاصة.

ثالثاً: من خلال الرجوع الى قواعد ومعايير علم الرجال يمكن أن نحكم بصحة سند التوقيع الشريف الصادر عن الناحية المقدسة، والرد على من رفض رواية التوقيع بحجة ضعف سندها.

الموامش:

- ١- تاريخ الغيبة، الصدر: ١/ ٤١٢.
- ٢- جباري، سازمان وكالت: ٢/ ٤٧٩.
- ٣- ويكيديا الشيعة نقلا عن The Occultation of the Twelfth Imam A Historical Backgroun Hussain (ص ١٣٦ .
- ٤- تنقيح المقال، المامقاني: ٢/ ٣٠٥.
- ٥- تاريخ الغيبة، الصدر: ١/ ٤١٢.
- ٦- تاريخ الغيبة، الصدر: ١/ ٤١٣.
- ٧- تاريخ الغيبة: ١/ ٤١٥.
- ٨- الطوسي، الغيبة: ٣٩٤.
- ٩- الطوسي، الغيبة: ٣٩٤.
- ١٠- المصدر نفسه: ٤١٤، ٤١٥.
- ١١- كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٦.
- ١٢- المصدر نفسه: ٥٠٣، أعلام الوري، الطبرسي: ٢/ ٢٦٠.
- ١٣- الطوسي، الغيبة: ٣٩٦.
- ١٤- الطوسي، الغيبة: ٣٣١-٣٣٢.
- ١٥- الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٣٠٣.
- ١٦- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٣/ ٣٠٣.
- ١٧- الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٤.
- ١٨- تكملة أمل الآمل، السيد حسن الصدر: ٥/ ٣١.
- ١٩- دروس تمهيدية في القواعد الرجالية، الايرواني: ٢٥.
- ٢٠- كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٢.
- ٢١- جمال الأسبوع، ابن طاووس: ٥٢٢-٥٢٩.
- ٢٢- قيسات من علم الرجال، قيسات من علم الرجال: ١/ ٣١-٣٢.
- ٢٣- معجم رجال الحديث، الخوئي: ٥/ ٢٧٢.
- ٢٤- المستند في شرح العروة الوثقى، السيد الخوئي: ١/ ٥٢.
- ٢٥- الطوسي، الغيبة: ٤١٥.
- ٢٦- يُنظر: ضياء الخباز، المهدوية الخاتمة: ١/ ٢٠٣.
- ٢٧- الايرواني، دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: ٢١٠.
- ٢٨- البهبهاني، تعلية على منهج المقال: ٢٥٨.

- ٢٩- القمي، الكنى والألقاب: ٣/ ٢٦٨.
- ٣٠- النازي، مستدركات علم رجال الحديث: ٥/ ٤٥٠.
- ٣١- أي بغداد.
- ٣٢- في رواية الطوسي: التامة.
- ٣٣- في رواية الطوسي: لشيعة.
- ٣٤- كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٦. ورواه الطوسي، الغيبة: ٣٩٥.
- ٣٥- كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٦. ورواه الطوسي، الغيبة: ٣٩٥.
- ٣٦- كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٦. ورواه الطوسي، الغيبة: ٣٩٥.
- ٣٧- الغيبة، الطوسي: ٤٣٣.
- ٣٨- قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ضلت ناقة رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقال المنافقون: يحدثننا عن الغيب ولا يعلم مكان ناقته! فأتاه جبرئيل (عليه السلام) فأخبره بما قالوا، وقال: إن ناقتك في شعب كذا، متعلق زمامها بشجرة بحر. فنادى رسول الله ﷺ): الصلاة جامعة، قال: فاجتمع الناس، فقال: أيها الناس! إن ناقتي بشعب كذا، فبادروا إليها حتى أتوها. (قصص الأنبياء: ٣٠٨ / ٤٠٨).
- وروي عن الإمام علي (عليه السلام) - لما قال له بعض أصحابه وكان كلبيا: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب، فضحك (عليه السلام) - (يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب علم الساعة، وما عدده الله سبحانه...) (نهج البلاغة: الخطبة ١٢٨).
- ٣٩- كفاية الأثر: ١٤٦.
- ٤٠- الكافي: ١ / ٣٤٠، ح ١٩. تقريب المعارف: ١٩٠. إثبات الهداة: ٣ / ٤٤٥، ح ٢٩. بحار الأنوار: ٥٢ / ١٥٥، ح ١٠ و ١١. منتخب الأثر: ٢٥١، ح ١. معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ٣ / ٣٦٤، ح ٩١٢.
- ٤١- الغيبة، النعماني: ١٧٣.
- ٤٢- غيبة الطوسي: ٤٢٤، ح ٤٠٧. وسائل الشيعة: ٨ / ١٤٠، ح ١٠. بحار الأنوار: ٥٢ / ١٥٥، ح ١٣ وص ١٥٦، ح ١٤، وج ٩٩ / ١١٧.
- ٤٣- دلائل الإمامة: ٢٩٠ و ٢٩٣. تقريب المعارف: ١٨٧. إعلام الوري: ٤١٦. كشف الغمة: ٣ / ٣١٩. مختصر بصائر الدرجات: ١٩٥. معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ٣ / ٢٣٤، ح ٧٦١ وص ٤٤٣، ح ٩٩٧.
- ٤٤- بحار الأنوار: ٥٢ / ١٥٦، ح ١٥. منتخب الأثر: ٢٥٢، ح ٦. معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ٣ / ٢٣٤، ح ٧٦٠.
- ٤٥- الغيبة، النعماني: ١٧٦- ١٧٧.
- ٤٦- سورة الصف: الآية ١٤.

٤٧- مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٢٤.

٤٨- بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ٨٣، الحديث ٨٥.

٤٩- الغيبة، النعماني: ٤٠٣.

٥٠- كمال الدين: ١/ ٣٠٣ ح ١٤.

٥١- كمال الدين: ٣١٧، ح ٤.

٥٢- مسند أحمد: ٢٢/ ٢٥١.

٥٣- مسند أحمد: ٢٢/ ٣٢٥.

٥٤- المستدرک علی الصحیحین للحاکم: ١٩/ ٢٤٦.

٥٥- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ١٧٢.

٥٦- كمال الدين وتمام النعمة: ٥٢٥ و ٥٢٦/ باب ٤٧/ ح ١.

٥٧- بحار الأنوار: ٥٢/ ١٩٢.

٥٨- كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٦. ورواه الطوسي، الغيبة: ٣٩٥.

٥٩- البحار: ٨٢/ ٩٤/ ٤٦.

٦٠- مسکن الفؤاد: ١٠٦.

٦١- الكافي: ٣/ ٢٢٧.

٦٢- الاختصاص: ١٨٩.

٦٣- كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٦. ورواه الطوسي، الغيبة: ٣٩٥.

٦٤- لسان العرب، ابن منظور: ٨/ ٥٧.

٦٥- كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٦. ورواه الطوسي، الغيبة: ٣٩٥.

٦٦- الغيبة، الطوسي: ٤١٥.

٦٧- كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٦.

٦٨- في رواية الطوسي: التامة.

٦٩- بحار الأنوار، المجلسي: ٥٣/ ١٧٥.

٧٠- مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٢/ ٤٠.

٧١- بحار الأنوار: ٥٢/ ١٥١.

٧٢- المنمسی: فاسد العقيدة.

٧٣- الغيبة، الطوسي: ٤١٢.

٧٤- صراط النجاة: ٥/ ٣١٩.

٧٥- الكافي، الكليني: ٨/ ٣١٠.

٧٦- الغيبة، النعماني: ٢١٢.

٧٧- بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٠٧.





المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- * إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الشيخ الحر العاملي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.
- * الاختصاص، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط: ٢، ١٤١٤هـ.
- * اصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامي - طهران - إيران، ط ٤.
- * إعلام الوري بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ)، قم - إيران، نشر مؤسسة آل البيت، ١٤١٧هـ.
- * أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.
- * إكمال الدين وإتمام النعمة، محمد بن علي الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، طهران - إيران، الناشر: دار الكتب الإسلامية، ١٣٥٩هـ.
- * بحار الانوار، المجلسي، محمد باقر (ت ١١١٠هـ)، مؤسسة الوفاء، ط ٢.
- * تاريخ الغيبة، محمد بن محمد صادق الصدر (١٤١٩هـ)، الناشر: دار التعارف، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ.
- * تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: ١، ١٤١٧هـ.
- * تعليقة على منهج المقال، محمد باقر الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٦هـ)، د.م، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، د.ت.
- * تقريب المعارف، أبو الصلاح تقي بن نجم الحلبي (ت ٤٤٧هـ)، تحقيق: فارس الحسون، نشر المحقق، ١٤١٧هـ.
- * تكملة أمل الآمل، السيد حسن الصدر (ت ١٣٥٤هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، نشر مكتبة المرعشي، مطبعة الخيام، قم المقدسة، ١٤٠٦هـ.
- * تنقيح المقال في علم الرجال، عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١هـ)، نشر المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف، ١٣٥٢هـ.
- * جمال الأسبوع، السيد رضي الدين ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد قيومي، مؤسسة الآفاق، ط: ١.
- * دروس تمهيدية في القواعد الرجالية، محمد باقر الايرواني، بلا طبعة.
- * دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، مؤسسة البعثة، قم المقدسة.
- * سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة، ط: ٣، ١٤٠٥هـ.
- * صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات، السيد أبو القاسم الخوئي (١٤١٣هـ)، تعليق الشيخ ميرزا جواد التبريزي، نشر برگزیده، مطبعة سلمان الفارسي.
- * الغيبة، محمد بن الحسن

الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم - إيران، ١٤١١ هـ.

* الغيبة، الشيخ محمد بن ابراهيم النعماني (ت ٣٦٠هـ)، نشر أنوار الهدى، ط: ١، ١٤٢٢ هـ، قم إيران.

* قيسات من علم الرجال السيد محمد رضا السيستاني، جمع وتنظيم السيد محمد البكاء، دار المؤرخ العربي، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ هـ.

* كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي عيسى الإربلي (ت ٦٩٢هـ)، بيروت - لبنان، الناشر: دار الاضواء.

* كفاية الأثر في النص على الأئمة الأثني عشر، الخزاز القمي (ت ٤٠٠هـ)، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، نشر بيدار، مطبعة الخيام، قم المقدسة، ١٤٠١ هـ.

* الكنى والألقاب، عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، طهران - إيران، الناشر: مكتبة الصدر، د.ت.

* لسان العرب، ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت - لبنان، ط: ١، ١٣٠٠ هـ.

* مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، مكتب النشر الثقافية الإسلامية، ط: ٢.

* مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلي (من علماء القرن التاسع)، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط: ١، ١٣٧٠.

* المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

* مستدرکات علم رجال الحديث، علي النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٢هـ)، طهران - إيران، الناشر: مطبعة حيدري، ١٤١٥ هـ.

* المستند في شرح العروة الوثقى، تحقيق الشيخ مرتضى البروجردي، نشر مؤسسة الخوئي الإسلامية، ط: ٥، ١٤٣٤ هـ.

* مسکن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد، زين الدين علي بن أحمد العاملي (ت ٩٦٥هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، ط: ١، مطبعة مهر، قم المقدسة.

* مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب

الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢١ هـ.

* معجم أحاديث الامام المهدي، الشيخ علي الكوراني، تحقيق: احمد بن حمدي الجابري، مؤسسة المعارف، قم المقدسة، ط: ١، ١٤١١ هـ.

* معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ابو الهلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي - قم - إيران، ط: ١، ١٤١٢ هـ.

* معجم رجال الحديث، السيد ابو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، مؤسسة الإمام الخوئي الإسلامية، ط: ١.

- * مفردات غريب القرآن ، الحسين بن محمد الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، دار المعرفة، الدار الشامية- دمشق بيروت.
- * المهذوية الخاتمة، السيد ضياء الخباز ، بقلم عبدالله سعد معرفي، نشر باقيات، مطبعة وفا، قم المقدسة ،ايران، ط: ١ ، ١٤٣٥هـ.
- * نهج البلاغة، أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي (ت ١٠١٥هـ)، تحقيق: الدكتور صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني.
- * وسائل الشيعة، الحر العاملي (١١٠٤هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط: ٢ ، ١٤١٤.
- * موقع ويكيبيديا.



التوقيعات المقدسة ووظيفة الشيعة الإمامية في زمن الغيبة (رؤى اجتماعية وتربوية)

السيد إبراهيم صالح الشريفي
العتبة العباسية المقدسة

تمهيد:

تعدّ فترة غيبة الإمام الحجة عليه السلام الصغرى وبدايات الكبرى من أهم الفترات الحرجة على أتباع أهل البيت عليهم السلام، فغياب القيادة المباشرة عن ظهراني المجتمع وصعوبة الوصول إليها مع ما يرافق ذلك من هواجس وتشكيكات من البعض اتّجاه شخص الإمام بعد تواريه عن الأنظار بمرحلة مبكرة جداً، هذا الأمر ألقى بظلاله على بعض السلوكيات الفردية والاجتماعية لبعض أتباع أهل البيت عليهم السلام، فكان الأمر الأمثل والحكيم لتعزيز الأواصر بين عامة الموالين وشخصه الكريم من خلال الوساطة الأئمة والمأمونة على الدين والدنيا المتمثلة بالسفراء الأربعة، وغيرهم من النواب المخلصين، بإرسال التوجيهات والرسائل المكتوبة إليه عن طريقهم، وقد عُرفت بتوقيعات الناحية المقدسة.

وهذا العمل لم يكن بالأمر الجديد على أتباع أهل البيت عليهم السلام في ظروف عاشوها مع دول الظلم والجور فقد مهد له الأئمة عليهم السلام من خلال الإحالة على كبار الشخصيات العلمية من تلامذتهم لتوضيح بعض الأمور للموالين، لكن هذه المرحلة - أعني الغيبة - كانت بداية لمرحلة فاعلة بخطواتها التي تحدّد استراتيجية الارتباط لأتباع أهل البيت، فكان هذا الأمر له أثره البارز على الفرد والمجتمع الموالي.

فهذه الورقة البحثية تُسلط الضوء على ذلك في مباحث، وهي:

المبحث الأول التوقيعات الشريفة والوساطة المرجعية.

المبحث الثاني التوقيعات الشريفة تلقي بظلالها على الواقع الاجتماعي في تلك الفترة.

المبحث الثالث ماذا قال الإمام (عليه السلام) في توقيعاته الشريفة لشيعة بصورة عامّة؟ (إحصاءات سرديّة مختارة).

المبحث الرابع أبرز الوظائف الفردية والاجتماعية في توقيعاته الشريفة.

المبحث الأول

التوقيعات الشريفة والوساطة المرجعية

قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾^(١).

روى الشيخ الكليني في تفسير هذه الآية المباركة بسنده عن زيد الشحام عن

أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾

قال: قلت ما طعامه؟ قال: علمه الذي يأخذه، عمّن يأخذه^(٢).

قد أسس القرآن الكريم ونبينا الأعظم (عليه السلام) وعلى أثره الأئمة (عليهم السلام) لمسألة مهمة

في الارتباط العلمي والروحي للإنسان في هذه الحياة، وقد اختلفت أدوار هذا

الارتباط من زمن إلى زمن ومن مكان إلى آخر بحسب الظروف التي تفرضها

الحياة الاجتماعية والسياسية، ففي زمن النبي (عليه السلام) والإمام علي (عليه السلام) والحسن

والحسين (عليهم السلام) كان الناس يتصلون بهم مباشرة لأخذ أمور دينهم ودنياهم من

دون أي مضايقة من أحد، وصار الأمر يختلف شيئاً فشيئاً شدة وضعفاً - تبعاً

للظروف السياسية التي تنتهجها السلطة - من بعد الإمام الحسين (عليه السلام) إلى زمان

غيبة الإمام الحجة (عليه السلام).



لكن أهل البيت عليهم السلام اتخذوا سبلاً واجراءات ربطت الناس بهم عن طريق الوساطة الآمنة والمأمونة على دين الناس وديناهم المتمثلة بأصحابهم الخلفاء الذين صاروا مراجع في فض النزاعات القائمة بين الشيعة في زمن لا يمكن الوصول به إلى الإمام، وهؤلاء الأشخاص تربوا ودرسوا في مدرستهم المباركة ونهلوا من علمهم عليهم السلام، وقد جاءت روايات كثيرة تدل على هذا الأمر، منها ما رواه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة بسنده عن أبي الحسن علي بن أحمد الدلال القمي: (اختلف جماعة من الشيعة في أن الله عز وجل فوض إلى الأئمة صلوات الله عليهم أن يخلقوا أو يرزقوا؟ فقال قوم: هذا محال لا يجوز على الله تعالى، لأن الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عز وجل، وقال آخرون: بل الله تعالى أقدر الأئمة على ذلك، وفوضه إليهم فخلقوا ورزقوا، وتنازعوا في ذلك تنازعا شديداً. فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري فتسألونه عن ذلك فيوضح لكم الحق فيه، فإنه الطريق إلى صاحب الأمر عليه السلام، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلّمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه...) (٣).

وكان أبو جعفر محمد بن عثمان العمري هذا هو سفير الإمام الحجة عليه السلام، المعروف بالعلم والوثاقة والتدين والإخلاص لأهل البيت عليهم السلام، فكان ملجأً لشيعة أهل البيت في حل ما يختلفون فيه من أمور الدين والدنيا.

ومنها أيضاً ما رواه الشيخ في الغيبة بسنده عن أحمد بن إسحاق بن سعد القمي قال: (دخلت على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الأيام فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل؟ وأمر من نمثل؟ فقال لي صلوات الله عليه: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه. فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم فقلت

له ﷺ مثل قولي لأبيه، فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعنّي يقوله، وما أدّى إليكم فعنّي يؤدّيه^(٤). وتوجد اشارات وروايات كثيرة من الأئمة ﷺ في هذا الشأن المهم والخطير في تاريخ مذهب أهل البيت ﷺ تتضمن إحداث وساطة مرجعية في أمور الدين هي النائب والوكيل عن الإمام تربط الناس بالشرع الحقّ وتبعدهم عن التيارات والأهواء والمزالق الأخرى التي تفتعلها المذاهب والفرق المنحرفة، ومن أجلى مصاديق هذا الأمر هو زمن غيبة الإمام الحجة ﷺ وما خرج منه من التوقيعات الشريفة إلى سفرائه الأربعة الكرام، وهذا من الأمور التي حفظت مذهب أهل البيت ﷺ إلى يومنا هذا وإلى قيام الساعة إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني

التوقيعات الشريفة تلقي بظلالها على الواقع الاجتماعي في تلك الفترة قال ﷺ في توقيعه الشريف مخاطباً المجتمع في ذلك الزمان - وإلى ظهوره الشريف -: (يا هؤلاء ما لكم في الريب تترددون وفي الحيرة تنعكسون أ وما سمعتم الله عز وجل يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٥)، أ وما علمتم ما جاءت به الآثار مما يكون ويحدث في أئمتكم على الماضين والباقيين منهم، أ وما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم إلى أن ظهر الماضي كلما غاب علم بدا علم وإذا أفل نجم طلع نجم، فلما قبضه الله إليه ظننتم أن الله عز وجل قد قطع السبب بينه وبين خلقه كلا ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة ويظهر أمر الله عز وجل وهم كارهون^(٦). وقد تحدث القرآن الكريم عن الأمم السابقة وأسباب انحرافها وهلاكها، وربما تكون الحكمة من ذلك هي التحذير لمن يأتي بعدهم أن لا يسلكوا تلك المسالك التي تؤدي بهم إلى الهلاك والانحراف والخسران.

وقد جرى هذا الأمر في حقب الإسلام المتقدمة فانحرف الكثير وثبت آخرون على الحق وهذا الأمر لم تستثن منه فرقة أو طائفة، وأيضاً هذا يعطي انعكاساً للدارس والباحث عن طبيعة تلك الحقبة أو ذلك العصر من الواقع الاجتماعي والديني فبالرغم من وجود الكثير من سبل النجاة والتمسك بطريق الحق ترى أناس ينزلقون في مهاوي النفس والاطماع الدنيوية فانحرف عن طريق أهل البيت (عليه السلام) أشخاص كَوَّنوا لأنفسهم ولأطماعهم فرق وصار لهم اتباع ومريدون، خصوصاً بعد غيبة الإمام (عليه السلام)، حيث استغل بعضهم الضعف الديني لدى الناس وغياب القيادة الحققة، وصار يروج لما يعتقده في ذلك المجتمع الذي انهكته الانحرافات والأهواء والفرق الضالة.

فقد برز في ذلك الزمن وفي ذلك المجتمع من ادعى الارتباط المباشر بالإمام وقد تسمّوا بالبابية والنيابة، ومن أبرز اشخاصهم الشريعي المكنى بأبي محمد، ويقال اسمه الحسن وهذا من أصحاب الإمام الهادي والإمام العسكري (عليه السلام) فخرج توقيع الإمام بلعنه والبراءة منه، ثم ظهر منه القول بالكفر والالحاد. وكل هؤلاء المدعين إنّما يكون كذبهم أولاً على الإمام وأتهم وكلاؤه فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم .

ومنهم محمد بن نصير النميري وهو من أصحاب الامام الحسن العسكري عليه السلام وهذا أيضا ادعى البايّة والنيابة عن الامام صاحب الزمان عليه السلام ومن عقيدة هذا الرجل أنّه يدي أنّه رسول نبي، وأنّ الإمام الهادي أرسله، وكان يقول بالتناسخ وغيرها من العقائد المنحرفة.

وربما تكون تلك الفترة التي امتحن بها الخلق لها شبهة مع ما حصل بعد رحيل رسول الله ، و امتحان الخلق بأمرة أمير المؤمنين ، وإزواء الوصاية والخلافة الإلهية عنه بعد رسول الله، وما حدث من غضب حقّ سيدة النساء واهتضامها ﷺ برغم مطالبتها بحقوقها وحق بعلمها لذا قال ﷺ : (وفي ابنة رسول الله، لى أسوة

حسنة، وسيردي الجاهل رداة عمله، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار^(٧).
وأيضاً من تلك الفرق المنحرفة الغلاة وما كانوا يدعونه في الأئمة عليهم السلام:

قال عليه السلام في توقيعه المبارك: (ليس نحن شركاؤه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره^(٨))، كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٩). وأنا وجميع آبائي من الأولين: آدم ونوح وإبراهيم وموسى، وغيرهم من النبيين، ومن الآخرين محمد رسول الله، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم ممن مضى من الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.

إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري، عبيد الله عز وجل يقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى^{(١٠)-(١١)}.

قال أيضاً: (وأشهد كل من سمع كتابي هذا، أني برئ إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنا نعلم الغيب، ونشاركه في ملكه، أو يجلنا محلاً سوى المحل الذي رضىه الله لنا وخلقنا له، أو يتعدى بنا عما قد فسرت له وبنيته في صدر كتابي).

وأشهدكم: أن كل من نبرأ منه فإن الله يبرأ منه وملائكته ورسله وأوليائه، وجعلت هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتمه لأحد من موالي وشيعتي حتى يظهر على هذا التوقيع الكل من الموالي لعل الله عز وجل يتلافاهم فيرجعون إلى دين الله الحق، وينتهون عما لا يعلمون منتهى أمره، ولا يبلغ منتهاه، فكل من فهم كتابي ولا يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته، فقد حلت عليه اللعنة من الله ومن ذكرت من عباد الصالحين^(١٢).
وليس بعد كلام الله تعالى غير كلامهم كلام، لمن أراد الهدى والرشاد لنفسه وباقي الأنعام، لذا سنسرد عليك في البحث التالي بعض كلماته النورانية عليه السلام.

المبحث الثالث

ماذا قال الإمام (عليه السلام) في توقيعاته الشريفة لشيعة بصورة عامة ؟ (إحصاءات

سرديّة مختارة)

سرد كلمات أهل البيت (عليهم السلام) بهذه الطريقة قد عهدت من قبل علمائنا على مرّ العصور والأزمان، وفائدتها جليّة وواضحة، فهي بمثابة المادة الأساسية والأوليّة لكلّ مَنْ يريد أن يُعالج أمر ما من أمور الحياة بصورة عامّة فيجد فيها الضوابط والقواعد لأفكاره ومراده، ونحن بهذه العجالة نسرّد بعض ما أثر عن مولانا الإمام صاحب العصر والزمان (عليه السلام) في مجالاتٍ متعدّدة.

١- قال: (الحقّ معنا فلن يوحشنا مَنْ قعد عنا) (١٣).

٢- قال: (نحن صنائع ربّنا والخلق بعد صنائعنا) (١٤).

٣- قال: (لولا أنّ أمر الله تعالى لا يغلب، وسرّه لا يظهر ولا يعلن، لظهر لكم من حقّنا ما تبين منه عقولكم، ويزيل شكوككم، لكنه ما شاء الله كان، ولكلّ أجل كتاب) (١٥).

٤- قال: (اتّقوا الله وسلّموا لنا، وردّوا الأمر إلينا، فعلينا الاصدار كما كان منّا الايراد) (١٦).

٥- قال: (لا تحاولوا كشف ما غطي عنكم ولا تميلوا عن اليمين، وتعدلوا إلى الشمال) (١٧).

٦- قال: (اجعلوا قصدكم إلينا بالموّدة على السنة الواضحة، فقد نصحت لكم، والله شاهد علي وعليكم) (١٨).

٧- قال: (لولا ما عندنا من محبة صلاحكم ورحمتكم، والاشفاق عليكم، لكننا عن مخاطبتكم في شغل) (١٩).

٨- قال: (مَنْ بحث فقد طلب، ومَنْ طلب فقد دلّ، ومَنْ دلّ فقد أشاط، ومَنْ أشاط فقد أشرك) (٢٠).

٩- قال : (أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم) (٢١).

١٠- قال : (أما أموالكم فلا نقبلها إلا لتطهروا، فمن شاء فليصل ومن شاء فليقطع فما آتاني الله خير مما آتاكم) (٢٢).

١١- قال : (أما ظهور الفرج فإنه إلى الله تعالى ذكره، وكذب الوقتون) (٢٣).

١٢- قال : (ليس بين الله عز وجل وبين أحدٍ قرابة) (٢٤).

١٣- قال : (إني لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء) (٢٥).

١٤- قال : (أغلّقوا باب السؤال عما لا يعنّيكُم، ولا تتكلّفوا علم ما قد كفيتم) (٢٦).

١٥- قال : (أكثرُوا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنّ ذلك فرجكم) (٢٧).

المبحث الرابع

أبرز الوظائف الفردية والاجتماعية في توقيعاته الشريفة

هناك توجهات بارزة أكد عليها كثيراً في توقيعاته الشريفة، وكذلك الأئمة عليهم السلام يلحظها الإنسان المتتبع لكلماتهم عليهم السلام، وهي تعزز الارتباط بالله وبالنبي وأهل البيت عليهم السلام لو اتبعها الإنسان وطبقها في حياته سلمت أموره في الدنيا والآخرة، ومن أبرز تلك التوجهات (التسليم لأمرهم، وكتمان سرهم، وانتظار أمرهم، والتفقه في الدين) ونحن نشير إشارة مختصرة إلى مضامين هذه الأمور مع ذكر بعض كلماتهم عليهم السلام:

١- التسليم لأمرهم:

والتسليم هو الانقياد التام لما جاء عنهم عليهم السلام، وهذا قد أسس له القرآن الكريم قال عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢٨).

٣- انتظار أمرهم.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الآخذ بأمرنا معنا غدا في حظيرة القدس، والمتنظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله) (٣٤).

وقد ورد في بعض الأخبار أنه من أفضل العبادات انتظار الفرج، وهذا يعطي حالة تربية للإنسان المؤمن لا يمكن أن يكتسبها في غير هذا التوجيه الشريف، وقد تنعكس هذه الحالة على الفرد وسلوك المجتمع بصورة عامة، وقد ورد عنهم (عليهم السلام) بهذا الصدد روايات كثيرة.

منها ما عن الإمام الرضا (عليه السلام): (أما يرضى أحدكم أن يكون في بيته ينفق على عياله من طوله ينتظر أمرنا فإن أدركه كان كمن شهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بدرًا، وإن مات منتظرًا لأمرنا كان كمن كان مع قائمنا (عليه السلام) هكذا في فسطاطه - وجمع بين السبابتين - ولا أقول هكذا - وجمع بين السبابة والوسطى - فإن هذه أطول من هذه) (٣٥).

وما في كمال الدين عن محمد بن النعمان عن أبي عبد الله (عليه السلام): (أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل وأرضى ما يكون عنه، إذا افتقدوا حجة الله، فلم يظهر لهم، وحجب عنهم فلم يعلموا بمكانه، وهم في ذلك يعلمون أنه لا تبطل حجج الله ولا بيناته عندها فليتوقعوا الفرج صباحا ومساء، فإن أشد ما يكون الله غضبا على أعدائه إذا أفقدهم حجته فلم يظهر لهم وقد علم أن أولياءه لا يرتابون، ولو علم أنهم يرتابون ما أفقدهم حجته طرفة عين) (٣٦).

٤- التفقه في الدين.

الذي يعطي حصانة تامة عن الانزلاق في متاهات الفرق الضالة وفي الانحرافات السلوكية وغيرها - إضافة لما ذكر في النقاط في أعلاه - هو التفقه في الدين والتعلم ودراسة العلم والمعرفة والاطلاع على تراث أهل البيت (عليهم السلام)، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلّا بعدا) (٣٧).

وأيضاً قال (عليه السلام): (ليت الشياط، على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام) (٣٨).

وهذا أمر تربوي مهم في حياة الانسان الموالي يجب المحافظة عليه، وقد تأذى الإمام (عليه السلام) كثيراً من الاشخاص الذين لا يتفقهون ولا يتعلمون فقد ورد عنه (عليه السلام) في توقيعه الشريف: (قد آذانا جهلاء الشيعة وحقاؤهم، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه) (٣٩).

هذا ما أردنا الإشارة إليه باختصار في هذه الورقة البحثية المتواضعة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الانبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مكتبة جامعة الإمام محمد باقر
الطوسي

الهوامش:

- ١- سورة عبس: ٢٤.
- ٢- الكافي: ١/ ٥٠ ح ٩.
- ٣- الغيبة للطوسي: ٢٩٣.
- ٤- الغيبة للطوسي: ٣٥٤.
- ٥- سورة النساء: ٥٩.
- ٦- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٧٨، الغيبة للطوسي: ٢٨٦.
- ٧- الغيبة للطوسي: ٢٨٦.
- ٨- وهو علم الغيب منهم بالاستقلال من دون الله تعالى، وإلا إذا أراد الله تعالى أن يطلعهم على غيبه اطلعهم كرامة لهم عليهم السلام، وقد دلت عليه آيات وروايات متعددة.
- ٩- سورة النمل: ٦٥.
- ١٠- سورة طه ١٢٤-١٢٦.
- ١١- الاحتجاج: ٢/ ٢٨٨.
- ١٢- الاحتجاج: ٢/ ٢٨٩.
- ١٣- الغيبة للطوسي: ٢٨٥.
- ١٤- الغيبة للطوسي: ٢٨٥.
- ١٥- الغيبة للطوسي: ٢٨٦.
- ١٦- الغيبة للطوسي: ٢٨٦.
- ١٧- الغيبة للطوسي: ٢٨٦.
- ١٨- الغيبة للطوسي: ٢٨٦.
- ١٩- الغيبة للطوسي: ٢٨٦.
- ٢٠- كمال الدين وتمام النعمة: ٥٠٩.
- ٢١- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٤.
- ٢٢- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٤.
- ٢٣- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٤.
- ٢٤- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٤.
- ٢٥- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٥.
- ٢٦- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٥.
- ٢٧- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٥.
- ٢٨- سورة النساء: ٦٥.

- ٢٩- الغيبة للطوسي: ٢٨٥.
- ٣٠- كمال الدين واتمام النعمة: ٥١١.
- ٣١- كمال الدين واتمام النعمة: ٤٨٥.
- ٣٢- الغيبة للطوسي: ٢٨٦.
- ٣٣- كمال الدين واتمام النعمة: ٥١١.
- ٣٤- مكيال المكارم: ١٣٠ / ٢.
- ٣٥- الكافي: ٢٣ / ٥ ح ٢.
- ٣٦- بحار الأنوار: ٩٥ / ٥٢.
- ٣٧- الكافي: ٤٣ / ١ ح ١.
- ٣٨- المحاسن: ٢٢٩ / ١.
- ٣٩- الاحتجاج: ٢٨٩ / ٢.



الكتاب

المصادر والمراجع القرآن الكريم

- * الاحتجاج: للشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: السيد محمد باقر الخرسان، الناشر: دار النعمان.
- * بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: للمولى محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت ١١١٠هـ)، تحقيق: مجموعة محققين، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت، ط ٢/ ١٤٠٣هـ.
- * الكافي: للشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، ط ٣/ ١٣٨٨هـ.
- * كمال الدين وتمام النعمة: للشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق) (ت ٣٨١هـ)، تحقيق:

علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين - قم المشرفة، ط ١٤٠٥هـ.

* الغيبة: للشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني و الشيخ علي أحمد ناصح، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، ط ١.

* المحاسن: للشيخ أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني المحدث، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، ط ١٣٧٠هـ.

* مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام: للميرزا السيد محمد تقي الموسوي الاصفهاني (ت ١٣٤٨هـ)، تحقيق: السيد علي عاشور، الناشر مؤسسة الاعلامي، ط ١.



البعد المعرفي في التوقيع المهدوي (وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء)

السيد ميثم مهدي الخطيب

الافتتاحية:

ومنه نستمد العون والتوفيق، بعد الشاء والحمد لله رب العالمين، وأفضل صلاته وأتم تسليمه على نبيه الخاتم الأمين محمد المصطفى ﷺ، المخصوص بالقرب منه حتى ﴿دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(١)، فحَصَّنَه وسدَّه فجعله ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(٢)، وعلى عترته النجباء المعصومين المطهرين عليهم صلوات الله تعالى أجمعين، لاسيما قرّة أعينهم، ومُجَلِّي همومهم، وكاشف كربهم، أمل المستضعفين، ومشيد أركان دولة العدل الإلهي الحجة ابن الحسن المهدي ﷺ.

وبعد، من المعلوم بالضرورة العقلية والشرعية: (أن الأرض لا تخلو من حجة الله تعالى وفي كل زمان، منذ أن خلق الله آدم ﷺ وإلى يوم الساعة، إما ظاهر مشهور، أو غائب مستور؛ لئلا تسيخ الأرض بأهلها، ولولا ذلك لم يُعبد الله)^(٣)، كما قال مولانا الإمام الصادق عليه السلام.

فيكون وجوده المبارك مصدر أمني وأمان للبرية برمتها، ومحل ثقة واطمئنان للبشرية كلها، فيرجعون إليه فيما يحتاجونه من أمورهم الدينية والدينية، فيكون منه الجواب، إما مباشرة، أو بمراسلة وكتاب - عبر وكلائه - بحسب ما تحكمه الظروف.

وهذا ما اقتضته الحكمة الإلهية في إمام زماننا - أرواحنا لتراب مقدمه الفداء - مع شيعته؛ إذ انحصر تواصله معهم بالرسائل والتوقيعات في مرحلة الغيبة الصغرى.

لذا تُعتبر الكتب أو التواقيع الصادرة من الناحية المقدسة من الطرق المهمة المتبعة في تلك الحقبة من الزمن، بحيث شغلت حيزاً واسعاً في الساحة الفكرية في الوسط الشيعي، وهذا ما جعلها تنال حظاً وافراً من العناية آنذاك؛ بحيث أصبحت حلقة وصل بين الإمام ومواليه وبتوسط نوابه، فكانت كإشراقة شمس ينتظرها المنتظرون؛ لتُحيي فيهم الأمل المنشود، وتحلّ عقداً من التساؤلات والإشكالات التي تعترض في أذهان المكلفين، وتتصدى لما يظهر من الشبهات الواهية، والانحرافات الخطيرة ذات المنشأ الفاسد والمبنى الباطل؛ لذا فقد كان لها أثر بارز في صيانة المجتمع وحفظه من التصدّع والتشتت، وحصناً وأماناً من الضياع والانحيار.

أهداف البحث:

للبحث غايات وأهداف كُتب من أجلها، نذكر أهمّها:

أولاً: إلقاء نظرة على أهمية التوقيعات المقدسة ودورها في بيان المعارف الإلهية.

ثانياً: التعرف على دور الأئمة عليهم السلام في تبصير الناس لتقبّل واقع جديد، وتهبّتهم لمنعطف تاريخي كبير يرسم خارطة طريق لكيفية التواصل معهم في غيبتهم.

ثالثاً: التأكيد على أن الأمان متوقّف على وجود قطب عالم الإمكان الحجة المنصوب من قبل الله سبحانه وتعالى.

رابعاً: الوقوف على معرفة حدّ الأمان المراد في قول الإمام عليه السلام.

خامساً: بيان دور النوّاب والمرجعيّات في الغيبة الصغرى والكبرى في تصحيح مسار الإمامة، ورفع مستواها الفكري، وتحصينها من الانحراف والتجهيل.

أركان البحث:

بعد أن وسمنا البحث بعنوان (البعد المعرفي في التوقيع المهدوي: (وإني
لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء)، قمنا بتشكيل
البحث على ثلاث محاور:

الأول: في المقدمة، وقد تناول البحث الحديث فيه عن فوائد لها ارتباط
بالتوقيعات.

والثاني: اختصّ في دور الإمامين عليّ الهاديّ والحسن العسكريّ، في
التمهيد لقضيّة الإمام المهديّ عليه السلام، والثالث: دار البحث فيه عن توقيع
الإمام الحجّة عليه السلام وأبعاده، هذا على نحو الإجمال، وأمّا تفصيله فهو كما يأتي:



المقدّمة:

وقد اشتملت على أربعة فوائد:

الفائدة الأولى: معنى التوقيع.

الفائدة الثانية: أهميّة التوقيع المهدوي وأثره.

الفائدة الثالثة: نظرة على مفاد التوقيعات.

الفائدة الرابعة: إطلالة على أسلوب التوقيعات.

المبحث الأول: العسكريان (عليه السلام) ودورهما في تأصيل قواعد التواصل.

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: الإمام الهادي (عليه السلام) ومرحلة الإدارة والتمهيد.

المطلب الثاني: عهد الإمام العسكري (عليه السلام) استثمار للطاقات وتوظيف

للمعطيات.

المبحث الثاني: إضاءات دلالية على توقيع الحجة (عليه السلام): (وإني لأمان لأهل

الأرض...).

وفيه أربعة إضاءات:

الإضاءة الأولى: الأمان المهدويّ وفق قواعد المنهج القرآني.

الإضاءة الثانية: تأملات بلاغية.

الإضاءة الثالثة: الأمان ضرورة إلهية.

الإضاءة الرابعة: الأمان على الصعيد الفكري والعقائديّ.

الخاتمة: وقد اشتملت على نتائج البحث.

وها نحن سنوردها إليك تبعاً:

المقدمة:

نستعرض في هذه المقدمة عدّة فوائد تتعلّق بمفهوم التوقيع الشريف، وهي كما يأتي:

الفائدة الأولى: معنى التوقيع:

١ - المعنى اللغوي:

التوقيع عند أهل اللغة هو من: وقع، ومنه التوقيع، وهو: ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه، وتوقيع الكاتب في الكتاب المكتوب أن يُجْمَلَ بين تضاعيف سُطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول، فكأنَّ المَوْقِع في الكتاب يُؤثّر في الأمر الذي كُتِب الكتابُ فيه ما يُؤكّده ويُوجبه، والتوقيع: ما يُوقَعُ في الكتاب^(٤).

٢ - المعنى الاصطلاحي:

وأما معناه اصطلاحاً فهو: الكتابة على الرقاع والقصص بما يُعتمد من أمر الولايات والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالملكة، والتحدّث في المظالم، إذ هو سبيل الإطلاق والمنع، والوصل والقطع، والولاية والعزل إلى غير ذلك من الأمور والمهّمات والمتعلّقات السنيّة.

وأما تسميتها بالتوقيع فأصله من التوقيع على حواش القصص وظهورها بما يُعتمد في القضية التي رفعت القصّة بسببها، وكان الخليفة هو الذي يوقّع على القصص ويُحدّثها بنفسه، والكاتب يكتب ما يبرز إليه من توقيعه ويُصرّفه بقلمه على حكمه^(٥).

والذي يخصّصنا منه هو التوقيعات الصادرة من مولانا الإمام المهدي عليه السلام إلى وكلائه وسفرائه وشيعته، في شتّى أمور الدين والدنيا، بما يتعلّق بالأمر والنهي عمّا يسأله أصحاب الإمام عليه السلام، التي كانت تخرج بنفس الخطّ الذي اعتادوا عليه، ولم يتغيّر بتعاقب السفراء^(٦).

الفائدة الثانية: أهمية التوقيع المهدوي وأثره.

من المعلوم أن أهمية الشيء تنشأ من قيمة موضوعه، وبحسب نسبة الاحتياج إليه، فيُعتمد عليه ويُرجع إليه كحل لما هو متعسر في المجال المعين له، ومن ذلك التوقيعات الصادرة من الساحة المقدسة، حيث كانت سبيلاً للوصول لها، وحبّة للجم الأفواه المشكّكة فيها.

وبيان ذلك أنه لما كان حال ثلثة من الشيعة يُرثى لها بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) سنة (٢٦٠هـ)؛ حيث الإرباك والحيرة في أمر الإمام من بعده، وثقافة تقبل فكرة الغيبة، وكيفية الرجوع إليه والوصول إلى حضرته (عليه السلام)، وخاصّة المقيمين في المناطق النائية؛ إذ لم يكن لهم أدنى معرفة بالوكلاء ودورهم آنذاك، فلذا كان للتوقيعات الأثر البالغ في بثّ الاطمئنان بالنفوس، والدور الحساس في الحفاظ على اعتقادات الناس، وتوثيق ارتباطهم بعترة النبي (صلى الله عليه وآله)، فكان محتواها أحد الإثباتات التاريخية المهمة على وجود الإمام الغائب (عليه السلام)، وحبّة دامغة على حدوث الغيبة، ودليلاً متيناً على إبطال تشكيك المشكّكين فيها.

ومن هنا أصبحت بمثابة صمام أمان للأمة تحول دون الضياع والتهيه والانحراف عن جادة الحق، وبنفس الوقت شاهداً حسيّاً على صحّة ارتباط السفراء بالإمام (عليه السلام)، وبرهاناً على صدق دعواهم بالسفارة من قبله.

قال الشيخ الطوسي بعدما ذكر التوقيعات: (قد ذكرنا طرفاً من الأخبار الدالة على إمامة ابن الحسن (عليه السلام)، وثبوت غيبته، ووجود عينه؛ لأنّها أخبار تضمّنت الأخبار بالغائبات، وبالشئ قبل كونه على وجه خارق للعادة، لا يعلم ذلك إلا مَنْ أعلمه الله على لسان نبيّه (صلى الله عليه وآله)، ووصل إليه من جهة مَنْ دلّ الدليل على صدقه، ولولا صدقهم لما كان كذلك؛ لأنّ المعجزات لا تظهر على يد الكذّابين، وإذا ثبت صدقهم دلّ على وجود مَنْ أسندوا ذلك إليه) (٧).

الفائدة الثالثة: نظرة على مفاد التوقيعات.

إنَّ اختلاف محتوى التوقيعات إنّما ينشأ عن اختلاف مواضيعها والمناسبات الواردة فيها، لذا فمن ألقى نظرة عليها يجد أنَّ التصديَّيَّ لحلِّ ما أشكل من المسائل المهمّة التي تواجه الشيعة، ودفع ما لا يدفع من الشبهات وردعها، ومواجهة ما استفحل من الانحرافات والمنحرفين، هو الطابع الغالب عليها، فبعض منها صدر منه عليه السلام بعد سؤال طرح عليه، وبعض خرج منه ابتداءً دون أن يتقدّمها سؤال لأمر طارئ استدعى ذلك، وقد أورد الشيخ الصدوق رحمته الله أكثر من (٤٠) توقيعاً منها، والشيخ الطوسي رحمته الله أكثر من (٣٠)، والشيخ الطبرسي في (الاحتجاج) (١٣)^(٨) توقيعاً، ونحن نقصر هنا على عرض بعض المواضيع التي انطوت عليه هذه التواقيع بشكل عام:

١- أجوبة عن مسائل فقهية، مثل الجواب عن جواز الصلاة عد طلوع الشمس، أو جوازها لمن أمامه نار وصور وسراج، وأجوبة عن مسائل في الخمس، والإرث، وثمرن المغنيّة^(٩).

٢- أجوبة عن مسائل عقائدية، مثل الجواب عن مسألة وجود الإمام المهدي عليه السلام، ومسألة أنَّ الإمام الحسين عليه السلام لم يُقتل، والجواب على كيفية تسلط عدو الله على قتل الإمام الحسين عليه السلام^(١٠).

٣- أجوبة عن مسائل اجتماعية، مثل طلب الدعاء من الإمام عليه السلام لقضاء الحاجة وتفريج الهم، وجوابه عليه السلام عن إصلاح حال الزوجة المغاضبة لزوجها^(١١).

٤- توقيعات بلعن الكذّابين والمدّعين السفارة المهدويّة، مثل ما صدر في حقّ الهلاليّ والشلمغانيّ^(١٢).

٥- توقيعات توثيقية لبعض الشيعة، مثل ما صدر عنه عليه السلام في توثيق محمّد بن عثمان وأبيه، والحسين بن روح النوبختي^(١٣).



٦- توقيعات تفصح عن معاجزه ﷺ وكراماته^(١٤).

٧- توقيعات في الأدعية والزيارات، مثل دعائه في القنوت^(١٥)، وزيارة الناحية المقدسة^(١٦).

الفائدة الرابعة: إطلالة على أسلوب التوقيعات.

عند تصفّح النصوص الشريفة للتوقيعات المقدسة، نجد أنّها منبع لعناصر الفن الأدبي الرفيع؛ كيف لا؟! وأنّ كلام الإمام إمام الكلام، فلذا كنا نلاحظ البلاغة في الأسلوب الخطابي قائم بين العبارات، والاقتصاد في الألفاظ مع قوّة البيان والتبيين حاضر في المنطوق، والشموليّة في النصّ لكل عصر متحقّقة في المفهوم والمعنى.

لكن مع أنّها جامعة بين الاختصار والكمال، واحتوائها على أغلب فنون الأدب والبلاغة، نرى أنّ أقلام الباحثين والكتاب المختصّين شحيحة في تناول هذه الجنبّة المهمّة البارزة فيها، وكان جلّ اهتمامهم الجمع والتأليف والضبط^(١٧).

المبحث الأوّل:

العسكريان ﷺ ودورهما في تأصيل قواعد التواصل

إنّ الواقع السياسيّ الحاكم آنذاك ألقي بظلاله سلباً على الحياة العامّة للشيعّة، بحيث وصل الأمر إلى المنع من ملاقات الإمامين العسكريين ﷺ، فكانت الحاجة ملحةً إلى اعتماد الوكلاء، وتوظيف المكاتبات والرسائل؛ كحلّ بديل لإبقاء التواصل معهم، وبطبيعة الحال فإنّ هذه الحالة خلقت انعطافاً تاريخيّة جوهريّة في الفكر الشيعيّ، تمهّد لمعالم المرحلة القادمة في التعامل مع واقع جديد حين غيبة الإمام المهديّ ﷺ، وهذا ما سنبيّنه في مطالب هذا المبحث.

المطلب الأول: الإمام الهادي عليه السلام ومرحلة الإدارة والتمهيد.

في هذه المرحلة المفصليّة استطاع الامام الهادي عليه السلام أن يحوّل الفكر المهدي في أذهان الأمّة إلى واقع فعلي وعملي في مسار التمهيد ليوم الظهور، وإخبارها بحتميّة وقوع الغيبة له، وأن يعدّ خارطة طريق تبين القناة التي يمكن من خلالها التواصل مع الإمام الغائب عليه السلام.

ومن هنا أخذت خيوط هذه الخارطة تتّضح معالمها، بل تفرض وجودها؛ بعد ما انتهج العباسيون سياسة الإقصاء، والعزل، والمراقبة وبثّ العيون، تجاه أهل البيت عليه السلام، ومنع شيعتهم من الوصول إليهم. لذا فقد قام الإمام الهادي عليه السلام بالتمهيد لمهامّ متنوّعة، وفي مجالات شتّى، ضمن تخطيط بعيد المدى، يقف أمام تعسّف السلطات الحاكمة، وانحرافات التي تنتهي إلى تنازل الأمّة عن الإسلام الصحيح، ومن ثمّ ضمور الشريعة وانحيار الرسالة بشكل كامل، وسنتطرّق هنا لذكر بعض هذه المهام التي تكفل بها الإمام الهادي عليه السلام.

أولاً: النظر في الأمّ المثاليّة للحجّة عليه السلام.

إنّ السعي في تطبيق إرادة السماء لاختيار الأمّ الصالحة للإمام الحجّة عليه السلام، بحيث تكون مؤهّلة للقيام بدور أمّ موسى عليه السلام في إخفاء ولادة ابنها والحفاظ عليه، كان من أولويّات الإمام الهادي عليه السلام، وهذا لا يعني أنّ الإمام لا يعلم أنّ أمّ الإمام من ستكون، بل عنده إحاطة تامّة بكل مجريات الأمور، لكن تركها تجري بأسبابها ومسبّباتها الطبيعيّة ولتدبير الباري سبحانه، كما جاءت الأخبار تدلّ على ذلك.

منها ما روي عن أبي الحسين محمد بن بحر الشيباني، عن بشر بن سليمان النخاس من ولد أبي أيوب الأنصاري أحد موالى أبي الحسن وأبي



محمد قال: (جاءني كافور الخادم رسولاً من مولانا أبي الحسن علي بن محمد يدعوني إليه، فذهبت ودخلت عليه، فرأيتَه يحدث ابنه أبا محمد عليه السلام وأخته حكيمة عليها السلام من وراء الستر، فجلست وتحدثت معي، ثم كتب كتاباً ملطفاً بخط ولغة روميّة، وطبع عليه خاتمه، وأخرج مائتان وعشرون ديناراً، وطلب منّي أن أتوجّه به إلى بغداد إلى مكان السبايا؛ لأشتري له جارية من عمرو بن يزيد النخّاس، وأعطاني أوصافها، ففعلت كما أمر. فلما أوصلت الجارية إلى بيت الإمام استبشر ورّحّب بها، ثم قال عليه السلام لها: كيف أراك الله عز وجل الإسلام، وذللّ النصرانيّة، وشرف أهل بيت نبيّه محمد عليه السلام؟ قالت: كيف أصف لك يا بن رسول الله ما أنت أعلم به منّي؟ قال: فإني أحبّ أن أكرمك، فأيهما أحبّ إليك: عشرة آلاف درهم أم بشرى لك فيها شرف الأبد؟

قالت: بل البشري، قال عليه السلام: فأبشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً، ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً.

قالت: ممّن؟ قال عليه السلام: ممّن خطبك رسول الله ﷺ ليلة كذا، من شهر كذا، من سنة كذا بالروميّة، قالت: من المسيح أو وصيّيه؟ قال عليه السلام: فممّن زوجك المسيح ووصيّيه؟ قالت: هل اسمك أبي محمد؟ قال عليه السلام: فهل تعرفينه؟ قالت: فهل خلت ليلة من زيارته إياي منذ الليلة التي أسلمت فيها على يد سيّدة نساء العالمين أمّه؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: ياكافور، ادعُ لي أختي حكيمة، فلما دخلت عليه قال عليه السلام لها: ها هي، فاعتنقتها أخته طويلاً، وسألها كثيراً، فقال مولانا عليه السلام: يا بنت رسول الله، أخرجيها إلى منزلك وعلمّيها الفرائض والسنن؛ فإنّها زوجة أبي محمد، وأمّ القائم^(١٨).

ثانياً: تجذير العقيدة المهدوية في المجتمع.

شغلت القضية المهدوية حيزاً كبيراً من اهتمام الإمام عليّ الهادي (عليه السلام)؛ فكان يطرحها بنظرة شمولية، بهدف تأصيلها في المجتمع، وتشخيص معالمها وترتب آثارها في الواقع الخارجي، ونجد ذلك واضحاً عند تتبع الروايات الصادرة عنه، منها: ما رواه عليّ بن محمد الصيمري، عن عليّ بن مهزيار، قال: (كتب إلى أبي الحسن صاحب العسكر (عليه السلام) أسأله عن الفرج، فكتب إليّ: إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقّعوا الفرج) (١٩).

ومنها: ما ورد عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: (سمعت أبا الحسن صاحب العسكر (عليه السلام) يقول: الخلف من بعدي ابني الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟ فقلت: ولم جعلني الله فداك؟ فقال: لأنكم لا ترون شخصه، ولا يحلّ لكم ذكره باسمه، قلت: فكيف نذكره؟ قال: قولوا: الحجة من آل محمد (عليه السلام) (٢٠).

ومنها: ما حدث به عبد الله بن أحمد الموصلي، قال: (حدثنا الصقر بن أبي دلف، قال: سمعت عليّ بن محمد بن عليّ الرضا (عليه السلام) يقول: إن الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً) (٢١).

ومنها: ما أخبر به عليّ بن عبد الغفار، حيث قال: (لما مات أبو جعفر الثاني (عليه السلام) كتبت الشيعة إلى أبي الحسن صاحب العسكر (عليه السلام) يسألونه عن الأمر، فكتب (عليه السلام): الأمر لي ما دمت حيّاً، فإذا نزلت بي مقادير الله تبارك وتعالى أتاكم الخلف منّي، فأنتي لكم بالخلف من بعد الخلف) (٢٢).

ثالثاً: احتجابه (عليه السلام) وتحديد قنوات التواصل به.

إنّ الموقع الديني والاجتماعي الذي حضي به الإمام الهادي (عليه السلام) بين المسلمين غاض حكام بني العباس، وأجج مضاجعهم، ممّا دفعهم

إلى انتهاج سياسة التضييق والرقابة المشدّدة بحقه، وجعله تحت الإقامة الجبريّة، وممارسة التعتيم الإعلامي ضده، وحرف الأنظار عنه وتوجيهها إلى مناوئيه.

ومن هنا اتخذ الإمام الهادي عليه السلام المناسب من التدابير، فقلّل الاتصال بشيعته، وحذّرهم بكتم نشاطاتهم وتحركاتهم^(٢٣)؛ لدواعي احترازية وقائيّة، تُجنّبهم من تحرك السلطة ضدهم، وأخرى إعداديّة تمهيدية، تُهيئ الأجيال الحاضرة والقادمة إلى تحمّل المسؤولية في غيبتهم، وكلّها ذات آثار إيجابيّة يعود نفعها على الأمّة.

ولذا أعدّ الإمام الهادي عليه السلام في هذه المرحلة منهجاً دقيقاً كان في غاية الأهميّة؛ حيث شرع بتقنين وإدارة وهيكلية منظومة الاتصال به مع شيعته، وكان ذلك بإعداد وتهيئة النخب الصالحة من الوكلاء والنواب^(٢٤)، أخذاً بنظر الاعتبار اختلافهم في درجات الوثاقة، ومراتب العدالة، والمنزلة العلميّة؛ ليتقلّ تكليفهم من الإفتاء وجمع الحقوق، إلى مرحلة التصديّ لأُمور الناس العقديّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، والسياسيّة، وفي شتّى أنحاء البلاد الإسلاميّة؛ ليكونوا حلقة الوصل بينه وبينهم، عبر الرسائل الشفويّة أو التوقيعات الشريفة الكتبيّة^(٢٥)، لتكون الأمل لحلّ مشاكلهم، والملجأ لما يحتاجون إليه من أمر دنياهم ودينهم، والمنفذ لدفع شبهات المغرضين، وبدع المبتدعين، وانحراف المنحرفين.

قال الخصيبي في (الهداية)، والمسعودي في (إثبات الوصيّة): (إنّ أبا الحسن الهادي عليه السلام صاحب العسكر احتجب عن كثير من الشيعة إلّا عن عدد يسير من خواصّه، فلما أفضى الأمر إلى أبي محمّد عليه السلام كان يُكلّم شيعته الخواصّ وغيرهم من وراء الستر، إلّا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان، وإنّما ذلك مقدمة لغيبة صاحب الزمان)^(٢٦).

وعليه فإنّ ما قام به الإمام الهادي عليه السلام - من الاحتجاب عن شيعته، واصطفاء مجموعة من أصحابه لتسنّم منصب الوكالة - كان له دور فاعل في استقرار الأمن في المنظومة المجتمعيّة الشيعيّة وغيرها، وإنقاذ الناس من السلطات، والمحافظة عليها من التيه، والإعداد للدخول في عصر الغيبة، وتجنّب إحداث صدمة الانقطاع عن المعصوم عليه السلام بعدما كان ذلك مألوفاً عندهم.

المطلب الثاني: عهد الإمام العسكري عليه السلام استثمار للطاقات وتوظيف

للمعطيات

إنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام هم مشروع إلهي متكامل لا يقبل التجزئة، وإن تعدّدت الأدوار فالهدف واحد، فإنّ لكلّ إمام دور مكلف به من قبل الله تعالى يقوم به، مع ذلك أنّ كلّ واحد منهم مكمل لمنهج الآخر ولا ينفك عنه. ومنه يتّضح أنّ منجزات عهد الإمام العسكري عليه السلام جذورها ثمار عهد الإمام الهادي عليه السلام؛ إذ عمد الإمام العسكري عليه السلام لتوظيف ما أفرزته المرحلة السابقة من مخزون فكريّ وعقائديّ وإداريّ وغيرها في تنمية وترسيخ المفاهيم المطلوبة للمرحلة المقبلة، وهذا ما سنلخصه بأمرين:

الأمر الأول: الإعداد لمرحلة الاستحقاق الإلهي.

إنّ التخطيط لتحقيق دولة العدل الإلهي العالميّة يتطلّب اصطفاء قيادة حكيمة معصومة وفوق الشبهات؛ تضمن ديمومة الرسالة السماويّة وصيانتها من التحريف، وتتولّى إدارة شؤون الأئمة على ضوء قوانين الشريعة الإسلاميّة، وتحفظها من الضلال، وقد وضع رسول الله ﷺ اللبنة الأساس لذلك، بقوله ﷺ: (إنّي تارك فيكم الثقلين، ما أن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض) (٢٧).

وهنا قد أشار عليه السلام لمضمون عالي الدقة هو: (أن الأرض لا تخلو من حجة لله عز وجل على عباده)^(٢٨)، وهذا يدل على أن الله سبحانه جعل الحجة أولاً^(٢٩)، ثم بعد ذلك خلق الناس؛ وإلا: (لو خلت الأرض طرفة من حجة لساخت بأهلها)^(٣٠)؛ ولذا فقد بعث الله سبحانه حججه من الأنبياء والرسل وختمهم بالنبي الأعظم، ثم من بعده أوصيائه عليه السلام، وآخرهم المهدي عليه السلام المخفي ولادته^(٣١)، والموعود بظهوره بعد غيبته^(٣٢).

وقد شاءت الحكمة الإلهية أن يكون الإمام العسكري عليه السلام هو الراعي له عليه السلام في هذه المرحلة المحورية في التاريخ الكوني؛ ليكون حلقة الوصل بين الإمامة الحاضرة والإمامة المستترة الغائبة؛ لذا أخذ عليه السلام يفعل المنهج الذي سار عليه والده الهادي عليه السلام، ويهيئ الظروف اللازمة التي تناسب مع هذا الحدث العالمي، من حيث التمهيد لولادته، وإخفاء أمره عليه السلام عن مناوئيه، وتحصين شيعته، متحدّياً خطورة الوضع السياسي المضطرب آنذاك، وتنامي جذوة الحقد المثيرة لغريزة الانتقام في صدور الحكام تجاه الطائفة المقهورة المتوترة، مع تشديد الرقابة على تحركاته مع مواليه؛ للتحسّس عن أمر الإمام الموعود.

وهذه العقبات زادت من صعوبة مهمّة الإمام عليه السلام، ما حدى به إلى التواري عن الأنظار أكثر ممّا كان عليه أبوه عليه السلام، والتكتّم على أمر ولده عليه السلام هملاً وولادة ونشأة، حتّى على المقرّين، والتخطيط لمواجهة التحديات؛ لحمايته من يد الظالمين.

قال الشيخ المفيد: (كان قد أخفى مولده، وستر أمره؛ لصعوبة الوقت، وشدة طلب سلطان الزمان له، واجتهاده في البحث عن أمره، ولما شاع من مذهب الشيعة الإمامية فيه، وعرف من انتظارهم له، فلم يظهر ولده عليه السلام في حياته)^(٣٣).

وقد نقلت لنا السيِّدة حكيمة مجريات ما حدث من قصَّة ولادته ﷺ ودرجة التكتُّم عليها؛ كونها القائمة بدور القابلة في ذلك الحين، فقالت ﷺ: (بعث إليَّ أبو محمَّد الحسن بن عليٍّ، فقال ﷺ: يا عمَّة، اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا؛ فإنَّها ليلة النصف من شعبان، فإنَّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجَّة، وهو حجَّته في أرضه، قالت: فقلت له: ومن أمِّه؟ قال لي ﷺ: نرجس، قلت له: جعلني الله فداك ما بها أثر، فقال ﷺ: هو ما أقول لك، قالت: فجئت، فلما سلَّمت وجلست جاءت تنزع خفيَّي وقالت لي: يا سيِّدتي وسيِّدة أهلي كيف أمسيت؟ فقلت: بل أنت سيِّدتي وسيِّدة أهلي، قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمَّة؟ فقلت لها: يا بنيَّة، إنَّ الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيِّداً في الدنيا والآخرة، قالت: فحجَّلت واستحيت.

فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرتُ وأخذتُ مضجعي فرقدتُ، فلما أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغتُ من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث، ثمَّ جلستُ معقَّبة، ثمَّ اضطجعت، ثمَّ انتبهتُ فزعة وهي راقدة، ثمَّ قامت فصلَّت ونامت.

قالت حكيمة: وخرجتُ أتفقَّد الفجر فإذا أنا بالفجر الأوَّل وهي نائمة، فدخلني الشكوك، فصاح بي أبو محمَّد ﷺ من المجلس: لا تعجلي يا عمَّة، فهاك الأمر قد قرب.

قالت: فجلست وقرأت (ألم السجدة) و(يس)، فبينما أنا كذلك إذ انتبهت فزعة فوثبت إليها، فقلت: اسم الله عليك، ثمَّ قلت لها: أتحسِّين شيئاً؟ قالت: نعم يا عمَّة، فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك، قالت: فأخذتني فترة وأخذتها فترة فانتبهت بحس سيِّدي، فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به ﷺ ساجداً يتلقَّى الأرض بمساجده، فضمَّته إليَّ، فإذا أنا به نظيف متنظَّف.

فصاح بي أبو محمد عليه السلام: هلمّي إليّ ابني يا عمّة، فجئت به إليه، فوضعه على صدره ثم أدلى لسانه في فيه وأمر يده على عينيه وسمعه ومفاصله، ثم قال عليه السلام: تكلم يا بني، فقال عليه السلام: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة عليهم السلام إلى أن وقف على أبيه، ثم أحجم.

قالت السيّدّة حكيمّة: لما كان اليوم السابع جئت صباحاً لأسلم على أبي محمد عليه السلام، وكشفت الستر؛ لأتفقّد سيدي عليه السلام، فلم أره، فقلت: جعلت فداك، ما فعل سيدي؟ فقال: يا عمّة، استودعناه الذي استودعته أم موسى عليها السلام ^(٣٤).

مع ذلك سعى الإمام العسكري عليه السلام جاهداً بإعداد الأئمة فكرياً وعملياً لتقبّل مسألة غيبة الإمام عليه السلام، مطالباً شيعته بالثبات والإيمان والصبر، قال الحسن بن محمد بن صالح البزاز: (سمعت الحسن بن عليّ العسكري يقول: إنّ ابني هو القائم من بعدي، وهو الذي يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام بالتعمير والغيبة، حتّى تقسو القلوب؛ لطول الأمد، فلا يثبت على القول به إلاّ من كتب الله عز وجل في قلبه الإيمان، وأيده بروح منه) ^(٣٥).

بل عرفه لهم وقرن مصائر عاقبتهم بمعرفته، كما حدّث بذلك محمد بن عثمان العمريّ - قدس الله روحه - إذ قال: (سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن عليّ، وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام: (أنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله على خلقه إلى يوم القيامة)، وأنّ (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة)، فقال عليه السلام: إنّ هذا حقّ كما أنّ النهار حقّ، ف قيل له: يا بن رسول الله، فمن الحجّة والإمام بعدك؟ فقال: ابني محمد، هو الإمام والحجّة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهليّة، أما إنّ له غيبة تجار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقتون) ^(٣٦).

ويتلخّص من ذلك أنّ الإمام العسكري عليه السلام استطاع طرح قضية الإمام المهدي عليه السلام وولادته بمنتهى الحذر والحكمة، رغم قساوة الظروف المحيطة به عليه السلام.

الأمر الثاني: آلية توكيد نظام الوكلاء ومنهج التوقيع في مسار الإعداد للغيبة.

إنّ للإمام العسكري عليه السلام دوراً فاعلاً في ديمومة وتثبيت نظام النواب والوكلاء، وتعزيز ثقافة التوقعات في الأمة؛ تمهيداً لقضية الغيبة، فراضاً بذلك معادلة صعبة، وسط زحام الانحرافات العقائدية، والأفكار الملوثة، فنهض عليه السلام في إنجاز هذه المهمة التي تعتبر خلاصة ما جاءت به جهود الإمامة السابقة، من خلال وضع خطة مدروسة ترسم صورة مشهد التعامل مع الواقع المستقبلي، آخذةً بالحسبان اتساع قاعدة الموالين لأهل البيت عليه السلام جغرافياً.

وهذه القاعدة الشعبية الكبيرة الموالية للإمام عليه السلام كان بعضها في مرحلة اختبار لفهمها السطحي بما يجري في الساحة، فكان ولا بدّ من توعيتها والنهوض بواقعها المعرفي؛ ليكون لها حضور فاعل منسجم مع منهج المعصوم الذي يستدعي إحكام زمام الأمور لمرحلة انتقالية جوهريّة من عصر الحضور إلى عصر الغيبة؛ وإبقاء سبل التواصل بين القاعدة والقائد، فكان نظام الوكلاء الحل البديل الأمثل ليكون الوسيط الأنسب للارتباط بالإمام عليه السلام، شفويّاً وكتيباً.

ومن هنا كان الشغل الشاغل للإمام عليه السلام اعتماد آلية متينة لاختيار رجال ثقات، محرز جدارتهم لتولّي هذا الدور الريادي، وشائع مقبوليّتهم في الوسط الاجتماعي، ناهيك عن حرصه التام على مراقبة جميع نشاطاتهم وسلوكيّاتهم من قبله مباشرة، وعمله على دوام نزاهتهم من التهمة والخيانة

بالتنبيه والتذكير؛ لذا فإنَّ أي انحراف يصدر منهم سرعان ما يصدر الأمر بإزالة التهم وتبليغ الناس بانحرافهم، وهذا يكشف عن مدى صعوبة المسؤولية الملقاة عليهم، وأهمية الدور الذي يتحمّلونه.

لكن ليس من السهل إعداد مثل هكذا مؤسسة كبيرة الحجم، واسعة المهام، مترامية الأطراف، فهو يتطلّب جهوداً منقطعة النظير لتحقيق سلاسة الانتقال إلى عصر الغيبة والانقطاع، وتأخذ بعين الاعتبار تلبية حاجات أبناء الطائفة، وانتشالهم من الحيرة والضياغ.

وعليه فقد أخذ الإمام عليه السلام يُعدّ أساليب محكمة لمتابعة عمل الوكلاء وتقويم أفعالهم وتحسينهم من الإعداء، ومن أهمّها ملخصاً:

١- اتباع منهج التسلسل الرتبي، والإدارة المركزيّة، وذلك باختيار مجموعة خاصّة تلتقي بالإمام وتكون حلقة الوصل بينه وبين باقي الوكلاء في المناطق الأخرى؛ خوفاً عليهم من السلطات، وفي مقدّمة الخواصّ المخضرم في الوكالة، الصادق في الأمانة عثمان بن سعيد العمريّ؛ إذ كان من وكلاء الإمام المهادي عليه السلام وموضع اعتماده، ثم صار وكيلاً لابنه العسكري عليه السلام، وبعد ذلك أصبح أوّل سفراء الإمام المهديّ عليه السلام في الغيبة الصغرى، فكان الوكلاء الباقين يرجعون إليه؛ لنقل حوائجهم إلى الإمام ^(٣٧).

قال أحمد بن إسحاق: سألت أبا محمّد العسكريّ: مَنْ أعامل، أو عمّن آخذ، وقول مَنْ أقبل؟ فقال عليه السلام: (العمريّ وابنه ثقتان، فما أدّيا إليك عنّي فعنّي يؤدّيان، وما قالاك لك فعنّي يقولان، فاسمع لهما وأطعهما؛ فإنّهما الثقتان المأمونان) ^(٣٨).

٢- بثّ الوكلاء، المأمونين على حلال الله وحرامه في كلّ مكان يتواجد فيه الشيعة؛ حفاظاً على تماسك النسيج المجتمعيّ الشيعي، وعدم انهياره في مراحل انتقال الأمر من إمام إلى إمام آخر في هذه الظروف الصعبة، ومنهم

إبراهيم بن عبدة النيسابوري^(٣٩)، ومحمد بن أحمد بن جعفر، وجعفر بن سهيل الصيقل، وقد أدركا أباه وابنه^(٤٠).

٣- تنظيم العمل وتوزيع المهام حسب المصلحة العامة، للأمن من التداخل في الصلاحيات، والتضارب بالأدوار، كما جاء في رسالته ﷺ إلى عبد الله البيهقي قائلاً: (فقد نصبت لكم إبراهيم بن عبدة؛ ليدفع إليه النواحي وأهل ناحيتك حقوقي الواجبة عليكم، وجعلته ثقتي وأميني عند موالي هناك..)^(٤١).

٤- دعوته ﷺ نوابه وشيعته إلى التزام الكتمان في التعاملات، وأخذ الحيلة والحذر في نقل الأخبار؛ خوفاً من وشاة السلطان، قال محمد بن عبد العزيز البلخي: (أصبحت يوماً، فجلست في شارع الغنم، فإذا بأبي محمد قد أقبل من منزله يُريد دار العامة، فقلت في نفسي: ترى إن صحّت: أيها الناس، هذا حجة الله عليكم فاعرفوه، يقتلونني؟ فلما دني مني، أومئ بإصبعه السبابة على فيه أن أسكت، ورأيتَه تلك الليلة يقول، إنما هو الكتمان، أو القتل، فاتّق الله على نفسك)^(٤٢).

وكذا تحذيره عليه السلام داود بن الأسود عندما أرسل معه أمانة للعمري وكاد ينكشف أمره، واعتذر من الإمام عليه السلام، فقال له الإمام: (إياك بعدها أن تعود إلى مثلها، وإذا سمعت لنا شائماً فامض لسبيلك التي أمرت بها، وإياك أن تُجاوب من يشتمننا، أو تُعرّفه من أنت؛ فإننا ببلد سوء، ومصر سوء، وامض في طريقك، فإن أخبارك وأحوالك ترد إلينا، فاعلم ذلك)^(٤٣).

٥- تحديده عليه السلام آلية لتوثيق الكتب الصادرة منه عليه السلام وتأكيده نسبتها إليه؛ خوفاً من التلاعب والتزوير، ورفع الإيهام والملابسات التي ربّما تعرض على أصحابه، وذلك من خلال التعرّف على خطّه المبارك، وتوقيعه الشريف، فأخذوا يطلبون ذلك منه، قال أحمد بن إسحاق: (دخلت على أبي محمد عليه السلام،

فسألته أن يكتب لأنظر إلى خطّه فأعرفه إذا ورد، فقال: نعم، ثم قال: يا أحد، إن الخطّ سيختلف عليك من بين القلم الغليظ إلى القلم الدقيق، فلا تشكّن، ثم دعا بالدواة فكتب، وجعل يستمدّ إلى مجرى الدواة^(٤٤).

٦- قيامه ﷺ بإقضاء من تظهر عليه شائبة الانحراف من الوكلاء؛ لقطع دابر المندسين والمتعاونين، ولتحصين المؤسسة من التخلخل والإرباك، كما فعل بعروة بن يحيى البغدادي، قال محمد بن موسى الهمداني: (إنّ عروة بن يحيى البغدادي المعروف بالدهقان - لعنه الله - كان يُكذّب على أبي الحسن عليّ بن محمد، وعلى أبي محمد الحسن بن علي، وكان يقطع أمواله لنفسه دونه، ويُكذّب عليه، حتّى لعنه أبو محمد ﷺ، وأمر شيعة بلعنه، والدعاء عليه لقطع الأموال، لعنه الله)^(٤٥).

المبحث الثاني:

إضاءات دلالية على توقيع الحجة ﷺ: (وإني لأمان لأهل الأرض...) بطبيعة الحال أنّ قضية الإمام المهديّ ﷺ وغيبته تشكّل انعطافة تاريخيّة جوهرية لها أبعادها التي تلقي بضلالها على جميع مفاصل الحياة؛ فارضة واقعاً جديداً يحتاج إلى آليّة تتناسب مع معطيات المرحلة، وضيفتها الإبقاء على أواشج الاتصال به ﷺ.

فكانت التوقيعات الصادرة منه ﷺ بواسطة نوابه هي البديل المناسب، التي لها الأثر الكبير، ومنها قوله ﷺ: (وإني لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء)، الذي يُسلّط الضوء على أحد أهمّ النعم الإلهية التي أشار لها النبيّ الأعظم ﷺ في قوله: (نعمتان مجهولتان الأمن والعافية)^(٤٦)، والذي يحمل بين طيّاته دلالات ونكات مهمّة سنقف على بعض منها تباعاً في هذا المبحث، وهي:

الإضاعة الأولى: الأمان المهدويّ وفق قواعد المنهج القرآنيّ.

إنّ مسألة الأمان من المفاهيم التي لها تقادم زمني وجوديّ، جرت الإشارة إليها والتوكيد عليها منذ أن شاءت الإرادة الإلهيّة جعل خليفة على وجه هذه البسيطة؛ كما توثّقه لنا بالضمن الحواريّة التي جرت بين الملائكة والباري سبحانه، عندما قال: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فاستفهمت الملائكة وجه المصلحة من ذلك، حيث ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، فقال الله عز وجل: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤٧)، من المصلحة والحكمة^(٤٨).

ومن هنا حرص الدين الإسلاميّ على ترسيخ قواعد الأمان بإتقان، معتمداً على أمور عدّة، من أهمّها:

الأمر الأوّل: جعل قوانين متفاوتة بين الترغيب والترهيب، الهدف منها تحصين السلم الأهلي والمجتمعي من الانهيار، وتدعو إلى التعايش وفق احترام الحريّات، وعدم التعديّ على حقوق الآخرين، نذكر نماذج منها:

١- الحكم بإنزال أشدّ العقوبات بمن يتسبّب بالإخلال بالنظام العام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٤٩).

٢- القصاص العادل من المعتدي؛ الذي يُساعد بشكل كبير على انحسار الجريمة، والردع من الإقدام عليها، بما يحفظ حقوق الناس وعدم التهاون بها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥٠)، والغرض من ذلك ديمومة الحياة والعيش بسلام، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٥١).

٣- الدعوة إلى الوقوف بحزم أمام مؤامرات أعداء الدين، واعداء إياهم بالتعويض والوفاء مقابل ذلك، كما بيّنه قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٥٢).

٤- تشريع قوانين تضمن حقوق الإنسان بما هو إنسان، وبيان حدودها وأهدافها، وهذا له تأثير بالغ الأهمية في عكس الصورة الرحمانية للإسلام الخفيف، منها ما جاء في كيفية التعامل مع المشركين إذا ما استجاروا بالمسلمين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٣)، وهذه من أروع صور الأمان التي يذكرها القرآن الكريم.

الأمر الثاني: اعتماد أمور ومعالم معينة تساهم في إرساء الأمان في المجتمع، بل بعض منها يتوقف أمان عالم الإمكان عليها، بعد جعل القدسية لها، وإضفاء الشرعية عليها، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- مكة المكرمة: فقد جعلها الباري سبحانه مكاناً آمناً للناس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (٥٤)، بعد أن طلب إبراهيم عليه السلام ذلك منه سبحانه، حيث قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (٥٥).

وهذا الحكم لم يقتصر موضوعه على الإنسان فحسب، بل سرى ليشمل حتى الحيوان، مؤكداً على استحقاق العقوبة في حال المخالفة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِالْغِ كَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ

٣- قالت فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها: (فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك... وإمامتنا أماناً للفرقة) (٦٣).

٤- قال الإمام عليّ بن الحسين: (ونحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها) (٦٤).

٥- قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ونحن أمان لأهل الأرض فإذا ذهبنا جاء أهل الأرض ما يوعدون) (٦٥).

٦- قال الإمام المهديّ بن الحسن العسكريّ، في التوقيع الصادر منه: (وإني لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء) (٦٦).

ونستخلص من ذلك كلّهُ أنّ جميع ما يصدر من تشريعات أو أحكام لها تعلّق بهذا الموضوع، يشكّل منظومة وقائيّة، وإجراءات احترازيّة تنظيميّة؛ الهدف منها إقامة العدل، ونبذ الظلم، ونشر الأمان في ربوع المعمورة، وللحيلولة دون الانزلاق في الفوضى، وعدم استقرار النظام العام.

الإضاءة الثانية: الوقوف على نكات بلاغيّة.

إنّ مَنْ اطّلع على أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) يجد أنّها تتوّشّع بأسلوب بلاغيّ رفيع، أنيقة أثوابه، وقشبيّة أبراده، منمّق بسحر البيان، ومرصّع بكنوز الفصاحة، هو أقرب للإيجاز من الإطناب، والتوقيع الصادر عن الإمام الحجّة ابن الحسن - الذي هو محلّ البحث - هو واحد منها.

فقد شكّلت فقراته صورة بلاغيّة متكاملة، يُحدّد معالمها التشبيه الذي يُعدّ من أساليب البيان، والذي هو إثبات صفة لموصوف مع التوضيح، أو وجه من البلاغة، مع التوجّه إلى شيء آخر تكون هذه الصفة واضحة فيه، والعزم على عقد مماثلة بين الاثنين تُجعل وسيلة لتوضيح الصفة، أو المبالغة في إثباتها، لهذا كان التشبيه أوّل طريقة تدلّ عليه الطبيعة لبيان المعنى (٦٧)،



وللوقوف ملخصاً على خصائص هذه الصورة يتطلّب منا عرضها على القواعد البلاغيّة وتطبيقها عليها، بعد أن نلقي نظرة على معنى التشبيه وأركانها؛ لتتضح المسألة، وإليك بيان ذلك:

لا يخفى على أهل العلم أنّ التشبيه هو التمثيل لغة^(٦٨)، وعقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قُصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة؛ لغرض يقصده المتكلم اصطلاحاً^(٦٩)، وأنّ أركان التشبيه هي أربعة:

- ١- المشبّه: هو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره.
- ٢- المشبّه به: هو الأمر الذي يلحق به المشبه.
- ٣- وجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به أقوى منه في المشبه.

٤- أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدل على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به^(٧٠). ولما نأتي إلى التوقيع ونطبّق هذه القواعد عليه نجد أنّ الإمام (عليه السلام) قد شبه ضرورة احتياج أهل الأرض له كاحتياج أهل السماء للنجوم في خصوصيّة الأمان.

فالمشبّه: هو أنّ الإمام سبب لأمان أهل الأرض، والمشبّه به: هو أنّ النجوم سبب لأمان أهل السماء، وأداة التشبيه: (الكاف)، ووجه الشبه: الأمان، ومن ذلك نحصل على نتائج عدّة، نُشير إلى بعض منها:

أ- التشبيه في الحديث - وهو الأمان - عقليّ وليس بحسّي، والعقليّ أوضح وأشهر للمخاطب، وفيه وضوح سببيّة الأمان في النجوم أوضح^(٧١).

ب- التشبيه فيه مرسل؛ لذكر الأداة فيه، وهي (الكاف)^(٧٢).

ج- التشبيه فيه مفصّل؛ حيث ذكر فيه وجه الشبه، وهو الأمان^(٧٣).

د- التشبيه فيه تمثليّ؛ لأنّه هيئة تركيبية منتزعة من أمور متعدّدة، وهو أبلغ من غيره^(٧٤).



الشيخ
العلامة
الفاضل
المجاهد
الشيخ
العلامة
الفاضل
المجاهد

هـ- الغرض من هذا التشبيه هو بيان إمكان حال المشبه؛ وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له، معروف واضح مسلم به؛ ليثبت في ذهن السامع ويُقرّره^(٧٥).

الإضاءة الثالثة: الأمان ضرورة إلهية.

من الثوابت القطعية في الأديان السماوية أن خالق الأرض ومن عليها ومدبر شؤونها هو الله سبحانه، وقد شاءت حكمته أن يجعل خليفة له فيها، ليكون مصدر استقرار وأمان لها، فبالأمان تطبّق القوانين، ويعمّ العدل، وتسعد البشرية، وإلا إذا انتهكت حرّيات الله، وتعطلت أحكامه يعمّها البلاء والهلاك، والشواهد القرآنية دالة على ذلك، منها: ما حلّ بقوم نوح عليه السلام من الغرق، لما تركهم وركب السفينة هو ومن آمن به، بعدما وعظهم وأنذرهم: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾^(٧٦).

ومنها: ما حلّ بقوم لوط عليه السلام من الهلاك حينما تملأوا بالمعصية، بعدما أمر الله تعالى نبيه ومن آمن به بمغادرة القرية، وقال له: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابُهُمْ إِنَّا مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾^(٧٧).

ومنها: ما صدح به القرآن الكريم، من أن وجود النبي محمد عليه السلام بين ظهرائي الأمة هو مصدر الأمان لها، قائلًا: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(٧٨)، ولكن نعمة هذا الأمان ظهرت بوادٍ اضمحلّ له بعد رحيله عليه السلام، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾^(٧٩)؛ لتركههم وصيته عليه السلام بتنصيبه أمير المؤمنين عليه السلام خليفة له من بعده، حينما قال:

(من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)^(٨٠)، فكان عاقبة ذلك وقوع الظلال والتفرق في الأمة، كما أخبر ﷺ بأنه: (تتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهن في النار، إلا واحدة)^(٨١).

لكن ببركة مقام النبي الأعظم ﷺ خصّ الباري تعالى بألطافه هذه الأمة بأن لا يقع عليها ما وقع على الأمم السابقة من الهلاك الشامل بعد شهادته ﷺ؛ فإنه أودع فيها أهل بيته ﷺ بنصّ حديث الثقلين^(٨٢)، فقاموا مقامه، فكانوا أماناً لها من حدوث ذلك، كما قال ﷺ: (النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي)^(٨٣)؛ ولذا سمّيت بالأمة المرحومة^(٨٤)، لأنها أمة ولادة للمؤمنين إلى يوم القيامة، فلا استئصال لها، ويشهد على ذلك:

١- دلالة دعاء نوح ﷺ على جميع قومه الكافرين بالهلاك؛ لما علم أنّ ليس في أصلابهم من المؤمنين، فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(٨٥).

قال الإمام الباقر ﷺ: (فلبث فيهم نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً؛ يدعوهم سرّاً وعلائية، فلما أبوا وعتوا قال: رَبِّ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ^(٨٦)، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٨٧)، فلذلك قال نوح ﷺ: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^{(٨٨) - (٨٩)}.

٢- ترك أمير المؤمنين ﷺ قتل أعدائه؛ لعلمه أن في أصلابه رجال مؤمنين، قال إبراهيم الكرخي: (قلت لأبي عبد الله ﷺ... أصلحك الله، ألم يكن علي ﷺ قوياً في دين الله عزّ وجلّ؟ قال: بلى، قال: فكيف ظهر عليه القوم، وكيف لم يدفعهم، وما منعه من ذلك؟ قال: آية في كتاب الله عزّ وجلّ منعه، قال: قلت: وأي آية؟ قال: قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾، أَنَّهُ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ودائع مؤمنين في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن عليّ عليه السلام ليقتل الآباء حتّى تخرج الودائع، فلما خرج الودائع ظهر عليّ على مَنْ ظهر، فقاتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتّى تظهر وداائع الله عزّ وجلّ، فإذا ظهرت ظهر على مَنْ ظهر فقتله) (٩١).

٣- عندما غضبت السيّدة فاطمة الزهراء على القوم لما أخذوا الإمام عليّ عليه السلام للبيعة، فأرادت أن تدعو عليهم، فظهرت بوادر الهلاك حتّى ترزلت المدينة، لكن بعدما توقّفت عن الدعاء هدأت الأمور، قال سلمان رضوان الله تعالى عليه: (كنت قريباً منها، فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله ﷺ تقلّعت من أسفلها حتّى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ، فدنوت منها، فقلت: يا سيدي ومولائي، إنّ الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة، فلا تكوني نقمة، فرجعت ورجعت الحيطان) (٩٢).

وعليه فإنّ أولياء الله هم أوتاده في الأرض، ومصدر رحمته، قال الإمام السجّاد: (ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها... ولولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها) (٩٣). وقال الإمام صاحب الزمان عليه السلام في توقيعه: (إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللاواء) (٩٤)، أو اصطلمكم (الأعداء) (٩٦)، فهو ﷺ امتداد للأمان الإلهي، سواء بحضوره أو في غيبته؛ فإنّ نفحات وجوده القدسيّ تُلقى بضالّها على الكون برمّته، فيكون مصدر اطمئنان واستقرا ينتفع به الناس، قال عليه السلام: (وأما وجه الانتفاع بي في غيبي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الابصار السحاب) (٩٧).

الإضاءة الرابعة: الأمان على الصعيد الفكري والعقائديّ.

لوتأملنا في التوقيع الشريف لوجدناه يتضمّن أماناً من نوع آخر لا يقلّ أهميّة عما أوضحناه سابقاً (٩٨)، إذا لم يكن أهم، وهو أنّه عليه السلام حصن

للأمة من تغلغل الأفكار والأطروحات والعقائد المشوَّشة التي أطلقتها أحداث وترسّبات التاريخ المزيّف، وأمراض أصدّت قلوب أصحابها، ومن الطبيعي أن تكون الأرض الشيعة هدفاً لذلك؛ إذ هي جوهر حركة الإسلام الأصيل الرافضة لكل أشكال الباطل والممارسات المنحرفة.

ومن هنا فلما نأتي لقوله ﷺ: (وإني لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء)، نجد أنّ فيه أوجه مشابهة يشترك بها الطرفان بحكم المماثلة مُحدّثنا به الآيات القرآنية الحاكية عن وظائف النجوم، والتي منها: أنّها مصدر هداية، كما في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٩٩).

ومنها: أنّها مصابيح يُستنار بها، وأداة تُرجم بها الشياطين، كما في قوله تبارك اسمه: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾^(١٠٠).

والإمام عليه السلام كذلك؛ فإنّه يهتدى به، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(١٠١)، وأنّه مصباح هدى يُستنار به، كما قال الإمام الباقر عليه السلام (ونحن مصابيح الدجى... ونحن السراج لمن استضاء بنا)^(١٠٢).

وهنا يقع السؤال:

ما هو دور الإمام عليه السلام - بما أنّه مصباح وهداية - في الحفاظ على المجتمع على الصعيد الفكري والاعتقادي؟

إنّ الإجابة على هذا السؤال يتعلّق بالجوّ العام الذي كان يُحيط بالمجتمع، وبالظروف التي كانت تسوده آنذاك، فهي كانت تحدّد المهام التي تنتظره عليه السلام، ولتوضيح ذلك نذكر بعضاً منها، من قبيل:

أولاً: الوقوف تجاه ما يثار من شبهات.

كان عليه السلام يصفع طين مثيري الشبهات والترّهات، برّد يلجم أفواههم، ولا يُبقي مجالاً للتسرّ خلفها، فتتكشف سواثمهم، فلن تقوم لهم قائمة بعده، منها: ردّه على

مزاعم المفوضة الذين يقولون إنّ الله تعالى فوّض الخلق والرزق إلى الأئمة عليهم السلام، فقال عليه السلام: (إنّ الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسّم الأرزاق؛ لأنّه ليس بجسم ولا حال في جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، وأما الأئمة عليهم السلام فإنّهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق؛ إيجاباً لمسألتهم، وإعظماً لحقّهم) (١٠٣).

ثانياً: التصدي لأهواء المنحرفين المنتحلين اسم الدين.

إنّ من أكثر الناس خطراً على الدين هم من يجاربون الدين باسم الدين؛ إذ بإمكانهم تظليل عوام الناس، وغسل أدمغتهم، فيتسيّدونهم ويجعلونهم أداة لنيل أغراضهم ومطامعهم، ومن ثمّ تحلّ الفتنة في الأمة، وتذهب الأمور إلى ما لا تُحمد عقباه.

لذا كان الإمام المهديّ عليه السلام يُراقب هذه الظاهرة بدقّة متناهية في الغيبة الصغرى، خصوصاً ممّن يدّعي نيابته زوراً؛ لدواعي دنيويّة، ونوازع شيطانيّة، فكان عليه السلام سرعان ما يُسلّط الضوء عليه ويكشفه للناس بتوقيع صدره من ناحته المقدّسة؛ وذلك لما لهذا المنصب من أهميّة بالغة الحساسيّة في كيان البيت الشيعيّ، ومن أولئك: أحمد بن هلال الكرخيّ، الذي كان من أصحاب الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، فلمّا اجتمعت الشيعة على وكالة محمّد بن عثمان - رضي الله عنه - بنصّ الإمام الحسن عليه السلام في حياته، ولما مضى الإمام الحسن عليه السلام تقلّد النيابة عن الإمام المهديّ عليه السلام، لكنّه رفض نيابة محمّد ولم يدعن له، فقالت له الشيعة: (ألا تقبل أمر أبي جعفر محمّد بن عثمان وترجع إليه وقد نصّ عليه الإمام المفترض الطاعة؟

فقال لهم: لم أسمع به نصّ عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه - يعني عثمان بن سعيد - فأما أنّ أقطع أنّ أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه، فقالوا: قد سمعنا غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبي جعفر، فلعنوه وتبرؤا) (١٠٤).

ولما شاعت منه المنكرات خرج التوقيع من الإمام (عليه السلام) بلعنه على يد العمري، وقد جاء فيه: (ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله، ومَن لا يبرء منه، وأَعْلِمُ الإسحاقِي سَلَمَهُ الله وأهل بيته مِمَّا أَعْلَمْنَاكَ مِنْ حَالِ هذا الفاجر، وَجميع مَنْ كان سَأَلَكَ ويسألك عنه) (١٠٥).

ثالثاً: قيامه بتحسين عقائد المؤمنين وأفكارهم بالتوعية والإرشاد.

من الأمور الأخرى التي كان الإمام يُتابعها ويحرص على توثيقها هي: ارتباط المؤمنين بدينهم، وتقوية إيمانهم، وإبعاد الإثارات الفكرية الملوثة من المشككين والمغرضين عنهم، منها: التشكيك بالإمام (عليه السلام) وإنكار وجوده، ما أدى إلى تأثيره على قلوب المؤمنين، فأخذوا يطلبون الحقيقة منه (عليه السلام)، قال إسحاق بن يعقوب: (سألت محمد بن عثمان العمري رحمه الله أن يُوصل لي كتاباً قد سألت فيه مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان (عليه السلام): أمّا ما سألت عنه - أرشدك الله وثبتك ووقاك - من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا، فاعلم: أنّه ليس بين الله عزّ وجل وبين أحد قرابة، ومَن أنكرني فليس مِنّي، وسيله سبيل ابن نوح، وأمّا سبيل عمّي جعفر وولده، فسبيل إخوة يوسف (عليه السلام) (١٠٦).

رابعاً: تعيين السفراء وتنظيم وظائف العمل الاجتهادي.

من أهم المنجزات التي قام بها الإمام المهديّ أرواحنا فداه لحفظ الكيان الإسلامي من التفكك هي: تأمين قنوات الاتصال به في الغيبة الصغرى، وتحديد معالم المرجعيّات التي ترجع إليها الأمّة في الغيبة الكبرى.

أمّا الأوّل: فقد اعتمد على نظام السفارة أو النيابة، وهنا تولّى الإمام (عليه السلام) بنفسه تنصيب الثقات من أصحابه، وعزل عمّن يخلّ بها أو يدّعيها عن طريق التوقيعات الصادرة عنه بواسطة سفيره الخاص (١٠٧).

وهنا قد اختلف الحال عمّا كان عليه نظام النيابة في زمن الإمامين الهاديّ والعسكريّ؛ حيث كان الإمام ظاهراً، فلا حاجة للسفير الخاصّ، أمّا في زمن الغيبة الصغرى فقد اقتضت الحكمة الإلهيّة حجب الإمام عن الأنظار، فاحتاجت هذه المرحلة منصب السفير الخاصّ؛ ليكون محوراً لرجوع المؤمنين^(١٠٨).

بعد استشهاد أبيه الحسن العسكريّ (عليه السلام) شغل دور الوسيط بينه وبين شيعته السيّد حكيمة بنت الإمام الجود، التي قامت بأداء دورها الرسالي على أحسن وجه، فكانت تنقل الرسائل والأسئلة إلى الإمام وتحمل توافيق الإمام إليهم، كما روى الشيخ الصدوق، بإسناده عن محمد بن عبد الله الطهوي، عن السيّد حكيمة (عليها السلام)، عندما قصدها وسألها عن الحجّة، وما قد اختلف فيه الناس من الحيرة التي هم فيها قال: (قالت السيّد حكيمة - في حديث طويل -: قال لي أبو محمد العسكريّ (عليه السلام): هذا ابن نرجس، وهذا خليفتي من بعدي، وعن قليل تفقدوني، فاسمعي له وأطيعي).

ثمّ قالت (عليها السلام): فمضى أبو محمد (عليه السلام) بعد ذلك بأيّام قلائل، وافترق الناس كما ترى، ووالله إنّني لأراه صباحاً ومساءً، وإنّه ليُبَنّي عمّا تسألون عنه فأخبركم، ووالله إنّني لأريد أن أسأله عن شيء فيبدأني به، وإنّه ليردّ عليّ الأمر، فيخرج إليّ منه جوابه من ساعته من غير مسألتي، وقد أخبرني البارحة بمجيئك إليّ، وأمرني أن أخبرك بالحقّ.

قال محمد بن عبد الله: فوالله لقد أخبرتني حكيمة بأشياء لم يطلع عليها أحدٌ إلاّ الله عزّ وجلّ، فعلمتُ أنّ ذلك صدقٌ وعدلٌ من الله عزّ وجلّ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قد أطلعه على ما لم يطلع عليه أحد من خلقه^(١٠٩).

ومن بعد ذلك أرجع الإمام (عليه السلام) الشيعة إلى أصحابه الأربعة، وهم: عثمان بن سعيد، ثمّ خلفه ابنه محمد بن عثمان، ثمّ الحسين بن روح، ثمّ

خاتمهم عليّ بن محمّد السامريّ، رضوان الله عليهم، فلمّا حضرت السمريّ الوفاة سُئِلَ: (مَنْ وصيّك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه) ^(١١٠)، فوَقَّعت الغيبة التامة بعد مضي السمريّ رضي الله عنه في سنة ٣٢٩ هـ ^(١١١).

وأما الثاني: وهو تحديد معالم وسمات الفقهاء العدول الذين لهم أهليّة النيابة العامة؛ كي تتعرّف الشيعة على صفاتهم، فيرجعون إليهم في الغيبة الكبرى، فبعد تجربة السفراء الأربعة وشرعيّة الرجوع إليهم في غيبته الصغرى - التي تعدّ مقدّمة لواقع جديد حين الانقطاع التام عن الجميع - قدّم الإمام صاحب الزمان عليه السلام مشروعه البديل في الغيبة الكبرى، وهو النيابة العامة، لكن بشروط وصفات ذكرتها الأدلّة الشرعيّة، منها: توقيعه الصادر إلى إسحاق بن يعقوب: (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا؛ فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم) ^(١١٢).

ومنها: قول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (فأما مَنْ كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلده، وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم) ^(١١٣).

وقد أشار الإمام المهديّ عليه السلام لأهميّة هذا الدور في عصر الغيبة بقوله: (لولا مَنْ يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالّين عليه، والذابّين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلّا ارتدّ عن دين الله، ولكنّهم الذين يمسكون أزمنة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك صاحب السفينة سكّانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجلّ) ^(١١٤).

وعليه فكما أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يترك أمّته تائهة حائرة بعد رحيله، وأتمّ دينهم وأكملهم لهم، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ^(١١٥)، فكذلك الأئمة عليهم السلام لم يهملوا شيعتهم، بل ربّوا أمورهم وأوجدوا لهم ما يحتاجونه على مدى ثلاث قرون،

وذلك من خلال أمرين:

١ - تركوا الشيعة تراثاً روائياً في أعلى درجات القوّة في مختلف العلوم.

قال المحقّق البحراني: (كان دأب قدماء أصحابنا المعاصرين لهم ﷺ إلى وقت المحمّدين الثلاثة، في مدّة تزيد على ثلاثمائة سنة ضبط الأحاديث وتدوينها في مجالس الأئمة ﷺ، والمسارة إلى إثبات ما يسمعون؛ خوفاً من تطرّق السهو والنسيان، وعرض ذلك عليهم، وقد صنّفوا تلك الأصول الأربعمئة المنقولة كلّها من أجوبتهم ﷺ) (١١٦).

٢ - إعداد مجموعة من الفقهاء وتأهيلهم على استنباط الأحكام الشرعيّة، وكيفيّة تعاملهم مع هذا التراث، قال السيّد محمّد سعيد الحكيم قدس سرّه: (فقد استطاع الأئمة ﷺ في المدّة الطويلة التي قضوها مع الشيعة - مع الضغط الشديد عليهم - أن يثّروا تعاليمهم تدريجاً حتّى تبلورت وتركزت، وقام للشيعة كيان علمي - متمثّل في الحوزات العلميّة - يحمل تلك التعاليم ويحفظها، بحيث أمنوا ﷺ عليها من الضياع والتحريف.

ومن أجل ذلك أمكن وقوع الغيبة الكبرى (سنة ٣٢٩ هـ) بانقطاع الإمام ﷺ عن الاتصال المباشر بالشيعة؛ لاكتفائهم بما عندهم من تعاليم أئمّتهم ﷺ، وقيام الحجّة به عليهم وعلى الناس) (١١٧).

ويتلخّص من ذلك، أنّ هذا الدور الذي يقوم به الإمام المنتظر ﷺ في زمن الغيبة الكبرى هو من الأدوار الرئيسيّة في حفظ الإسلام، وتأييد المجتهدين والعلماء في عمله الاجتهادي؛ لأنه لا بدّ من: (وجود معصوم يكون من ورائهم، شاهد لأحوالهم، عالم بأخبارهم؛ إن غلطوا هداهم، أو نسوا ذكّركم، أو كتّموا علم الحقّ منه دونهم، وإمام الزمان ﷺ وإن كان مستتراً عنهم بحيث لا يعرفون شخصه، فهو موجود بينهم، يشاهد أحوالهم، ويعلم أخبارهم، فلو انصرفوا عن النقل أو ضلّوا عن الحقّ لما وسعته، التقيّة، ولأظهره الله سبحانه، ومنع منه إلى أن يبين الحقّ، وتثبت الحجّة على الخلق) (١١٨).

الخاتمة:

وفي الختام نودّ أن نستعرض بعض نتائج البحث التي توصلنا إليها،
نلخصها بالنقاط التالية إتماماً للفائدة:

١- إنّ التوقيعات المقدّسة عبارة عن رسائل تصدر من الإمام عليه السلام لسفرائه أو وكلائه أو لشيعته، ذات مضامين عاليّة تتحدّث عن وظائف مختلفة في المعارف الإسلاميّة، ومن صفاتها أنّها بالحياة نابضة، وعلى مدى الدهور صالحة، ولحدود الزمن عابرة، لا تقتصر على أهل عصر دون عصر.
٢- كانت التوقيعات حاجة ملحة فرضتها السياسات الظالمة في عهد الإمامين الهاديّ والعسكريّ، ثمّ أصبحت أكثر إلحاحاً في زمن الغيبة؛ هدفها التواصل مع شيعتهم لحفظ الثوابت الدينيّة لديهم.

٣- كان للإمامين العسكريّين دور رياديّ في التمهيد للإمام المهديّ عليه السلام في جميع مراحل نشأته، وزمان غيبته.

٤- إنّ الأمان لطف إلهيّ وحقّ يمنحه الباري للخلق، يهيئ أسبابه، ويحثّ على استتبابه، لكن الناس بظلمهم فيما بينهم يسلبونه ويرفعونه.
٥- لا بدّ من حجة لله في الأرض، إمّا ظاهر مشهور أو غائب مستور؛ ليهدي الناس لدينه، ويعلمهم أحكامه، لئلا يضلّوا ويتقض الغرض من خلقهم.

٦- إنّ التوقيع الذي تصدّر البحث يكشف عن واقع اجتماعيّ حافل بالمعاناة والمضايقات، تعرّض لها شيعة أهل البيت عليهم السلام من أعدائهم.

٧- إنّ الله سبحانه وتعالى لم يبيح لحجته عليه السلام الغيبة والاستتار إلّا وقد هيأ للأمة من فقه آبائه عليهم السلام ما تنقطع به الأعذار والحجج، لتكون أماناً وحصناً لهم من الضياع.

٨- إنّ وجود الفقيه الجامع للشرائط الذي يرجع إليه المؤمنون في زمن الغيبة الكبرى مسألة ضروريّة متّصلة بالظهور المقدّس.

هذا تمام ما أردنا بيانه في هذا البحث، مع الاعتراف عن عجزنا
بالإحاطة الكاملة على كلام الإمام عليه السلام في توقيعه الشريف، طالبين من
القراء الكرام العذر عن أي هفوة وتقصير، وسائلين المولى العليّ القدير
القبول والتوفيق لكل ما يُحبّ ويرضاه، والصلاة على النبيّ المصطفى صلّى الله عليه وآله
وآله النجباء عليهم السلام.



- ٢٤- منهم: عثمان بن سعيد العمري، وأبو عليّ بن راشد، وأيوب بن نوح، وجعفر بن سهيل الصيقل. (ينظر: الاحتجاج للطبرسيّ: ٢/ ٢٩٦، الغيبة للطوسيّ: ٣٤٩-٣٥١، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٣/ ٥٠٦).
- ٢٥- ينظر: اختيار معرفة الرجال: ٢/ ٨٠٠-٨٠١ ح ٩٩٢، الغيبة للطوسيّ: ٣٤٩-٣٥١.
- ٢٦- ينظر: الهداية الكبرى: ٣٦٧، إثبات الوصية: ٢٧٢.
- ٢٧- الاحتجاج للطبرسيّ: ١/ ٣٩١.
- ٢٨- كمال الدين وتمام النعمة: ٣١٩، عن الإمام عليّ عليه السلام.
- ٢٩- يدلّ عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة: من الآية ٣٠).
- ٣٠- علل الشرائع: ١/ ١٩٩ ب العلة التي من أجلها لا تخلو... ح ٢١.
- ٣١- روى عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: >سمعتة يقول: في القائم عليه السلام سنة من موسى بن عمران عليه السلام، فقلت: وما سنته من موسى بن عمران؟ قال: خفاء مولده، وغيبته عن قومه> (الإمامة والتبصرة: ١٠٩ ح ٩٥).
- ٣٢- قال رسول الله ﷺ: >لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله ﷻ رجلاً منا يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً> (مسند أحمد: ١/ ٩٩).
- ٣٣- الإرشاد للمفيد: ٢/ ٣٣٦، ومثله في: (روضة الواعظين: ٢٦٦-٢٦٧، تاج الموالي: ٥٩-٦٠).
- ٣٤- ينظر كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٤-٤٢٥.
- ٣٥- كمال الدين وتمام النعمة: ٥٢٤.
- ٣٦- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٠٩.
- ٣٧- ينظر: الغيبة للطوسيّ: ٣٥٣-٣٥٨، الاحتجاج للطبرسيّ: ٢٩٦، اختيار معرفة الرجال: ٢/ ٨٤٤-٨٤٨ ح ١٠٨٨.
- ٣٨- الكافي: ١/ ٣٢٩-٣٣٠ ب في تسمية من رآه عليه السلام ح ١.
- ٣٩- ينظر: اختيار معرفة الرجال: ٢/ ٨٦٨ ح ١٠٨٩، التحرير الطاوسيّ: ٢٠.
- ٤٠- ينظر مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٣/ ٥٢٥.
- ٤١- اختيار معرفة الرجال: ٢/ ٧٩٧ ح ٩٨٣، التحرير الطاوسيّ: ٢٠.
- ٤٢- كشف الغمّة: ٣/ ٢١٨-٢١٩.
- ٤٣- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٣/ ٥٢٨-٥٢٩.
- ٤٤- الكافي: ١/ ٥١٣ ب مولد أبي محمد الحسن بن عليّ ح ٢٧.
- ٤٥- اختيار معرفة الرجال: ٢/ ٨٤٢-٨٤٣ ح ١٠٨٦.

- ٤٦- روضة الواعظين: ٤٧٢.
- ٤٧- سورة البقرة: ٣٠.
- ٤٨- ينظر تفسير مجمع البيان للطبرسي: ١/ ١٤٨-١٥٠.
- ٤٩- سورة المائدة: ٣٣.
- ٥٠- سورة البقرة: ١٧٨.
- ٥١- سورة البقرة: ١٧٩.
- ٥٢- سورة الأنفال: ٦٠.
- ٥٣- سورة التوبة: ٦.
- ٥٤- سورة البقرة: من الآية ١٢٥.
- ٥٥- سورة البقرة: من الآية ١٢٦.
- ٥٦- سورة المائدة: ٩٥.
- ٥٧- سورة المائدة: ٩٦.
- ٥٨- ينظر: تفسير مجمع البيان للطبرسي: ٥/ ٥٠، تفسير جوامع الجامع للطبرسي: ٢/ ٦٢.
- ٥٩- سورة التوبة: من الآية ٣٦.
- ٦٠- سورة الأنفال: من الآية ٣٣.
- ٦١- المستدرك للحاكم النيسابوري: ٣/ ١٤٩.
- ٦٢- تاريخ الطبري: ٣/ ٣٠٠.
- ٦٣- الاحتجاج للطبرسي: ١/ ١٣٤.
- ٦٤- كمال الدين وتمام النعمة: ٢٠٧.
- ٦٥- الغارات لإبراهيم الكوفي: ٢/ ٨٥١-٨٥٢.
- ٦٦- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٥.
- ٦٧- ينظر جواهر البلاغة: ٢٤٩.
- ٦٨- ينظر الصحاح: ٦/ ٢٢٣٦.
- ٦٩- ينظر جواهر البلاغة: ٢٤٩.
- ٧٠- ينظر جواهر البلاغة: ٢٤٩-٢٥٠.
- ٧١- ينظر جواهر البلاغة: ٢٥٦-٢٥٧.
- ٧٢- ينظر جواهر البلاغة: ٢٦٧.
- ٧٣- ينظر جواهر البلاغة: ٢٦١.
- ٧٤- ينظر جواهر البلاغة: ٢٦٠، ٢٦٣.
- ٧٥- ينظر جواهر البلاغة: ٢٦٨.

٧٦- سورة يونس: ٧٣.

٧٧- سورة هود: ٨١-٨٢.

٧٨- سورة الأنفال: من الآية ٣٣.

٧٩- سورة آل عمران: من الآية ١٤٤.

٨٠- مسند أحد بن حنبل: ٤/ ٢٨١.

٨١- مجمع الزوائد: ١/ ١٨٩.

٨٢- ينظر الاحتجاج للطبرسي: ١/ ٣٩١.

٨٣- معاني الأخبار: ٢/ ٣٠ ب ٣١ ح ١٤.

٨٤- ينظر الكافي: ٨/ ٣٤٣-٣٤٤ ح ٥٤١.

٨٥- سورة نوح ٢٦-٢٧.

٨٦- سورة القمر: من الآية ١٠.

٨٧- سورة هود: من الآية ٣٦.

٨٨- سورة نوح: من الآية ٢٧.

٨٩- الكافي: ٨/ ٢٨٢-٢٨٣ ح ٤٢٥.

٩٠- سورة الفتح: من الآية ٢٥.

٩١- علل الشرائع: ١/ ١٤٧ ب العلة التي من أجلها ترك أمير المؤمنين مجاهدة أهل الخلاف ح ٣.

٩٢- الاحتجاج للطبرسي: ١/ ١١٣-١١٤.

٩٣- الأمالي للصدوق: ٢٥٣.

٩٤- اللأواء: الشدة وضيق المعيشة. (ينظر العين: ٨/ ٣٥٤)

٩٥- اصطلمه: استأصله. (العين: ٧/ ١٢٩)

٩٦- الاحتجاج للطبرسي: ٢/ ٣٢٣.

٩٧- الأمالي للشيخ الصدوق: ٤٨٥.

٩٨- أي كونه عليه السلام أماناً للأمة من وقوع البلاء العام.

٩٩- سورة النحل: من الآية ١٦.

١٠٠- سورة الملك: من الآية ٥.

١٠١- سورة الأنبياء: من الآية ٧٣.

١٠٢- كمال الدين وتمام النعمة: ٢٠٥-٢٠٦.

١٠٣- الغيبة للطوسي: ٢٩٣-٢٩٤ ح ٢٤٨.

١٠٤- الغيبة للطوسي: ٣٩٩ ح ٣٧٤.

١٠٥- اختيار معرفة الرجال: ٢/ ٨١٦ ح ١٠٢٠.

- ١٠٦- الاحتجاج للطبرسي: ٢/ ٢٨٢-٢٨٣.
- ١٠٧- ينظر الغيبة للطوسي: ٣٤٥-٤١٧.
- ١٠٨- ينظر أعلام الهداية: ١٤/ ١٤٩-١٥٠.
- ١٠٩- ينظر كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٦-٤٣٠.
- ١١٠- ينظر كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٢-٤٣٣، ٥١٦.
- ١١١- ينظر الغيبة للطوسي: ٣٩٤-٣٩٥.
- ١١٢- ينظر كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٤.
- ١١٣- الاحتجاج للطبرسي: ٢/ ٢٦٠.
- ١١٤- سورة المائدة: من الآية ٣.
- ١١٥- الاحتجاج للطبرسي: ٢/ ٢٦٣-٢٦٤.
- ١١٦- الدرر النجفية في الملتقطات اليوسفية: ٢/ ٣١٥.
- ١١٧- في رحاب العقيدة: ١/ ١٩.
- ١١٨- كنز الفوائد: ٣٠٣.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المصادر والمراجع:

- * إثبات الوصية للإمام عليّ: لعليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، الناشر: أنصاريان - قم المقدسة، ط ٣/ ١٤٢٦ هـ .
- * الاحتجاج: للشيخ أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تعليق وملاحظات: السيّد محمد باقر الخرسان، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، ط ١٣٨٦ هـ .
- * اختيار معرفة الرجال المعروف بـ (رجال الكشي): للشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: ميرداماد الاسترآبادي، والسيّد مهديّ الرجائي، الناشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم المقدسة، ط ١٤٠٤ هـ .
- * الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: للشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبريّ البغداديّ (المفيد) (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، الناشر: دار المفيد - بيروت، ط ٢/ ١٤١٤ هـ .
- * إعلام الوري بأعلام الهدى: للشيخ أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم المقدسة، ط ١/ ١٤١٧ هـ .
- * أعلام الهداية: للجنة التأليف في المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، الناشر: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، ط ٥/ ١٤٣٠ هـ .

- * الأمالي: للشيخ محمد بن عليّ بن بابويه القميّ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة البعثة - قم المقدسة، ط ١/ ١٤١٧ هـ .
- * الإمامة والتبصرة من الحيرة: للمحدث أبي الحسن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ والد الشيخ الصدوق (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام - قم المقدسة، ط ١/ ١٤٠٤ هـ .
- * تاج اللغة وصحاح العربية (الصّحاح): لإسماعيل بن حماد الجوهريّ (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤/ ١٤٠٧ هـ .
- * تاج المواليد في مواليد الأئمة ووفياتهم: للشيخ أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ)، الناشر: مكتب آية الله المرعشيّ النجفيّ - قم المقدسة، ط ١٤٠٦ هـ (حجّية).
- * تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط ٤/ ١٤٠٣ هـ .
- * التحرير الطاووسيّ المستخرج من كتاب حل الأشكال للسيّد أحمد بن موسى الطاووس (ت ٦٧٣هـ): للشيخ حسن بن زين الدين صاحب (المعالم) (ت ١٠١١هـ)، تحقيق: فاضل الجواهريّ، الناشر: مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ - قم المقدسة، ط ١/ ١٤١١ هـ .



* تحف العقول عن آل الرسول ﷺ: لأبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّائي (ق ٤هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين - قم المقدّسة، ط ٢/ ١٤٠٤هـ .

* تفسير جوامع الجامع: للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين - قم المقدّسة، ط ١/ ١٤١٨هـ .

* جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: لأحمد الهاشمي، الناشر: مؤسسة هنداوي سي آي سي .

* الخرائج والجرائح: للمولى سعيد بن هبة الله (قطب الدين الراوندي) (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي - قم المقدّسة، ط ١، ١٤٠٩هـ .

* الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية: للشيخ يوسف بن أحمد البحراني (ت ١١٨٦هـ)، تحقيق ونشر: شركة دار المصطفى لإحياء التراث - بيروت، ط ١/ ١٤٢٣هـ .

* روضة الواعظين: للشيخ محمد بن الفتال النيسابوري الشهيد (ت ٥٠٨هـ)، تقديم: السيّد محمد مهدي السيّد حسن الخرسان، الناشر: منشورات الشريف الرضي - قم المقدّسة.

* صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: لأحمد

بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، تحقيق وتعليق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلميّة - بيروت .

* علل الشرائع: للشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق) (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: السيّد محمد صادق

بحر العلوم، الناشر: منشورات المكتبة الحيدريّة - النجف الأشرف، ط ٥/ ١٣٨٥هـ .

* الغارات: إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (ت ٢٨٣هـ)، تحقيق: السيّد جلال الدين المحدث، الناشر: انجمن آثار ملي، ط ٢ .

* الغيبة: للشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، والشيخ علي أحمد ناصح، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم المقدّسة، ط ١/ ١٤١١هـ .

* في رحاب العقيدة: للسيّد محمد سعيد الحكيم (ت ١٤٤٣هـ)، الناشر: دار الهلال - النجف الأشرف، ط ٤ .

* الكافي: للشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، ط ٣/ ١٣٨٨هـ .

* كتاب العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: مؤسسة دار الهجرة - إيران، ط ٢/ ١٤٠٩هـ .

* كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: لعليّ بن عيسى بن أبي الفتح الأربليّ (ت ٦٩٣هـ)، النّاشر: دار الأضواء - بيروت، ط ٢/ ١٤٠٥هـ .

* كمال الدّين وتمّام النعمة: للشيخ محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ (الصدوق) (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين - قم المقدّسة، ط ١٤٠٥هـ .

* كنز الفوائد: للشيخ محمّد بن عليّ الكراجكيّ (ت ٤٤٩هـ)، الناشر: مكتبة المصطفويّ - قم المقدّسة، ط ٢/ ١٣٦٩ش.

* لسان العرب: لمحمّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ (ت ٧١١هـ)، الناشر: أدب الحوزة - قم المقدّسة، ط ١٤٠٥هـ .

* مجمع البيان في تفسير القرآن: للشيخ أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصائيّين، الناشر: مؤسّسة الأعلميّ - بيروت، ط ١/ ١٤١٥هـ .

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ عليّ بن أبي بكر الهيثميّ (ت ٨٠٧هـ)، تحرير الحافظين: العراقيّ، وابن حجر، الناشر: دار الكتب العلميّة - بيروت، ط ١٤٠٨هـ .

* مدّعو المهديّة والسفارة (من ١١هـ - إلى ٤١١هـ)، للدكتور كنعان جليل إبراهيم، ط ٢٠١٣/م.

* المزار: للشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ (المفيد) (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: السيد محمد باقر الأبطحيّ، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ٢/ ١٤١٤هـ .

* معاني الأخبار: للشيخ محمّد بن عليّ بن بابويه القمّيّ (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، الناشر: مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين - قم المقدّسة، ط ١٣٧٩هـ .

* المستدرّك على الصّحّاحين: للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوريّ (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشيّ، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

* مسند أحمد بن حنبل: لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت.

* مناقب آل أبي طالب: للشيخ محمّد بن عليّ بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الناشر: المكتبة الحيدريّة - النجف الأشرف، ط ١٣٧٦هـ .

* مهج الدعوات ومنهج العبادات: للسيد عليّ بن موسى بن جعفر بن طائوس (ت ٦٦٤هـ)، الناشر: كتابخانه سنائي.

* الهداية الكبرى: للحسين بن حمدان الخصيبيّ (ت ٣٣٤هـ)، الناشر: مؤسّسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ٤/ ١٤١١هـ .

العمق الدلالي في توقيع السمرى (دراسة تحليلية)

م.د. محمد قاسم الحبوبى
الجامعة الإسلامية / النجف الأشرف

ملخص البحث

يعمد المكلف اللبيب وفقاً للمعطيات الإيمانية والفطرة الإنسانية إلى البحث الجاد عن كلّ ما يرد في طريق إيمانه ومنظومة عقيدته، من أجل الوصول إلى حالة الاستقرار النفسي والفكري والاجتماعي وعلى مختلف الأصعدة في معيشتة أو تعاملاته، ومن هنا كان الغور في أعماق الآثار الروائية المختصة بالعقيدة، تحقيقاً وتحليلاً وتعليقاً أمراً ضرورياً بعيداً عن الترف العلمي أو السرد الجدلي، ما دامت الأدوات السليمة وسيلته، والخاتمة النبيلة غايته، بل لا يبعد الاصطلاح له بالتعايش العقائدي وفقاً لدوره الإيجابي بما يُعد مقدمة لصناعة التعايش الإنساني.

وأما أهمية البحث فتبدو واضحة لمجرد التركيز على عنوان محور البحث وهو التوقيع الأخير للإمام المهدي المنتظر عليه السلام وما يحمله من برنامج مستقبلي يكشف عن أزمة الواقع وعقبات المستقبل، مضافاً لما يرسمه من آمال وتطلعات حول السعادة المنشودة للمجتمعات الإنسانية، وهذا ما دعا الكاتب لاختيار مصطلح «العمق الدلالي» عنواناً للبحث، والذي بدوره يكشف عن مشكلة البحث حول دواعي المصلحة المتوخاة من الغيبة الكبرى مع تصريح التوقيع بقسوة القلوب وانتشار الظلم؟ ولعل

الحل الأقرب لهذه المشكلة يكون من خلال فرضية الاستقرار والتكامل
الإنساني التي يُعاضدها التشريع الإلهي ثبوتاً وإثباتاً.

ويهدف البحث في قراءته المعاصرة لفقرات التوقيع إلى صياغة عدد من
المبادئ التي يمكن أن تكون لها الحاكمية في تفسير العديد من الروايات
المبهمة وقدرتها على الكشف المنطقي لفلسفة الغيبة الكبرى وآثارها على
المجتمعات الإنسانية، وأمّا منهج البحث فهو الوصفي التحليلي، حيث
الوصف من خلال بيان المفاهيم تعريفاً وتمييزاً، وحيث التحليل من خلال
بيان الأصيل من مطالب التوقيع ولوازمه عما سواه من مطالب ثانوية
وغايات ذكرها، بما يشكّل كلّ ل في مجمله منطلقاً لدراسة تأصيلية يمكن
أن تشكل بادرة جديدة في دراسة المآثور الروائي في جميع نواحيه لا سيما
العقائدية والفقهية والأخلاقية.

وقد خرج البحث بعدة نتائج أهمها ضرورة التزام النهج المنطقي الداعم
لثوابت العقيدة سواء مع قبول التوقيع أو حتى في حال رفضه، وأمّا أهم
توصيات البحث فهي ضرورة وضع منهج تفسيري خاص بأقوال وسيرة
أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لا سيما توقيعات الإمام المنتظر عجل الله فرجه لتشكيل
أساساً متيناً خالصاً من كلّ أمراض الطعن والتشكيك ومنطلقاً راسخاً لما
يمكن أن يبنى عليه من أفكار هادفة ورؤى سليمة.

الكلمات المفتاحية: العمق الدلالي، توقيعات المهدي، التوقيع
الآخر، السمري.

Abstract

A religiously entrusted person within the faith inputs and human nature, intends to seriously search for everything that comes in the way of his faith and his belief system, in order to reach a state of psychological, intellectual and social stability at various levels in his living or dealings. Hence, delving into the depths of the narrative works related to the belief, using reviewing, analysis and commentary is a necessary matter, far from scientific luxury or dialectical narration, as long as sound tools are its means and a noble conclusion is its goal. Indeed, it is not far-fetched to call it ideological coexistence in accordance with its positive role in what is considered an introduction to creating human coexistence.

As for the importance of the research, it seems clear simply by focusing on the title that incorporates the focus of the research, which is the last signing of the Awaited Imam Mahdi (may God hasten his appearance), and the future program it carries that reveals the crisis of reality and the obstacles of the future, in addition to the hopes and aspirations it depicts about the desired happiness of human societies, and this is what prompted the writer to choose the term "Semantic Depth" as the title of the research, which in turn reveals the research problem that can be formulated with the following question: What is the ben- absence with the signature statement efit sought from the major of hardness of hearts and the spread of injustice? Or in other words: Do the connotations of the last signature conflict with the principles of social coexistence? Therefore, the closest solution to this problem is through the hypothesis of human stability and integration, which is supported by divine legislation with certain- ty and proof



In its contemporary reading of the signature paragraphs, the research aims to formulate a number of principles that can have governance in interpreting many ambiguous narrations and their ability to logically reveal the philosophy of the major occultation and its effects on human societies. As for the research method, it is descriptive and analytical, where description is through a statement of concepts by definition. In distinction, the analysis is made by clarifying the original demands and requirements of the signature over the other secondary topics and objectives mentioned, which in its entirety constitutes a starting point for an authentic study that can constitute a new initiative in the study of the fictional tradition in all its aspects, especially the doctrinal, jurisprudential, and moral aspects.

The research came out with several results, the most important of which is the necessity of adhering to the logical approach that supports the principles of belief, whether with the acceptance of the signature or even in the event of its rejection. The most important recommendations of the research are the necessity of developing an interpretive approach specific to the sayings and biography of the Imams of Ahl al-Bayt (peace be upon them), especially the signatures of the Awaited Imam (may God hasten his return), to form a solid foundation free of all diseases of criticism and skepticism and a solid starting point for the purposeful ideas and sound visions that can be built upon.

Keywords: Semantic depth, Al-Mahdi's signatures, the last signature.

المقدمة

لا تخلو الحياة الدنيا من الفتن والاختبارات، بل إنَّ القرآن الكريم يصرِّح بأنَّ الفتن أمر طبيعي في طريق الإنسان المكلف فضلاً عن كونها وسيلة لثبات الإيمان وعلو الدرجات حيث يقول تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ومن تلك الفتن الإلهية وفقاً للنصوص الكثيرة والمشهورة غيبة الإمام المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت (عليه السلام) وما رافق ذلك من أحداث سواء في الغيبة الصغرى أو الغيبة الكبرى، أبرزها طرق تواصل الإمام المنتظر (عليه السلام) مع نوابه في فترة الغيبة الصغرى من خلال الرسائل الخاصة المسماة بتواقيع الحجَّة، لا سيَّما التوقيع الأخير إلى نائبه الشيخ السمرى الذي أثر البحث تناوله بصورة خاصَّة لما يتضمَّنه من فقرات جوهرية ذات مدلولات عميقة كانت محلاً للبحث والدراسة والاستنباط والتفكير، لا تكاد تنقضي كمعين لا ينضب.

ولا عجب في ذلك لأنَّ التوقيع إنَّما هو كلام المعصوم، الذي هو من أهل بيت زقوا العلم زقاً وقد قال قدماً جده أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): «لقد علمني رسول الله ﷺ ألف باب يفتح كلَّ باب ألف باب» وهو نفسه القائل (عليه السلام) بما لم يقله قبله أو بعده أحد: «سلوني قبل أن تفقدوني»، ولكن ما يميز البحث هنا هو تحديد مشكلة البحث أولاً ومن ثمَّ العناية بتوجيه فقرات البحث بما يخدم حل المشكلة، وعدداً من الإشكاليات المشهورة، ثمَّ الإنطلاق في طرح بعض المدلولات الجديدة التي يرى البحث ضرورة التركيز عليها خدمة لمبادئ الإسلام الحنيف وتمهيداً لاستقبال الطلعة الرشيدة للإمام الحجَّة المنتظر (عليه السلام) ومن الله التوفيق.

مشكلة البحث

تقوم مشكلة البحث على ما يبدو من ظاهر التوقيع الأخير الذي يخبر مستقبلاً عن قسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وظلماً وهذا ما يعارض أساس الحكمة من وراء الغيبة، مضافاً للمشكلة المشهورة في صعوبة التوفيق بين استحالة مشاهدة المعصوم المنتظر وفقاً للسان التوقيع وبين شهادات رؤيته من قبل الكثير من العلماء الأعلام والمؤمنين الثقة.

هدف البحث

يهدف البحث إلى وضع معيار واضح للتمييز بين المطالب الرئيسة للتوقيع الأخير واللوازم المترتبة عليها للوقوف على المقصود الحقيقي من قول المعصوم (عليه السلام).

منهج ونطاق البحث

يبدأ البحث ومن خلال المنهج الوصفي في بيان المقصود من التوقيعات والمفاهيم المتعلقة بها، ومن ثم تحليل التوقيع سنداً وامتناً للغور من خلاهما لحل إشكاليات البحث وطرح مدلولاته من خلال المنهج التحليلي ضمن نطاق النصوص المشهورة للنبي الأكرم وأهل بيته (عليه السلام) عند فرق المسلمين عامة والإمامية منهم خاصة والمتعلقة بغيبة الإمام الثاني عشر (عليه السلام).

الدراسات السابقة

كتبت كثير من البحوث والمقالات عن موضوع التوقيعات الصادرة من الناحية المقدسة من حيث العموم، ولكن لم نجد تحليلاً مميزاً فيما يتعلق بالتوقيع الأخير من حيث قصر النظر بحث إشكالية التعارض بين تكذيب التوقيع لمدعى المشاهدة وشهادات الكثير من العلماء والصالحين حول الشرف برؤية الإمام ولقائه (عليه السلام)، إلا أن دواهي الدهر لا تكاد تنقضي من دعاوى الباطل حتى ظهر اليوم من يدعى النيابة باسم الياني ليقفز من مجرد

المشاهدة التي بعدُ الخلاف لم يُجسم لصالحها مدّعياً بوصف الياني ومتسربلاً بعموم الأحاديث تأييداً وتأويلاً مراوفاً متهرّباً عن تقديم الدليل الخاص في إثبات دعواه لشخصه.. هل كان ذلك بقاءً مباشراً أم طيف منام؟! ولذا لا يحسن مع مثل هكذا دعاوى الخوض في أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام، بل الطلب المباشر عن الدليل الخاص على شخص المدعى ومن شواهد هذا الدليل المباشر والحاسم في قصة فضح أبو سهل بن إسماعيل بن علي النوبختي للحلاج، حيث أراد المدعو الحسين بن منصور الحلاج دعم دعواه في نيابة الإمام المهدي عليه السلام من خلال الاستعانة بأبي سهل النوبختي لمكانته العلمية والاجتماعية بعد أن خدع كثيراً من عوام الناس، فقام بمراسلة النوبختي على أنّه وكيلاً للإمام المهدي عليه السلام طالباً دعمه وتأييده، فكان ردّ النوبختي عليه وفقاً لرواية الشيخ الطبرسي في كتاب الاحتجاج ج ٢ ص ٢٨٩ بما يأتي:

« فأرسل إليه أبو سهل يقول لك: إني أسألك أمراً يسيراً يخفُّ مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين، وهو أني رجل أحبّ الجواري وأصبو إليهن ولي منهن عدّة أخطأهن والشيب يبعثني عنهن، وأحتاج أن أخضبه في كلّ جمعة وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهن ذلك، وإلا انكشف أمري عندهنّ فصار القرب بعداً والوصول هجراً، وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مئنته، وتجعل لحيتي سوداء فإنني طوع يديك وصائر إليك وقائل بقولك وداع إلى مذهبك مع مالي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة.

فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنّه قد أخطأ في مراسلته، وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً، ولم يرسل إليه رسولاً، وصيّره أبو سهل أحدىة وضحكة ويطنز (يسخر) به عند كلّ أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه».

هيكلية البحث

تمّ تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث، الأوّل منها بعنوان المفاهيم، حيث تمّ تقسيمه إلى عدة فروع لبيان المقصود من التواقيع وأقسامها لا سيّما التوقيع الأخير منها، وأمّا المبحث الثاني فهو لدراسة التوقيع الأخير سنداً بما يتعلّق في رجاله وأدلة التوثيق والتضعيف فيه، وأمّا المبحث الثالث فهو لدراسة التوقيع الأخير متناً من خلال بيان مطالب التوقيع وإشكالاته ومدلولاته، وأخيراً خاتمة البحث في إيجاز أهمّ النتائج والتوصيات ومنه تعالى نسأل التوفيق والتسديد.

المبحث الأوّل : المفاهيم

يراد من المفهوم بيان المقصود من الشيء، كما في بيان معنى اللفظ وما يتضمّنه من عناصر لها الدور الكبير في إيضاح أبعاده بما يكون جامعاً لأفراده مانعاً للأغيار، ومن هنا سوف يشمل هذا المبحث ثلاثة فروع يراها البحث كفيلة في إدراك المفهوم، فالفرع الأوّل حول المقصود من كلمة التواقيع، والفرع الثاني حول أقسام التواقيع، وأمّا الفرع الثالث فهو لبيان التوقيع الأخير وما يميزه عن بقية التواقيع، وكما يأتي:

الفرع الأوّل : المقصود بالتواقيع

التواقيع جمع توقيع، ولمعرفة مصطلح التوقيع سوف نبحث عنه أولاً في كتب اللغة ومن ثمّ البحث عنه اصطلاحاً وكما يأتي من خلال هاتين الفقرتين:

أولاً: لغةً

كلمة «التوقيع» عبارة عن اسم، وهي مصدر للفعل (وَقَعَ يُوقِعُ) والجمع : توقيعات وتواقيع.

وقد ذكر بعض أهل اللغة في معنى التوقيع ما يأتي: «التَّوْقِيعُ : أَنْ يُصِيبَ المطرُ بعضَ الأرضِ ويخطئَ بعضَها، أي إصابة المطر بعض الأرض

وإِخْطَاؤُهُ بَعْضاً، وَقِيلَ: هُوَ إِنْ بَاتَ بَعْضُهَا، دُونَ بَعْضٍ؛ قَالَ اللَّيْثُ: إِذَا أَصَابَ الْأَرْضَ مَطَرٌ مَتَفَرِّقٌ أَصَابَ وَأَخْطَأَ، فَذَلِكَ تَوْقِيعٌ فِي نَبْتِهَا. وَالتَّوْقِيعُ فِي الْكِتَابِ: الْخَاقُ شَيْءٌ فِيهِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ، وَقِيلَ: هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ التَّوْقِيعِ الَّذِي هُوَ مَخَالَفَةُ الثَّانِي لِلأَوَّلِ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: تَوْقِيعُ الْكَاتِبِ فِي الْكِتَابِ الْمَكْتُوبِ أَنْ يُجْمَلَ بَيْنَ تَضَاعِيفِ سَطْرِهِ مَقَاصِدَ الْحَاجَةِ وَيُحْذَفَ الْفُضُولُ، وَهُوَ مَا خُوِذَ مِنْ تَوْقِيعِ الدَّبْرِ ظَهَرَ الْبَعِيرُ، فَكَأَنَّ الْمَوْقِعَ فِي الْكِتَابِ يُؤَثِّرُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي كُتِبَ الْكِتَابُ فِيهِ مَا يُؤَكِّدُهُ وَيُوجِبُهُ.

والتَّوْقِيعُ: مَا يُوقَعُ فِي الْكِتَابِ، وَيُقَالُ: السَّرُورُ تَوْقِيعُ جَائِزٌ^١. وَأَمَّا قَوَامِيسُ اللُّغَةِ الْمَعَاصِرَةِ فَقَدْ أَوْسَعَتْ مَعْنَى التَّوْقِيعِ تَبَعاً لَتَطَوُّرِ وَسَائِلِ الْحَيَاةِ بِمَا يَأْتِي:

«تَوْقِيعُ الْعَقْدِ أَوْ الصَّكِّ وَنَحْوِهِ: أَنْ يَكْتُبَ الْكَاتِبُ اسْمَهُ فِي ذِيْلِهِ إِمْضَاءً لَهُ أَوْ إِقْرَاراً بِهِ، التَّوْقِيعُ: نَوْعٌ مِنَ الْخَطِّ»^٢.

وَيُظْهِرُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ الْمَعْنَى الْأَخِيرَ لِكَلِمَةِ التَّوْقِيعِ فِي إِمْضَاءِ الشَّيْءِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ مِنْ خِلَالِ كِتَابَةِ الْاسْمِ أَوْ الرَّمْزِ أَوْ خَطٍّ مُعَيَّنٍ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ الْيَوْمَ هُوَ الْمَعْنَى الشَّائِعُ إِلَّا أَنَّهُ يَبْقَى مَعْنًى مَنَقُولاً يَوَاقِبُ فِيهِ النَّاسُ بِاسْتِعْمَالِهِ مُسْتَجِدَّاتِ الْحَيَاةِ، بَيْنَمَا الْمَعْنَى الْأَسَاسُ الْمُتَعَلِّقُ بِالْكِتَابَةِ هُوَ الْخَاقُ الْكِتَابِ السَّابِقِ بِمَا يُوَضِّحُ مَعْنَاهُ أَوْ مَا يَعْدِلُ عَلَيْهِ بِزِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ.

ثَانِياً: اصْطِلَاحاً

لَا يَخْرُجُ الْمَعْنَى الْاصْطِلَاحِي لِلتَّوْقِيعِ فِي جَوْهَرِهِ عَنْ مَعْنَاهِ اللَّغَوِيِّ الْمُتَعَلِّقِ بِالْكِتَابَةِ وَهُوَ الْخَاقُ الْكِتَابِ السَّابِقِ بِمَا يُوَضِّحُ مَعْنَاهُ أَوْ يُزَادُ عَلَيْهِ أَوْ يَعْدِلُ فِيهِ.

حيث يُراد منه هنا في مصطلح توقيع الحجة عليه السلام: هو كل ما يلحق بأمرٍ أو كتاب سابق أو طلبات جديدة استكمالاً لأمر سابق، سواءً كان ذلك جواباً لسؤالٍ ما أو بيانٍ لشبهةٍ ما أو تقريراً لسلوكٍ معين أو منعاً لعملٍ معين أو إرشادٍ لأمرٍ ما أو كان تنبيهاً أو تحذيراً من خطرٍ ما إلى غير ذلك مما يكشف في الجملة عن حضورٍ حيٍّ فاعلٍ للإمام الحجة عليه السلام بين ظهرائي شيعته عليهم السلام، كأن يكتب في ذيل الكتاب أو على ظهره مثلاً: ينظر في أمر هذا، أو يستوفي لهذا حقه، أو لعنٍ لبعض المنحرفين عن جادة الشريعة بصريح أسمائهم، ونحو ذلك مما يُعد توقيعاً لغةً واصطلاحاً.

والمقصود من التوقيعات هي تلك الرسائل والمكتوبات التي صدرت عن الأئمة عليهم السلام، حيث يرى البعض أنَّ استخدام هذا المصطلح كان بالتحديد في عصر الإمام الكاظم عليه السلام ^٣، بينما شاع المصطلح في عصر الغيبة الصغرى من خلال إضفائه على الرسائل المتبادلة بين الإمام الحجة المهدي عليه السلام وشيعته عن طريق النواب الأربعة ^٤.

وقد كانت توقيعات الإمام المهدي عليه السلام بخطه الشريف أو بإملائه على النواب الأربعة، وكان بعضها يحمل ختم الإمام عليه السلام ^٥، كما قد صرح الحجة عليه السلام نفسه في ذيل بعضها أنه كتبها بخطه ^٦، وروي عن عبد الله بن جعفر الحميري: «لما مات أبو عمرو (النائب الأول للإمام المهدي) أتتنا الكتب (بالخط الذي كنّا نكتب به) بإقامة أبي جعفر (النائب الثاني للإمام المهدي عليه السلام) مقامه» ^٧.

بينما هناك توقيع من الإمام المهدي عليه السلام صدر بخط أحمد بن إبراهيم النوبختي أملاه عليه الحسين بن روح النوبختي (النائب الثالث للإمام المهدي) ^٨. وقد ورد أيضاً استخدام كلمة التوقيع في الأحاديث غير المكتوبة عن الإمام الثاني عشره ^٩ كما أنَّ الشيخ الصدوق قد ذكر بعض تلك الأحاديث للإمام المهدي عليه السلام في قسم التوقيعات ^{١٠}.

ولكن كان أيضاً ضمن التوقيعات بعض كلمات النواب الأربعة^{١١} وقد ذكر البعض^{١٢} أنّ السبب في ذلك هو كلام الحسين بن روح النوبختي يصف نفسه بأنّ ما يقوله هو «عن الأصل ومسموع عن الحجّة»^{١٣}. وقد أحصيت أعداد التوقيعات في المصادر الحديثية إلى حدود مئة توقيع عن الإمام المهدي^{عليه السلام}^{١٤}، حيث تعود أكثرها إلى عصر الغيبة الصغرى، فقد ذكر الشيخ الصدوق^{رحمته الله} توقيعاً ودعاءً واحداً في كتاب كمال الدين، بينما الشيخ الطوسي قد ذكر^{رحمته الله} توقيعاً في كتاب الغيبة، اثني عشر منها قد نقله عن الشيخ الصدوق من كتابه كمال الدين^{١٥}، مضافاً إلى ذلك فقد ورد في كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي (وهو من مصادر القرن السادس الهجري) توقيعان عن الإمام المهدي^{عليه السلام} منسوبة إلى الشيخ المفيد الذي يُعد من أعلام زمان الغيبة الكبرى^{١٦} وهذا ما حدا ببعض الأعلام في عدم الوثوق بهما فضلاً عن جهالة الوساطة بين صاحب الاحتجاج والمفيد^{١٧}.

الفرع الثاني: تقسيم توقيعات الإمام الحجّة^{عليه السلام}

تمّ تقسيم التوقيعات الصادرة من الإمام الحجّة المنتظر^{عليه السلام} عدّة تقسيمات بناءً على عدّة أسس، منها الأساس الموضوعي ومنها الأساس الشخصي أي شخص النائب المخبر عن التوقيع ومنها الأساس الزمني أي ما صدر أثناء الغيبة الصغرى وما صدر بعدها.

ولكن مراعاة لطبيعة هذا البحث العلمي تمّ الاختصار على الأساس الموضوعي ولأنّه الأكثر شهرة واستئناساً بتقسيم التوقيعات لخمسة أقسام حاول البحث فيها استيعاب أكثرها وكما يأتي:

أولاً: توقيعات الاعتقاد

وهي تارة تتعلق بإثبات إمامة الحجّة وغيبته^{عليه السلام} كما في احتجاجه^{عليه السلام} الموجه لمحمّد بن إبراهيم بن مهزيار ((يا محمّد بن إبراهيم لا يدخلك

الشك فيما قدمت له فإن الله لا يخلي الأرض من حجة ..^{١٨} أو ما يتعلق بالتوحيد كما في توقيعه ﷺ جواباً على محمد بن علي بن الهلال الكرخي ((يا محمد بن عليّ تعالى الله عزّ وجلّ عما يصفون سبحانه وبحمده ليس نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره كما قال في محكم كتابه تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ..﴾^{١٩} وإلى غير ذلك من الأمور المتعلقة ببقية أصول الاعتقاد من نبوة وإمامة ومعاد وكلّ ما يتعلق بها.

ثانياً: توقيعات ردّ الشبهات

وهذه الشبهات جمع شبهة والتي تعني ما اشتبه الحقّ بالباطل في شتى المواضيع حتى أضحت منزلقاً لكثير من الناس منها توقيعه ﷺ في ردّ قول المفوّضة بتفويض الخلق و الرزق إلى الائمة ﷺ: ((إنّ الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسم الأرزاق لأنّه ليس بجسم ولا حال في جسم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فأما الائمة ﷺ فإنّهم يسألون الله تعالى فيخلق ويسأله [يسألونه] فيرزق إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقهم^{٢٠})).

ثالثاً: توقيعات أحوال النواب الأربعة

وهي عدد من التوقيعات الخاصّة بنواب الحجة الأربعة: عثمان بن سعيد، وابنه محمد الخلاني، والحسين بن روح النوبختي، وعليّ بن محمد السمری، سواء في إثبات نيابتهم أو خصوص شأنهم، ومن أمثلة ذلك ما خرج من الناحية المقدّسة في تعزية محمد بن عثمان في وفاة أبيه بقوله ﷺ: ((إنّا لله وإنا إليه راجعون تسليماً لأمره ورضى بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله عزّ وجلّ وإليهم نصر الله وجهه وأقاله عثرته^{٢١})). أو التوقيع المتعلّق بتوثيق النائب الثالث النوبختي بقوله ﷺ ((نعرفه عرفه

الله الخير كلّه ورضوانه وأسعده بالتّوفيق وقفنا على كتابه وهو ثقتنا بما هو عليه وأنّه عندنا بالمنزلة والمحلّ اللّذين يسرّانه زاد الله في إحسانه إليه أنّه وليّ قدير والحمد لله لا شريك له و صلّى الله على رسوله محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً))^{٢٢}.

رابعاً: توقيعات تكذيب أدعياء النيابة والسفارة

وهي عدّة توقيعات جاءت بلعن وتكذيب أشخاصاً بأسمائهم الصريحة، حيث ادّعوا كذباً بمقام الباب أو السفارة له كأبي محمّد الشّريعيّ ومحمّد بن نصير البصريّ وأحمد بن هلال الكرخيّ والحسين بن منصور الحلاج. ومن أمثلة تلك التوقيعات ما صدر من الناحية المقدّسة بحقّ ابن أبي العزّاق المعروف بالشّلمغانيّ ((بسم الله الرّحمن الرّحيم قد وقفنا على هذه الرّقعة وما تضمّنته فجميعه جوابنا ولا مدخل للمخذول الضّالّ المضلّ المعروف بالعزّاقريّ لعنه الله في حرف منه وقد كانت أشياء خرجت إليكم على يدي أحمد بن هلال وغيره من نظرائه وكان من ارتدادهم عن الإسلام مثل ما كان من هذا عليهم لعنة الله وغضبه))^{٢٣}.

خامساً: توقيعات مسائل الفقه

نقلت توقيعات كثيرة عن الإمام الحجّة عليه السلام حول أبواب الفقه، منها ما يتعلّق بإرجاع شيعته إلى الفقهاء في معرفة الحكم الشرعي كما في التوقيع الصادر منه إلى الشيخ المفيد: ((وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليكم))^{٢٤}.

ومنها ما يتعلّق بمسائل الفقه، وهي كثيرة كجوابه على أسئلة محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري الكثيرة، كما في جوابه عن تكبير الصلاة بقوله عليه السلام ((إن فيه حديثين: أما أحدهما فإنّه إذا انتقل من حالة إلى أخرى فعليه التكبير، وأما الآخر فإذا رفع رأسه من السجدة الثانية فكبر ثمّ جلس ثمّ قام فليس عليه

في القيام بعد القعود تكبير وكذلك في التشهد الأوّل يجري مثل هذا المجرى، وبأيّهما أخذت من باب التسليم كان صواباً^{٢٥}.

والحاقاً لما تقدّم مما نقل عنه عليه السلام صدور العديد من الأدعية، حيث الإشارة إليها هنا ليس من باب المصداق للتوقيعات، بل هي تدخل ضمن جملة المأثور عنه عليه السلام كمنهج تربوي أرادته لشيعة ممّا يجتمع مع توقيعاته في وحدة الهدف، ومن جملة الدعاء قوله ﷺ ((اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَكْرِمْ أَوْلِيَاءَكَ بِإِنْجَازٍ وَعِدِّكَ وَبَلِّغْهُمْ دَرْكَ مَا يَأْمَلُونَ مِنْ نَصْرِكَ وَاكْفِفْ عَنْهُمْ بِأَسْ مِنْ نَصَبِ الْخِلَافِ عَلَيْكَ وَتَمَرَّدِ بِمَنْعِكَ عَلَى رُكُوبِ مَخَالَفَتِكَ وَاسْتِعَانِ بِرِفْدِكَ عَلَى فُلِّ حَدِّكَ ..))^{٢٦} وقوله أيضاً ((أَسْأَلُكَ أَنْ تَصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَنْجِزَ لِي مَا وَعَدْتَنِي إِنَّكَ أَنْتَ الصَّادِقُ وَلَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))^{٢٧}.

الفرع الثالث : التوقيع الأخير

وهذا التوقيع قد صدر من الناحية المقدّسة إلى السفير الرابع الشيخ علي بن محمد السمرى في آخر زمان الغيبة الصغرى، وهو فضلاً عن كونه محل البحث هنا، فهو لا يزال موضع اهتمام ودراسة العلماء والباحثين لما يحمله من مضامين عالية ومصدراً لاستنباطات عديدة سيأتي الخوض فيها ضمن البحث الثالث، وأمّا ألفاظ هذا التوقيع فالنظر فيها من خلال النصّ الآتي:

«أخبرنا^{٢٨} جماعة عن أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه قال حدّثني أبو محمد الحسن بن أحمد المكتّّب قال كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشّيخ أبو الحسن عليّ بن محمد السّمرى قدّس الله روحه فحضرته قبل وفاته بأيّام فأخرج إلى النّاس توقيعاً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عليّ بن محمّد السّمريّ أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام فأجمع أمرك ولا توصّ إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التّامة فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيّأتي شيعتي من يدّعي المشاهدة ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السّفيانيّ والصّيحة فهو كذاب مفتر.

ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.))^{٢٩}

قال فنسخنا هذا التّوقيع وخرجنا من عنده فلمّا كان اليوم السّادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه فقليل له من وصيّك من بعدك فقال لله أمر هو بالغه وقضى فهذا آخر كلام سمع منه رضي الله عنه وأرضاه.))^{٣٠}

وأما زمان وفاته ومكان دفنه فعن لسان الشيخ الطوسي: أخبرني الحسين بن إبراهيم عن أبي العبّاس بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمّد الكاتب أنّ قبر أبي الحسن السّمريّ رضي الله عنه في الشّارع المعروف بشارع الخلنجيّ من ربع باب المحوّل قريب من شاطئ نهر أبي عتاب، وأما سنة موته فكانت تسعاً وعشرين و ثلاثمائة للهجرة النبوية الشريفة^{٣١}.

ويمكن أن يُقال ثمة إشكال في وصف هذا التوقيع بالأخير، حيث لازم هذا الوصف عدم ورود أي توقيع بعده، ولكن المشهور هو وجود توقيعان صادران من الناحة المقدسة موجهة إلى الشيخ المفيد، إلّا أن البعض يتوقف في قبول هذين التوقيعين الأخيرين بناءً على مخالفتها لمضمون التوقيع الأخير وتعارضه مع وصف «الأخير»، بينما البعض الآخر يرى إمكانية الجمع بينهما من خلال أن وصف الأخير يختص بما صدر من خلال السفراء الأربعة، الذي آخرهم الشيخ السمري، ولكن يبقى ثمة إشكال آخر

مفاده أن التوقيعين المنسوبين للشيخ المفيد لم يردا في أي من كتبه وأثاره، وإنما نقلهما الشيخ صاحب الاحتجاج.

المبحث الثاني : دراسة التوقيع الأخير سنداً

تعدّ دراسة سند الحديث ذات أهمية كبيرة لأنّها تمثل الواسطة في إثبات وجود الحديث، ويمكن على ضوء ثبوت الحديث الإقدام بهمة نحو دراسة متن الحديث وتحليله، ولذا سيتم تقسيم هذا المبحث إيجازاً لأبرز مطالبه إلى ثلاثة فروع، فالأول حول رجال السند والثاني حول أبرز حجج التوثيق والتضعيف للسند، بينما الفرع الثالث للبحث عما يقترن بالحديث من أمارات أو وجوه تقوية السند وكما يأتي:

الفرع الأول : رجال السند

تظهر سلسلة رجال هذا الحديث حسب كلام الشيخ الصدوق الآتي: «حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المكتّب قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ عليّ بن محمد السمری قدّس الله روحه..» أنّه ليس هناك من رجال في سند هذا التوقيع إلا واسطتين بين الشيخ الصدوق والناحية المقدّسة له ﷺ، ومن هنا سوف يبدأ البحث عن أقوال الرجالين عن كلّ من الواسطتين بناءً على عدم الخلاف في وثاقة الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه وكما يأتي:

أولاً: الواسطة الأولى (أبو محمد الحسن بن أحمد المكتّب)

ويمكن الاطلاع على أحواله من خلال كلمات بعض ذوي الشهرة في التحقيق من الرجالين الذين بحثوه ضمن جهتين، أمّا الأولى ففي تحديد اسمه وأمّا الثانية فهي جهة توثيقه:

١ - جهة الاسم: فالبعض ذكره تحت اسم «الحسن» والآخر تحت اسم «الحسين» وكما يأتي:

أ. اسم «الحسن»: فقد ذكره السيد الخوئي بهذا الاسم في كتابه معجم رجال الحديث^{٣٢}، وأيضاً ذكره الشيخ النمازي باسم «الحسن»^{٣٣}.
 ب. اسم «الحسين»: فقد ذكره تحت اسم «الحسين» السيّد الأمين صاحب كتاب أعيان الشيعة^{٣٤}، وكذلك ذكره السيّد الطباطبائي تحت اسم «الحسين»^{٣٥}.

وقال ابن حجر تحت اسم من تسمى بالحسين: «الحسين بن إبراهيم بن أحمد المؤدّب»^{٣٦}، وأمّا السيّد الأبطحي فقد ذكره تحت اسم «الحسين» مرجّحاً على كونه باسم «الحسن»: «كان الحسين من مشايخ الصدوق قدس سره، روى عنه في كتبه كثيراً مترضياً مترحماً عليه»^{٣٧}.

٢- جهة توثيقه: فقد افرق الرجاليون في توثيقه بين مدح وجهالة وكما يأتي:
 أ. جهالته: كما في وصفه من قبل المشهور بكونه من المجاهيل؛ لعدم ورود ذكر بحقه بمدح أو قدح وذلك لجهلهم بحاله.

ب. مدحه: فقد ذكره السيد الخوئي بقوله: «هو من مشايخ الصدوق وقد ترضى عليه في جميع الموارد»^{٣٨}، وكذلك الشيخ النمازي ذكره بخير بقوله: «من مشايخ الصدوق [ذكره] في كتبه مترضياً عليه»^{٣٩}، وكذلك مدحه السيّد صاحب الأعيان بقوله: «الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدّب أو المكتّب، لم ينص على توثيقه سوى أنّ الصدوق أكثر من الرواية عنه مترضياً مترحماً، وهو كافٍ في جلالته»^{٤٠}، وكذلك ذكره السيّد الطباطبائي بأوصاف المدح بقوله: «الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتّب: من أجلة مشايخ الصدوق»^{٤١}، بينما السيّد الأبطحي فقد مدحه بنقل ترضي الصدوق عليه: «كان الحسين من مشايخ الصدوق قدس سره، روى عنه في كتبه كثيراً مترضياً مترحماً عليه»^{٤٢}.

وأما من علماء الجمهور فقد مدحه ابن حجر بقوله: « روى عن أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدي وغيره، قال علي بن الحكم في مشائخ الشيعة، كان مقيماً بقم، وله كتاب في الفرائض أجاد فيه، واخذ عنه أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه، وكان يعظمه »^{٤٣}.

ثانياً: الوساطة الثانية (أبو الحسن علي بن محمد السمری)

علي بن محمد السمری (المتوفى سنة ٣٢٩ هـ) ويُدعى أيضاً بالسَّيمَرِي أو الصَّيْمَرِي، وعُدَّ من أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام) الذي كاتبه في حياته، وهو السفير الرابع والأخير للإمام المهدي والذي تولَّى مهمة السفارة بعد الحسين بن روح مدَّة ثلاث سنوات (٣٢٦-٣٢٩ هـ)^{٤٤}، ولم يرد فيه نص صريح من الناحية المقدَّسة بالنيابة بخلاف السفراء الثلاثة السابقين، ومع ذلك فقد عُرفت نيابته الخاصَّة بالتَّسالم والاتِّفاق الذي وُجد بين الموالين حتَّى تعارف بين الناس على أن يدفعوا إليه ما لديهم من حقوق شرعية^{٤٥}، وذلك ناشئ من تبليغ الحسين بن روح النيابة له عن الإمام المهدي (عليه السلام)^{٤٦}، وبوفاة السمری انتهت الغيبة الصغرى وبدأت الغيبة الكبرى للإمام (عليه السلام)^{٤٧}. ومما تقدَّم تبدو وثاقة السمری أمراً شائعاً، ولذا من نافلة القول ذكر نماذج التوثيق الآتية:

١. ذكره الشيخ الوحيد البهبهاني باختصارٍ قائلاً: «جلالته أشهر من أن يذكر»^{٤٨}

٢. وصفه الشيخ عباس القمي بقوله: «بأنَّه معظَّم وجليل، قام بأمر النيابة»^{٤٩}

٣. ذكر الشيخ عليّ النمازي الشاهرودي منزلته: «بأنَّ وثاقته وجلالته أشهر من أن يُذكر، وأظهر من أن يُحرَّر، وهو كالشمس في رابعة النهار»^{٥٠}

الفرع الثاني : حجج التوثيق والتضعيف

ومّا تقدّم من بيان أحوال رجال سند التوقيع الأخير للإمام الحجة عليه السلام يمكن تلخيص أدلة وثاقة السند وأدلة تضعيفه من خلال الفقرتين الآتيتين:

أولاً: حجج توثيق السند؛ ويمكن إيجازها وفقاً لما تقدّم ذكره بما يأتي:

١- أوصاف المدح: من قبيل ذلك وصف المكتّب (الواسطة الأول) بأنّه أستاذ الشيخ الصدوق وأحد مشايخه وأنه كثيراً ما ترصّي عنه وترحم عليه، بل كان يُعظّمه.

وأما الشيخ السمرى فقد وُصف بأنّه معظّم وجليل، بل جلالته أشهر من أن تُذكر.

٢- كونه من أصحاب الأئمة عليه السلام: وهذه الحجة تتعلّق بالشيخ السمرى حيث كان من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام^١.

٣- النيابة أو الوكالة: وهذه الحجة تختص أيضاً بالشيخ السمرى (الواسطة الثانية) حيث كان معروفاً بكونه نائباً للإمام الحجة المهدي عليه السلام^٢.

ثانياً: حجج تضعيف السند؛ ويمكن إجمالها بما يأتي:

١- جهالة المكتّب (الواسطة الأولى في سند التوقيع): وذلك لعدم ورود مدح أو ذمّ بحقه، هذا من جهة ومن جهة أخرى وجود التردّد حول اسمه، هل هو «الحسن» أم «الحسين»؟ إذ مع كونها لشخصين دون واحد يزيد من إشكال الجهالة.

٢- عدم النصّ على السمرى: حيث لم يثبت نصّ من قبل الإمام المهدي عليه السلام بالنيابة عنه، ولعل البعض يعترض فيقول ألا يكفي صدور التواقيع إليه من قبل الناحية المقدّسة دليلاً على النيابة؟ قلنا أن تلك التواقيع إنما هي أمر لاحق على ثبوت النيابة وأنها مظاهر للنيابة بينما الكلام في هذا الوجه

من التضعيف إنما هو في أصل ثبوت النيابة والتشكيك فيه لغياب النصّ الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام على تنصيب السمري نائباً له.

الفرع الثالث : قرائن الترجيح

وهي مجموعة من الأمارات التي يمكن الاستناد إليها في تعزيز جانب التوثيق للتوقيع الأخير ويمكن تلخيصها بما يأتي:

أولاً: كونه من أهل العلم؛ وهذا الأمر ليس في حد ذاته توثيق للرجل بل إنه ممّا يعزز أهليته لمنصب النيابة ولياقته في النقل الدقيق لأجوبة عن المسائل الشرعية، وهذه القرينة ممّا تجتمع مع الوساطة الأولى في سند التوقيع الأخير «المكتب» والوساطة الثانية «السمري».

ثانياً: كونه من أصحاب الأموال؛ وهذه القرينة تختص بالشيخ السمري وهي في غاية الأهمية، إذ كثير من مدّعى السفارة كانت أهدافهم مالية بسبب عوزهم المالي، سواء كان طلبهم للمال إما لمنافعهم الشخصية أو لأجل شراء الأتباع لهم والترويج لأنفسهم، فكونهم في وضع اقتصادي حسن يضعف من احتمال ادعائهم السفارة طلباً للمال.

ثالثاً: تسليم الوكلاء ما عندهم من حقوق شرعية إليه، وهذه القرينة مكّمة لما تقدّم بناءً على أن التسليم الطوعي للأموال من قبل عامّة الناس فضلاً عن الوكلاء والعلماء يزيد من قوة الوثاقة في شخص النائب «الشيخ السمري» لثقة الناس فيه واطمئنّانهم لمصير أموالهم وهي أمر عرفي صالح لكلّ زمان ومكان، ولا يحسن التغافل عنها، بل هذه القرينة لو لم تكن مكّمة لبناء القرائن السابقة فهي بحد ذاتها لا يبعد الحكم بكونها دليلاً مستقلاً على وثاقة الشيخ السمري والله العالم والهادي للحقّ.

المبحث الثالث : دراسة التوقيع الأخير متناً

إن دراسة متن التوقيع الأخير للإمام الحجة المنتظر عليه السلام تتطلب تحليل فقراته وفقاً لتصنيف مطالبه حسب درجة أهميتها استناداً للغرض الأساس من التوقيع، ومن هنا سيتم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة فروع، الأول منها حول إجمال جميع مطالب التوقيع، والثاني لبيان إشكالاته، وأمّا الثالث للتركيز على مدلولاته وإمعان النظر في الغايات المحتملة من الشارع الحكيم، والفروع كما يأتي تباعاً:

الفرع الأول : مطالب التوقيع

بعد الفراغ من تحقيق سند التوقيع الأخير للإمام الحجة عليه السلام وصل الكلام إلى تحليل متن التوقيع الذي هو جوهر البحث، ومن أجل بيان مضامين التوقيع سيتم ذلك وفقاً للتفصيل الآتي لمطالب التوقيع:

أولاً: خارطة المطالب

افتتاح: ((بسم الله الرحمن الرحيم))

١- إخبار: ((يا عليّ بن محمّد السّمريّ أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيام))

٢- إنشاء: ((فأجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك))

٣- إخبار: ((فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره))

٤- بيان: ((وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً))

٥- إخبار: ((وسياّتي شيعتي من يدّعي المشاهدة))

٦- بيان: ((ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السّفيانيّ والصّيحة فهو كذاب مفتر))

٧- تسليم: ((ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم))

وفقاً لما تقدم أعلاه فقد أوضح عليه السلام بعد افتتاح التوقيع الأخير الموجه

للسمري بالبسملة «بسم الله الرحمن الرحيم» سلسلة من سبعة مطالب كما في الخريطة الآتية:

[إخبار ← إنشاء ← إخبار ← بيان ← إخبار ← بيان ← تسليم]

وهذه المطالب السبعة يمكن إيجاز مضمونها حسب الترقيم الآتي:

١- إخبار غيبي: حيث يقول ﷺ في الفقرة الأولى: ((يا عليّ بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام)) وهو إخبار بأمرٍ مستقبلي^{٥٣}.

٢- إنشاء مركب من أمر ونهي: حيث يقول: ((فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك)) أي أمر بأخذ الأهبة للرحيل عن الدنيا، ونهي بعدم جواز العهد للغير بشيء فيما يختص بمقام النيابة عن الإمام الحجة ﷺ.

٣- إخبار عن الغيبة التامة: حيث يقول ((فقد وقعت الغيبة التامة ، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره)) والتعبير بوصف «التامة» للدلالة على انقطاع النيابة في مقابل ما سبق وهي الغيبة غير التامة حال وجود النواب الأربعة، وهو أمر واضح لا يجادل فيه إلا من في ذهنه لوثة فهم لأساليب اللغة العربية.

٤- بيان لأوصاف الغيبة التامة: حيث يقول ﷺ: ((طول الأمد ، وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً)).

٥- إخبار عن الكاذبين: حيث يقول ﷺ: ((وسياتي شيعتي من يدّعي المشاهدة..فهو كذاب مفتر)).

٦- بيان علامات الفرج: حيث يقول ﷺ لا ظهور له ﷺ قبل: ((السفاني والصيحة)).

٧- التسليم لأمر الله تعالى: حيث يختم به التوقيع: ((ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)).

ثانياً: المطالب الرئيسة

ومما تقدّم آنفاً يمكن جمع المطالب الرئيسة للتوقيع بأمرين، هما تقرير الغيبة التامة وتحذير شيعته من مدّعي مشاهدته في زمان الغيبة التامة، بناءً على أنّهما موضوعان مستقلان كانا الهدف المباشر من التوقيع، والأمران كما يأتي:

١. تقرير الغيبة التامة: وهذا المطلب الرئيسي مركب من المطالب الثلاث الأوائل (الإخبار + الإنشاء + الإخبار) حيث الأوّل إخبار بالموت، والثاني إنشاء مؤلف من أمر بالاستعداد (أجمع) ونهي (لا توص) والثالث كان إخباراً (فقد وقعت الغيبة التامة).

وهذه الغيبة التي وُصفت بالتامة أو ما يُعبّر عنها بالغيبة الكبرى بناءً على طول فترتها الزمنية في مقابل الغيبة حال وجود النواب الأربع، والتي يُعبّر عنها بالغيبة الصغرى بسبب قصر فترتها الزمنية، والتي كانت بحدود ٧٠ عاماً.

ثمّ إنّهُ يلزم من هذا المطلب الرئيس لوازم مهمة عبارة عن مفاهيم غير صريحة مستفادة من منطوق المطالب الرئيسة والتي يمكن تلخيصها بما يأتي:

(أ) انقطاع النيابة الخاصّة: أي لا وجود لأي باب من أبواب الاتصال بالناحية المقدّسة.

(ب) الاقتصار على الموروث السابق: ويعنى عدم صدور أي توقيعات بعد ذلك الوقت.

٢. التحذير من مدّعي مشاهدته

وهذا المطلب مهم جداً وخطير، حيث يكشف الإمام عليه السلام لشيعته ما سيظهر من دعاوى باطلة بسبب كذب وافتراء الكثيرين من عبيد الدنيا،

بل جملة منهم كان من المقرّبين الذين لم يكونوا أهلاً لتحمل الأمانة فسقطوا في وحل الشيطان عندما سارعت خطاهم نحو ادّعاء النيابة الخاصة عن الناحية المقدسة في الغيبة الصغرى، فكيف الحال إذاً مع الغيبة الكبرى حيث لا وجود للنواب الذين يبلغون كذب وافتراء المدّعين؟!.

بل هنا يظهر الابتلاء الحقيقي الأكبر لشيعّة أهل البيت في زمان الغيبة، والذي يقتضي ضرورة التصدّ والحذر من الدعاوى الباطلة التي يمكن للمؤمن المتبسّر الانتباه إليها وعدم السقوط في الفتنة بالفتات واضح وبسيط، وهو مطالبة المدّعي بدليل المشاهدة، الذي لا ينفع معه مجرّد الرؤية في المنام أو اللقاء المباشر، بل المطالبة بما يرافق دعاوى المشاهدة من أمر حسيّ أشبه بالكرامة أو المعجزة، وهذه المطالبة أمر طبيعي وإلا لأصبحت دعاوى المشاهدة لكلّ من هبّ ودبّ، وأضحى المذهب ألعبوبة وأضحوكة للغير وهذا ما لا يمكن التسامح فيه أبداً، لأنّها الأمانة التي أخذها ربّ العزة والجلال من عباده المؤمنين بحقّ أوليائه الصالحين بعد أن أعرض عنها أو خانها الكثيرون^{٥٤}.

وأيضاً يترتّب على هذا المطلب الرئيس عدّة لوازم يمكن إيجازها بما يأتي:

أ. مدّعي المشاهدة يأتي الشيعة: وهذا يعنى أنّه يسعى بعرض نفسه من وراء ادّعاء المشاهدة، فيكون المعنى الحقيقي من «المشاهدة» ليس الرؤية البصرية المجردة بل هو ادّعاء الباب والنيابة للناحية المقدّسة.

ب. مدّعي المشاهدة كذاب ومفتّر: وهو وصف لازم لمن يدّعي الباطل، وأيضاً هو وصف شاهد على انحراف المدّعي وفساده أساساً فيكون الادّعاء سبباً في ظهور زيفه وانحرافه علناً للناس، أي أنّ ادّعاء المشاهدة قد فضح حاله الحقيقي^{٥٥}.

ثالثاً: المطالب الثانوية

ولم يقتصر التوقيع على بيان مطالبه الرئيسة بل أضاف إليها عدد من المطالب الثانوية بناءً على أنها لم تكن هي المقصود الرئيس من خطاب التوقيع بل جاءت تابعة للجمل الخبرية الرئيسة، والتي يمكن إجمالها بما يأتي:

١- طول أمد الغيبة الكبرى: وهذا المعنى عبارة عن وصف لزمان الغيبة التامة بطول المدّة.

٢- حتمية خروج السفياي والصيحة: وهنا إخبار يؤكد علامتين من علامات الظهور الحتمية، هما خروج السفياي وسماع الصيحة، (اللهم نستجير بك من زلّة القدم).

الفرع الثاني: إشكالية التوقيع

تبرز هنا في البحث عدد من الإشكاليات، وسوف يقتصر الكلام على عرض اثنين منها، مع محاولة الإجابة عنها بإيجاز غير مخل من خلال الفقرتين الآتيتين:

أولاً: تكذيب المشاهدة

وأما الإشكال الشائع حول كيفية الجمع بين عدد من دعاوى المشاهدة الصادرة من علماء ورجال ثقة ثقة وهذا المطلب الرئيس للتوقيع في تكذيب من يدّعي المشاهدة، والجواب عن هذا الإشكال سيكون من خلال المراحل الآتية المتسلسلة منطقياً:

إما أن نكذب هؤلاء المدّعين حفاظاً على سلامة متن التوقيع ومعناه الظاهر، ولكن هذا الرد يعوقه أمران، الأول لزوم ضرب ظاهر أو صاف التقوى والتوثيق لجملة من العلماء وإبطال آثارهم العلمية والتربوية من جرّاء تكذيبهم بسبب دعواهم مشاهدة الإمام الحجة عليه السلام، والثاني أن لا يكون المقصود من لفظ «المشاهدة» الرؤية النيابية أو التبليغية.

وهنا تعالت صيحات إبطال التوقيع، فبعضها كان من أجل الحفاظ على قدسية أولئك العلماء المشاهدين «للإمام (عليه السلام)» أثر ضرب الحديث وإسقاطه بعد تضعيف سنده أولاً ومن ثم ضرب مدلوله ثانياً.

بينما نجد البعض الآخر حفاظاً على مآربه في دعوى النيابة الخاصة أصرّ على أن المقصود الوحيد للمشاهدة هو الرؤية البصرية الواقعية بناءً على أن مضمون التوقيع لا يُخالف إلا تلك المشاهدة البصرية وأما المشاهدة من قبل مدعي النيابة الخاصة، وإلا مع الاصرار على أن مقصود المشاهدة هو مطلق المشاهدة فتشمل مشاهدة مدعي النيابة الخاصة فإنه سيبطل التوقيع، أي بتعبير آخر إما أن يحرص هؤلاء المساكين مقصود المشاهدة بالرؤية البصرية الواقعية فقط فيقبل التوقيع وإلا فالتوقيع لديه ساقط سنداً تبعاً لأهوائهم الفاسدة .

بل إن الحكم بصدق دعاوى المشاهدة للثقة والتقاة من خلال الجمع بين الرؤية البصرية الواقعية وصحة التوقيع هو أمر وارد واحتمال مقبول جداً إن لم نجزم بأنه هو التفسير الصحيح لا غير، وذلك بناءً على أن المقصود من المشاهدة هي الرؤية البصرية الواقعية المقترنة بدعوى النيابة الخاصة، والشاهد على هذا هو تعبير التوقيع ذاته بقوله: «سيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة» فالإمام (عليه السلام) يبين أن المدعي للرؤية لا يكفي بذلك بل يأتي شيعة أهل البيت (عليهم السلام) ساعياً لإخبارهم قاصداً تبليغهم أمراً آخر وليس مجرد الرؤية، فضلاً عن أن أغلب العلماء الثقة ممن تشرفوا بالرؤية لم يصرحوا عن ذلك بأنفسهم، بل لم يعلم الشيعة عن تلك الرؤية إلا بعد رحيلهم عن الدنيا، بل إن الكثير قد أخذ العهد والمواثيق بالتحديث عن الرؤية إلا بعد مماتهم^{٥٦}، ومن أجل ذلك تم التعبير عن المطلب الرئيس الثاني بعنوان «التحذير» وليس «التكذيب» منعاً للإطلاق في الثاني دون الأول .. فتأمل.

ومع كل ما تقدّم فلو سلّمنا بضعف سند التوقيع جداً فإن مضمونه من المؤكد ليس فيه ممّا يُعارض المبادئ العامة للإسلام أو الثوابت الاعتقادية لمنهج العترة الطاهرة للنبي الأكرم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وفي ذلك ذكرى للذاكرين.

ثانياً: تعارض كثرة الجور وقسوة القلوب مع حكمة الغيبة

كما هو معلوم وفقاً لرحمة الله التي وسعت كل شيء في هداية خلقه أن لا يدع سبيلاً من أجل ذلك إلا ويسره لخلقه، ولكن إصرار أكثر الناس على ارتكاب الباطل والصد عن طرق الهداية والصلاح^{٥٧}، فهذه سيرة النبي المصطفى ﷺ تؤكد هذا المعنى مع كل الناس سواء في تعامله مع عموم الناس^{٥٨} أو المشركين^{٥٩} أو أهل الكتاب^{٦٠} أو المسلمين^{٦١} وقد قال رسول الله ﷺ: إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد والمتمرد على الله وأبى أن يقول: لا إله إلا الله^{٦٢} لأن الله لا يرضى لعباده الكفر^{٦٣}.

ومما تقدم والشواهد الكثيرة من سير الرسل والأنبياء التي أبرزها الفترة الطويلة لنبي الله نوح عليه السلام يظهر حلم الباري تعالى على عباده وإن زادوا غيًّا وضلالة ولعله من حكمة الإمهال وطول الأمد أن يخرج من أصلاهم من يسلك طريق الهداية والاستقامة، حتى مجيء الأمر الإلهي كما في سورة نوح عليه السلام بقوله تعالى على لسان نوح: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^{٦٤}، فليس سبب زيادة الجور والقسوة لطول الزمان، بل ليس مصدر الأمرين واحداً حتى يقتضي التعارض، لأن الأوّل فعل المخلوق بينما الثاني فعل الخالق، بل هنا تجلّ الرحمة والحكمة الإلهية في إمهال عباده لا لمجرد إلقاء الحجّة عليهم بل لسد الثغرات على الشيطان وكشف وساوسه وغوايته لعل الناس يهتدون^{٦٥}.

الفرع الثالث : مدلولات التوقيع وغايات المشرع

بعد هذه الرحلة من البحث والتحليل وصل الكلام لإيجاز ما يريده الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام من شيعته، بناءً على أنه خطاب حي ووصية مباشرة لشيعته عليهم السلام وليس مجرد مطالب إخبارية تاريخية، ومن هنا يمكن وضع الإصبع على عدد من مدلولات وغايات المشرع الحكيم حسب النظر القاصر للبحث ومنه تعالى العون والتسديد كما يأتي:

أولاً: مدلولات التوقيع

يمكن تلخيص أبرز مدلولات التوقيع الأخير للإمام الحجّة عليه السلام صعوداً وفقاً للتسلسل الآتي:

- ١- انتهاء السفارة أو النيابة الخاصة عن الناحية المقدسة للحجة المنتظر عليه السلام.
- ٢- ضرورة الاستعداد للغيبة التامة لكل من زمان صدور التوقيع أو لزمان ما بعده من خلال التكيف مع غيبة الحجّة المنتظر عليه السلام من حيث رسوخ العقيدة بصبر وإيمان، وكذلك حسن الصمود للمنكرين والمستهزئين.
- ٣- عدم الجزع من طول المدة للغيبة، وقسوة القلوب، شدة الظلم المستفادة من التعبير بصيغة «امتلاء الجور» وهو عبارة عن استعارة بلاغية تصدع لها القلوب!! بل ينبغي معها التسليم للقضاء الإلهي وحسن تدبيره.
- ٤- عدم خلو الزمان من دُعاة الباطل الساعين باستمرار للتدليس على طريق الحق والتلبيس على عقول الناس من خلال الفعل المضارع «سيأتي» المقترن بسين المستقبل، فجمع الفعل «سيأتي» بين المادة (الإتيان) وهيأة المضارع (الحال والاستقبال) وقرينة الوعد (السين)، ف سبحانه الله من فعل له مثل هذه المدلولات، والتي أعمق منها كشفه عن مدلول السعي الشيطاني على يدى دعاة الباطل تارة باسم المهدي وأخرى بأسماء أتباعه كاليماي وغيره الذين وإن فشلوا في مشروعهم من خلال سيرتهم الفاسدة

لا سيما من كان منهم محسوباً من طلبة الحوزة العلمية فأراد من سخره لذلك المشروع أن يستخدم ما تعلمه من تعبيرات وأساليب مشهورة في الحوزة العلمية ليدلس بها على عوام الناس ويكسب أتباعاً من كُسالى الحوزة.. إلا أن دُعاة القلم الشريف والفعل السديد كانوا لهم بالمرصاد في كشف زيفهم وتسفيه فكرهم إمام الناس.

ثانياً: غايات المشروع

ليس من السهولة بمكان القول على المشرّع الحكيم بتصوير غاياته المستفادة من هذا التوقيع الأخير للحجة المهدي عليه السلام، ولكن المقصود هنا بالعكس تماماً، أي محاولة البحث في تحديد مواضع التوقيع التي تشكل تطبيقاً للمبادئ الإلهية وكما يأتي:

١- الحكمة الإلهية: وهي تتضح بجلاء من خلال عبارة: ((فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره)).

٢- الحلم الإلهي: وهي تتضح أيضاً بجلاء من خلال موضعين، الأول من خلال التركيب الإضافي: ((طول الأمد))، والثاني من خلال جملة خبرية تظهر مدى حلمه تعالى على دعاة الباطل والفساد: ((سيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة)).

٣- الاختبار الإلهي: وهذا الامتحان العسير للإنسان اختصره التوقيع بخمسة كلمات تكشف عن أمرين؛ الأول منهما عن واقع الناس عموماً بتعبير «قسوة القلوب» والثاني عن الوضع البيئي العام لكوكب الأرض بتعبير «امتلاء الأرض جوراً».

٤- العلم الإلهي: ليس المقصود به هنا مجموع الإخبارات الغيبية، بل من خلال (عدم علم أحد بزمان الفرج) ولذا اشتهر حديث «كذب الوقتون» لكشف كذب وتدليس من تجرأ بعقله الصغير فحدد زماناً

للظهور الشريف .. نستجير بالله تعالى ونسأله حسن الانتظار والدعاء
دوماً بالفرج العاجل .. آمين رب العالمين.

الخاتمة :

بعدما تقدم من رحلة سريعة في أروقة مصطلح التعايش الاجتماعي
نوجز الخاتمة بما يأتي:

١- لا يخرج المعنى الاصطلاحي للتوقيع في جوهره عن معناه اللغوي
المتعلق بالكتابة وهو إلحاق الكتاب السابق بما يوضح معناه أو يُزاد عليه
أو يعدل فيه.

٢- يقصد بمصطلح توقيع الحجة عليه السلام: هو ما يلحق بالكتاب أو الطلب بعد
الفراغ منه ممن رفع إليه، سواء كان جواباً لسؤالٍ ما أو بياناً لشبهةٍ ما أو
تقريراً لسلوكٍ معين أو منعاً لعملٍ معين أو إرشاداً لأمرٍ ما أو كان تنبيهاً أو
تحذيراً من خطرٍ ما إلى غير ذلك مما يكشف عن حضورٍ حيٍّ فاعلٍ منه عليه السلام.

٣- إن تعبير «مدعي المشاهدة يأتي الشيعة» يعنى أنه يسعى بعرض نفسه
من وراء ادعاء المشاهدة، فيكون المعنى الحقيقي المراد من «المشاهدة» هي
ادعاء الباب والنيابة وليس مجرد دعواه الرؤية البصرية الواقعية.

٤- لخص البحث عدة مدلولات جوهرية للتوقيع منها انتهاء السفارة،
والاستعداد للغيبة وحسن التكيف معها، وعدم الجزع لطول الغيبة وكثرة
الظلم، والتنبه لدعاة الباطل.

٥- أوجز البحث مواضع التوقيع التي تُعد مصاديقاً لجملة من المبادئ
الإلهية كالحكمة الإلهية والحلم الإلهي والاختبار الإلهي والعلم الإلهي.
تم البحث .. وله الحمد

الهوامش:

- ١- ابن منظور، معجم لسان العرب، ج ١٣، ص ١٣٠.
- ٢- المعجم الوسيط / معجم اللغة العربية المعاصر، ج ٢ ص ١٠٦٣.
- ٣- محمد الريشهري، موسوعة الامام المهدي، ج ٤، ص ١١٥.
- ٤- الطوسي، الغيبة، ص ٣٥٦.
- ٥- الكليني، الكافي، ج ٧، ص ١٦٣.
- ٦- الكشي، رجال الكشي، ص ٥١٣ - ٥٥١.
- ٧- الطوسي، الغيبة، ص ٣٦٢.
- ٨- الصدوق، كمال الدين، ج ٢، ص ٥٠٨-٥٠٩.
- ٩- الشيرازي، «توقيع»، ص ٥٧٧.
- ١٠- الصدوق، كمال الدين، ج ٢، ص ٥٠٥.
- ١١- الصدوق، كمال الدين، ج ٢، ص ٥٠٢-٥٠٤؛ الطوسي، الغيبة، ص ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٢١، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢١.
- ١٢- الشيرازي، «توقيع»، ص ٥٧٧.
- ١٣- الصدوق، كمال الدين، ج ٢، ص ٥٠٨-٥٠٩.
- ١٤- محمد الريشهري، موسوعة الامام المهدي، ج ٤، ص ١١٧.
- ١٥- محمد الريشهري، موسوعة الامام المهدي، ج ٤، ص ١١٧.
- ١٦- الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٩٧-٥٠٠.
- ١٧- الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٨، ص ٢٢٠.
- ١٨- محمد تقي أكبر، نژاد. موسوعة توقيعات الإمام المهدي ص ١٣.
- ١٩- محمد تقي أكبر، نفس المصدر السابق ص ١٤.
- ٢٠- محمد تقي أكبر، نفس المصدر السابق ص ٢٥.
- ٢١- المصدر السابق ص ٤١؛ الطوسي، الغيبة ص ٣٦١.
- ٢٢- الطوسي، الغيبة، ص ٣٩٧.
- ٢٣- الطوسي، الغيبة ص ٣٧٣؛ محمد تقي أكبر، مصدر سابق ص ٨٥.
- ٢٤- الطبرسي، الاحتجاج ج ٢ ص ٢٨٣؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٤٠.
- ٢٥- الطبرسي، الاحتجاج ج ٢ ص ٤٨٣ - ٤٨٥.
- ٢٦- الكفعمي، مهج الدعوات ص ٩٠ وما بعدها.
- ٢٧- محمد تقي أكبر، مصدر سابق ص ١٨٨.
- ٢٨- الطوسي، الغيبة ص ٣٩٥.

- ٢٩- أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث ج ١٢ ص ١٧٠ وما بعدها.
- ٣٠- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٦٠.
- ٣١- الطوسي، الغيبة ص ٣٩٥.
- ٣٢- أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث: ١٨٩/٦.
- ٣٣- النمازي، مستدركات علم رجال الحديث: ٣٣٤/٢.
- ٣٤- محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٤١١/٥.
- ٣٥- علي الطباطبائي، رياض العلماء
- ٣٦- ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ٢٧١/٢.
- ٣٧- الأبطحي، تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي: ٣٧٢/٢.
- ٣٨- أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث: ١٨٩/٦.
- ٣٩- النمازي، مستدركات علم رجال الحديث: ٣٣٤/٢.
- ٤٠- محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٤١١/٥.
- ٤١- علي الطباطبائي، رياض العلماء
- ٤٢- الأبطحي، تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي: ٣٧٢/٢.
- ٤٣- ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ٢٧١/٢.
- ٤٤- الطوسي، رجال الطوسي، ص ٤٠٠.
- ٤٥- الصدوق، كمال الدين، ج ٢، ص ٥١٧.
- ٤٦- محمد الصدر، تاريخ الغيبة، ج ١، ص ٤١٣.
- ٤٧- الطوسي، رجال الطوسي، ص ٤٠٠.
- ٤٨- الوحيد البهبهاني، تعليقة على منهج المقال، ص ٢٥٨.
- ٤٩- عباس القمي، الكنى والألقاب، ج ٣، ص ٢٦٨.
- ٥٠- علي النمازي الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث، ج ٥، ص ٤٥٠، رقم ١٠٣٩٠.
- ٥١- الطوسي، رجال الطوسي، ص ٤٠٠.
- ٥٢- المعروف أنه لم يكن هناك نص على نيابته من قبل الناحية المقدسة بل كان تنصيبه بوصية النائب الثالث الشيخ الحسين بن روح، ولكن البعض يجمع بين له بين النيابة العامة والنص بقوله: «وتقلّده للنيابة العامة عن الإمام المنتظر (عليه السلام) بنص منه» انظر كتاب حياة الإمام المنتظر تأليف باقر شريف القرشي، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ ص ١٤٩.
- ٥٣- قال تعالى في سورة الجن: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) ﴿، فلعل البعض يُثير إشكالاً بأن هذه

الفقرة تعني العلم بالغيب، والجواب أن هذا ليس إخباراً من عنده ﷺ بل هو نقلاً عن آرائه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة أمين الوحي جبرائيل ﷺ عما اختص به عالم الغيب والشهادة سبحانه وتعالى نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من أمور الغيب.

٥٤- قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

٥٥- محمد الصدر، الغيبة الصغرى، ص ٦٥٤.

٥٦- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٣ ص ٢٧٠ وما بعدها.

٥٧- ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ سورة يوسف آية ١٠٣.

٥٨- ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

٥٩- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٤]

٦٠- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) سورة البقرة.

٦١- ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩) [آل عمران: ١٥٩].

٦٢- محمد الريشهري - ميزان الحكمة - ج ١ - الصفحة ٤٧٤.

٦٣- سورة الزمر آية ٧.

٦٤- سورة نوح، آية ٢٧.

٦٥- ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- * أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (٧٧٠ هـ) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تحقيق عبد العظيم الشناوي ، طبعة دار المعارف ، المدينة المنورة ١٩٧٧ م ، مادة عيش .
- * أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور ت ٧١١ هـ ، لسان العرب ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم ، طبعة أولى ، دار الكتب العلمية - محمد علي بيضون ، بيروت ١٤٢٦ هـ - لبنان .
- * أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي السنن الكبرى ، المحقق: محمد عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة: الثالثة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- * أبو الخير نشأت أحمد عطا ، قواعد الفقه والسياسة الشرعية الضابطة للتعایش السلمي ، مجلة الشريعة والقانون عدد ٤٠ أكتوبر ٢٠٢٢ مصر - القاهرة .
- * أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ، سنن أبي داود ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت .
- * لأحمد بن محمد العياش (ت ٤٠١ هـ) ، أخبار الوكلاء الأربعة
- * الكليني ، الكافي ،
- * عبد الله بن جعفر الحميري ، قرب

الإسناد إلى صاحب الأمر

* معادن الحكمة

- * محمد باقر المجلسي ، بحار الأنوار ، توقيعات ناحيه مقدسة
- * محمد تقي أكبر نژاد . موسوعة توقيعات الإمام المهدي ،
- * سعيد أبو معاش ، توقيعات الناحية المقدسة .
- * محمد الريشهري ، موسوعة الإمام المهدي .
- * روح الله الخميني ، كتاب البيع ، قم ، انتشارات اسماعيليان ، ١٣٦٣ هـ ش .
- * روح الله الخميني ، ولايت فقيه ، تهران ، مؤسسه تنظيم ونشر آثار امام خميني ، ١٣٧٣ هـ ش .
- * أبو القاسم الخوئي ، معجم رجال الحديث ، قم ، مركز نشر الثقافة الإسلامية في العالم ، ١٣٧٢ هـ ش .
- * محمد جواد الشيرازي ، «توقيع» ، دانشنامه جهان اسلام (ج ٨) ، طهران ، ١٣٨٣ هـ ش .
- * محمد بن علي الصدوق ، كمال الدين وتمام النعمة ، تصحيح: علي أكبر الغفاري ، طهران ، إسلامية ، ١٣٩٥ هـ .
- * أحمد بن علي الطبرسي ، الاحتجاج على أهل اللجاج ، تصحيح: محمد باقر خراسان ، مشهد ، نشر مرتضى ، ١٤٠٣ هـ .
- * محمد بن الحسن الطوسي ، كتاب الغيبة ، قم ، تصحيح: عباد الله طهراني وعلي أحمد ناصح ، قم ، دار المعارف

الاسلامية، ١٤١١ هـ. *الكشي، محمد بن عمر،
 *جواد بن محمد العاملي، مفتاح رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال)،
 الكرامة في شرح قواعد العلامة، تصحيح: تصحيح: حسن المصطفوي، مشهد،
 محمد باقر الخالقي، قم، دفتر انتشارات مؤسسه نشر التابعة لجامعة مشهد،
 اسلامي، ١٤١٩ هـ. ١٤٠٩ هـ.



دحضُ شبهة الغلاة بعلم الإمام (عليه السلام) بالغيب استقلالاً توقيع الكرخي انموذجاً

الشيخ سلام محمّد الناصري
العتبة العباسية المقدّسة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه ، والصلاة والسلام على من لا نبيّ
من بعده ، وعلى آله المنتجبين الأخيار ، الطاهرين الأبرار ، ما طلعت
شمس وغرب نهار .

أمّا بعد .

فلا يخفى على أرباب المعرفة والاطلاع أنّ واحداً من أبرز المهام التي قام بها
الأئمة (عليهم السلام) هو ترسيخ العقيدة الصحيحة وتثبيتها في نفوس المؤمنين من جهة ،
ومن جهة أخرى دفع الشبهات والإشكالات التي كانت ترد من المتصيدين
في الماء العكر ومن يقف ورائهم ، أو من جهلة الناس ، وهذا الدور لم يكن
مقتصراً على إمام بعينه ، بل شمل كلّ الأئمة (عليهم السلام) من دون استثناء .

وتعدّ دعوى علم الإمام (عليه السلام) بالغيب على نحو الاستقلال واحدة من
أبرز وأكبر الدعاوى التي أرجف بها الغلاة في العصور الغابرة ، ولا تزال
رواسبها تسري إلى يوم الناس هذا بين جهلة الناس وعوامهم ، وقانا الله
عز وجل شرّ موبقات الفتن .

فلم يكن والحال هذه من إمام العصر الذي تبرز في زمانه هذه الدعوى
وتظهر بوضوح إلا أن يبادر إلى نقضها وحلّها ، فجاءت التوقيعات من

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الناحية المقدّسة؛ لتبيّن مدى زيف هذه الدعوى وسخفها؛ لئلا تلتصق في نفوس المؤمنين، فتكون حاجباً لهم عن التقرب لله عز وجل بالأئمة عليهم السلام.
وأما ما ذكر من أسباب تعرّض الأئمة عليهم السلام لدفع الشبهات، فقد روى الثقات من علمائنا أحاديث مستفيضة تدلّ دلالة واضحة على أنّ الأئمة عليهم السلام لهم الدور الفاعل والأثر البارز في دفع الشبهات وردّها، ولعل هذا من الأدوار الرئيسة التي تبنّاها الأئمة عليهم السلام؛ فهم الهداة إلى الله عز وجل، والأدلاء عليه، وسبيل الله عز وجل وطريقه هو الصراط المستقيم والطريق القويم.
وواحد من هذه الأحاديث هو ما رواه ثقة الاسلام الكليني في إسناده يصل إلى صادق آل محمد عليه السلام حيث قال: ((إنّ العلماء ورثة الأنبياء؛ وذاك أنّ الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنّا أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه؟ فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين))^(١).

فزيل الحديث يكون أصدق شاهد على ما ندّعي، وخير دليل على ما نقول، فلائمة عليهم السلام هم العدول في كلّ زمان، الذين يأخذون بأيدي الناس إلى جادة الصواب، وطريق الهداية في القول والعمل، فالمنتحلون للدين والمبطلون له هم شياطين الإنس ويقف من ورائهم إبليس ظهيراً ما فتأوا يتحينون الفرصة تلو الأخرى كي يُضعفوا إيمان الناس، أو ينفوه من رأس بشتى الطرق والوسائل التي تنهياً لهم، فإذا كان والحال هذه ما كان للأئمة إلا أن يبادروا للدفاع عن الحقّ وأهله، والحقيقة التي نزلت من قبل المشرّع السماوي ربّ العزّة والجلالة تبارك وعز وجل، وذلك من أبرز تجليات قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٢). حيث فسّرت لفظة المنذر ب (معلّم لهم [أي: الناس] على وجه التخويف لهم من معاصي الله وعقابه.

وأما الهاد ، ففيه عدة آراء ، ذيلت بما روي عن أبي جعفر ، وأبي عبد الله (عليه السلام) : إنَّ الهادي هو إمام كلِّ عصر ، معصوم يؤمَّن عليه الغلط وتعمد الباطل (٣).

وهذه الورقة البحثية جاءت وفقاً للمحور الثاني المحور العقائدي من محاور مؤتمر الإمام الحجّة الذي يقع ضمن فعاليات أسبوع الإمامة الدولي الثاني ، وتحت شعار النبوة والإمامة صنوان لا يفترقان ، وبعنوان منهاج الأئمة في تربية الفرد والمجتمع.

وركزت هذه الورقة البحثية نظرها على بيان كيفية علاج الناحية المقدسة لدعوى الغلاة بعلم الإمام (عليه السلام) بالغيب استقلالاً وعرض التوقيع المبارك وشرحه وبيان فقراته بما يتناسب مع ضرورات البحث العلمي والتي وجدنا من المناسب عرضها؛ لتوضيح هذه الغائلة التي أراد الغلاة نشرها ولصقها بالأئمة بهتاناً وزوراً.

وسنخلص من هذه الورقة البحثية أنَّ الأئمة قد تبرؤوا من هذه الدعوى ومن تبناها ، وبيان أنَّها مخالفة للنظم والشرعية والقوانين الإلهية ، وأنَّ مقامهم العالي الذي وضعهم الله عز وجل به لا يعني أنَّ لهم الاستقلالية في تسيير الأمور ، وإنَّما ذلك بعد الإذن الإلهي والمشية الربانية في تسلطهم وتمكّنهم منها ، وهذا ما ركّز عليه الأئمة (عليهم السلام) في مناسبات عديدة؛ لغرض ترسيخ الفكرة الصحيحة في نفوس شيعتهم ومحبيهم ؛ كي يتضح الصبح لذي عينين ، ولا يشكّ بكذب هذه الشبهة اثنان بعد تواتر الأخبار وتظافرها بنفيها.

ولم نقف بحسب البحث القاصر على من تطرّق لهذا الموضوع نفي علم الإمام بالغيب استقلالاً بما هو موجود في توقيعات الإمام المهدي (عليه السلام) ونرجو من الله العليّ القدير أن يوفقنا لوضع اللبنة الأولى للباحثين والدارسين في هذا المجال.

واتبعت في هذه الورقة البحثية كل من منهجي البحث العلمي:
الوصفي تارة ، والتحليلي تارة أخرى .
والبحث جعلته على مقدمة ومبحثين وخاتمة :

أمّا المبحث الأول ، ففيه ستة مطالب : والأول منها في بيان الشبهة
في اللغة والاصطلاح ، والمطلب الثاني في بيان معنى الغلو لغةً
وإصطلاحاً ، وذكر الجذور التاريخية لغلاة الشيعة ، وأهمّ فرق الغلاة ،
والمطلب الثالث في بيان المراد ب (علم الغيب) ، وبيان عدم إمكانية
العلم بالغيب استقلالاً للأئمة ، وتناول المطلب الرابع بيان المراد
بالعلم بالغيب على نحو الاستقلال ، وذكرنا ترجمة موجزة لمحمد ابن
علي بلال (هلال) الكرخي صاحب التوقيع مدار البحث في المطلب
الخامس ، وآخر ما ذكرناه من المطالب هو السادس في تعريف التوقيع
ودوره في الفكر الشيعي وبيان مدى أهميته . وأمّا المبحث الثاني فقد
تطرّق إلى ذكر ثلاثة مطالب تتعلّق بالتوقيع الشريف ، وهي : المطلب
الأول في بيان التوقيع الشريف دلالة ومضمونا ، والمطلب الثاني ذكرت
فيه بعض ما ورد من كلمات الأئمة (عليهم السلام) وما يتوافق مع هذا المضمون ،
وخاتمة هذا المبحث ثالثها فهو في ذكر مواقف تلامذة وأصحاب
الأئمة (عليهم السلام) ومن تلاهم في الرد على الغلاة .

وأمّا خاتمة البحث فذكرتُ أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث ،
وذكر بعض التوصيات التي نجد من الضروري ذكرها في ذيل البحث .
وفي آخر المطاف لا يسعني إلا أن أدعو الله العليّ القدير بتعجيل الفرج
وتسهيل المخرج لسيدي ومولاي صاحب العصر والزمان فهذا غاية المنى
ونهاية الأمل ، والحمد لله ربّ العالمين ، وأفضل الصلاة والتسليم على خير
خلقه أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

المبحث الأول

سنذكر في هذا المبحث عدّة من المطالب تتعلق بالمبادئ التصورية والتصديقية التي لها ارتباط بالموضوع مدار البحث ، وهي :

المطلب الأول

الشُّبْهَة في اللُّغة والاصطلاح.

قال اللّغويون: الشُّبْهَة: هي الالتباس ، اشتبهت الأمور وتشابهت ، أي: التبتت؛ لمشابهة بعضها بعضاً ، وفي القرآن المحكم والمتشابه ، وشبه عليه الأمر ، أي: لبس عليه ، وإيّاك والمشبّهات ، أي: الأمور المشكلات^(٤).

وفي بيان الفرق بين الدلالة والشُّبْهَة قال أبو الهلال: إنّ النظر في الدلالة يُوجب العلم، والشُّبْهَة يعتقد عندها أنّها دلالة فيختار الجهل ، لا لمكان الشبهة ولا للنظر فيها، والاعتقاد هو الشبهة في الحقيقة لا المنظور فيه^(٥). أمّا في الاصطلاح ، فذكرت لها معان متعدّدة يمكن إيجاد جامع مشترك لها ، وهي:

١- ما عرّفه السيّد المرتضى طاب ثراه : (بأنّها تقدير مقدّمتين فاسدتين أو إحداهما ، يظنّ فيها أنّهما صحيحتان مشبّهة بالدلالة)^(٦).

٢- وعرّفت بتعريف آخر من ناحية فقهية: (بأنّها ما التبس أمره حتّى لا يمكن القطع فيه أ حلال هو أم حرام، وحقّ هو أم باطل)^(٧).

٣- عرّفها التهانوي: (بأنّها خفاء الأمر والإشكال في العمل ، وما يشبه الدليل ، وأنّها ما يشبه الثابت وليس بثابت)^(٨).

٤- عرفها الجرجاني: (بأنّها ما لم يتيقّن كونه حراماً أو حلالاً ، وهي قسمان: شبهة فعل ، وشبهة محلّ)^(٩).

والمهم من هذه التعريفات المذكورة ما اختاره علماء الكلام؛ لأنّ محلّ البحث يدور في هذا الفلك ، فما اختاره السيّد المرتضى يكون أوفى بالمقصود من غيره.

وأما في بيان علّة تسمية الشُّبهة بذلك ، وبيان حال الناس فيها فخیر ما نذكره هو ما ورد بلسان أفصح من نطق بالضاد بعد رسول الله ﷺ حيث قال: ((وإِنَّمَا سُمِّيتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً؛ لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى .
وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدَعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى ، فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ))^(١٠).

المطلب الثاني:

بيان معنى الغلو في اللغة والاصطلاح ، وذكر جذور الغلاة التاريخية، وأهم فرقهم.

١- ذكر تعريفه في المعاجم اللغوية كالصحاح وغيره بأنه: (تجاوز الحد والقدر)^(١١).

٢- أمّا في مصطلح الفقهاء ، فله عدّة تعاريف ذكرها الأعلام ولا نتصوّر أنّه يتعدّد كثيراً عن تحديد علماء الكلام؛ لعدم وقوع الخلاف بينهم في هذه الجزئية تحديداً^(١٢) منها:

أ. هم الذين يعتقدون ما علم بطلانه من دين محمد ﷺ ضرورة^(١٣).

ب. من اعتقد إلهية عليّ عليه السلام ، أو أحد الأئمة عليهم السلام^(١٤)، وقد يُطلق على من قال بإلهية أحد من الناس ، فيدخل فيهم مَنْ ببلاد الشام من التيامنة، والدروز، ومن قال بمقالتهم^(١٥).

ج. هم القائلون بأنّ واجب الوجود وخالق الخلائق هو عليّ عليه السلام أو غيره، والمعروف منهم هو القسم الأوّل^(١٦).

د. هم الذين تجاوزوا الحدّ في الأئمة عليهم السلام حتى ادعوا فيهم الربوبية^(١٧).

ومما لا يخفى على المطلع من خلال إيجاد الجامع المشترك بين هذه التعريفات المتعددة أن اللغو هو إنكارٌ لضرورة من ضروريات الدين ، وإضفاء خصوصيات الله عز وجل على غيره حيث يعدّ إنكاراً لمقتضيات الإيمان بالتوحيد^(١٨) ، وبذلك يستحق القائل به الخروج من رتبة المسلمين وجماعتهم ، وهذا ما تسالت عليه أقوال الأعلام قديماً وحديثاً.

٣- الجذور التاريخية للغلاة.

يمكن لنا تحديد فترة ظهور أفكار الغلو في التاريخ الإسلامي من خلال ظاهر الأحاديث الواردة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) التي بلغت حدّ الاستفاضة والشيوع حيث ورد أنه قال: ((اللهم إني برئ من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى ، اللهم اخذهم أبداً ولا تنصر منهم أحداً))^(١٩). وأيضاً أنه قال: ((هَلَكَ فِي رَجُلَانِ مُحِبٌّ غَالٍ وَمُبْغِضٌ قَالٍ))^(٢٠).

فتدلّ هذه الأحاديث وغيرها أن هذه الظاهرة إنّما حدثت بزمانه ، ولم يكن منه إلّا أن يبادر إلى زجر الناس عنها وتغييرهم منها ببركة الدعاء عليهم بالخذلان وعدم نصره الله لهم ، فيكشف أنهم بعيدون كلّ البعد عن الصواب ومقاربة الرشاد، فما عليهم إلّا أن يتنهوا ويتركوا ما كانوا يعتقدون ، ولكن بسبب تسويلات الشيطان لهم ، ونفته على ألسنتهم ، وانقيادهم إليه^(٢١) تأوّلوا هذه المواقف من الأئمة (عليهم السلام) الشديدة لصالحهم بوجوه ركيكة لا تصمد أمام النقد العلمي والعقل الحصيف ، ولكنها تنطلي على ضعيفي الإيمان والعقل ، ومن لا بصيرة له في الدين ، وكثيرٌ ما هم ، وكشاهد على ذلك التدليس والتعمية ما روي عن مرّازم، قال: (قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : تعرف مبشّر ، بشر^(٢٢) بتوهم الاسم قال: الشعيري؟

فقلت : بشار؟

قال: بشار.

قلت: نعم ، جارّ لي.

قال: إنّ اليهود قالوا ووحدوا الله، وأنّ النصارى قالوا ووحدوا الله، وأنّ بشاراً قال قولاً عظيماً، إذا قدمت الكوفة فأته وقلّ له: يقول لك جعفر: يا كافر، يا فاسق، يا مشرك، أنا بريء منك.

قال مرّازم: فلمّا قدمت الكوفة فوضعت متاعي وجئت إليه فدعوت الجارية، فقلت: قولي لأبي إسماعيل: هذا مرّازم. فخرج إليّ فقلتُ له: يقول لك جعفر ابن محمّد: يا كافر، يا فاسق، يا مشرك، أنا بريء منك.

فقال لي: وقد ذكرني سيدي!!

قال: قلت: نعم، ذكرك بهذا الذي قلتُ لك؟!

فقال: جزاك الله خيراً، وفعل بك. وأقبل يدعو لي؟! (٢٣).

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه صريحاً، وغيره موجزاً: (إنّ الغلو أول من جهر به هو عبد الله ابن سبأ في زمن المولى أمير المؤمنين عليه السلام عندما قام بحضرة أمير المؤمنين وهو يخطب فقال له: أنت، انت، وجعل يكررها.

فقال له: ويلك، من أنا!!

فقال: أنت الله.

فأمر بأخذه، وأخذ قوم شاركوه الرأي) (٢٤).

ونقل عن أبي العباس أنّه قال: (وقد كان عليّ عشر على قوم خرجوا من محبّته باستحواذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا برّبهم، وجحدوا ما جاء به نبيّهم، واتخذوه ربّاً وإلهاً، وقالوا: أنت خالقنا ورازقنا.

فاستتابهم وتوعّدهم، فأقاموا على قولهم، فحفر لهم حفراً دخن عليهم فيها؛ طمعاً في رجوعهم فأبوا، فحرقهم بالنار، وقال:

ألا ترون قد حفرت حفراً إنّني إذا رأيت أمراً منكراً

وقدّنت ناري ودعوت قنبراً) (٢٥).

وروى ابن أبي الحديد غير هذه الوقائع في ما يلي هذه الصفحات تصب في اثبات هذا المضمون.

٤- الفِرْقُ التي يصدق عليها عنوان (الغلاة).

ذكر المهتمون بأحوال الملل والنحل والفِرَق والديانات انقسام الغلاة على عدّة أقسام ، ونكتفي ههنا بذكر ما أورده البغدادي في بيان ذلك ، فقال: (أ. السبئية الذين سمّوا علياً إلهاً ، وشبهوه بذات الإله ، ولما أحرق قوماً منهم قالوا له: الآن علمنا إنك إله؛ لأنّ النار لا يعذب بها إلا الله.

ب. البيانية ، أتباع بيان بن سمعان ، الذي زعم أنّ معبوده انسان من ثور على صورة الانسان في أعضائه ، وأنّه يفنى كلّه إلا وجهه.

ج. المغيرية ، أتباع المغيرة بن سعيد العجلي ، الذي زعم أنّ معبوده ذو أعضاء ، وأنّ أعضائه على صور حروف الهجاء.

د. المنصورية ، أتباع أبي منصور العجلي ، الذي شبّه نفسه برّبّه ، وزعم أنّه صعد إلى السماء ، وزعم أيضاً أنّ الله مسح يده على رأسه ، وقال له: يا نبي ، بلغ عني.

ه. الخطابية الذين قالوا بإلهية الأئمة ، وبإلهية أبي الخطاب الأسدي.

و. الذين قالوا بإلهية عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر .

ز. الحلولية الذين قالوا بحلول الله في أشخاص الأئمة ، وعبدوا الأئمة لأجل ذلك.

ح. الحلولية الحلمانية ، المنسوبة إلى أبي حكمان الدمشقي ، الذي زعم أنّ الإله يحلّ في كلّ صورة حسنة ، وكان يسجد لكلّ صورة حسنة.

ط. المقنعية المبيضة بما وراء نهر جيحون في دعواهم أنّ المقنع كان إلهاً ، وأنّه مَصوّر في كلّ زمان بصورة مخصوصة.

ي. العذاقرة ، الذين قالوا بإلهية ابن أبي العذاقر المقتول ببغداد^(٢٦).

المطلب الثالث:

بيان المراد ب (علم الغيب).

في هذا المطلب سنبيّن المبدأ التصوري لهاتين المفردتين ، وسنبحث عنهما بلحاظين مختلفين ، فتارة من حيث كونها منفردتين ، والأخرى من حيث كونها مضافتين.

فأما اللّحاظ الأول فنقول: إنّهُ قد وقع الخلاف في تعريف مفردة (العلم) ، وقد سوّدّت الكثير من الصفحات في هذا المجال ، وسالت الكثير من الأبحار؛ لغرض تحرير محلّ النزاع ، وتصويب أيّ من الآراء وتخطئة الأخرى^(٢٧)!!

ومّا يقرب إلى النفس أنّه من المفاهيم البديهية التي تحصل في ذهن كلّ أحد؛ ضرورة أنّ الطفل الصغير عندما تسأله عن شيء وقد حضرت صورته في ذهنه في مرتبة سابقة يقول لك: (أعلم بذلك) من غير التفات منه للخلاف الواقع بين أهل الميزان ، وهذا ما حدا بجملة من أعظم الفنّ إلى العزوف عن تعريفه؛ لبدايته ، فعبر عنه أحدهم بجزءه:

حقيقة العلم انكشاف الواقع له من المعلوم حكم التابع^(٢٨)

وعبر البعض الآخر في مقام تعريفه ، فقال: (والحقّ أنّه من أجلى البديهيّات كالنور والسرور)^(٢٩).

وأما تعريف مفردة (الغيب) ، فقال أهل اللّغة: الغيب في اللّغة: (هو ما غاب عن النفس معرفته بطريق الستر له بخلاف السهو؛ لأنّه ذهاب المعنى عن النفس بحال ينافي الذكر)^(٣٠).

وأما اللّحاظ الثاني وهو مدار البحث اثباتاً ونفيّاً عن الأئمّة (عليهم السلام) فهو ما ورد في قول الله عز وجل في محكم كتابه الكريم في سورة لقمان^(٣١) ، وذكره أيضاً الأئمّة (عليهم السلام) في مواطن عديدة ، ونكتفي بذكر واحدة منها ،

وهي ما ورد عن المولى أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتاب نهج البلاغة: (عندما وصف الأتراك وبيان حالهم وما سيصنعونه في قابل الأيام ، فبادره أحد أصحابه بقوله: لقد اعطيت الغيب؟

فأجابه (عليه السلام) ضاحكاً: بأن هذا ليس من علم الغيب ، وعلم الغيب هو أمور:

- ١- عِلْمُ السَّاعَةِ.
- ٢- وَيُنَزَّلُ الْغَيْثَ .
- ٣- وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ.
- ٤- وما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَدًا.
- ٥- وما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) (٣٢).

ومنه يُعْلَمُ أنَّ مصطلح (علم الغيب) محصور بهذه الموارد الخمسة لا يتعداه إلى غيرها والتي تصحَّح من الله عز وجل دون غيره من المخلوقين ، فيكون هذا الإطلاق أخصَّ من الاستعمال اللغوي المتقدم؛ حيث شمل كلَّ ما غاب حضوره عن النفس بخلاف الاستعمال القرآني فخصه بموارد معيّنة محصورة.

المطلب الرابع:

العلم بالغيب استقلالاً.

ونعني بذلك: هل أنَّ الإمام (عليه السلام) له أن يطلَّع على الغيب من دون أن يأذن الله عز وجل له بذلك ، فله الاستقلالية بالعلم والإحاطة بالمعلوم ، كيف شاء ومتى شاء بمعزل عن الإرادة الإلهية؟

وللجواب عن ذلك نقول: هذا مرفوض عند علمائنا كافة؛ حيث انعقدت كلماتهم (٣٣) على أنَّ العلم الذي يحوزه الإمام (عليه السلام) إنما هو بإذن الله تبارك عز وجل وبمحض مشيئته وإرادته؛ وذلك تجسيداً لقوله عز وجل: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (٣٤) حيث وردت الأخبار في ما يراد بها حينما سأل حمران بن أعين الباقر (عليه السلام) ، فقال له في ذيل جوابه: (... وكان والله

محمّد ممّن ارتضاه، وأمّا قوله عز وجل: عالمُ الغَيْبِ. فإنّ الله عز وجل عالم بما غاب عن خلقه في ما يقدر من شيء، ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه، وقبل أن يقضيه إلى الملائكة، فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه فيه المشية، فيقضيه إذا أراد، ويبدوله فيه فلا يمضيه، فأما العلم الذي يقدره الله عز وجل ويقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله ﷺ وسلّم ثم إلينا^(٣٥).

فالفرق بين علمه عز وجل وعلمهم أنّ علمه عز وجل عين ذاته، وأنّ علمهم صفة خارجة عن الذات زائدة عليها، وأنّه موهوب منه جلّ شأنه، وهذا لا ينافي أنّهم لا يعلمون الغيب بالذات، بل إنّما يعلمونه بالتعليم والمنحة منه عز وجل^(٣٦). فمنه يعلم أنّ هذا الحديث يدلّ دلالة واضحة على أنّ علمهم ﷺ لم يكن بالاستقلال عن إرادة الله عز وجل ومشيّته، وإنّما يكون اطلاعهم عليه بإذنه وسلطانة تبارك وعز وجل.

وورد عين هذا التوجيه في قلم شارح النهج ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح كلامه ﷺ: (لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له: إنّ القوم قد عبروا جسر النهروان، مصارعهم دون النظفة؟! فقال: والله، لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة).

هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة؛ لاشتهاه، ونقل الناس كافة له، وهو من معجزاته وأخباره المفصلة عن الغيوب، والأخبار على قسمين: أحدهما: الأخبار المجملة، ولا إعجاز فيها نحو أن يقول الرجل لأصحابه: إنّكم ستنتصرون على هذه الفئة التي تلقونها غداً. فإنّ نُصِرَ جعل ذلك حجة له عند أصحابه وسماها معجزة، وإن لم يُنصر، قال لهم: تغيّرت نياتكم وشككتكم في قولي، فمنعكم الله نصره، ونحو ذلك من القول، ولأنّه قد جرت العادة أنّ الملوك والرؤساء يعدّون أصحابهم بالظفر والنصر، ويمتّونهم الدول، فلا يدلّ وقوع ما يقع من ذلك على إخبار عن غيب يتضمّن إعجازاً.

وثانيهما: الأخبار المفصلة عن الغيوب، مثل خبر حرب الخوارج، فإنه لا يَحتمل التلبس؛ لتقييده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج، ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه من غير زيادة ولا نقصان، وذلك أمر إلهي عرفه من جهة رسول الله ﷺ، وعرفه رسول الله ﷺ من جهة الله سبحانه، والقوة البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا، ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره^(٣٧).

المطلب الخامس:

ترجمة موجزة لمحمد بن عليّ بلال (هلال) الكرخي.

ولما كان الطريق الذي من خلاله وصل إلينا هذا التوقيع المبارك من الناحية المقدسة يمرّ بالكرخي رأينا من المناسب أن نذكر بعض أهم فقرات حياته بما يتناسب ومقام البحث، فنقول:

١- اسمه ولقبه ونسبته.

هو أبو طاهر، محمد بن عليّ بن بلال الكرخي^(٣٨)، البلالي^(٣٩)،

٢- سيرته:

هو من أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام)^(٤٠)، وكان من وكلاء الناحية المقدسة في بغداد^(٤١)، وله حادثة مع أبي جعفر العمري رضوان الله عليه مشهورة نقلها الشيخ في الغيبة عن عدّة من الرجال فقال: (كان رجل من أصحابنا قد انضوى إلى أبي طاهر بن بلال بعدما وقعت الفرقة، ثم إنّه رجع عن ذلك وصار في جملتنا، فسألناه عن السبب؟

قال: كنت عند أبي طاهر بن بلال يوماً وعنده أخوه أبو الطيب، وابن حرز، وجماعة من أصحابه إذ دخل الغلام فقال: أبو جعفر العمري على الباب، ففزعت الجماعة لذلك وأنكرته للحال التي كانت جرت، وقال: يدخل، فدخل أبو جعفر - رضي الله عنه -، فقام له أبو

طاهر والجماعة وجلس في صدر المجلس، وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديه، فأمهلهم إلى أن سكتوا.

ثم قال: يا أبا طاهر، [نشدتك الله، أو] نشدتك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان عليه السلام بحمل ما عندك من المال إليّ؟! فقال: اللهم نعم.

فنهض أبو جعفر -رضي الله عنه- منصرفاً، ووقعت على القوم سكتة، فلما تجلّست عنهم، قال له أخوه أبو الطيب: من أين رأيت صاحب الزمان؟ فقال أبو طاهر: أدخلني أبو جعفر -رضي الله عنه- إلى بعض دوره، فأشرف عليّ من علوّ داره، فأمرني بحمل ما عندي من المال إليه.

فقال له أبو الطيب: ومن أين علمت أنّه صاحب الزمان عليه السلام؟ قال: قد وقع عليّ من الهيبة له، ودخلني من الرعب منه ما علمت أنّه صاحب الزمان عليه السلام، فكان هذا سبب انقطاعي عنه^(٤٢).

٣- القول بوثاقته والأخذ بروايته من عدمه.

المتصفح لكلمات الأعلام طاب ثراهم في ما يتعلّق بحال ابن بلال يجد أنّها بين موثّق له وطاعن، ومتوقّف، وسنذكر في هذه الوجيزة جملة من الأعلام الذين اختاروا هذه الآراء:
أ. من قال بدمّه وترك روايته:

- عدّ الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة من جملة المذمومين^(٤٣).
- ذكره الشهيد الثاني في قسم من تركت روايته في حاشيته التي علّقها على خلاصة الأقوال^(٤٤).
- ابن داود الحلي في رجاله^(٤٥).
- السيد حسن الصدر في نهايته^(٤٦).

ب. من قال بوثاقته ومدحه.

• الشيخ الطوسي في الأبواب^(٤٧).

• التفرشي في نقد الرجال^(٤٨).

• ابن الشهيد الثاني الشيخ حسن صاحب كتاب المعالم^(٤٩).

• ذكره الحرّ العاملي بأنّه من الثقات^(٥٠).

• السيد الخوئي في معجمه^(٥١).

ج. من توقف في نقل الرواية عنه.

• العلامة الحلي في خلاصته^(٥٢).

٤- وفاته ومدفنه

لم تذكر لنا كتب التراجم ومن كتب في سير الأعلام سنة وفاته ولا محل مدفنه بحسب ما توفر لدينا من المصادر.

المطلب السادس:

تعريف التوقيع ودوره في الفكر الشيعي وأهميته.

تعريف التوقيع لغة واصطلاحاً.

عرّف أهل اللّغة التوقيع: (بأنّه ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه)^(٥٣).

أمّا تعريفه عند أهل الاصطلاح، فهو (عبارة عن أجوبة الأسئلة والاستفسارات التي كان يحملها النواب الأربعة والوكلاء إلى الناحية المقدّسة بتوصية من الشيعة، وتعرض مشاكلهم عليها).

والأجوبة قد تكون شفهيّة أحياناً وتحريريّة في كثير من الأحيان، ولوحظ أنّ كلّ التوقيعات والرسائل كانت ترد من الناحية المقدّسة بخطّ واحد، وسليقة واحدة طيلة نيابة النواب الأربعة التي استمرت حوالي سبعين عاماً^(٥٤).

ومّا يجدر ذكره أنّ مصطلح التوقيع كمفردة تداولت في تلك العصور أنّها لم تكن مقتصرة على الكتابات التي كانت تخرج من الناحية المقدّسة فحسب، بل تتعدّاه إلى غيره من الأئمّة (عليهم السلام).

ويمكن أن يُستدلّ على هذه الدعوى بما نقله الشيخ الطوسي في فهرست أسماء مصنفي الشيعة حيث أورد في ترجمة أبي الحسن علي بن مهزيار الأهوازي الذي روى عن الرضا وأبي جعفر (عليه السلام)، واختص بأبي جعفر الثاني فقال: (وخرجت إلى الشيعة فيه [أي: في علي] توقيعات بكل خير، وكان ثقة في روايته لا يطعن عليه، صحيحاً اعتقاده) (٥٥).

وأيضاً ما ورد عن الطوسي في ترجمة أبي جعفر محمد بن أورمة القمي: (وقال بعض أصحابنا: إنّه رأى توقيعاً من أبي الحسن الثالث (عليه السلام) إلى أهل قم في معنى محمد ابن أورمة وبراءته ممّا قُذِفَ به) (٥٦).

فهذه النصوص وغيرها تدلّ بوضوح على أنّ مفردة التوقيع مستعملة في عرف أصحاب الأئمة السابقين على الناحية المقدّسة.

أهمية التوقيع.

كانت للتوقيعات الصادرة من الناحية المقدّسة الأثر البارز والدور الكبير في درء الكثير من الفتن، ودفع العديد من الشبهات، وحلّ ما أشكل على الشيعة في ذلك الوقت، فسارع الإمام (عليه السلام) إلى حلّها ودفع غائلتها؛ حفاظاً على وحدة كلمة الشيعة وعدم تشتتها، والصمود بوجه التحديات السياسيّة والفكريّة التي كانت تعصف بهم من كلّ حذب وصوب.

ولم تقتصر فائدة التوقيعات على ما تقدّم فحسب، بل كان لها الأثر البالغ عند الشيعة؛ حيث وجدت الجماهير التي فقدت رؤية إمامها العزاء والسّلوّة في هذه المراسلات والاتصالات غير المباشرة، وكانت هذه التوقيعات جزءاً من عمليّة التحوّل التدريجي؛ لأنّها حصّنت الشيعة عن الصدمة والشعور بالفراغ الهائل بسبب غيبة الإمام كليّاً عنهم (٥٧).

المبحث الثاني :

ويشتمل على عدّة مطالب تتعلق بالغلاة ونشأتهم ، وما يرتبط بالتوقيع الشريف ، وهي :

المطلب الأول

التوقيع الشريف دلالة ومضمونا .

إنّ التوقيع مدار البحث نقله الشيخ الطبرسي في الاحتجاج عن الكرخي ، ويعدّ من أقدم الكتب التي ذكرت هذا التوقيع ، وقد اشتمل على عدّة مطالب وموضوعات من الحريّ الاطلاع عليها؛ لما لها من مسيس حاجة وارتباط بتنقية الفكر الشيعي من درن دعاوى شاعت من الغلاة ، وتفشت في الأوساط الشيعية آنذاك ، فما كان من الامام (عليه السلام) إلا المبادرة إلى ردّ الشبهة بقوة وبحزم ، وبشكل يفصح بالزجر التعنيف؛ للدلالة على عظم المشكلة وخطر الفكرة ، وكونها مجانبة للحقيقة وبعيدة عن الواقع ، وهذا ما لا يرضاه الله عز وجل ولا أولياؤه الصالحون .

وسنورد نصّ التوقيع محاولين تسليط الضوء على جملة من فقراته بشكل يوفي بغرض البحث ، مع مراعاة الايجاز والاختصار ما أمكننا ذلك ، فقال (عليه السلام) :

(يا محمد بن علي ، تعالى الله وجلّ عما يصفون ، سبحانه وبحمده ، ليس نحن شركاؤه في علمه ولا في قدرته ، بل لا يعلم الغيب غيره كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٥٨) .

وأنا وجميع آبائي من الأولين : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى وغيرهم من النبيين ، ومن الآخرين محمد رسول الله ، وعلي بن أبي طالب ، وغيرهم ممّن مضى من الأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين إلى مبلغ أيامي ومنتهى

عصري عبید الله عز وجل يقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (٥٩).

يا محمد بن علي، قد آذانا جهلاء الشيعة، وحقاؤهم، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه، فأشهد الله الذي لا إله إلا هو، وكفى به شهيداً، ورسوله محمد ﷺ، وملائكته، وأنبيأؤه، وأوليأؤه ﷺ، وأشهدك، وأشهد كل من سمع كتابي هذا أني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنا نعلم الغيب، ونشاركه في ملكه، أو يجلنا محلاً سوى المحل الذي رضى الله لنا، وخلقنا له، أو يتعدى بنا عما قد فسرت له لك وبينته في صدر كتابي.

وأشهدكم أن كل من نبرأ منه فإن الله يبرأ منه، وملائكته، ورسله، وأوليأؤه، وجعلت هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك، وعنق من سمعه أن لا يكتمه لأحد من موالي وشيعتي حتى يظهر على هذا التوقيع الكل من الموالي؛ لعل الله عز وجل يتلافاهم فيرجعون إلى دين الله الحق، ويتتهون عما لا يعلمون منتهى أمره، ولا يبلغ منتهاه، فكل من فهم كتابي ولا يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته فقد حلت عليه اللعنة من الله، ومن ذكرت من عباد الصالحين)) (٦٠).

التحليل:

١. قوله ﷺ: (يا محمد بن علي، عز وجل الله وجل عما يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركأؤه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٦١)).

في صدر هذا المقطع يصرح الإمام ﷺ بضرورة تنزيه الله تبارك عز وجل عن كل ما لا يليق به من الصفات والأحوال التي ينسبها إليه



الجاهلون بمقامه وعلوه ، ولا ينازعه أحدٌ في علمه وقدرته؛ إذ قال عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٦٢) ، وتفرّده بكل صفاته الكمالية ، ونفى عن الأئمة عليهم السلام علمهم بالغيب واطلاعهم عليه مستشهداً بقوله الله عز وجل أنف الذكر لنفي هذه الدعوى الباطلة ، وكذلك نفي ثبوت القدرة لهم عليهم السلام من دون قدرته وسلطنته وإرادته.

٢. قوله عليه السلام: (وأنا وجميع آبائي من الأولين: آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى وغيرهم من النبيين، ومن الآخرين محمد رسول الله، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم ممن مضى من الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري عبيد الله عز وجل يقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(٦٣)).

وفي هذا المقطع أكد عليه السلام أنه ابتداءً من سلالة النبيين المرضيين عند الله تبارك وعز وجل ، ومروراً بالأئمة ، وانتهاءً إلى مقامه الشريف صلوات الله عليهم أجمعين هم عبيد الله عز وجل ، محتاجون إليه ، مفتقرون لعطفه وكرمه ، ومهما كانت للعبد منزلة رفيعة ومقام عال لا يصل به الأمر إلى أن يضارع مقام سيده ومولاه ولا ينازعه إياه ، فهم عليهم السلام لأمر الله مسلمون ، وله منقادون ، وعليه متوكلون ، ومن يخرج عن هذه الرتبة يُصب بالضنك في الحياة الدنيا ، وبالخسران والحرمان والعمى في الحياة الآخرة؛ وذلك جزاء لأعمالهم المخالفة لقوانين العبودية والانقياد والتسليم لأمر الله ونهيه.

٣. قوله عليه السلام: (يا محمد بن علي ، قد آذانا جهلاء الشيعة ، وحقاؤهم، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه ، فأشهد الله الذي لا إله إلا هو ، وكفى به شهيداً، ورسوله محمد ﷺ ، وملائكته ، وأنبيأؤه ، وأولياؤه عليهم السلام ، وأشهدك،



مكتبة
الشيخ
العلامة
المرجع
المعتمد
عليه
السلام
الشيخ
العلامة
المرجع
المعتمد
عليه
السلام

وأشهد كل من سمع كتابي هذا أنني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إننا نعلم الغيب، ونشاركه في ملكه، أو يخلنا محلاً سوى المحل الذي رضى الله لنا، وخلقنا له، أو يتعدى بنا عما قد فسّره لك وبيّنه في صدر كتابي. وأشهدكم أن كل من نبرأ منه فإن الله يبرأ منه، وملائكته، ورسله، وأوليائه).

ويتنقل الإمام (عليه السلام) إلى بث شكواه وهمومه من ثلاث حالات:
الحالة الأولى: جهال الشيعة الذين هم أتباع كل ناعق، ولم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق لأجل هدايتهم ورشدهم.
الحالة الثانية: ناقصو العقل الذين لا يهتدون إلى سواء السبيل بالسؤال والاستشارة، بل يعتمدون على ضعف عقولهم، وبلاذتهم، وسخف تفكيرهم، وسذاجتهم.

الحالة الثالثة: الذين لا يلتزمون بالأحكام الشرعية، ولا يعبئون بمخالفة القوانين الإلهية، وعبر عنهم ب (جناح البعوضة أرجح منه) كناية عن ذلك.

ومن ثم انتقل الإمام (عليه السلام) إلى مرتبة الإشهاد على براءته ممن يدّعي:
أ. علمهم بالغيب وإطلاعهم عليه.

ب. مشاركتهم بالله عز وجل في ملكه وسلطانه.

ج. من يعطي الأئمة مكانة ومقاماً لم يعطه الله لهم، ويبلغ بهم مبلغاً غير ما ميّزهم الله تبارك عز وجل به دون العالمين.

وجعل (عليه السلام) عدّة شهود على البراءة من هذه الدعوى، وابتدأ برّب العزة والجلالة، ثم بالنبي الخاتم صلوات الله عليه وآله الطاهرين، وبعدهم الملائكة، والأنبياء، والأولياء أجمعين، وأشهد بعدهم المخاطب بالتوقيع وهو محمد علي الكرخي وجميع من وصل إليه هذا الكتاب، وهذا كاشف



عن فداحة هذه الدعوى وخطرها وضرورة البراءة منها؛ لما تجرّ من تعدّ على مقام الربوبية ، والخلوص بالتفرّد بالصفات الكماليّة.

وفي هذا المقطع من التوقيع الشريف يؤكّد الإمام (عليه السلام) أنّ الذي تبرأنا منه فقد خرج من حصن الله الحصين ، وسلك طريق الضالين ، فحقّت عليه لعنة ربّ العاملين ، فمن الضرورة بمكان الابتعاد عن هذه الدعوى ، وعدم القول والاعتقاد بها؛ لما عليها من الحسرة والخسران المبين.

٤- قوله (عليه السلام): (وجعلتُ هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتمه لأحد من مواليّ وشيعتي حتّى يظهر على هذا التوقيع الكلّ من المواليّ؛ لعلّ الله عزّ وجلّ يتلافاهم فيرجعون إلى دين الله الحقّ، وينتهون عمّا لا يعلمون منتهى أمره، ولا يبلغ منتهاه، فكلّ من فهم كتابي ولا يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته فقد حلّت عليه اللّعة من الله ، ومَن ذكرتُ من عباده الصالحين).

وفي ختام التوقيع الشريف جعل (عليه السلام) مضمون هذه التوقيع وما حمّله من توصيات وتعاليم أمانةً في عنق كلّ من قرأه فوعاه؛ ليلبّغه إلى كلّ موالي للأئمّة وشيعتهم؛ لدرء الفتنة ، ووأد الدعوى الباطلة التي تُفسد عقائد الشيعة ، وتبطل أعمالهم ، وبذلك يسلكون طريق النجاة والرضا.

والإمام (عليه السلام) في هذه الفقرة من التوقيع يؤسّس إلى ضرورة بثّ ونشر الثقافة التي تبني على الأسس الصحيحة ، والأساليب الرصينة المقرّرة من قبلهم كي يسلم ال مُتبع من خزي يوم القيامة وعقاب يوم الطامة؛ لأنّ الأئمّة (عليهم السلام) هم الأمناء على الوحي والأدلاء عليه.

وينهي الإمام (عليه السلام) توقيعه بأنّ الذي يعاند في عدم تطبيق هذه الأوامر ، ولم يكفّ عمّا نُهي عنه ، فسيكون من الملعونين الخاسرين المبطلين ، فيتعيّن الامتثال حينئذٍ ، والكفّ عن هذه الأفكار والدعاوى الباطلة التي هي من

صنع شياطين الإنس والجنّ، وساعدهم على بثها ونشرها من لا حريجة له في الدين، ولا ورع عن محارم ربّ العالمين، ومن لم يتخذ من العلم ملجأ، ولا من اتباع العلماء مخرجاً.

المطلب الثاني

ذكر بعض ما ورد في كلمات الأئمة موافقاً لمضمون التوقيع والذي نريد اثباته من صوغ هذا المطلب هو التوصل إلى أن الأئمة عليهم السلام كانوا شديدي الفاعلية في الذب عن الشريعة، وتوضيح العقيدة الحقّة، وطردهم الشبهات من أذهان الناس ما أمكنهم إلى ذلك سبيلاً وإن اختلفت الحقب الزمنية وتباينت الثقافات والمجتمعات.

١. ما ورد عن المولى أمير المؤمنين في وصف الأتراك حيث قال:

(كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالذَّبَّاجَ ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ ، وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارٌ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ ، وَيَكُونُ الْمَفْلِتُ أَقْلَ مِنَ الْمَأْسُورِ .

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : لَقَدْ أُعْطِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمُ الْغَيْبِ ؟

فَضَحِكَ عليه السلام وَقَالَ لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيًّا يَا أَخَا كُلْبٍ ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ ، وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ : عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَمَا عَدَدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَازَا تُكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (٦٤) الْآيَةِ ، فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، وَقَيْحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطْبًا ، أَوْ فِي الْجَنَّةِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا ، فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهَ عليه السلام فَعَلَّمْنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعْيَهُ صَدْرِي ، وَتَضَظَّمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي (٦٥).

٢. ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام حيث قال : (قال لي أبي: ألا أخبرك بخمسة لم يُطلع الله عليها أحداً من خلقه ، قلت : بلى، قال : إنَّ الله عنده عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ^(٦٦) (٦٧).

٣. وروي أيضاً إنَّ: (خمسة أشياء لا يعلمها إلا الله: علم الساعة، وتنزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت). هذا الحديث رواه العامة عن النبي الأكرم صلوات الله عليه ، ورواه الخاصة عن النبي وأهل البيت عليهم السلام ^(٦٨) .

موقف تلازمة وأصحابهم الأئمة عليهم السلام ومن تلاهم في الرد على أفكار الغلاة. ذكر لنا أرباب السير والتراجم أن أصحاب الأئمة عليهم السلام لم يألوا جهداً، ولم يهدروا وقتاً، ولم يدخروا وسعاً في الذب عن المذهب الحق؛ لبيان الطريق القويم ، واستجلاء الصراط المستقيم ، والدفاع عن معتقدتهم الذي آمنوا به ببركة صحبتهم للأئمة عليهم السلام ، فلاجله خطت يراعهم الكثير من الكتب في الرد على دعاوى وتخربات الغلاة التي فشت في عصرهم بطريقة أو بأخرى.

وهذه الممارسات من أصحابهم إن دلّت على شيء إنما تدلّ على رفض هذه الأفكار واستنكارها بحيث أجمعت الأقلام على نبذها والطعن بها، ونستعرض في هذه الوجيزة بعض من هذه القامات التي سخرت أقلامها للدفاع عن الحق وأهله ، وسلكنا في هذا المطلب طريق الاختصار دون الإطناب والإكثار؛ خشية خروج البحث عن شروطه ومقتضياته ، والذابون هم:

١- إسماعيل بن علي بن إسحاق ابن أبي سهل بن نوبخت، كان شيخ المتكلمين من أصحابنا وغيرهما ببغداد ووجههم، ومتقدّم النوبختيين في زمانه ^(٦٩) .

٢- أبو محمد الحسن والحسين ابنا سعيد بن حماد بن مهران الأهوازي ،
خالهما جعفر بن يحيى بن سعد الأحول من رجال أبي جعفر الثاني (عليه السلام) (٧٠).
٣- أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي ، شيخنا المتكلم المبرز على نظرائه
في زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها (٧١).

٤- أبو الحسين إسحاق بن الحسن بن بكران العقرائي التمار (٧٢).
٥- أبو القاسم سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي ، شيخ هذه
الطائفة ، وفقهها ، ووجهها (٧٣).

٦- أبو الحسن علي بن مهزيار الأهوازي ، روى عن الرضا وأبي جعفر (عليه السلام) ،
واختص بأبي جعفر الثاني (عليه السلام) ، وتوكل له ، وعظم محله منه ، وكذلك أبو
الحسن الثالث (عليه السلام) ، وتوكل له في بعض النواحي (٧٤).

٧- أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار ، كان وجهاً في أصحابنا
القميين ، ثقة ، عظيم القدر ، راجحاً ، قليل السقط في الرواية (٧٥).

٨- أبو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري ، خليفة الشيخ أبي عبد
الله بن النعمان والجالس مجلسه ، متكلم ، فقيه ، قيم بالأمرين جميعاً ، توفي
في السادس من شهر رمضان سنة ثلاث وستين وأربعمائة (٧٦).

٩- أبو محمد يونس بن عبد الرحمن ، مولى علي بن يقطين بن
موسى ، كان وجهاً في أصحابنا ، متقدماً ، عظيم المنزلة ، ورأى جعفر
بن محمد (عليه السلام) بين الصفا والمروة ولم يرو عنه ، وروى عن أبي الحسن
موسى و الرضا (عليه السلام) ، وكان الرضا (عليه السلام) يشير إليه في العلم والفتيا ،
وكان وكيله وخاصته (٧٧).

النتائج

- ١- عرفنا الشبهة لغة وقلنا هي من الالتباس وتشابه الأمور بعضها ببعض، وذكر عدّة تعريفات اصطلاحية لها غير بعيد عن التعريف اللّغوي.
- ٢- وعرفنا الغلو بأنّه تجاوز الحدّ وتعيده ، وذكرنا أهم فرق الغلاة ، التي منها السبئية والمغيرية وغيرهما.
- ٣- بيّنا أنّ مفردة العلم هي من قبيل المفاهيم البديهية التي تحصل في الذهن بمجرد الالتفات إليها ، وقلنا بأنّ الغيب هو ما غاب عن الناس معرفته.
- ٤- إنّ العلم الاستقلالي هو أن يكون حاصلاً لدى الإمام من دون تدخّل من الله عز وجل ، وهو مرفوض تماماً؛ لأنّه شرك بالله جلّ شأنه ، وعز وجل الله عمّا يشركون.
- ٥- إنّ دور الأئمة (عليهم السلام) لم يكن مقتصرأ على التوضيح لبيان أسس الشريعة ، بل تعدّاه إلى دفع شبه المدلّسين ، والمنحرفين ، والغلاة.
- ٦- أوضحت حال ابن بلال (هلال) من خلال البحث في سيرة حياته بشكل موجز.
- ٧- تعرّضت لتوضيح التوقيع بأنّه ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه ، وكذا من حيث الاصطلاح ، وبيان أهميّة التوقيع من حيث تمهيد أذهان الشيعة لغياب صاحب العصر والزمان (عليه السلام).
- ٨- نقلنا رأي من قال بأنّ ظاهرة الغلو وجدت في زمن أمير المؤمنين (عليه السلام).
- ٩- قمنا بشرح موجز ؛ مراعاة لخصوصيات البحث من الاختصار ونحوه لفقرات التوقيع لكشف أهمية دحض الشبهة والردّ عليها.
- ١٠- ذكرنا عدّة شواهد تؤكّد أنّ الأئمة (عليهم السلام) ردّوا هذه الشبهة حال تبّني بعض الأشخاص لها ، ومحاولة نشرها في الوسط الشيعي.

١١- إن دور الردّ على الأفكار المنحرفة لم يكن مقتصرًا على الأئمة عليهم السلام فقط ، بل مارس هذا الدور المهم والحيوي في المجتمع تلامذتهم ومن عُرفت صحبته لهم.

التوصيات

- ١- الحثّ على إقامة الندوات الفكرية والثقافية التي تعنى بالثقافة المهدوية بين الأوساط الطلابية والمنتديات الشبابية.
- ٢- التأكيد على سبر أغوار التوقعات والخروج بما هو نافع منها في الرد على أهل البدع والأهواء ، ومواجهتهم وإسقاط حججهم وتفنيدها.
- ٣- ضرورة العمل على تبسيط لغة الكتابة بما يتناسب طرْدًا مع ثقافة المجتمع وتلقيه للمعلومة بسهولة ويسر.
- ٤- نشر الثقافة المهدوية عبر مواقع التواصل الاجتماعي والسوشيل ميديا؛ لضمان وصولها إلى أكبر قدر ممكن من فئات المجتمع.
- ٥- ضرورة نشر ثقافة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الأوساط الشابة؛ ليردوا فيها على الأفكار المنحرفة والضالة.
- ٦- استخدام لغة الردع ، والزجر ، وإعلان البراءة بحق من يصّر على سلوك طريق الضلال؛ ليكون ناهيًا له عن ركوب موجة الشبهات.

الهوامش:

- ١-الكافي: ١/ ٣٢، باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء، ح ٢.
- ٢-سورة الرعد: ٧.
- ٣-ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٢٢٢-٢٢٣.
- ٤-ينظر: الصحاح: ٦/ ٢٢٣٦، أساس البلاغة: ٤٧٧.
- ٥-ينظر: الفروق اللغوية: ٢٣٤.
- ٦-ينظر: الحدود والحقائق (ضمن رسائل الشريف المرتضى): ٢/ ٢٧٣.
- ٧-ينظر: المصطلحات (إعداد مركز المعجم الفقهي): ١٤٥٢.
- ٨-ينظر: كشف اصطلاحات الفنون: ١/ ١٠٠٥-١٠٠٦.
- ٩-ينظر: التعريفات: ٥٤.
- ١٠-نهج البلاغة (تحقيق: الصالح): ٨١، ت: ٣٨.
- ١١-ينظر: الصحاح: ٦/ ٢٤٤٨، معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٣٨٧، المخصص: ٢/ ١ ق ٦٥.
- ١٢-احتاج الفقهاء للوقوف على حدّ الغلو؛ لما اقتضته الحاجة في تحديد موضوعات بعض الأحكام الشرعية كثبوت الطهارة لهم، واستحقاقهم للإرث ونحوهما.
- ١٣-ينظر: التنقيح الرائع: ٢/ ٣١٦، رياض المسائل: ١٢/ ٤٥٤.
- ١٤-ينظر: كتاب الطهارة للشيخ الأعظم: ٥/ ١٤٩.
- ١٥-ينظر: مسالك الأفهام: ١/ ٢٤.
- ١٦-ينظر: كشف الغطاء: ٤/ ٣٦٥، مستند الشيعة: ١/ ٢٠٤.
- ١٧-ينظر: جواهر الكلام: ٦/ ٥٠.
- ١٨-قال الشيخ جعفر الكبير بكفرهم بالذات، لا بسبب انكارهم لبعض الضروريات.
- ينظر: كشف الغطاء: ٤/ ٣٦٦.
- ١٩-الأمالي (للطوسي): ٦٥٠.
- ٢٠-نهج البلاغة (تحقيق الصالح): ٤٨٩.
- ٢١-بل أكثر من ذلك حيث تجسد الشيطان بصورهم لإغواء الناس وابعادهم عن الصراط المستقيم وجادة الصواب، فقد ورد عن إسحاق بن عمار، قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ بشار الشعيري شيطان بن شيطان، خرج من البحر فأغوى أصحابي)). ينظر: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ٢/ ٧٠٢.
- ٢٢-ومقالة بشار هي مقالة العلياوية، يقولون: إنّ علياً عليه السلام هرب وظهر بالعلوية الهاشمية، وأظهر أنّه عبده ورسوله بالمحمدية، فوافق أصحاب أبي الخطاب في أربعة أشخاص: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليه السلام.

وإنَّ معنى الأشخاص الثلاثة - فاطمة، والحسن، والحسين - تلييس، والحقيقة شخص علي؛ لأنَّه أول هذه الأشخاص في الأئمة، وأنكروا شخص محمد (ﷺ)، وزعموا أنَّ محمداً عبد علي وعلي ربه.

وأقاموا محمداً مقام ما أقامت الخمسة سلمان، وجعلوه رسولاً لمحمد صلوات الله عليه، فوافقوهم في الإباحات، والتعطيل، والتناسخ.

والعلبائية سمَّتها الخمسة العلبائية، وزعموا: إنَّ بشاراً الشعيري لما أنكر ربوبية محمد وجعلها في علي، وجعل محمداً عبد علي، وأنكر رسالة سلمان مسخ في صدره طير يُقال له (علياء) يكون في البحر، فلذلك سمَّوهم العلبائية. ينظر: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ٧٠٢-٧٠١ / ٢.

٢٣- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ٧٠١ / ٢، الرقم: ٧٤٤.

٢٤- ينظر: شرح نهج البلاغة: ٥ / ٥، الملل والنحل (لشهرستاني): ٢٧ / ١.

٢٥- شرح نهج البلاغة: ٥ / ٥،

٢٦- ينظر: الفرق بين الفرق: ٢٠٦-٢٠٧.

٢٧- وللمزيد مراجعة شروح كتاب الشمسية للكاتب، وشروح متن تهذيب المنطق لسعد الدين التفتازاني.

٢٨- وهو الشيخ الحكيم عبد الهادي شليلة البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه منتقى الجمان في شرح لؤلؤة الميزان (حجري): ٦ وما بعدها.

٢٩- وهو محب الله بن عبد الشكور البهاري في كتابه سُلَّم العلوم (المطبوع مع حاشية القاضي ومنهياته): ١٨.

٣٠- ينظر: الصحاح: ١ / ١٩٦، معجم مقاييس اللغة: ٤ / ٤٠٣.

٣١- الآية ٣٤.

٣٢- ينظر: نهج البلاغة (تحقيق: الصالح): ١٨٦، ت: ١٢٨.

٣٣- ينظر: أوائل المقالات: ٦٧، إحقاق الحق: ٢٠٤،

٣٤- سورة الجن: ٢٦-٢٧.

٣٥- ينظر: الكافي: ١ / ٢٥٦، ب: نادر فيه ذكر الغيب، ح: ٢.

٣٦- ينظر: علم الإمام (للمظفر): ٦٦، علم الأئمة بالغيب (ضمن مجلة تراثنا): ٣٧ / ١٦.

٣٧- ينظر: شرح نهج البلاغة: ٥ / ٤٠٣.

٣٨- ينظر: الأبواب (رجال الطوسي): ٣٩٤، خلاصة الأقوال: ٢٤٢-٢٤٣، رسالة في علم

الدراية (لشريعتمدار) (ضمن رسائل في دراية الحديث): ٢ / ٣٤٣.

٣٩- ينظر: كشف الغطاء: ١ / ١٠١،



- ٤٠- ينظر: الأبواب (رجال الطوسي): ٣٩٤.
- ٤١- ينظر: كشف الغطاء: ١/ ١٠١،
- ٤٢- ينظر: الغيبة: ٤٠٠-٤٠١، خلاصة الأقوال: ٤٣٣.
- ٤٣- ينظر: الغيبة: ٤٠٠.
- ٤٤- ينظر: حاشية خلاصة الأقوال (ضمن رسائل الشهيد الثاني): ٢/ ١٠٨٣، الرقم: ٣٨٠.
- ٤٥- ينظر: رجال ابن داود: ٢٧٤.
- ٤٦- ينظر: نهاية الدراية: ٤٢١.
- ٤٧- ينظر: الأبواب (رجال الطوسي): ٤٠١، الرقم: ٤.
- ٤٨- ينظر: نقد الرجال: ٤/ ٢٧١-٢٧٢، الرقم: ٥٦٤.
- ٤٩- ينظر: التحرير الطاووسي: ٦٦١-٦٦٢.
- ٥٠- ينظر: وسائل الشيعة: ٣٠/ ٤٧٨،
- ٥١- ينظر: معجم رجال الحديث: ١٧/ ٣٣٢.
- ٥٢- ينظر: خلاصة الأقوال: ٢٤٢-٢٤٣.
- ٥٣- معجم مقاييس اللغة: ٦/ ١٣٤، المخصص: ٤/ ق/ ٦.
- ٥٤- ينظر: بحث حول المهدي (محمد باقر الصدر): ١٠٩.
- ٥٥- ينظر: فهرست أسماء مصنفى الشيعة (رجال النجاشي): ٢٥٣، الرقم: ٦٦٤.
- ٥٦- ينظر: فهرست أسماء مصنفى الشيعة (رجال النجاشي): ٣٢٩، الرقم: ٨٩١.
- ٥٧- ينظر: بحث حول المهدي (محمد باقر الصدر): ١٠٩.
- ٥٨- سورة النمل: ٦٥.
- ٥٩- سورة طه: ١٢٤-١٢٦.
- ٦٠- الاحتجاج: ٢/ ٢٨٨-٢٨٩.
- ٦١- سورة النمل: ٦٥.
- ٦٢- سورة الإخلاص: ٤.
- ٦٣- سورة طه: ١٢٤-١٢٦.
- ٦٤- سورة لقمان: ٣٤.
- ٦٥- تقدّم تخريجه؟؟؟ (فبادره أحد أصحابه بقوله)
- ٦٦- سورة لقمان: ٣٤.
- ٦٧- الخصال: ٢٩٠.
- ٦٨- ينظر: الأدب المفرد (للبخاري): ٢٣٢، سنن النسائي: ٤/ ٤١١-٤١٢، المصنّف (لابن شيبّة الكوفي): ٧/ ٤٢٩، مسند أبي يعلى: ٩/ ٣٤٥، المعجم الأوسط (للطبراني): ٢/ ٢٥٨،

- التمهيد (لابن عبد البر): ٣٩٣/٢٣، بصائر الدرجات: ١٢٩، تفسير القمي: ١٦٧/٢،
الخصال: ٢٩٠، منهاج البراعة (للراوندي): ٤٥/٢. وغيرها.
- ٦٩- ينظر: فهرست أسماء مصنفى الشيعة (رجال النجاشي): ٣١-٣٢، الرقم: ٦٨،
الفهرست: ٤٩، الرقم: ٧.
- ٧٠- ينظر: المصدر نفسه: ٥٨، الرقم: ١٣٦ و ١٣٧.
- ٧١- ينظر: المصدر نفسه: ٦٣-٦٤، الرقم: ١٤٨.
- ٧٢- ينظر: المصدر نفسه: ٧٤، الرقم: ١٧٨.
- ٧٣- ينظر: المصدر نفسه: ١٧٧، الرقم: ٤٦٧.
- ٧٤- ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٣، الرقم: ٦٦٤.
- ٧٥- ينظر: المصدر نفسه: ٣٥٤، الرقم: ٩٤٨.
- ٧٦- ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٤، الرقم: ١٠٧٠.
- ٧٧- ينظر: المصدر نفسه: ٤٤٦-٤٤٨، الرقم: ١٢٠٨.



المصادر والمراجع

الحسن الطوسي ، المعروف ب (شيخ الطائفة) (ت: ٤٦٠ هـ) ، تحقيق: مؤسسة البعثة/ قسم الدراسات الاسلامية ، دار الثقافة ، قم المشرفة ، ط ١ ، ١٤١٤ ق .
* أوائل المقالات ، للشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري ، البغداد (ت: ٤١٣ هـ) ، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٢ ، بيروت ، ١٤١٤ هـ ق .

(ب)

* بحث حول المهدي ، للسيد محمد باقر بن السيد حيدر الصدر (ت: ١٤٠٠ هـ) ، تحقيق وتعليق: عبد الجبار شرارة ، نشر : مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، مط: فروردين ، ط ١ .

* بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد ﷺ لشيخ القميين أبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ ، المعروف ب (الصفار) (ت: ٢٩٠ هـ) ، تقديم وتعليق وتصحيح: الحاج ميرزا محسن « كوچه باغي » ، منشورات الأعلمي ، طهران ، ١٤٠٤ ق .

(ت)

* التحرير الطاوسي المستخرج من كتاب حلّ الإشكال للسيد أحمد ابن موسى الطاوس ، للشيخ حسن بن زين الدين (صاحب كتاب المعالم) (ت: ١٠١١ هـ) ، تحقيق: فاضل الجواهري ، إشراف: السيد محمود المرعشي ، نشر : مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ،

* نهج البلاغة ، وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب ﷺ ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة: الدكتور صبحي الصالح ، ط ١ ، ١٣٨٧ هـ ق ، بيروت .
* أولاً: الكتب المطبوعة .

(أ)

* إحقاق الحق في نقض إبطال الباطل ، نور الله بن السيد شريف الدين بن السيد ضياء الدين التستري (ت: ١٠١٩ هـ) ، (د.مع).

* اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، المعروف ب (شيخ الطائفة) (ت: ٤٦٠ هـ) ، تصحيح وتعليق: المعلم الثالث ميرداماد الاستربادي ، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي ، مؤسسة آل البيت ﷺ ، قم المشرفة ، ط ١ ، ١٤٠٤ ق .

* الأدب المفرد ، للشيخ محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ .
* أساس البلاغة ، للشيخ أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ) ، دار ومطابع الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
* الأمالي ، للشيخ أبي جعفر محمد بن

مط: سيد الشهداء (عليه السلام)، ط ١، ١٤١١ هـ.

* تفسير القمّي، للشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (ق ٣٤)، تصحيح وتعليق وتقديم: السيّد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم المشرفة، ط ٣، ١٤٠٤ ق.

* التعريفات، للشيخ علي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ)، نشر: خسرو/ طهران، ط ٤، ١٤١٧ هـ.

* التمهيد، للشيخ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، المعروف ب (ابن عبد البر)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، مط: المغرب، ١٣٨٧ هـ.

* التنقيح الرائع لمختصر الشرائع، للشيخ جمال الدين مقداد بن عبد الله السيوري الحلي (ت: ٨٢٦ هـ)، تحقيق: السيّد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمري، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم المشرفة، ١٤٠٤ ق. (ج)

* جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، للشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر بن الشيخ عبد الرحيم النجفي (ت: ١٢٦٦ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عباس القوجاني، مط: چاپخانه خورشيد دار الكتب الاسلامية/ طهران، ط ٣، ١٣٧٦ هـ ش.

(ح)

* حاشية خلاصة الأقوال (ضمن رسائل الشهيد الثاني)، للشيخ زين

الدين بن علي بن أحمد العاملي، المعروف ب (الشهيد الثاني) (ت: ٩٦٥ هـ)، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قسم احياء التراث الاسلامي، المشرف على التحقيق: رضا المختاري، مط: مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٤٢١ هـ، قم المشرفة.

* الحدود والحقائق (ضمن رسائل الشريف المرتضى) للسيّد أبي القاسم علي بن الحسين بن موسى، المعروف ب (السيد المرتضى)، تقديم: السيّد أحمد الحسيني، اعداد: السيد مهدي الرجائي، منشورات دار القرآن الكريم بقم المشرفة، مط: الخيام، ١٤٠٥ هـ. (خ)

* الخصال، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى، المعروف ب (الشيخ الصدوق) (ت: ٣٨١ هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم المشرفة، ١٤٠٣ ق.

* خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، للشيخ جمال الدين أبي المنصور الحسن بن يوسف بن المطهر، المعروف ب (العلامة الحلي) (ت: ٧٢٦ هـ)، التحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، قم المشرفة، ط ١، ١٤١٧ ق.

(ر)

* رجال ابن داود، للشيخ تقي الدين أبو محمد الحسن بن علي بن داود

الحلي (ت: ٧٠٧هـ) ، تحقيق وتقديم :
السيد محمد صادق آل بحر العلوم ،
* منشورات مطبعة الحيدرية ، النجف
الأشرف ، ١٣٩٢هـ .

* رجال الطوسي ، للشيخ أبي جعفر
محمد بن الحسن الطوسي ، المعروف ب
(شيخ الطائفة) (ت: ٤٦٠هـ) ، تحقيق:
جواد القيومي الأصفهاني ، مؤسسة
النشر الاسلامي التابعة لجامعة المدرّسين ،
قم المشرفة ، ط ١ ، ١٤١٥ق .

* رسالة في علم الدّراية (ضمن رسائل
في دراية الحديث) ، للشيخ رفيع بن عليّ
الجيلاني الرشتي ، الشهير بـ (شريعتمدار)
(ت: ١٢٩٢هـ) ، تحقيق : السيّد حسن
الحسيني آل المجدّد الشيرازي ، اعداد:
أبو الفضل حافظيان البابلي ، ط ١ ،
نشر : دار الحديث للطباعة والنشر ، قم
المقدسة ، ١٤٢٥هـ .

* رياض المسائل في بيان أحكام الشرع
بالدلائل ، السيّد علي بن محمد علي بن
أبي المعالي الصغير بن أبي المعالي الكبير
الطباطبائي الحائري (ت: ١٢٣١هـ) ،
تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجامعة المدرّسين ، قم المشرفة ،
ط ١ ، ١٤١٢ق .

(س)
* سلّم العلوم (المطبوع مع حاشية
القاضي ومنهياته) ، للشيخ محب الله بن
عبد الشكور البهاري (ت: ١١١٩هـ) ،
مط: الملكية ، ١٣٠٤هـ .

* سنن النسائي ، للشيخ أحمد بن
شعيب الخراساني (ت: ٣٠٣هـ) ، دار
الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ،
بيروت ، ١٣٤٨هـ .

(ش)
* شرح نهج البلاغة لعزّ الدين أبي حامد
بن هبة الله بن محمد لابن أبي الحديد (ت:
٦٥٦هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل
إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربيّة/
عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٧٨هـ .

(ص)
* الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية
للشيخ أبي نصر إسماعيل بن حماد
الفارابي الجوهري (ت:) ، تحقيق: أحمد
عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ،
بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٧ق .

(ض)
* علم الإمام ، للشيخ محمد الحسين
المظفر (ت: مجهول) ، دار الزهراء
* للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٢ ،
بيروت ، ١٤٠٢هـ ق .

(غ)
* الغيبة للشيخ أبي جعفر محمد بن
الحسن الطوسي ، المعروف بـ (شيخ
الطائفة) (ت: ٤٦٠هـ) ، تحقيق: الشيخ
عباد الله الطهراني الشيخ علي أحمد
ناصح، مط: بهمن ، نشر: مؤسسة
المعارف الاسلامية بقم المشرفة ، ط ١ ،
١٤١١هـ .

(ف)

* الفرق بين الفرق ، للشيخ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت: ٣٢٩هـ) ، اعتنى بها وعلق عليها: الشيخ إبراهيم رمضان ، دار الفتوى و دار المعرفة/ بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ .
* الفهرست ، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، المعروف ب (شيخ الطائفة) (ت: ٤٦٠هـ) ، تحقيق: الشيخ جواد القيومي ، مؤسسة نشر الفقه ، ط ١ ، ١٤١٧ق.

* فهرست أسماء مصنفی الشيعة (رجال النجاشي) للشيخ أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (ت: ٤٥٠هـ) ، التحقيق: السيّد موسى الشيرازي ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ، قم المشرفة ، ط ٥ ، ١٤١٦ق.

(ك)

* الكافي للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني ، المعروف ب (ثقة الإسلام) (ت: ٣٢٩هـ) ، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ، ط ٥ ، ١٣٦٣ش.

* كتاب الطهارة ، للشيخ مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى ، المعروف ب (الشيخ الأعظم) (ت: ١٢٨١هـ) ، تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم/ مجمع الفكر الاسلامي ، نشر: مجمع الفكر الاسلامي ، مط: خاتم الأنبياء ، قم المقدّسة ، ط ٣ ، ١٤٢٨هـ .

* كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للشيخ محمد علي بن علي الهندي التهانوي (بعد ١١٥٨هـ) ، تقديم و اشراف ومراجعة: الدكتور رفيق العجم ، تحقيق: علي دحروج ، نقل من الفارسية الى العربية: الدكتور عبد الله الخالدي ، الترجمة الأجنبية: الدكتور جورج زيناتي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط ١ ، ١٩٩٦م.
* كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء للشيخ جعفر بن خضر بن يحيى الجناحي ، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي فرع خراسان ، قسم إحياء التراث الإسلامي ، المحققون : عباس التبريزيان ، محمد رضا الذاكري (طاهريان) وعبد الحليم الحلي ، نشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ، مط: مكتب الإعلام الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ .

(م)

* لمخصص للشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللّغوي الأندلسي ، المعروف ب (ابن سيده) (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

* مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام ، للشيخ زين الدين بن علي بن أحمد العاملي ، المعروف ب (الشهيد الثاني) (ت: ٩٦٥هـ) ، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم المشرفة ، ط ١ ، ١٤١٣ق.

* مستند الشيعة في أحكام الشريعة،
للشيخ أحمد بن مهدي بن أبي ذر
الكاشاني، المعروف ب (المحقق النراقي)
(ت: ١٢٤٥هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل
البيت (عليه السلام) لإحياء التراث / مشهد المقدسة،
ط ١، ١٤١٥ق.

* مسند أبي يعلى الموصلي، للشيخ
إسماعيل بن محمد بن الفضل
التميمي (ت: ٣٠٧هـ)، حققه وخرج
أحاديثه: حسين سليم أسد، نشر: دار
المأمون للتراث.

* المصطلحات، إعداد مركز المعجم
الفقهي، (د.مع)

* معجم رجال الحديث وتفصيل
طبقات الرواة للسيد أبو القاسم بن سيد
علي أكبر الموسوي الخوئي (ت: ١٤١٣هـ
)، ط ٥، ١٤١٣هـ.

* مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث
والآثار، للشيخ عبد الله بن محمد بن أبي
شعبة إبراهيم بن عثمان (ت: ٢٣٥هـ)،
ضبط وتعليق: سعيد اللحام، نشر: دار
الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١،
بيروت: ١٤٠٩هـ.

* الملل والنحل، لأبي الفتح محمد
بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد
الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد
سيد غيلاني، دار المعرفة، بيروت.

* المعجم الأوسط، للشيخ أبي القاسم
سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)،
تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله

بن محمد، أبو الفضل عبد الحسن بن
إبراهيم الحسيني، نشر: دار الحرمين،
١٤١٥هـ.

* معجم الفروق اللغوي (وجزاء من
كتاب السيد نور الدين الجزائري) لأبي
الهلal الحسن بن عبد الله العسكري
(حيًا ٣٩٥هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة
النشر الاسلامي التابعة لجامعة المدرسين
بقم المشرفة، ط ١، ١٤١٢هـ.

* معجم مقاييس اللغة للشيخ لأبي
الحسين أحمد بن فارس بن زكريا
اللغوي (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط:
عبد السلام محمد هارون، مركز النشر/
مكتب الإعلام الإسلامي، طهران قم
المشرفة، ١٤٠٤ق.

* منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،
للشيخ أبي الحسين قطب الدين سعيد بن
هبة الله الراوندي (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق:
السيد عبد اللطيف الكوكهمري، مط:
الخيام، نشر: مكتبة آية الله المرعشي
العامة - قم المشرفة، ١٤٠٦.

* منتقى الجمان في شرح لؤلؤة
الميزان (حجري)، لأبي الحسن عبد
الهادي بن الشيخ جواد الهمداني
البغدادى النجفي (ت: ١٣٣٣هـ)، تاريخ
الطبع ١٣٢٣هـ، (د، بقية مع).

(ن)

* نقد الرجال، للسيد مصطفى
بن الحسين الحسيني التفرشي
(ت: ١٠١٥هـ)، تحقيق ونشر:

مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث ،
قم المشرفة ، ط ١ / ١٤١٨ ق.

* نهاية الدراية ، للسيد أبي محمد حسن
صدر الدين ابن السيد هادي بن السيد
محمد علي (ت: ١٣٥٤ هـ) ، تحقيق : ماجد
الغرياي ، مط : اعتداد ، نشر : نشر
المشعر ، قم المشرفة .

(و)

* وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة
إلى تحصيل مسائل الشريعة) ، للشيخ
محمد بن الحسن بن علي ، المعروف بـ

(الحرّ العاملي) (ت: ١١٠٤ هـ) ، تحقيق
ونشر : مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء
التراث ، قم المشرفة ، ط ٢ ، ١٤١٤ ق.
ثانياً: المجلات الدورية .

* علم الأئمة بالغيب والاعتراض
عليه بالإلقاء إلى التهلكة والإجابات
عنه عبر التاريخ ، للسيد محمد رضا
الحسيني الجلال (معاصر) ، مجلة تراثنا ،
العدد الرابع (٣٧) السنة التاسعة ، مط :
ستارة ، نشر : مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء
التراث ، قم المشرفة ، ١٤١٤ هـ ق .



ردّ شبهة عدم وقوع قتل الحسين بن علي عليه السلام في توقيع الحجة المهدي عليه السلام

الباحث: مُنيف فيّاض عبد

الملخص

تتلخّص أصل فكرة البحث في ثلاث أهداف رئيسة:

١- الدور المهم لتوقعات الناحية المقدّسة في ترسيخ العقيدة الصحيحة لدى الفرد والأمة، وأنها امتداد وتأصيل لأقوال الأئمة من آبائه عليه السلام.

٢- إن قتل الإمام الحسين وشهادته عليه السلام مسألة حتمية لا بداء فيها، قد جرى فيها القضاء الممضي المحتوم من الله عز وجل.

٣- إبطال المزاعم القائلة بعدم وقوع قتل الإمام الحسين عليه السلام وبيان الأسباب والدوافع.

وبلحاظ ما ذكرنا جاء بحثنا موسّوماً بـ(ردّ شبهة عدم وقوع قتل الحسين بن علي عليه السلام في توقيع الحجة المهدي عليه السلام)، وهو مُقسّم على النحو الآتي:

المبحث الأول: نشوء شبهة عدم وقوع قتل الإمام الحسين عليه السلام، وفيه مطلبين:

الأوّل: القائلين بهذه الشبهة، من هم؟

الثاني: محتوى الشبهة ومضمونها.



المبحث الثاني: توقيع الإمام الحجّة عليه السلام في ردّ الشبهة، وفيه ثلاث دلائل:

الأوّل: كفر القائلين بها في قبال إخبار الله تعالى.

الثانية: كذب القائلين بها في قبال إخبار النبي والأنبياء عليهم السلام.

الثالثة: ضلال القائلين بها في قبال هدى يوم عاشوراء وحقيقة وقائعه سنة (٦١هـ).

الخاتمة: في النتائج التي توصل إليها الباحث.



abstract

The origin of the research idea is summarized in three main objectives:

1 -The important role of the signatures of the holy region in consolidating the correct doctrine, and that it is an extension and rooting of the sayings of the Imams from his fathers, may God's prayers be upon them.

2- The killing of Imam Hussein and his martyrdom, peace be upon him, is an inevitable and inevitable matter, in which the final and inevitable decree from God Almighty has been fulfilled.

3- Invalidating the allegations that the killing of Imam Hussein, peace be upon him, did not occur, and explaining the reasons and motives.

In light of what we mentioned, our research was labeled "Refuting the suspicion that the killing of Al-Hussein bin Ali, peace be upon them, did not occur in the signing of the proof of Al-Mahdi, may God hasten his appearance," and it is divided as follows:

The first topic: The emergence of suspicion that the killing of Imam Hussein, peace be upon him, did not occur, and it contains two requirements:

The first: those who have this suspicion and those who say it.

Second: The source of the suspicious text and its details.

The second topic: The signature of Imam Al-Hujjah, peace be upon him, in rejecting suspicion, and it has three implications:

The first: the disbelief of those who say it in relation to the information of God Almighty.



The second: Those who say it lie about the information of the Prophet, the imams, and the prophets, peace be upon them.

Third: The misguidance of those who say it in the face of guidance and the truth of the events of Ashura (61 AH).

Conclusion: The results reached by the researcher.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللَّعن الدائم على أعدائهم ومُنكري فضائلهم وجاحدي آياتهم إلى يوم الدين، وبعد:

قال الله تعالى في مُحكم كتابه الحكيم: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(١).

نُحَدِّثُنا الآية الكريمة من سورة يونس، أنَّ هنالك وجهتان في الحياة الدنيا، الأولى وجهة الحق، والأخرى بالضد منها وهي وجهة الضلال، وأنَّ الإنسان باختياره لإحدى الوجهتين يتحدّد مصيره في هذه الحياة، فأما أن يُخْتَمَ له فيها بالسعادة، وأما أن يُخْتَمَ له بالشقاء.

هذا، وإنَّ من طبيعة مجريات عالم الدنيا هو التباس الحق بالباطل واختلاط الخير بالشر، فصارت هذه المسألة من أشدَّ المِحَن على الإنسان، وبها كان الابتلاء والامتحان، بحيث أصبح التمييز بينهما من الصعوبة بمكان؛ لذلك وَجَبَ في الحِكْمَةِ الإلهيَّة جعل السُّبُل التي يتمُّ بوساطتها معرفة الحقِّ وتمييزه عن الضلال، وهذا من تدارك الرحمة الإلهيَّة ببني آدم، وإتماماً للحُجَّة على القاصي والداني منهم، حيث قد تكفَّل الله عز وجل بالهداية إلى سبيل الحقِّ والهدى؛ كما في قول تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾^(٢)، وذلك بأن عرَّف سبيله الحقِّ في هذه الحياة مُرشدًا إليه؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤).

كما قد عرَّف الله تعالى الوجهة الأخرى في قِبال وجهة الحقِّ؛ إذ أنَّ الأشياء تُعرَف بأضدادها^(٥)، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٦)، مُخَيِّرًا إِيَّاه في الاختيار، فلا جَبَرَ ولا تَفْوِيضَ ولكن أمرين أمرين^(٧)؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٨).

فكان من كمال الحكمة الإلهية أن عَرَفَ الله تعالى عباده ما يتحصَّنوا به، مُهيئاً السبل العاصمة لهم من إبليس وقبيله، فلا يكون لهم سبيل على أصحاب الصراط المستقيم، والذي ما فتأ يصدّ الناس عن سبيل الله الحقّ؛ بأن يُزين لهم الباطل فلا يهتدون^(٩)، وما هذا منه بغريب، فالقرآن يُخبرنا بما عاهد به اللعين على نفسه بأن يَقْعُدَنَّ لِلإِنْسَانِ صراط الله المستقيم، قال: ﴿لَا قُعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١٠)، وقال: ﴿لَا غُورِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١١)، إلّا أنّه قد استثنى من غوايته مَنْ ليس له عليهم سُلطان، قال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾^(١٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(١٣).

هذا، وإنّ لِكِلَا الوجهتين أتباع، وقد أمر الله تعالى باتباع أصحاب الهدى والافتداء بهم، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبْهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾^(١٤)، فما هو الصراط المستقيم الذي أمر الله عز وجل باتباعه ولزومه، ومن هم هؤلاء العباد المُخْلِصِينَ الذين أمر الله تعالى بالافتداء بهداهم، ومن هم الغاوين الذين صدّق إبليس عليهم ظنّه فاتَّبَعُوا^(١٥)؟

أمّا الصراط المستقيم فقد بيّن المعصوم عليه السلام أنّه الطريق المؤدّي إلى محبة الله والمُبلّغ عنه دينه، والمانع من اتّباع الهوى والرأي^(١٦)، وإنّ هذا الصراط قد جعل الله سبحانه له أهلاً يُرشدون إليه كما هو الآية من سورة الفاتحة، قال تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وجاء تفسيرها عن أهل بيت العصمة بأنّ أهل هذا الصراط هم: النبيّ محمّد وآله المُصطفين عليه السلام^(١٧).

أمّا الغاوون من أتباع إبليس فهم كلّ من لم يكن له إمام هُدى من الله تعالى، فكانوا في عمى من الضلالة مُتخبّطين في سيرهم؛ لسلوكهم غير طريق المحجّة البيضاء، وهؤلاء هم أصحاب القلوب المريضة، الذين صاروا محلّ فتنة إبليس، فزادهم الله مرضاً بإيكا لهم إلى أنفسهم؛ لعدم إيمانهم بالحقّ وما جاء من عند الله تعالى^(١٨).

وإنَّ من أشكال وصُور الغواية الإِبليسيَّة؛ هو التشكيك في أحداث يوم عاشوراء، لاسيَّما مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) سنة (٦١هـ - ٦٨٠م)؟! وهذا منه ليس بغريب، ففي الخبر أنَّ إبليس في ذلك اليوم قد طار فرحًا، يجول الأرض كلَّها في شياطينه وعفاريته، فيقول لهم: يا معشر الشياطين، قد أدركنا من ذُرِّيَّة آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النَّار، إلَّا من اعتصم بهذه العِصابة، فاجعلوا شُغلكم بتشكيك الناس فيهم، وحملهم على عداوتهم، وإغرائهم بهم وأوليائهم؛ حتَّى تستحكم ضلالة الخلق وكُفْرهم، ولا يَنجُو منهم ناج^(١٩).

فمنذ يوم شهادة الحسين عليه السلام عمل الشيطان على النفث في قلوب أتباعه والإيحاء لهم بشتى الطرق محاولاً طمس الحقائق ومحوها، إلا أن هذه المحاولات بالغة ما بلغت تبوء بالفشل، ولن تمسّ من أصل الحقيقة الحسينية شيئاً، طالما أن للحقّ أهلاً يذودون عن هذا الدين، ففي الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام: «فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خَلَف عدو لا يَنْفُونَ عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»^(٢٠)، وفي آخر عنه، عن النبي صلّى الله عليه وآله: «في كلّ خَلَف من أمتي عدل من أهل بيتي، ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجهّال»^(٢١).

فجاءت توقعات الحلف من بعد الحلف من أهل بيت النبوة في القرن الثالث الهجري لتتفي تحريف الغلاة لمقتل الحسين (عليه السلام)، فإنَّ شهادته (عليه السلام) أمرٌ مُدرك بالعيان؛ حيث قد وُثِّقت تلك الواقعة بشهادة الصادقين من أهل البيت (عليهم السلام)، فضلاً عن المؤرخين وأصحاب المقاتل الذين دَوَّنوا أحداث تلك الواقعة في كتبهم، والإنكار للمحسوسات باطل عند كافّة العقلاء كما ذكر الشيخ المفيد^(٢٢)، وهذا ما سيبيّنه الباحث في أهداف البحث الآتية.

أهداف البحث:

تتلخص أصل فكرة البحث في ثلاث أهداف رئيسة:

- ١- الدور المهم لتوقعات الناحية المقدسة في ترسيخ العقيدة الصحيحة لدى الفرد والأمة زمن الغيبة، وأنها امتداد وتأصيل لأقوال الأئمة من آبائه عليه السلام.
- ٢- إن قتل الإمام الحسين وشهادته عليه السلام مسألة حتمية لا بداء فيها، قد جرى فيها القضاء الممضي المحتوم من الله عز وجل.
- ٣- إبطال المزاعم القائلة بعدم وقوع قتل الإمام الحسين عليه السلام وبيان الأسباب والدوافع.

وهذه الأهداف سيبيّنُها الباحث؛ عبر علاجه لمشكلة البحث.

مشكلة البحث:

إن من المشكلات العقديّة الخطيرة التي يروم هذا البحث لعلاجها؛ هي المزاعم التي أشاعها الغلاة في عصر الغيبة الصغرى من أن القتل لم يقع على الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وأن أمره قد شُبّه للناس كأمر النبي عيسى عليه السلام، وأن شُبّهه قد أُلقي على بعض أصحابه، فكان هو القَتيل دونه؟! وسُعالج الباحث هذه الشبهة، وفق منهج النقد التأريخي.

منهجية البحث:

انتهج الباحث في علاج مشكلة البحث منهج النقد التأريخي؛ القائم على النظر في الخبر أو النصّ والتحقّق من صحّته نسبته إلى مصدره أولاً، وسلامته من الزيادة أو النقص أو التحريف ثانياً، ومدى مُطابقتها للواقعة التاريخيّة موضوع البحث ثالثاً؛ وذلك عن طريق سلسلة من الخطّوات النّقديّة الاستدلاليّة في مرحلتي: النقد الظاهريّ، والنقد الباطني التحليليّ^(٢٣). آتياً على المصاديق التاريخيّة الكاشفة عن زيف هذه المقالة، والكشف عن مُلابساتها.

عنوان البحث وهيكلته:

وبلحاز ما ذكرنا جاء بحثنا مؤسومًا بـ(ردّ شبهة عدم وقوع قتل الحسين بن عليّ عليه السلام في توقيع الحجّة المهدي عليه السلام)، وهو مُقسّم على النحو الآتي:
المبحث الأول: نشوء شبهة عدم وقوع القتل على الإمام الحسين عليه السلام، وفيه مطلبين:

الأوّل: القائلين بهذه الشبهة، مَنْ هم؟

الثاني: محتوى الشبهة ومضمونها.

المبحث الثاني: توقيع الإمام الحجّة عليه السلام في ردّ الشبهة، وفيه ثلاث دلالات:

الأوّل: كفر القائلين بها في قبّال إخبار الله تعالى.

الثانية: كذب القائلين بها في قبّال إخبار النبيّ والأئمّة والأنبياء عليهم السلام.

الثالثة: ضلال القائلين بها في قبّال هُدى يوم عاشوراء وحقيقة وقائعه

سنة (٦١هـ).

الخاتمة: في النتائج التي توصّل إليه الباحث.

المبحث الأوّل:

نشوء شبهة عدم وقوع القتل على الإمام الحسين عليه السلام

باتت التيارات الفكرية المنحرفة، والتي عَصفت بالأُمّة الإسلامية في القرنين الثاني والثالث الهجريّ، تُمثّل خطرًا كبيرًا مُحدقًا بالثقافة الدينية للفرد والأُمّة، لا سيّما فيما يرتبط بالعقيدة؛ حيث نَجمت عنها أفكارًا شاذّة، وعقائد فاسدة، صُدّرت للمجتمع الإسلاميّ آنذاك على أنّها من عميق الفكر والمعارف الإسلامية؟!

والواقع أنّهم قد حادوا فيها عن سبيل المحجّة الواضحة، مُخالفين في مزاعمهم لأدبيّات العقيدة الإسلامية الحقّة، المُستقاة من القرآن الكريم، والسنة النبويّة، وأحاديث العترة الطاهرة.

وكان من نماذج هذه تلك المزاعم؛ قولهم بعدم وقوع القتل على الإمام الحسين (عليه السلام) يوم العاشر من محرم الحرام سنة (٦١ هـ / ٦٨٠ م)؟! ونحن في هذا المبحث سنتناول عرض شبهتهم هذه، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: القائلين بهذه الشبهة، مَنْ هم؟

إنَّ مَنْ ينظر في تاريخ الفرق الإسلامية، يجد أنَّ سبب حدوثها ونشوؤها هو الاختلاف في مسألة الإمامة بعد شهادة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في العقد الحادي عشر من القرن الأول للهجرة، حيث تعددت العلل التي من أجلها تفرقوا واختلفوا^(٢٤)، ثم تطورت مسألة الخلاف عند بعض الفرق، لا سيما فرق الغلاة، والتي كان بداية ظهورها في مدينة الكوفة قبيل مُتُصَفِّ القرن الأول الهجري، حيث أتهم اختلفوا في مسألة صفة الإمام المعصوم (عليه السلام)، هل هو من جنس البشر، أم هو أعلى من ذلك^{(٢٥)؟}! إلى غير ذلك من مزاعمهم الباطلة، والتي ذكرتها كتب الفرق والمقالات الإسلامية^(٢٦).

فنشأت على أثر ذلك في العقد الرابع من القرن الأول الهجري تصورات من محض الخيال وخليط حشو الأقوال، لم يُنزل الله بها من سلطان، بل هي من وحي الشيطان، أُشيعت في الناس آنذاك؛ ومنها أنَّ الإمام (عليه السلام) حيٌّ لا يموت؛ فلا يقع عليه القتل؟! وذلك بعد شهادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بزعمهم: «أَنَّ عَلِيًّا لم يُقتل ولم يمت ولا يموت، حتَّى يَمْلِك الأرض ويسوق العرب بعصاه، ويملأ الأرض قِسْطاً وعدلاً، كما مُلِئت ظُلماً وجوراً»، ذكر ذلك سعد بن عبد الله الأشعري القمي (ت ٢٩٩ هـ أو ٣٠١ هـ) في (المقالات والفرق)^(٢٧)، والحسن بن موسى النوبختي (ق ٣ هـ) في (فرق الشيعة)^(٢٨)، منسوبة إلى الفرقة (السبائية).

إلا أنَّنا بالرجوع إلى ما ذكرته كتب التاريخ والدراسات في الفرق والمقالات؛ وجدنا أنَّ أول من قال بتلك المزاعم الباطلة، هم جماعة

من الصحابة في السنة الحادية عشرة للهجرة! حيث انكروا خبر موت النبي ﷺ! ومن الأمثلة على هذه المقالة ما نسب لعمر بن الخطاب فيما ذكره ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) في طبقاته، قال: «لا أسمعن أحداً يقول إنَّ محمداً قد مات، ولكنه أُرسِلَ إليه كما أُرسِلَ إلى موسى بن عمران، فلبث عن قومه أربعين ليلةً، والله إنِّي لأرجو أن يقطع أيدي رجالٍ وأرجلهم يزعمون أنه مات!»^(٢٩)، وفي آخر عن الطبري (ت ٣١٠هـ) في تاريخه قال: إنَّ عمر بن الخطاب كان يُوعِد الناس ويقول: إنَّ رسول الله حيٌّ لم يمِتْ، وإنَّه خارج إلى من أرجف به!.. إلخ^(٣٠). وذكر الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) في (الملل والنحل) مقالة عمر بن الخطاب: «من قال: إنَّ محمداً قد مات، قتلته بسيفي هذا! وإنَّما رُفِعَ إلى السماء، كما رُفِعَ عيسى»^(٣١).

أمّا ما ذكره أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ) في مختصر تاريخه، عن جماعة من الصحابة لم يُسمّهم، وقد بلغهم وفاة النبي ﷺ، فقالوا: «كيف يموت وهو شهيد علينا! والله ما مات، بل رُفِعَ كما رُفِعَ عيسى...» (٣٢)، ومما يُخلّص إليه أنّ هذه الفكرة الفاسدة قد سرّت منهم إلى فرق الغُلاة، فتكون مقاتلتهم تمهيداً لنشوء مقالات الغُلاة في القرون التالية.

فكانت نفوس هذه الجماعات أرضاً خصبة لهذه المزاعم، فنمت وترعرعت في كنفها في القرن الثاني للهجرة؛ متطوّرةً لتشمل فروعها مسألة نفي قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وشهادته يوم عاشوراء سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م)؟! فأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بأتباعه من الغاوين، فأثاروا الفتنة وزادوا الفرقة بين المسلمين، فكان أوّل ظهور لهذه المقالة على هذا النحو في القرن الثاني للهجرة، في عهد الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام) (١١٤-١٤٨هـ)؛ يروى لنا ذلك الفضل بن عبد الله الهاشمي في حديث للإمام (عليه السلام) معه، حول يوم عاشوراء، قال (عليه السلام): يا بن عم، وإنّ ذلك لأقلّل

ضرراً على الاسلام وأهله ممّا وضعه قوم انتحلوا مودّتنا، وزعموا أنّهم يدينون بموالاتنا ويقولون بإمامتنا، زعموا أنّ الحسين (عليه السلام) لم يُقتل، وأنّه شُبّه للناس أمره كعيسى بن مريم، فلا لائمة إذن على بنى أمّية ولا عتب على زعمهم؟! يا بن عم، من زعم أنّ الحسين لم يقتل؛ فقد كذب رسول الله ﷺ وعلياً، وكذب من بعده الأئمة (عليهم السلام) في أخبارهم بقتله، ومن كذبهم فهو كافر بالله العظيم، ودمه مُباح لكلّ من سمع ذلك منه. قال عبد الله بن الفضل: يا بن رسول الله، فما تقول في قوم من شيعتك يقولون به؟ فقال (عليه السلام): ما هؤلاء من شيعتي، وإني برئ منهم (٣٣).

ف نجد أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) قد اعتبر الضرر الناجم عن هذه المقالة أشدّ خطورةً من الضرر المترتب على ما وضعته الأقلام المأجورة للحكومة الأموية، من كذب وتزييف ليوم عاشوراء، بأنّه يوم بركة؛ ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسرور والتبرّك (٣٤)؛ فما كان منه صلوات الله عليه أن تصدّى لفتنتهم، كاشفاً عن ملابسها، مُفتياً بكفر هذه الجماعة؛ لتكذيبهم قول النبيّ والأئمة (عليهم السلام) فيما أخبروا به عن ربّ العالمين في شأن الإمام الحسين (عليه السلام)، مُعلنًا البراءة منهم، مُخرّجاً أيّاهم من التشيع، والذي يعدّ الشعيرة الحسينيّة من ثوابت أركانه العقديّة.

ثمّ تطوّرت هذه الشبهة في الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة، في عهد الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) (١٨٣-٢٠٣هـ)، لتشمل أصحاب الإمام الحسين (رضوان الله عليهم)؛ وذلك فيما رواه أبو الصلت الهروي، قال: قلت للرضا (عليه السلام): يا بن رسول الله، إنّ في سواد الكوفة قومًا... يزعمون أنّ الحسين بن عليّ (عليه السلام) لم يقتل! وأنّه ألقي شبيهه على حظلة بن أسعد الشبامي! وأنّه رُفِع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم (عليه السلام)! ويحتجّون بهذه الآية: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (٣٥).

فقال: كذبوا عليهم غضب الله ولعنته، وكفروا بتكذيبهم لنبي الله ﷺ في إخباره بأنّ الحسين بن عليّ ﷺ سيقتل، والله لقد قُتل الحسين ﷺ، وقُتل من كان خيراً من الحسين: أمير المؤمنين والحسن بن عليّ ﷺ، وما منّا إلا مقتول.. (٣٦). فهذا الإمام الرضا ﷺ قد تصدّى لهذه الشبهة، كاشفاً عن وهنها، مؤكّداً أنّ ما جرى به على الإمام الحسين ﷺ من قضاء الله تعالى الممضي، قد جرى على السابقين عليه من الأئمة ﷺ، وهو أيضاً ما سيجري على التالين له، وهذا هو من قضاء الله المحتوم في أوليائه وأصفيائه، فلا تجد لسنة الله تحويلاً، ولا تجد لسنة الله تبديلاً.

هذا، وأما ما يختص بتسميت هذه الفرقة، فلم نجد في هاتين الروايتين تسمية صريحة لأصحابها، سوى ما ورد من أنهم (قوم من سواد الكوفة)؟ إلا أننا قد عثرنا على إشارة لمن يقول بهذه المقالة في كتب الفرق والمقالات، وأيضاً ما عثرنا عليه في بعض الكتب التراثية لفرق الغلاة المعاصرة، حيث ظهر لنا أن المؤسس لأصل الفكرة هم الخطائية، أتباع محمد بن مقلص بن أبي زينب الأجدع، مولى بني أسد، والمقتول على يد عيسى بن موسى العبّاسي، في حكومة المنصور الدوانيقي (١٣٦-١٥٨ هـ)؛ إذ قالوا بوقوع التشبيه في مسألة قتل أصحابهم على يد عيسى بن موسى، وأنّ صاحبهم وهو أبو الخطاب لم يُقتل، ولا قُتل أحد من أصحابه، وإنما لبس على القوم وشبه عليهم؟! (٣٧).

وبقي أتباع هذه الفرقة حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، حيث امتدت أفكارهم لتصبح أصولاً مُتجذرة لدى فرق الغلاة الأخرى (٣٨)؛ وهذا ما عثرنا عليه في بعض الكتب التراثية لهذه الفرق في أواخر القرن الرابع وبدايات القرن الخامس الهجري، وما أجري عليها من دراسات، وإليك ما جاء في بعضها كشاهد في المقام على هذه المزاعم؛ منها ما قام به الباحث عبد الحميد الدجيلي في بحثه الموسوم بـ(كتاب

مجموع الأعياد والطريقة الخُصِيَّة)، حيث تناول دراسة كتاب (مجموع الأعياد)^(٣٩) للفرقة النصيرية، لمؤلفه أبي ميمون بن قاسم الطبراني (٣٨٥-٤٢٦هـ)، وهو من سلسلة مشايخ النصيرية، وقبره الآن في اللاذقية بمسجد الشعراني^(٤٠)، حيث لخص لنا الباحث فكرة بعض ما جاء في هذا الكتاب، فيما يتعلّق بيوم عاشوراء، قال: «.. ويتلو ذلك ذكر عيد عاشور وخبره كما يُسمّيه [أي أبو ميمون الطبراني]، ولم يكتّم آراءه هنا في التّأليه العلويّ! بل يصول ويجول، ويسخر ممّن قال بقتل الحسين؟!..»^(٤١).

وللوقوف على أصل هذه المقالة؛ زيادة منّا في التوثيق، أتينا بموضع الشاهد من مصوِّرة النسخة الخطيّة لأصل الكتاب، ونصّها: «ويتلوه ذكر عاشور...، وهو اليوم الذي روت فيه العامّة وظاهرية الشيعة وزعمت أنّ فيه مَقْتَل مولانا الحسين (عليه السلام)، تعالى الله عمّا يقول الظالمون المُفْترون! ويظنّه المُلحدون علوّاً كبيراً! وذلك أنّ يزيد ابن معاوية (لعنه الله) أمر الشمر ابن جوشن الضبابيّ (لعنهم الله) بعد مسير مولانا الحسين من المدينة إلى الكوفة، فصار إليه بالجيش، وكانت الوقعة بـكربلاء على شاطئ العلقميّ، وما جَرا من القتل، والسبي، وتسيير الرأس إلى يزيد ابن معاوية (لعنهما الله)، وأظهر مولانا الحسين (عليه السلام) الغيبة فيه! جلّ من لا يغيب، وألقى شَبّهه على حنظلة ابن أسعد الشباميّ، فكانت سيرته تُقارب سيرة سيّدنا المسيح (عليه السلام)، وما أظهره من القتل والصلب وسائر سيرته.

فاعتقدت النصارى فيه أنّ القتل صحيح والصلب، وكذلك اعتقدت كافّة العامّة من المسلمين، والظاهرية من الشيعة أنّ القتل صحيح، وطابقوا النصارى في القول^(٤٢)، فأوقع الله بهم الحيرة والشك؟!..»^(٤٣) إلخ.

فالظاهر لنا من هذه المقالة أن أصحاب العقيدة المذكورة أعلاه، هم فرقة باطنية يعتقدون بعقيدة خفية؛ وذلك في قبال ما يعتقدوه عموم المسلمين من حقيقة شهادة الإمام الحسين، وصحة وقوع قتله ﷺ.

ونشير أيضاً إلى أنه قد دس جزء من هذه المقالة الفاسدة في بعض الكتب التراثية الأخرى! وذلك على غفلة من القائمين على دور النشر، وهذا خلاف السلامة الفكرية، والتي هي مرحلة مهمة، يجب أن يخضع لها الكتاب قبل أن يُصدّر للطباعة، وسنأتي على تفصيل ذلك في المطلب الآتي.

المطلب الثاني: محتوى الشبهة ومضمونها

ارتكزت مزاعم هذه الفرقة على قسمين رئيسيين:

الأول: أن القتل لم يقع على الإمام الحسين ﷺ، بل رُفع إلى السماء كنبى الله عيسى ﷺ، متأولين قوله تعالى: ﴿وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾^(٤٤).

الثاني: أن شبهة ﷺ قد أُلقي على أحد أصحابه، وهو حنظلة الشبامي.

ونحن في هذا المطلب سنقوم بمناقشة مقالتهم بشكل علمي وموضوعي، في أمور عدة، كالآتي:

أولاً: إنهم قد تأثروا بحسب الظاهر بتراث النصارى بحسب رواياتهم على اختلافها؛ وذلك بقولهم في مسألة التشبيه في القتل بين الإمام الحسين وعيسى ﷺ، وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على ضعف عقول القائلين بها، فهم قد وافقوهم بالفكرة، وخالفوهم في التفاصيل، فمسألة القتل بحسب رواية نُسَخ الإنجيل المُحرّف تقول: بأن يسوع -وهو المسيح- قُتل وصلب^(٤٥)، وأمّا التشبيه بحسب رواية نُسَخ الأنجيل الأخرى كإنجيل برنابا^(٤٦) وهي الأقرب لما عليه المسلمون، من أن التشبيه أُلقي على أحد المنافقين ممن رافق يسوع المسيح وهو (يهوذا الأسخريوطي) الذي خان نبيّه، حيث باعه بثمنٍ بخس ثلاثون درهماً^(٤٧).

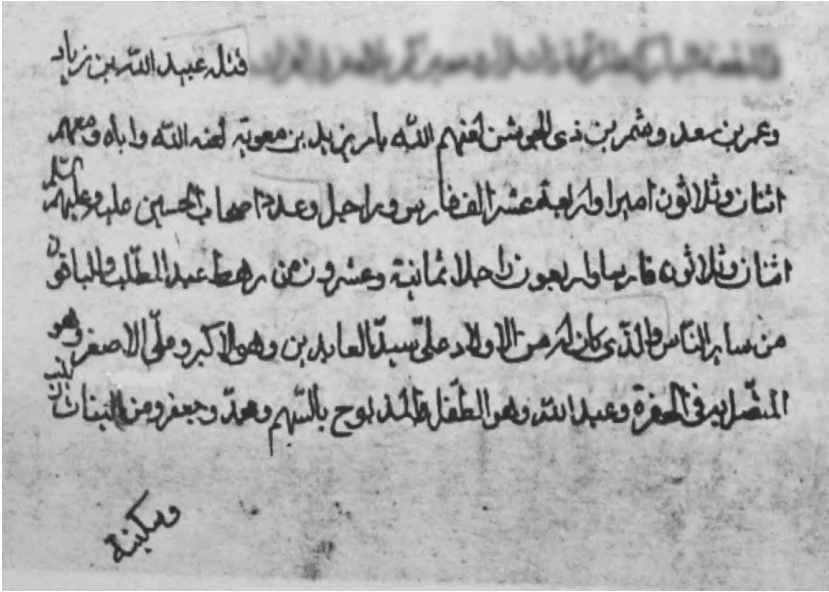
وهنا يكمن أصل الإشكال على رواية هذه الفرقة الباطنيّة، وهو أنّه كيف رضوا أنّ يُجعل حنظلة بن أسعد الشباميّ، هذا البطل الصنديد الذي وفي لإمامه، بمنزلة ذاك المنافق العنيد الذي خان نيّه؟! إنّ من يُراجع كتب التاريخ والمقاتل يجد أنّ شهادة حنظلة الشباميّ رضوان الله عليه كانت في الحملات الأولى، قبل شهادة الإمام الحسين عليه السلام، حيث تقدّم بين يدي الإمام عليه السلام مُدافعاً عن حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله، مُصلّتا سيفه يضرب في أعداء الله قُدماً، حتّى تعطفوا عليه من كلّ جانب فقتلوه في حومة الحرب (رضوان الله عليه) (٤٨)، فشتان بين الموقفين، وعليه تبطل حُجّتهم من هذا الجانب، وسنأتي على تمام الشواهد التي تُبطل الجوانب الأخرى لهذه المزاعم في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

ثانياً: إنّنا لا حظنا أنّ خطر هذه الفرق الباطنيّة قد سَرا إلى بعض كتب التراث الشيعيّ، وذلك على غفلةٍ من مؤسّسات النشر ودور الطباعة! حيث وجدنا في بعض طبعات الكتب المعنيّة بتاريخ أهل البيت عليه السلام، لا سيّما تاريخ الإمام الحسين عليه السلام، أنّها قد تضمّنت لنفس تلك المضامين الفاسدة المارّة الذكر (٤٩)؛ ففي كتاب (الهداية الكبرى) أو (تاريخ أهل البيت) للحسين بن حمدان الخصيّيّ (ت ٣٤٦ أو ٣٥٨ هـ) (٥٠)، طبعة مؤسّسة البلاغ (٥١)، إذ جاء في الباب الخامس منه، فيما يختصّ بتاريخ الإمام الحسين عليه السلام، فيما حدّث به الحسين بن حمدان الخصيّيّ، قال: «وقتل عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمّر بن ذي الجوشن، بأمر يزيد بن معاوية لعنهم الله، وأتوه ومعهم اثنان وثلاثون ألف فارس وأربعة وعشرون ألف راجل، وعدّة أصحاب الحسين عليه السلام اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، وثمانية عشر رهط عبد المطلب، والباقيون من سائر الناس، ووقع شُبّهة على حنظلة الشباميّ، وشبام من همدان، ولمّا رأى أخاه العبّاس بن

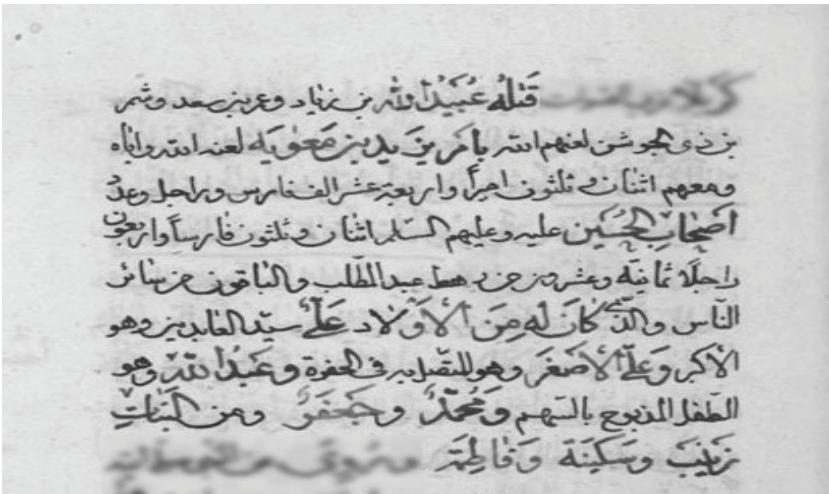
عَلِيٍّ مُخْلِصًا فِي الْجِهَادِ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ فَأَلْقَى شِبْهَهُ عَلَى رَشْدَةِ بَن سَنَانٍ^(٥٢)،
 وَالَّذِي كَانَ لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ عَلِيٌّ سَيِّدُ الْعَابِدِينَ وَهُوَ الْأَكْبَرُ، وَعَلِيٌّ الْأَصْغَرُ
 وَهُوَ الْمُتَّصِلُ بِهِ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ الْوَلَدُ الْمَذْبُوحُ بِالنَّشَابَةِ، وَمُحَمَّدٌ وَجَعْفَرُ،
 وَمِنَ الْبَنَاتِ: زَيْنَبُ، وَسَكِينَةُ، وَفَاطِمَةُ^(٥٣).

وَإِنَّ مِنْ يُمَعِّنُ النَّظَرَ فِي هَذَا النَّصِّ يَجِدُهُ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْمُتَنَاقِضَاتِ؛ إِذْ أَنَّ
 الْمُؤَلِّفَ قَدْ ذَكَرَ أَوَّلًا أَنَّ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَتَلَ، قَتْلَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، وَعَمَرَ بَن
 سَعْدٍ، وَشَمْرَ بَنِ ذِي الْجَوْشِ، بِأَمْرِ يَزِيدَ بَنِ مَعَاوِيَةَ (لَعَنَهُمُ اللَّهُ)، وَقَوْلُهُ هَذَا
 يُعَارِضُ الْقَوْلَ الْآخَرَ بِوُقُوعِ شِبْهِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى حَنْظَلَةَ الشَّبَامِيِّ! وَفِيهِ
 إِشَارَةٌ خَفِيَّةٌ لِمُعْتَقَدِ النَّصِيرِيِّ الْمَذْكُورِ سَابِقًا^(٥٤)، وَهُوَ عَدَمُ وَقُوعِ الْقَتْلِ؟!
 وَرَغْمَ إِنَّنَا لَمْ نَقِفْ عَلَى نُسْخَةٍ خَطِّ الْمُؤَلِّفِ لِهَذَا الْكِتَابِ، إِلَّا أَنَّا وَفِي
 خِلَالِ بَحْثِنَا وَتَحْقِيقِنَا لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْحَسَّاسَةِ وَالْخَطِيرَةِ فِي نَفْسِ الْآنِ، قَدْ
 رَجَعْنَا إِلَى بَعْضِ النُّسَخِ الْخَطِيَّةِ لِهَذَا الْكِتَابِ، فَوَجَدْنَا أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ
 قَدْ زِيدَ عَلَى أَصْلِ الْكِتَابِ! فَضْلًا عَلَى أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةُ أَجْنَبِيَّةٌ عَنْ سِيَاقِ
 الْجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلَهَا وَالَّتِي بَعْدَهَا كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ لِلْعَيَانِ؛ مِمَّا يَكْشِفُ لَنَا
 التَّلَاعِبَ الَّذِي حَصَلَ فِي النُّسْخَةِ الْمَطْبُوعَةِ، وَالَّتِي لَمْ يُفْصَحْ فِي مُقَدِّمَتِهَا
 عَنْ أَيِّ نُسْخَةٍ اعْتَمَدَتْ كَأَصْلِ لَهَا!^(٥٥) وَإِلَيْكَ بَعْضُ الشَّوَاهِدِ مِنْ
 مُصَوِّرَاتِ مَخْطُوطَتَيْنِ لِأَصْلِ الْكِتَابِ:

١- (مصورة مكتبة المرعشي النجفي - قم / رقم ٢٩٧٣)



٢- (مصورة مكتبة مجلس شوري ملي / رقم ١٤٧٩٥):



وزيادة في البيان قيام أحد المحققين -وهو الشيخ شوقي الحداد- بتحقيق كتاب (الهداية الكبرى) على سبعة نُسَخَ خطية، والتي خلت جميعها من هذه الزيادة، باستثناء نسخة مؤسسة البلاغ المطبوعة، والتي اعتمدها المحقق أصلاً لمتن الكتاب^(٥٦)!

ثم يأتي المحقق على أمثلة وشواهد على وقوع التحريف في كتاب (الهداية الكبرى) من النسخة المطبوعة، وهذا نصّه: «يعدّ كتاب الهداية الكبرى من أهم وأقدم المصادر الحديثية والروائية التي رَوَتْ فضائل وأخبار أهل البيت النبوي الشريف ﷺ، كما بيّنا فيما سبق، وبسبب تقديم مؤلفه الخصيّ هذا الكتاب وإهدائه إيّاه لسيف الدولة الحمدانيّ، الذي حفظه من التلف، وحرص على تكثير الكتاب وتوزيعه على مكاتب العلماء في عصره، كان لهذا العمل الدور الكبير في الحفاظ على هذا الكتاب...، ولكن على الرغم من ذلك فقد دخل بعض مخطوطات هذا الكتاب شيء من التحريف أو التشويه...، وهذه بعض الأمثلة...»^(٥٧) إلخ، وأتى بخمسة نصوص، كان النصّ الثالث منها في باب الإمام الحسين ﷺ، حيث يُعلّق المحقق بعد النصّ المذكور، قائلاً: «هذا المقطع من النصّ الموجود بين معقوفين^(٥٨)، لم نجد له أثراً إلّا في كتاب الهداية المطبوع من دون تحقيق، بينما مخطوطات الكتاب الأخرى فلا وجود لهذا المقطع فيها، كما لم يروه أحد من المؤرّخين لحادثة كربلاء؟!»^(٥٩).

هذا، وعند بحثنا في المكتبات التراثية، وجدنا أنّ هناك طبعة لكتاب (الهداية الكبرى) ضمن سلسلة التراث العلويّ (النصيريّ)^(٦٠)، حيث قد عارضنا نصّ طبعة مؤسسة البلاغ بطبعة التراث العلويّ، فلاحظنا التطابق فيما بين النصّين، وإليك نموذجين منها:

نموذج نصّ مُصوِّرة طبعة مؤسّسة البلاغ:

قلت قرأ وعين بكثرة غيري القراء وقتله عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن بأمر يزيد بن معاوية لعنهم الله واتوه ومعهم اثنان وثلاثون الف فارس واربعة وعشرون الف راجل وعدة اصحاب الحسين (عليه السلام) اثنان وثلاثون فارساً واربعون راجلاً وثمانية عشر رهط عبد المطلب والباقون من سائر الناس ووقع شبهه على حنظلة الشبامي وشبام من همدان ولما رأى اخاه العباس بن علي مخلصاً في الجهاد بين يديه رحمه الله فالقى شبهه على رشدة بن سنان والذي كان له من الأولاد عليّ سيد العابدين وهو الأكبر وعليّ الأصغر وهو المتصل به وعبد الله وهو الطفل المذبوح بالشبابة ومحمد وجعفر ومن البنات زينب وسكينة وفاطمة .

نموذج نصّ مُصوِّرة طبعة التراث النصيريّ العلوي^(٦١):

وقتلته عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن بأمر يزيد بن معاوية لعنهم الله واتوه ومعهم اثنان وثلاثون الف فارس واربعة وعشرون الف راجل وعدة اصحاب الحسين (ع) اثنان وثلاثون فارساً واربعون راجلاً وثمانية عشر رهط عبد المطلب والباقون من سائر الناس ووقع شبهه على حنظلة الشبامي وشبام من همدان ولما رأى اخاه العباس بن علي مخلصاً في الجهاد بين يديه رحمه الله فالقى شبهه على رشدة بن سنان والذي كان له من الأولاد علي سيد العابدين وهو الأكبر وعلي الأصغر وهو المتصل به وعبد الله وهو الطفل المذبوح بالشبابة ومحمد وجعفر ومن البنات زينب وسكينة وفاطمة.

فالذي نَحْلُصُ إليه أنّ النُسَخَةَ المعتمدة لدى مؤسّسة البلاغ بحسب المُعطيات التي حصلنا عليها هي نفسها نُسخة التراث العلويّ (النصيريّ)، والتي قد تضمّنت لهذا التحريف والزيادة في النصّ، في قِبال الأصول الأصليّة الخطيّة للكتاب، والتي قد عارضناها بالنصّ المشكوك في صحّته، في مرحلة (نقد التصحيح أو الاستعادة)، حيث تمكّنا بواسطة هذا المنهج الحصول على نصّ أقرب ما يكون إلى نُسخة المُؤلّف بخطّه، من دون أن يُضاف إليه شيء، مُزيلاً بذلك كلّ القراءات الفاسدة، أو الدخيلة على أصل النصّ^(٦٢)، والتي من شأنها أن تُسبّب أغلطاً في المعنى تُخالف مُراد المُؤلّف^(٦٣)، كما هو الحال هنا، فتأمّل.

وأيضاً إنَّ من وراء هذا الوضع والتحريف أسباب ودواعي، منها دينية غايتها هدم الإسلام المحمديّ الأصيل، بزيادة انقسامات الأمة الإسلامية؛ عبر تأسيس مذاهب دينية وفكرية جديدة، تُخالف في معتقداتها للإسلام الصحيح، المُتمثل بفكر أهل البيت ومنهجهم عليهم السلام، حيث تبنّت هذه الفرق أفكاراً شاذة تجاوزوا بها حدود الاعتدال في الاعتقاد الذي قال به أئمة أهل البيت عليهم السلام، إلى الارتفاع والغلو، والذي كان من جملة أسباب تطوّره على هذا النحو الخطير، هو اتّساع مساحة الجهل بالقرآن والسنة لدى أفراد هذه الجماعات، ممّا شجّع زعامات هذه الفرق التهادي في استخدام سياسة التجهيل لأتباعهم؛ عبر نسج الحكايات الكاذبة، والتي قد لقحت أفكارها من مقالات الأسلاف من بعض الصحابة وغيرهم من الفرق كالسبائية، وقد مرّ الإشارة إليها سابقاً^(٦٤).

وأيضاً إنَّ تقارب أهداف هذه الفرق مع أهداف الأمويين في نسج الأباطيل في قبال الحقيقة، عبر وضع الروايات الزائفة، والتي جعلت من يوم عاشوراء يوم عيد وفرح وسرور! كما بيّناه سابقاً^(٦٥)، ممّا يرفع أصابع الاتهام عن الحكومة الأموية في قتلهم للإمام الحسين عليه السلام؛ وهذا يدلّنا على أنّ هناك أسباب سياسية وراء هذا الوضع والتحريف في الحقائق، غايتها تضليل الرأي العام، فضلاً عن تحقيق بعض المنافع الشخصية.

المبحث الثاني:

توقيع الإمام الحجة عليه السلام في ردّ الشبهة:

جاءت توقيعات الإمام الحجة عليه السلام في القرن الثالث الهجريّ، لتأصيل أقوال آبائه المعصومين عليهم السلام، مؤكّدة لمضامينها، فضلاً عن البيان والتوضيح للعديد من المسائل التي أشكلت على أهل زمان تلكم الحقبة، لا سيّما في المسائل العقديّة التي لها مساس مباشر بعقيدة الفرد والأمة، ومن تلكم المسائل الشبهة من قبل الغلاة في ذلك العصر حول شهادة الإمام الحسين سنة (٦١ هـ).

فكما أنّه قد تصدّى الأئمة لهذه الشبهة في القرن الثاني الهجريّ كما أشرنا إليه في المبحث الأوّل^(٦٦)، سار الإمام المهدي على نهج آبائه في التصديّ لمثيري هذه الشبهة في عصر الغيبة الصغرى، والتي استمرّت (٦٩ سنة) من (٢٦٠-٣٢٩هـ)، فكان من تلك التوقيعات الشريفة ما خرج على يد السفير الثاني محمد بن عثمان العمريّ (ت ٣٠٤ أو ٣٠٥هـ)؛ وقد رواه الشيخ الصدوق رضوان الله عليه بسنده قال: حدّثنا محمد بن محمد بن عصام الكلينيّ رضوان الله عليه، قال: حدّثنا محمد بن يعقوب الكلينيّ، عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمريّ رضوان الله عليه أن يُوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام...^(٦٧) «وأما قول من زعم أن الحسين عليه السلام لم يُقتل، فكُفر، وتكذيب، وضلال»^(٦٨).

تضمّن هذا التوقيع الشريف على دلالات عدّة، كان فيها الجواب الشافي للسائل حول الشبهة التي أثّرت في ذلك العصر، وإنّا تدبّرنا في مضامينها فوجدناها على دلالات ثلاث:

الأوّل: كُفّر القائلين بها في قبال إخبار الله تعالى

إنّ من أولى الدلالات التي أشار إليها التوقيع الشريف هو كُفّر أصحاب هذه المقالة، في قبال الإيمان بما أخبر به الله تعالى نبيّه الصادق الأمين، على لسان جبرائيل رسول الوحي الكريم، حين أخبره أنّ ولده الحسين مقتول؛ روى ذلك ابن شهر آشوب في مناقبه: «إنّ الله تعالى هنأ النبيّ عليه السلام بحمل الحسين وولادته، وعزّاه بقتله»^(٦٩).

وجاء في حديث اللوح الأخضر الذي نزل به جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى مُهنّئاً به رسول الله ﷺ بولادة الإمام الحسين عليه السلام؛ وهو ما رواه الإمام الصادق عليه السلام من حديث جابر الأنصاريّ مع الإمام الباقر عليه السلام،

حين سأله الإمام عن خبر اللوح الذي رآه في يد الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (عليها السلام)، فقال (عليه السلام): «أشهد بالله أنني دخلت على أمك فاطمة (عليها السلام) في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهنيئها بولادة الحسين، ورأيت في يديها لوحًا أخضر، ظننت أنه من زمرد، ورأيت فيه كتابا أبيض، شبه لون الشمس، فقلت لها: بأبي وأمي يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فيه اسم أبي، واسم بعلي، واسم ابني، واسم الأوصياء من وُلدي، وأعطانيه أبي ليُبشِّرني بذلك، قال جابر: فأعطنيهِ أمك فاطمة (عليها السلام) فقرأته واستنسخته، فقال له أبي: فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ؟ قال: نعم.

فمشى معه أبي إلى منزل جابر، فأخرج صحيفة من رق، فقال: يا جابر انظر في كتابك لأقرأ أنا عليك، فنظر جابر في نُسخته، فقرأه أبي فما خالف حرف حرفًا، فقال جابر: فأشهد بالله أنني هكذا رأيته في اللوح مكتوبًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيّه، ونوره، وسفيره، وحجابه، ودليله، نزل به الروح الأمين من عند ربّ العالمين، عَظَّمَ يا محمد أسمائي، واشكر نعمائي، ولا تَجَحَدَ آلائي، إني أنا الله لا إله إلا أنا، قاصم الجبارين، ومديل المظلومين، وديان الدين، إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي، أو خاف غير عدلي، عَذَّبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، فإياي فاعبد وعلَيّ فتوكل، إني لم أبعث نبيًّا فأكملت أيامه وانقضت مدّته إلا جعلت له وصيًّا، وإني فضّلتك على الأنبياء، وفضّلت وصيّك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك وسبطيك حسن وحسين، فجعلت حسنًا معدن علمي، بعد انقضاء مدّة أبيه، وجعلت حسينًا خازن وحيي، وأكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع

الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه، وحُجتي البالغة عنده، بعترته
أُثيب وأعاقب...»^(٧٠) إلى آخر ما جاء في ذكر أسماء الأئمة عليهم السلام.

فمن خلال ما مرّ ظهر لنا جلياً مصداق ما أخبر به الحجة عليه السلام، من أن
أصحاب هذه المزاعم كافرون بما قاله ربّ العزة لنبيّه الكريم صلى الله عليه وآله.

الثانية: كذب القائلين بها في قبّال إخبار الأنبياء والأئمة عليهم السلام

بيّن الإمام الحجة عليه السلام في التوقيع الشريف كذب دعوى هذه الفرقة
الضالة، وذلك في قبّال إخبار الصادقين من الأنبياء والأئمة قبل وقوع
القتل، فضلاً عن دُعائهم على قاتل الحسين عليه السلام؛ وهذا منهم إخبار بأمرٍ
قد قضاه الله تعالى وأمضاه، فأوحى إليهم فيما أوحاه من أمور الحوادث
والوقائع التي تجري، فأخبروا عن الله تعالى أوصيائهم، وهم صادقون لا
يسبقون الله بالقول وهم بأمره يعملون.

ونحن قد انتخبنا في هذا المطلب شيئاً يسيراً ممّا بيّنه عليه السلام في مُحكم
أقوالهم من وقوع قتل الإمام الحسين وشهادته (صلوات الله عليه)، وإليك
نماذج أقوالهم، في فرعين:

أولاً: ما أخبر به الأنبياء من أولي العزم عليهم السلام:

١- النبيّ نوح عليه السلام:

روى الشيخ عبد الله البحرانيّ (ت ١١٣٠ هـ) في عوالمه: أن النبيّ نوح عليه السلام لما
ركب في السفينة طافت به جميع الدنيا، فلما مرّت بكر بلاء أخذته الأرض وخاف
نوح العرق، فدعا ربّه وقال: إلهي طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما
أصابني في هذه الأرض، فنزل جبرائيل عليه السلام وقال: يا نوح، في هذا الموضع يُقتل
الحسين عليه السلام سبط محمد خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء، فقال: ومن القاتل
له يا جبرائيل؟ قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين، فلعنه نوح
أربع مرّات، فسارت السفينة حتّى بلغت الجودي واستقرت عليه^(٧١).

٢- النبي إبراهيم الخليل عليه السلام:

وعنه: روي أنّ النبي إبراهيم عليه السلام مرّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً فعثر به وسقط إبراهيم وشجّ رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار وقال: إلهي أي شيء حدث مني؟ فنزل إليه جبرائيل عليه السلام وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل هنا سبط خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه، قال: يا جبرائيل ومن يكون قاتله؟ قال: لعين أهل السماوات والأرضين، والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربّه، فأوحى الله إلى القلم إنك استحققت الشاء بهذا اللعن، فرفع إبراهيم عليه السلام يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً وأمن فرسه بلسان فصيح، فقال إبراهيم لفرسه: أي شيء عرفت حتّى تؤمّن على دعائي؟ فقال: يا إبراهيم أنا أفتخر بكوبك عليّ، فلمّا عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي؛ وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى (٧٢).

٣- النبي موسى عليه السلام:

وعنه: روي أنّ النبي موسى عليه السلام كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلمّا جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الحسك في رجله وسال دمه، فقال: إلهي أي شيء حدث مني؟ فأوحى الله إليه: إنّ هنا يُقتل الحسين عليه السلام، وهنا يُسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه، فقال ربّ: ومن يكون الحسين عليه السلام؟ ف قيل له: هو سبط محمّد المصطفى وابن علي المرتضى، قال: ومن يكون قاتله؟ ف قيل: هو لعين السمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء، فرفع موسى عليه السلام يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه (٧٣).

٤- النبي عيسى عليه السلام:

وعنه: روي أنّ النبي عيسى عليه السلام كان سائحاً في البراري ومعه الحواريون فمروا بكربلاء، فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق، فتقدّم عيسى عليه السلام إلى الأسد وقال له: لم جلست في هذا الطريق، ولا تدعنا نمر فيه؟ فقال الأسد بلسان فصيح: إني لم أدع لكم الطريق حتّى تلعنوا يزيد قاتل الحسين، فقال عيسى عليه السلام: ومن يكون الحسين عليه السلام؟ قال: هو سبط محمد النبي الأمي وابن عليّ الولي، قال: ومن قاتله؟ قال: قاتله لعين الوحوش والذئاب والسباع أجمع خصوصاً أيام عاشوراء، فرفع عيسى عليه السلام يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمن الحواريون على دعائه، فتنحّى الأسد عن طريقهم، ومضوا لشأنهم^(٧٤).

٥- النبي محمد ﷺ:

روى ابن عساكر في تاريخه عن أشعث بن سحيم، عن أبيه قال: سمعت أنس بن الحارث يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ ابني ذا-يعني الحسين- يُقتل بأرض يُقال لها: كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره. قال: فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء، فقتل مع الحسين^(٧٥).

ثانياً: ما أخبر به الأئمة عليهم السلام:

١- الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

روى الصدوق في أماليه عن ابن عباس، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث كربلاء، تأخذ منه موضع الشاهد، قال عليه السلام: «لقد حدّثني الصادق المصدّق أبو القاسم عليه السلام: أنّي سأراها^(٧٦) في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء، يُدفن فيها الحسين وسبعة عشر رجلاً كلّهم من ولدي وولد فاطمة، وإنّها لفي السماوات معروفة، تُذكر أرض كرب وبلاء، كما تُذكر بقعة الحرمين، وبقعة بيت المقدس...»^(٧٧).

٢- الإمام الحسن بن عليّ (عليه السلام):

وعنه: عن الفضل بن عمر، عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن جدّه (عليه السلام): «إنّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) دخل يوماً إلى الحسن (عليه السلام)، فلمّا نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما يُصنع بك. فقال له الحسن (عليه السلام): إنّ الذي يُؤتى إليّ سُمّ يُدسّ إليّ فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أتهم من أمة جدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، ويتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاك ثقلك، فعندها تحلّ ببنّي أمّية اللعنة، وتُمطر السماء رماداً ودمّاً، ويبكي عليك كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار»^(٧٨).

٣- إخبار الإمام الحسين (عليه السلام):

روى ابن نما في (مثير الأحران) خطبة للإمام الحسين (عليه السلام) حين عزم على الخروج إلى العراق، ما نصّه: «قام خطيباً فقال: الحمد لله وما شاء الله ولا قوّة إلّا بالله، خطّ الموت على وُلد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي^(٧٩) يتقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملآن منى أكرأشاً جوفاً، وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين..»^(٨٠) إلى آخر خطبته الشريفة.

وروى قطب الدين الراونديّ في (الخرائج والجرائح) عن جابر، عن الإمام الباقر (عليه السلام) في قول جدّه الحسين (عليه السلام)، قال: قال الحسين بن عليّ (عليه السلام) لأصحابه قبل أن يُقتل: «إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: يا بُنَيّ، إنّك ستُساق إلى العراق، وهي أرض قد التقى بها النّبّيون، وأوصياء النّبّيين، وهي أرض تُدعى (عمورا)، وإنّك تُستشهد بها، ويُستشهد معك جماعة من أصحابك

لا يَجِدُونَ أَلَمَ مَسِّ الْحَدِيدِ، وَ تَلَا: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(٨١)، تَكُونُ الْحَرْبُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا. فَأَبْشُرُوا، فَوَاللَّهِ لَنَنْقُتِلَنَّهُ، فَإِنَّا نَرِدُّ عَلَى نَبِيِّنَا...»^(٨٢).

وَ خِلَاصَةُ مَا مَرَّ هُوَ اتِّفَاقُ كَلِمَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى حَقِيقَةِ وَاحِدَةٍ؛ وَ هِيَ وَقُوعُ شَهَادَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحْتَمِيتُهَا، مُبْتَهِلِينَ لَذَلِكَ بِالْدَعَاءِ عَلَى قَاتِلِيهِ لَعْنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَ هَذَا يُسْقِطُ مَا فِي أَيْدِي الْغُلَاةِ مِنْ أَبَاطِيلٍ، فَاللَّهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ.

الثالثة: ضلال القائلين بها في قبال هدى يوم عاشوراء وحققة وقائعه سنة (٦١هـ)

أشار الإمام الحجة عليه السلام في التوقيع الشريف إلى حقيقة ضلال أصحاب هذه المقالة وفساد معتقدهم، في قبال هدى الحق يوم عاشوراء، الذي قد تجلّت أحداثه للعيان، وسارت بأخباره الركبان، حتّى بلغ القاص والدان، مُتَوَاتِرًا فِي نَقْلِهِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ مِنَ الْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ، هَاتِكًا سِتْرَ أَتْبَاعِ الشَّيْطَانِ، بِمُخَالَفَةِ مَزَاجِهِمْ لِلْوَقَائِعِ وَالْأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ وَمَجْرِيَّاتِهَا سَنَةَ (٦١هـ)، مُبَيِّنًا عَلَيْهِ وَهْنُ مَبْنَاهُمْ الَّذِي هُوَ أَوْهَنُ مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، وَ هَذَا مَا سَيَتَبَيَّنُ لَنَا عِنْدَ اسْتِعْرَاضِ تِلْكَ الْحَقَائِقِ مِنْ وَاقِعِ التَّارِيخِ الصَّحِيحِ، مِنْ الْأَخْبَارِ وَالْمَشَاهِدَاتِ، كَالآتِي:

أولاً: ما قاله المؤرّخون في مقتل الإمام الحسين عليه السلام:

قَدْ تَوَاتَرَ النُّقْلُ عَنِ الْمُؤَرِّخِينَ فِي أَحْدَاثِ سَنَةِ (٦١هـ) بِوُقُوعِ قَتْلِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ وَشَهَادَتِهِ، حَيْثُ نَقَلُوهُ بِإِخْلَافٍ بَيْنَهُمْ، وَنَحْنُ نَأْتِي عَلَى ذِكْرِ نَمَازِجٍ مِنْ أَقْوَالِهِمْ:

١- قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قَتِيْبَةِ الدِّينَوْرِيِّ (ت ٢٧٦هـ) فِي أَحْدَاثِ يَوْمِ الْعَاشِرِ مِنَ الْمَحْرَمِ: «فُقْتُلَ يَوْمَئِذٍ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ...» إلخ^(٨٣).

٢- قال أحمد بن أبي يعقوب الشهير بـ (اليعقوبي) (ت بعد ٢٩٢هـ): «ثم حمل عليهم^(٨٤)، فقتل منهم خلقاً عظيماً، وأتاه سهم فوقع في لبّته، فخرج من قفاه، فسقط، وبادر القوم فاحزّوا رأسه...، وكان مقتله لعشر ليال خلون من المحرم سنة (٦١)، واختلفوا في اليوم، فقالوا: يوم السبت، وقالوا: يوم الاثنين، وقالوا: يوم الجمعة، وكان من شهور العجم في تشرين الأوّل^(٨٥)».

٣- قال محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ): «وقتل الحسين وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قتله سنان بن أنس النخعي ثم الأصبحي...، وقتل العباس بن علي بن أبي طالب وأمه أم البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، قتله زيد بن رقاد الجنبى»^(٨٦)، وحكيم بن الطفيل السنبسى...»^(٨٧).

٤- قال عليّ بن الحسين المسعوديّ (ت٣٤٦هـ): «فلما كثرت العساكر على الحسين، أيقن أنّه لا محيص له، فقال: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا، ثمّ هم يقتلوننا. فلم يزل يقاتل حتّى قُتل رضوان الله عليه»^(٨٨).

ثانيًا: ما قاله أصحاب المقاتل في مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)

أجمع أصحاب المقاتل من المُحدّثين والرواة على شهادة الإمام الحسين (عليه السلام)، وإليك ما انتخبناه من أشهر أقوالهم في كتب المقاتل:

١- لوط بن يحيى الأزدي الكوفي (ت ١٥٧): «وكان قتل الحسين عليه السلام يوم الاثنين»^(٨٩).

٢- قال الفضيل بن الزبير الأسديّ الكوفيّ (ق ٢هـ) في ذكر شهداء أهل البيت (عليهم السلام): «الحسين بن عليّ ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قتله سنان بن أنس النخعيّ...، والعبّاس بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وأمّه أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد العامريّ، قتله زيد بن رقاد الجنبّيّ، وحكيم بن الطفيل الطائيّ السنبسيّ، وكلاهما ابتلي في بدنه»^(٩٠). ومثله يحيى بن الحسين بن إسماعيل الحسنّيّ (ت ٤٧٩هـ) في أماليه^(٩١).

٣- قال أبو إسحاق إبراهيم الإسفرايني الشافعي (ت ٤١٨ هـ) بعد ذكره لمصرع الإمام الحسين (عليه السلام): «فعند ذلك زُلزلت الأرض، وأظلم المشرق والمغرب، وأخذت الناس الصواعق، ثم نادى مناد من السماء قد قُتل الإمام ابن الإمام، أبو الأئمة. وله من العمر ثمانية وخمسون سنة، وكان ذلك اليوم يوم الاثنين العاشر من المحرم» (٩٢).

ثالثاً: مُشاهدات أهل البيت (عليهم السلام) لأحداث يوم عاشوراء:

تعتبر المُشاهدة الحيّة لحادثٍ ما من أصدق النقول للحقائق والوقائع التاريخيّة، وذلك في قِبال الأخبار المنقولة عن السماع من دون مشاهدة حيّة للأحداث؛ وهذا لكونها تُمثّل حقيقة رصد وتوثيق لتلك الأحداث في حال الحضور.

وإنّ من المصاديق في المقام هي مُشاهدات الصادقين من أهل بيت العصمة (عليهم السلام) لوقائع يوم عاشوراء، وما جرى فيه من أحداث مؤلمة، قد أَلّت بآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومنها مقتل سيّد شباب أهل الجنّة الحسين بن عليّ (عليه السلام)، وما جرى عليه -روحي له الفداء- من مصائب تكاد السماوات أن تقع، والأرض أن تنشقّ لأجلها، وإليك أخي القارئ الكريم ما انتخبناه من هذه المشاهدات على نحو الاختصار، بحسب ما يسمح به المقام:

١- مُشاهدة الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام)، ونرويهما على نحوين، الأولى: حضوره واقعة الطفّ، وروايته لبعض المشاهد المؤلمة، والتي جرت على أبيه الحسين (عليه السلام)، منها: أنّه لما نظرت السيّدة زينب (عليها السلام) إلى العالم قد تغيّر، فرزعت إلى الإمام زين العابدين وكان عليلاً طريح الفراش، فقال لها: يا عمّة، ارفعي لي طرف الخيمة، فلمّا رفعت له طرف الخيمة، رأى رأس الحسين (عليه السلام) على الرمح، فقال: يا عمّة استعديّ للأسر، فقد قُتل والدي.. (٩٣).

الثانية: حين دفنه لأجساد الشهداء بعد ثلاثة أيام، والحديث مطوّل نأتي بمضمونه على نحو الإختصار: توجّه الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام) من الكوفة إلى كربلاء؛ لدفن جسد الحسين وأهل بيته وأصحابه (عليهم السلام)، وكان من شهد الدفن آنذاك من أهل الغاصريّة بنو أسد، فقام (عليه السلام) بخطّ الأرض لتحديد حدود القبور الشريفة، وأمرهم بحفرها، ففي حفرة القبر الأولى وضعوا فيها سبعة عشر جثة، ثمّ خطّ (عليه السلام) خطاً آخر قائلاً لهم: احفروا هاهنا، ففعلوا ووضعوا فيها باقي الجثث الزواكي، مُستثنيّاً جثة واحدة، فأمر (عليه السلام) أن يُشقّ لها ضريحاً ممّا يلي الرأس الشريف، ففعلوا.

ثم قام ﷺ بدفن جسد أبيه الحسين (عليه السلام)، باسطاً كفيه تحت ظهره الشريف، وهو يقول: بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، هذا ما وعد الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم أنزله، فسمع الحاضرون كلامه، قائلاً: طوبى لأرض تضمّنت جسدك الشريف، أما الدنيا فبعدك مظلمة والآخرة بنورك مشرقة، أما الحزن فسرمد، وأما الليل فمُسَهَّد، حتى يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت مقيم بها، وعليك مني السلام يا بن رسول الله ورحمة الله وبركاته.

ثمَّ أَنَّهُ عليه السلام أَشْرَجَ عَلَيْهِ اللَّبْنُ وَأَهَال عَلَيْهِ التَّرَابَ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ عَلَى الْقَبْرِ وَجَعَلَ يَخْطُّ الْقَبْرَ بِأَنَامِلِهِ، وَقِيلَ أَنَّهُ كَتَبَ عَلَى الْقَبْرِ: هَذَا قَبْرُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي قَتَلُوهُ عَطْشَانًا غَرِيبًا.

ثمَّ أَنَّهُ مَضَىٰ مَعَ بَنِي أَسَدٍ إِلَى الْمَسْنَاةِ لِدْفِنِ جَسَدِ قَمَرِ بَنِي هَاشِمٍ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ عليه السلام، فَلَمَّا رَأَاهُ عليه السلام انكَبَّ عَلَيْهِ يُقَبِّلُهُ وَهُوَ يَقُولُ: عَلَى الدُّنْيَا بَعْدُكَ الْعَفَا يَا قَمَرِ بَنِي هَاشِمٍ، وَعَلَيْكَ مَنِّي السَّلَامُ مِنْ شَهِيدٍ مُحْتَسِبٍ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

ثم أمرهم أن يشقوا له ضريحاً ففعلوا، ثم أنزله عليه السلام وحده ولم يُشرك معه أحداً منهم، ثم أخرج عليه اللبن وأهال عليه التراب، ثم أمرهم بدفن جثتين حوله، ثم قام الإمام بعد ذلك بإعلامهم بأصحاب هذه القبور، قائلاً:

أما ضريح الحسين عليه السلام فقد علمتم، وأما الحفيرة الأولى ففيها أهل بيته والأقرب إليه منهم ولده علي الأكبر، وأما الحفيرة الثانية ففيها أصحابه، والقبور المنفرد بمآيلي الرأس الشريف فهو حامل راية الحسين عليه السلام حبيب بن مظاهر، وأما البطل المطروح حول المسناة فهو العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام، وأما الجثتان فهما أولاد أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا سألكم سائل بعدي فأعلموه^(٩٤).

٢- مُشاهدة الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، حيث روى بعض أحداث واقعة الطف الأليمة، قال عليه السلام: «قُتل جدِّي الحسين ولي أربع سنين، وإني لأذكر مقتله، وما نألنا في ذلك الوقت»^(٩٥).

٣- مُشاهدة العقيلة زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، وندبها لرسول الله ﷺ؛ حينما رأت أخيها الحسين صريعاً، قائلة: «وا محمداه صلى عليك ملك السماء، هذا حسين مُرمَّل بالدماء، صريع بكر بلاء، مُقطَّع الأعضاء، مجزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء...»^(٩٦)، وفي رواية أخرى: «ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدَّس ورفعته نحو السماء، وقالت: إلهي، تقبل منَّا هذا القربان»^(٩٧).

فخلاصة ما جاء في هذه النصوص من أخبار المؤرخين وأصحاب المقاتل، والمُشاهدات الحيَّة لأهل بيت العصمة عليه السلام؛ التأكيد على أنَّ مقتل الإمام الحسين عليه السلام حقيقة واقعية، قد جرى بها قضاء الله المحتوم على وليِّه سيِّد الشهداء المظلوم الحسين بن علي عليه السلام.

رابعاً: توثيق نصوص الأدعية والزيارات لوقائع عاشوراء

إنَّ من المصاديق المهمّة في المقام هو ما جاءت به نصوص الأدعية والزيارات المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، فكانت لطالب الحقيقة منهالاً رَوِيّاً؛ لما حوته من مضامين عالية في المعارف، والحقائق، ومعيناً صافياً؛ لنقاوة كلماتها أن تشوبها كدورة غيرهم، فأضحت سراجاً معرفياً يُنير للفرد والأمة سلوك طريق الثقافة الإسلامية الصحيحة، وحصناً منيعاً يقيهم خطر التيارات الفكرية المنحرفة، والتي غايتها الفتك بالإسلام المحمديّ الأصيل.

وإنّا نظرنا في بعض ما جاء في هذه النصوص، فوجدناها قد حوت بين طياتها بما لا يبقى معه شكّ أو ريب ببطلان مزاعم فرق الغلاة، فيما أشاعوه حول القضية الحسينية، وما جرى فيها من أحداث ووقائع على سيّد الشهداء وعلى أهل بيته وأصحابه.

وإليك بعض ما اخترناه منها، حيث نطق صريحة بحقيقة وقوع قتل الحسين عليه السلام، وآنه من الأمر المحتوم، والقضاء الممضي من الله عز وجل، وهذا بعض منها:

أولاً: ما جاء في دعاء يوم الثالث من شعبان في ذكر شهادته عليه السلام

روى السيّد ابن طاوس في (إقبال الأعمال) عن الشيخ الطوسي، قال: «اليوم الثالث منه فيه ولد الحسين بن عليّ عليه السلام، خرج إلى القاسم بن العلاء الهمدانيّ وكيل أبي محمد عليه السلام: أنّ مولانا الحسين عليه السلام وُلد يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان، فصم وادع فيه بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك بحقّ هذا المولود في هذا اليوم، الموعود بشهادته قبل استهلاله وولادته، بكته ملائكة السماء ومن فيها والأرض ومن عليها، ولما يطأ لاتبتيها، قتيل العبرة وسيّد الأسرة، الممدود بالنصرة يوم الكرة، المعوض من قتله أنّ الأئمة من نسله، والشفاء في تربته، والفوز معه في أوبته والأوصياء من عترته، بعد

قائمهم وغيبته، حتّى يدركوا الأوتار، ويثأروا الثار ويرضوا الجبار ويكونوا خير أنصار، صلى الله عليهم مع اختلاف الليل والنهار...، اللهم وهب لنا في هذا اليوم خير موهبة، وانجح لنا فيه كل طلبه، كما وهبت الحسين لمحمّد جدّه، وعاذ فطرس بمهده، فنحن عائذون بقبره من بعده نشهد تربته، ننتظر أوبته آمين ربّ العالمين»^(٩٨).

ثانيًا: ما جاء في زيارة عاشوراء تصرّحًا بقتله وشهادته ﷺ

روى الشيخ أبو جعفر الطوسي في (المصباح) قال: روى محمّد بن إسماعيل بن صالح بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن أبيه عن الإمام الباقر ﷺ قال: من زار الحسين بن عليّ ﷺ في يوم عاشوراء من المحرم يظلّ عنده باكيًا لقي الله عز وجل يوم يلقاه بثواب ألفي حُجة وألفي عمرة وألفي غزوة، كثواب من حجّ واعتمر وغزاً مع رسول الله ﷺ ومع الأئمة الراشدين. قال قلت: جعلت فداك، فما لمن كان في بعيد البلاد وأقاصيها، ولم يمكنه المسير إليه في ذلك اليوم؟ قال: إذا كان كذلك برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره وأومأ إليه بالسلام واجتهد في الدعاء على قاتليه، وصلى من بعد ركعتين، وليكن ذلك في صدر النهار قبل أن تزول الشمس، ثمّ ليندب الحسين ﷺ ويكيه، ويأمر من في داره ممّن لا يتقيّه بالبكاء عليه، ويقم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه، وليعزّ فيها بعضهم بعضاً بمصابهم بالحسين ﷺ، وأنا الضامن لهم إذا فعلوا ذلك جميع ذلك. قلت: جعلت فداك أنت الضامن ذلك لهم والزعيم؟ قال: أنا الضامن وأنا الزعيم لمن فعل ذلك. قلت: فكيف يعزّي بعضنا بعضاً؟ قال: تقولون: أعظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين ﷺ وجعلنا وإياكم من الطالين بثأره مع وليّه الإمام المهديّ من آل محمّد عليهم السّلام... قال صالح بن عقبة وسيف بن عميرة: قال علقمة بن محمّد الحضرميّ: قلت لأبي جعفر ﷺ:

عَلَّمَنِي دَعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِذَا أَنَا زَرْتُهُ مِنْ قَرَبٍ، وَدَعَاءً أَدْعُو بِهِ إِذَا لَمْ أَزِرْهُ مِنْ قَرَبٍ، وَأَوْمَاتٌ مِنْ بَعْدِ الْبَلَادِ وَمِنْ دَارِي بِالسَّلَامِ إِلَيْهِ. فَقَالَ لِي: يَا عُلُقَمَةَ، إِذَا أَنْتِ صَلَيْتِ الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ أَنْ تُوْمِي إِلَيْهِ بِالسَّلَامِ، فَقُلْ بَعْدَ الْإِيَاءِ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِ التَّكْبِيرِ هَذَا الْقَوْلَ...: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وَابْنَ ثَارِهِ وَالْوَثَرَ الْمُثَوَّرَ... اللَّهُمَّ الْعَنِ أَبَا سُفْيَانَ وَمُعَاوِيَةَ وَيزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ اللَّعْنَةُ أَبَدَ الْآبِدِينَ، وَهَذَا يَوْمٌ فَرَحْتُ بِهِ أَلْ زِيَادُ وَأَلْ مَرْوَانُ يَقْتُلُهُمُ الْحُسَيْنُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ فَضَاعِفْ عَلَيْهِمْ اللَّعْنَ مِنْكَ وَالْعَذَابَ...» (٩٩).

ثالثاً: ما جاء في زيارة الناحية المقدسة من تفصيل شهادته ﷺ

خَرَجَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ إِلَى أَحَدِ الْأَبْوَابِ، زِيَارَةً لِلْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَفِيهَا:

«... وَأَسْرَعَ فَرَسَكَ شَارِداً، وَإِلَى خِيَامِكَ قَاصِداً مُحْمَماً بَاكِياً، فَلَمَّا رَأَى مِنَ النِّسَاءِ جَوَادِكَ مُخْزِياً، وَنَظَرَ نَ سَرَجَكَ عَلَيْهِ مَلُوءِياً، بَرَزَ مِنَ الْخُدُورِ، نَاشِرَاتِ الشُّعُورِ عَلَى الْخُدُودِ، لَاطَمَاتِ الْوُجُوهِ سَافِرَاتِ، وَبِالْعَوِيلِ دَاعِيَاتِ، وَبَعْدَ الْعَزِّ مُذَلَّلَاتِ، وَإِلَى مَصْرَعِكَ مُبَادِرَاتِ، وَالشُّمْرَ جَالِسَ عَلَى صَدْرِكَ، مَوْلَغَ سَيْفِهِ عَلَى نَحْرِكَ، قَابِضَ عَلَى شَيْتِكَ بِيَدِهِ، ذَابِحَ لَكَ بِمَهْنَتِهِ، قَدْ سَكَنَتْ حَوَاسِكَ، وَخَفِيتِ أَنْفَاسُكَ، وَرُفِعَ عَلَى الْقَنَارِ أَرْسُكَ، وَسُبِيَ أَهْلُكَ كَالْعَبِيدِ، وَصُفِّدُوا فِي الْحَدِيدِ، فَوْقَ أَقْتَابِ الْمَطِيِّاتِ، تَلْفَحُ وَجُوهَهُمْ حَرَّ الْهَاجِرَاتِ، يُسَاقُونَ فِي الْبَرَارِيِّ وَالْفُلُوتِ، أَيْدِيَهُمْ مَغْلُولَةٌ إِلَى الْأَعْنَاقِ، يُطَافُ بِهِمْ فِي الْأَسْوَاقِ، فَالْوَيْلُ لِلْعَصَاةِ الْفُسَّاقِ.

لَقَدْ قَتَلُوا بِقَتْلِكَ الْإِسْلَامَ، وَعَطَّلُوا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ، وَنَقَضُوا السَّنَنَ وَالْأَحْكَامَ، وَهَدَمُوا قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ، وَحَرَّفُوا آيَاتَ الْقُرْآنِ، وَهَمَلَجُوا فِي الْبَغْيِ

والعدوان، لقد أصبح رسول الله ﷺ متورّاً، وعاد كتاب الله عز وجل مهجوراً، وغودر الحق إذ قُهرت مقهوراً، وفُقد بفقدك التكبير والتهليل، والتحريم والتحليل، والتنزيل والتأويل، وظهر بعدك التغيير والتبديل، والإحاد والتعطيل، والأهواء والأضاليل، والفتن والأباطيل.

فقام ناعيك عند قبر جدك الرسول ﷺ، فنعاك إليه بالدمع المطول، قائلاً: يا رسول الله قُتل سبطك وفتاك، واستبيح أهلک وحماک، وسُبيت بعدك ذراريك، ووقع المحذور بعترتك وذويك، فانزعج الرسول وبكى قلبه المهول، وعزّاه بك الملائكة والأنبياء، وفجعت بك أممك الزهراء، واختلفت جنود الملائكة المقرّين، تُعزي أباك أمير المؤمنين، وأقيمت لك المآتم في أعلا عليّين، ولطمت عليك الحور العين، وبكت السماء وسكّانها، والجنان وخزّانها، والهضاب وأقطارها، والأرض وأقطارها، والبحار وحيتانها، ومكّة وبُنيانها، والجنان ووُلدانها، والبيت والمقام، والمشعر الحرام، والحل والإحرام...» (١٠٠).

رابعاً: ما جاء في شهادة أبي الفضل العباس عليه السلام من ألفاظ زيارته

روى الشيخ الأجل جعفر بن قولويه القمي بسنده، عن أبي حمزة الشامي، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إذا أردت زيارة قبر العباس بن علي عليه السلام وهو على شطّ الفرات بحذاء الحائر، فقف على باب السقيفة، وقل:

«سَلَامُ اللَّهِ وَسَلَامُ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ، وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَجَمِيعِ الشُّهَدَاءِ وَالصَّدِيقِينَ، وَالزَّكَايَاتِ الطَّيِّبَاتِ فِيمَا تَعْتَدِي وَتَرُوحُ عَلَيْكَ يَا بَنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصَدِيقِ وَالْوَفَاءِ وَالنَّصِيحَةِ خِلَافِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ، وَالسَّبْطِ الْمُتَجَبِّ، وَالذَّلِيلِ الْعَالِمِ، وَالْوَصِيِّ الْمُبْلَغِ، وَالْمَظْلُومِ الْمُهْتَصِمِ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنْ رَسُولِهِ وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَنْ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، بِمَا صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ وَأَعَنْتَ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ.

لَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ جَهِلَ حَقَّكَ، وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ حَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَاءِ الْفُرَاتِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قُتِلْتَ مَظْلُومًا، وَأَنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ.

جِئْتُكَ يَا بَنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِفْدًا إِلَيْكُمْ، وَقَلْبِي مُسَلِّمٌ لَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ تَابِعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَامَعَ عَدُوَّكُمْ، إِنِّي بِكُمْ وَبِإِيَابِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِمَنْ خَالَفَكُمْ وَقَتَلَكُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ، قَتَلَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ بِالْأَيْدِي وَالْأَلْسُنِ»^(١٠١).

ونخرج بخلاصة من هذه المطالب أن الأدعية والزيارات تُعد منظومة مُحكمة يعضد بعضها بعضًا، بنسق جميل وأسلوب بليغ، يُعجز عن الإتيان بمثلها أكابر البلغاء والأدباء؛ وذلك لأنه كلامٌ فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق، وقد تضمّنت هذه النصوص لكثير من المصاديق والدلالات الموثقة لأحداث يوم عاشوراء، وما وقع فيه على الإمام الحسين وأهله بيته وأصحابه من القتل، فلا يبقى بعد هذه الحقائق المطابقة للواقع قول لقائل، إلا لمعانِد ضال، أو جاحد كافر، ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾^(١٠٢).

فالسّلام على الحسين وعلى عليّ بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين.

الختامة:

في النتائج التي توصل إليها الباحث
إليك أخي القارئ الكريم أهم ما تمّ التوصل إليه من نتائج في
المباحث السابقة:

١- كان للتوقيعات الشريفة في القرن الثالث الهجري دورًا فاعلاً في تربية الفرد والأمة في مجتمعتنا الإسلامي؛ عبر نشر الفكر المحمّدي الأصيل، بما يكسبهم حصانة فكرية وعقدية، في قبال هجمات الفكر المنحرف عن خطّ أهل البيت (عليه السلام)، والذي ما فتئ بين الحين والآخر يشنّ غاراته على الإسلام، مُستخدماً أخطر الأساليب في الغواية والتشكيك؛ عبر الدسّ والتزوير، مُحرفين الحقائق عن واقعها الصحيح.

٢- إنّ من صور هذا التحريف الخطير هو ما أشاعه الغلاة في عصر الغيبة الصغرى من أنّ القتل لم يقع على الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء سنة (٦١هـ)، وأنّ أمره قد شبّه للناس كأمر النبي عيسى (عليه السلام) ...، إلى غير ذلك من التأويلات الباطلة والمزاعم الفاسدة، والتي ترجع إلى بدايات نشوئها إلى القرن الأوّل بعد شهادة النبي (صلى الله عليه وآله) في قول بعض الصحابة أنّ النبي لم يمت^(١٠٣)، ثمّ في النصف منه بعد شهادة الإمام عليّ (عليه السلام) من قول جماعة السبائية بعدم موته (عليه السلام)، ثمّ تطوّرت هذه الشبهة على الصورة المذكورة في القرن الثاني والثالث.

٣- كان لتصدّي الإمام الحُجّة (عليه السلام) بدحض شُبّهات الغلاة في القرن الثالث الهجري، عبر توقيعه الشريف الصادر على يد السفير الثاني، دورًا كبيرًا في تحجيم نشاط هذه الفرق المنحرفة، مُبينًا أنّ هذه المقالة هي كُفر وتكذيب وضلال، مُؤصلاً (عليه السلام) للمأثور من حديث آبائه كالصادق والرضا (عليه السلام)، الذين قد تصدّوا لمثل هذه الشبهة في القرن الثاني الهجري.

٤- عزز التوقيع الشريف عقيدة عموم المسلمين في شهادة الإمام الحسين (عليه السلام)، ورفض الزعم بأنه لم يُقتل، مؤكّداً على أهميّة الاعتقاد الصحيح في هذه المسألة الدينية.

٥- إحياء الإمام الحُجّة (عليه السلام) للشعائر الحسينيّة بتصدّيه لردّ المزاعم الإبليسيّة المشكّكة حقيقة واقعة عاشوراء، حيث تُمثل شهادة الإمام الحسين أصل وجودها.

٦- أكّد الإمام الحُجّة على أنّ شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) أمر حتميّ، قد جرى به القضاء من الله تعالى، ونزل به جبرئيل على سيّد الأنبياء، وصدّقه الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام)، ووثّقه من الواقع المؤرّخين وأصحاب المقاتل، ومشاهدات أهل البيت (عليهم السلام) بحقيقة وقوع قتله وشهادته (عليه السلام).

٧- أعطى الإمام الحُجّة (عليه السلام) عبر هذا التوقيع إرشادات دينيّة للفرد والأمة في كيفة التعامل مع الشبهات والافتراءات التي تواجههم في عصر الغيبة، ممّا يُعطيهم الثقة في عقائدهم، ولزوم التمسك بها.

٨- استظهر الباحث أنّ هناك دوافع دينيّة وسياسيّة من وراء هذا التحريف، منها تضليل الرأي العام، والقضاء على الإسلام المحمّدي الأصيل؛ عن طريق زرع الانقسامات وتأسيس مذاهب دينيّة جديدة، تُخالف في توجّهاتها للمذهب الأصل المتمثّل بفكر أهل البيت (عليهم السلام)، وأيضاً تغيير المفاهيم والثوابت الدينيّة لدى المسلمين، بما يخدم أهداف سياسيّة معينة لدى هذه الجماعات المنحرفة؛ لأجل التفرّد بالسلطة الدينيّة لتحقيق مصالحها الشخصيّة.

٩- إنّ منهج النقد التاريخي في مرحلة (نقد التصحيح أو نقد الاستعادة)، مكّن الباحث من استعادة النصّ التاريخي لبعض النصوص التراثيّة، بالرجوع لمصادره الأصليّة الخطيّة، نافيّاً عنه كلّ زيادة تُفسد معناه.

١٠- أهمية التوثيق الصحيح للمعلومات، والتحقّق منها قبل نشرها،
خاصّة فيما يتعلّق بالعقائد الدينيّة والتاريخ الإسلاميّ.

١١- توصيّة: دعوة الشباب المؤمن إلى لزوم النظر والمطالعة في تراث
أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، خصوصًا فيما يختصّ بأمور العقيدة، والتي
يتحصّنون به من هجمات الفكر المعادي للإسلام المحمّديّ الأصيل.



الهوامش:

- ١- سورة يونس، من الآية ٣٢.
- ٢- سورة الليل، من الآية ١٢.
- ٣- سورة الأنعام، من الآية ١٥٣.
- ٤- سورة الانعام: ٨٧.
- ٥- العلامة المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول: ٥٩٩/ ٢٦.
- ٦- سورة البلد: ١٠.
- ٧- الكليني، الكافي: ١/ ١٦٠ ب: الاستطاعة ح ١٣.
- ٨- سورة الإنسان: ٣.
- ٩- قال تعالى: ﴿وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فُهِمَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (سورة النمل، من ٢٤).
- ١٠- سورة الأعراف: من الآية ١٦.
- ١١- سورة ص: من الآية ٨٢.
- ١٢- سورة ص: من الآية ٨٣.
- ١٣- سورة الحجر: ٤٢.
- ١٤- سورة الانعام: ٩٠.
- ١٥- إشارة إلى الآية ٢٠ من سورة سبأ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ١٦- ينظر عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢٧٣.
- ١٧- ينظر الصدوق، معاني الأخبار: ٣٦.
- ١٨- إشارة إلى الآية ١٠ من سورة البقرة: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.
- ١٩- ينظر العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ٤٥ / ١٧٩ - ١٨٣.
- ٢٠- الكافي: ١/ ٣٢ ب: صفة العلم وفضله وفضل العلماء ح ٢.
- ٢١- الحميري القمي، قرب الإسناد: ٧٧.
- ٢٢- ينظر المفيد، المسائل العشر في الغيبة: ١١١.
- ٢٣- ينظر: علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي: ١٠٥، صائب عبد الحميد، علم التأريخ ومناهج المؤرخين: ٤٩- ٥٠.
- ٢٤- الأشعري، المقالات والفرق: ٢، ولمزيد التفصيل في أسباب اختلاف الفرق الإسلامية، يراجع كتب الفرق والمقالات من الخاصة والعامة، ك(فرق الشيعة

للتوبختي، مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، الملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي).

٢٥- ينظر رسول كاظم عبد السادة، نشأة الفرق الإسلامية في الكوفة: ٢٣.

٢٦- لمزيد التفصيل في أسباب اختلاف الفرق الإسلامية، يراجع كتب الفرق والمقالات من الخاصة والعامة، كـ (فرق الشيعة للتوبختي، مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، الملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي).

٢٧- الأشعري القمي، المقالات والفرق: ١٩-٢١.

٢٨- التوبختي، فرق الشيعة: ٤٢.

٢٩- ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٢/٢٦٦.

٣٠- الطبري، التاريخ: ٣/٢٠٢.

٣١- الشهرستاني، الملل والنحل: ١/٢١، ومثله د. كنعان جليل إبراهيم في دراسات (مدعو المهديّة والسفارة: ١٠٥-١٠٧).

٣٢- أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر: ١/١٥٢.

٣٣- ينظر الصدوق، علل الشرائع: ١/٢٢٧ ب: العلة التي من أجلها صار يوم عاشوراء أعظم الأيام مصيبة ح ١.

٣٤- ينظر علل الشرائع: ١/٢٢٦، صدر الحديث.

٣٥- سورة النساء، من الآية: ١٤١.

٣٦- ينظر الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٢٠.

٣٧- ينظر: فرق الشيعة: ١٠٦، ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١٠٦/٣.

٣٨- نشأة الفرق الإسلامية في الكوفة: ١٨٦.

٣٩- اسم الكتاب كما في المطبوع، (سبيل راحة الأرواح ودليل السرور والأفراح إلى فالق الاصباح)، وقد نشر الكتاب في (مجلة الاسلام، مج ٢٧) في هبورغ ٤٤-١٩٤٣، عني بتصحيحه ر. شتروطمان، وورد النص في (ص ١٠٧)، وكان تاريخ إنهاء النسخة كما في آخر المطبوع سنة (١٠٣٨هـ).

٤٠- عبد الحميد الدجيلي، مجموع الأعياد والطريقة الخصيبيّة: ٦١٨-٦١٩.

٤١- مجموع الأعياد والطريقة الخصيبيّة: ٦٢٧.

٤٢- أقول: إنّ من ينظر إلى الأمور بعين البصيرة يجد أنّ هؤلاء الغلاة قد غلطوا هنا؛ فإنّ جميع المسلمين من الخاصة والعامة قد استندوا إلى حقائق موثوق بها من

الأدلة النقلية من السنّة النبويّة والسيرة التاريخيّة للإمام الحسين (عليه السلام)، والمشاهدات الحسينيّة.. وغيرها، فلم يشابهوا النصارى في القول كما زعموا، فهم في الحقيقة من وقع الحيرة والشك، بل هم أضل؛ إذ خالوا كلّ الاعتبارات، واتخذوا من فكرة التشبيه بالمسيح دليلاً، والتي هي أوهن من بيت العنكبوت، وسنأتي على تفصيل ذلك في المطلب الثاني من هذا المبحث.

٤٣- أبو ميمون الطبراني، مجموع الأعياد (خ): ٣٥/أ.

٤٤- سورة النساء، من الآية ١٥٧.

٤٥- ينظر الكتاب المقدس/ العهد الجديد، أنجيل متى الأصحاح ٢٦ و٢٧: ٥٤-٥٠.

٤٦- ينظر: إنجيل برنابا، ترجمة الدكتور خليل سعادة: ٣٠٠-٣٠٨، محمود عليّ قراعة، الثقافة الروحية في إنجيل برنابا: ٢٠٠-٢٠٩.

٤٧- ينظر ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٢-١٧٣.

٤٨- ينظر: تاريخ الطبري: ٥/٤٤٣، محمد السماوي، إِبصار العين في أنصار الحسين (عليه السلام): ١٣١.

٤٩- مرّ الإشارة إليه في المطلب الثاني، يراجع ص ١٢.

٥٠- ينظر ترجمته في: النجاشي، فهرست أسماء مصنفّي الشيعة: ٦٧، العلامة الحلي، إيضاح الاشتباه: ١٩، ابن داود، رجال ابن داود: ٢٤٠.

٥١- يقول المرحوم السيّد محمد حسين الجلاليّ: طبعته مؤسسة البلاغ في بيروت سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م مع مقدّمة أحد أبناء العلويّين من دون اسم، وطبعه هاشم عثمان في آخر كتابه العلويّون بين الأسطورة والحقيقة من (ص ٢٢٩ إلى ص ٢٩٧)، في مؤسسة الأعلميّ - بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. (ينظر فهر التراث: ١/٤٠١)

٥٢- سنأتي على ذكر أقوال المؤرّخين وأصحاب المقاتل في مقتل الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس وشهادتهما (صلوات الله عليهما)، في المبحث الثاني.

وأما شخصيّة (رشدة بن سنان) فليست شخصيّة مجهولة، ليس لها أثر في كتب الرجال والتراجم، أو المقاتل، فلم يذكره أحد لا في معسكر الحسين ولا على في معسكر عمر بن سعد؟! ممّا يعني كونه شخصيّة وهمية معدومة، فتأمل.

٥٣- الخصبيّ، الهداية الكبرى: ٢٠٢.

٥٤- مرّ ذكره سابقاً، يراجع ص ١٢.

٥٥- سنأتي فيما بعد على ذكر الأصل الذي اعتمدته هذه الطبعة.

٥٦- ينظر الهداية الكبرى / مقدّمة التحقيق: ١٤١.

أقول: إنّ ممّا يثير الاستغراب أن يعتمد المحقّق نسخة مؤسّسة البلاغ المحرّفة أصلاً في

التحقيق، فضلاً عن أنه قد أشار في مقدّمة التحقيق أن هذه النسخة المطبوعة لا يعلم مصدرها! ويُعلّل سبب اعتماده للمطبوع، بقوله: «اعتمدناه أصلاً للكتاب؛ باعتبار وضوح كلامه لا أكثر»، وهذا وإن كان مبرّراً في توجيه اختياره، إلّا أنّه لا يسوّغ جعلها أصلاً للكتاب؛ كونها احتوت على مواضع سرى إليها التحريف، كما في النصّ أعلاه، في قبال سبع نُسخ خطيّة معلومة المصدر، فتأمّل. (ينظر الهداية الكبرى/ مقدّمة التحقيق: ١٢٣، ١٤١) ٥٧- ينظر الهداية الكبرى/ مقدّمة التحقيق: ١٤٥ وما بعدها.

٥٨- إنّ المحقّق قد جعل هذا المقطع بين معقوفين تميّزاً له عن الأصل المخطوط، ينظر ص ٤٠٦.

٥٩- الهداية الكبرى/ مقدّمة التحقيق: ١٤٧.

٦٠- للتفصيل في تاريخ هذه الفرقة، ينظر: ستيفان وينتر، تاريخ العلويين، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، اسطنبول-تركيا، ط ١، ٢٠١٨: ٣٥ وما بعدها، عبد الحسين مهدي العسكري، العلويون أو النصيرية: ٧١ وما بعدها، أبو موسى الحريري، العلويون النصيريون، دار لأجل المعرفة، ديار عقل - لبنان، ٢٠٠٢: ٢١٣-٢٣٥، عليّ جابر العاني، تاريخ الطائفة العلويّة في العراق، دار المدينة المدورة للطباعة والنشر، بغداد- ٢٠١٩: ٤٣ وما بعدها.

٦١- ينظر التراث العلويّ ٧/ الهداية الكبرى، تحقيق وتقديم أبو موسى والشيخ موسى: ١٤٧-١٤٨.

٦٢- ينظر مناهج البحث العلمي: ١٩٤.

٦٣- ينظر برجستراسر، النقد التّاريخيّ - المدخل إلى الدراسات التّاريخيّة: ٦٣.

٦٤- مرّ الإشارة إليه سابقاً، يراجع ص ٩.

٦٥- مرّ الإشارة إليه سابقاً، يراجع ص ١٠، ١٢.

٦٦- يراجع ص ١٠ وما بعدها.

٦٧- اقتصرنا من التوقيع الشريف على موضع الشاهد في المسألة.

٦٨- الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٤.

٦٩- ينظر ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٠٩.

٧٠- الكافي: ١/ ٥٢٧-٥٢٨ ب: ما جاء في الاثني عشر والنصّ عليهم.. ح ٣.

٧١- عبد الله البحراني، العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام): ١٠٢.

٧٢- العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام): ١٠٢.

٧٣- العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام): ١٠٣.

٧٤- العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام): ١٠٣.

- ٧٥- ينظر ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤ / ٢٢٤.
- ٧٦- في مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ٢ / ١٦٥ «سأمر بها».
- ٧٧- الصدوق، الأمالي: ٦٩٤-٦٩٥.
- ٧٨- الصدوق، الأمالي: ١١٥-١١٦.
- ٧٩- في مثر الأحران: «وأوصالي»، وما أثبتناه من (بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٦٧).
- ٨٠- ابن نما الحلي، مثير الأحران: ٢٩.
- ٨١- سورة الأنبياء: ٦٩.
- ٨٢- قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح: ٢ / ٨٤٨.
- ٨٣- ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، تحقيق علي شيري: ٢ / ١٢.
- ٨٤- أي الإمام الحسين (عليه السلام).
- ٨٥- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٥.
- ٨٦- وفي رواية: «الجهني». (ينظر مقتل الحسين من أمالي السيد: ٩٣).
- ٨٧- تاريخ الطبري: ٥ / ٤٦٨.
- ٨٨- المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٦١.
- ٨٩- أبو مخنف، تاريخ أبي مخنف: ٤٤.
- ٩٠- الفضيل بن الزبير الكوفي، تسمية من قتل مع الحسين (عليه السلام): ٢٧.
- ٩١- ينظر مقتل الحسين من أمالي السيد: ٨٩، ٩٣.
- ٩٢- أبو إسحاق الإسفرايني، نور العين في مشهد الحسين: ٤٣.
- ٩٣- ينظر الكاشاني، تذكرة الشهداء: ٤٠٦.
- ٩٤- محمد مهدي الحائري، معالي السبطين: ج ٢، ص ٦٣-٦٦، نقلاً عن السيد محمد علي الشاه عبد العظيم في مقتله المسمى بـ (إيقاد القلوب).
- ٩٥- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٢٠.
- ٩٦- مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٦٠، وينظر: مثير الأحران: ٦٥، بحار الأنوار: ٥٨-٥٩.
- ٩٧- جعفر البياضي، الأخلاق الحسينية: ٢٩٢-٢٩٣ نقلاً عن الكبرى الأخر: ٣ / ١٣، وينظر باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢ / ٣٠١.
- ٩٨- ابن طاوس، إقبال الأعمال: ٣ / ٣٠٣-٣٠٤.
- ٩٩- الطوسي، مصباح المتعجب: ٧٧٢-٧٧٣.
- ١٠٠- ابن المشهدي، المزار: ٥٠١-٥٠٦.
- ١٠١- ابن قولويه، كامل الزيارات: ٤٤٠-٤٤١.
- ١٠٢- سورة فاطر، من الآية ٣٩.
- ١٠٣- مر الإشارة إليه سابقاً.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

*(المخطوط)

*مخطوط الهداية الكبرى: الحسين بن حمدان الخصبيني (ت ٣٤٦ أو ٣٥٨ هـ)، مكتبة المرعشي قم / رقم ٢٩٧٣، مكتبة مجلس شوري ملي / رقم ١٤٧٩٥.

*مخطوط مجموع الأعياد: أبو ميمون بن قاسم الطبراني (ت ٤٢٦ هـ). بدون رقم

*(المطبوع)

*إبصار العين في أنصار الحسين (عليه السلام): محمد بن طاهر بن حبيب الفضلي الشهير بـ (الساوي) (ت ١٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد جعفر الطبسي، مركز الدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤١٩ هـ.

*الأخلاق الحسينية: جعفر البياتي، منشورات أنوار الهدى - قم، ط ١، ١٤١٨ هـ. *أصول نقد النصوص ونشر الكتب: برجستراسر (ت ١٩٣٢ م)، إعداد وتقديم: الدكتور محمد حمدي البكري، دار المريخ للنشر - الرياض، ط ١، ١٤٠٢ هـ.

*إقبال الأعمال: علي بن موسى بن جعفر بن طاوس (ت ٦٦٤ هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٤١٤ هـ. *الأمالي: محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الشهير بـ (الصدوق) (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة،

ط ١، ١٤١٧ هـ.

*الإمامة والسياسة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: علي شيري، انتشارات الشريف الرضي، مطبعة أمير-قم، ط ١، ١٤١٣ هـ. *إنجيل برنابا، ترجمة: خليل سعادة، دار البشير، القاهرة. بدون تاريخ وطبعة. *إيضاح الاشتباه: الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي الشهير بـ (العلامة الحلي) (ت ٧٢٦ هـ)، تحقيق: محمد الحسون، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، ط ١، ١٤١١ هـ.

*تاريخ ابن خلدون المسمى بـ (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ. *تاريخ أبي مخنف في مقتل الحسين (عليه السلام): لوط بن يحيى الغامدي الأردني (ت ١٥٧ هـ)، طبعة ممبي. بدون طبعة وتاريخ

*تاريخ الطائفة العلوية في العراق: علي جابر العاني، دار المدينة المدورة للطباعة والنشر، بغداد - ٢٠١٩ م.

*تاريخ الطبري المسمى بـ (تاريخ الرسل والملوك): محمد بن جرير بن يزيد الأملي الطبري (ت ٣١٠ هـ)، دار التراث - بيروت، ط ٢، ١٣٨٧ هـ.

*تاريخ العلويين: ستيفان وينتر، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، اسطنبول - تركيا، ط ١. بدون تاريخ

*تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب الشهير بـ(ابن واضح) (ت بعد ٢٩٢هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان. بدون تاريخ وطبعة

*تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن بن هبة الله الشهير بـ(ابن عساكر) (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط ١٤١٥هـ.

* تذكرة الشهداء: الملا حبيب الله الكاشاني (ت ١٣٤٠هـ)، ترجمة وتحقيق: علي جمال أشرف الحسيني، مكتبة الرباب الحسينية. بدون ط وتاريخ

* التراث العلوي ٧/ الهداية الكبرى:

الحسين بن حمدان الخصبي (ت ٣٤٦هـ)
أو ٣٥٨هـ)، تحقيق وتقديم: أبو موسى
والشيخ موسى، دار لأجل المعرفة، ديار
عقل - لبنان، ط ١، ٢٠٠٧م.

*تسمية من قُتل مع الحسين عليه السلام:
الفضيل بن الزبير بن عمر بن درهم
الكوفي الأسدي (ق ٢)، تحقيق: السيد محمد
رضا الحسيني الجلالي، مؤسسة آل البيت
عليه السلام لإحياء التراث، ط ١، ١٤٣٢ هـ.

*الثقافة الروحية في إنجيل برنابا:
محمود عليّ قراعة، دار مصر للطباعة،
مكتبة مصر.

*حياة الإمام الحسين (عليه السلام): باقر
 شريف القرشي (ت ١٤٣٣هـ)، مطبعة
 الآداب- النجف الأشرف، ط ١، ١٣٩٤هـ.
 *الخرائج والجرائح: قطب الدين

الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، قم المقدسة، ط ١، ١٤٠٩هـ.

*رجال ابن داود: الحسن بن علي
بن داود الحلبي (ت ٧٠٧هـ)، تحقيق
وتقديم: السيّد محمد صادق آل بحر
العلوم، منشورات مطبعة الحيدريّة -
النجف الأشرف، ط ١٣٩٢هـ.

*رجال النجاشي المسمي بـ(فهرست
اسماء مصنفی الرجال): الشيخ أحمد
بن علي النجاشي الأسدي الكوفي
(ت ٤٥٠هـ)، مؤسس النشر الإسلامي
التابعة لجامعة المدرسين بقم، ط ٥،
١٤١٦هـ.

*الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصريّ البغداديّ الشهير بـ(ابن سعد) (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر-بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.

*علل الشرائع: محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي الشهير بـ(الصدوق) (ت ٣٨١هـ)، تقديم: محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدريّة- النجف الأشرف، ط ١٣٨٥هـ.

*علم التاريخ ومناهج المؤرخين:
صائب عبد الحميد، مركز الغدير
للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان-
بيروت، ط ٢، ١٤٢٩هـ.

*العلويّون النصيريّون: أبو موسى

الحريريّ، دار لأجل المعرفة، ديار عقل - لبنان، ٢٠٠٢م.

* العلويون أو النصيرية: عبد الحسين مهدي العسكري (ت ١٤٠٠هـ). بدون تاريخ وطبعة

* عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، الإمام الحسين (عليه السلام): الشيخ عبد الله عبد الله البحراني الأصفهاني (ت ١١٣٠هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام (عليه السلام)، مطبعة أمير - قم، ١، ١٤٠٧هـ.

* عيون أخبار الرضا (عليه السلام): محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الشهير بـ (الصدوق) (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١٤٠٤هـ.

* فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي (ق ٣هـ)، تحقيق: محمد كاظم الموسوي، مجمع الإمام الحسين (عليه السلام) العلمي لتحقيق تراث أهل البيت (عليهم السلام)، ط ١، ١٤٣٩هـ.

* الفصل في الملل والأهواء والنحل، محمد بن علي بن أحمد الشهير بـ (ابن حزم الأندلسي) (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق يوسف البقاعي، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

* فهرس التراث: السيد محمد حسين الحسيني الجلاي (ت ١٤٤٢هـ)، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلاي، الناشر:

دليل ما، ط ١، ١٤٢٢هـ.

* قرب الإسناد: عبد الله بن جعفر الحميري (ق ٣هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ط ١، ١٤١٣هـ.

* الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، ط ٣، ١٣٨٨هـ.

* الكتاب المقدس (العهد الجديد): الكنيسة، دار الكتاب المقدس، ١٩٨٠م. بدون طبعة

* كتاب مجموع الأعياد والطريقة الخصيصة: عبد الحميد الدجيلي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٤/ج ٢، ١٩٥٦م. * كمال الدين وتمام النعمة: محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الشهير بـ (الصدوق) (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم، ط ١، ١٤٠٥هـ.

* مثير الأحزان: محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ)، المطبعة الحيدرية، ط ١٣٦٩هـ.

* مجموع الأعياد المسمى بـ (سبيل راحة الأرواح ودليل السرور والأفراح إلى فائق الاصباح): أبي ميمون بن قاسم الطبراني (ت ٤٢٦هـ)، غني بتصحيحه: ر. شتروطمان، همبرغ، ٤٤-١٩٤٣م.



*المختصر في أخبار البشر: أبي الفداء
(ت ٧٣٢هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر،

بيروت- لبنان. بدون تاريخ

*مدعو المهدوية والسفارة (من ١١-
١١هـ): كنعان جليل إبراهيم، دار الشؤون

الثقافية العامة- بغداد، ط ١، ٢٠١٣م.

*مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر
ودلائل الحجج على البشر: هاشم

البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق: عزّة
الله المولائي الهمداني، مؤسسة المعارف

الإسلامية، قم- إيران، ط ١، ١٤١٣هـ.
*مرآة العقول في شرح أخبار الرسول:

محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، تقديم:
مرتضى العسكري، إخراج ومقابلة

وتصحيح: هاشم الرسولي، دار الكتب
الإسلامية- طهران، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

*مروج الذهب ومعادن الجوهر:
علي بن الحسين بن عليّ المسعودي

(ت ٣٤٦هـ)، منشورات دار الهجرة- قم،
ط ٢، ١٤٠٤هـ.

*المزار الكبير: محمد بن جعفر
المشهدّي (ق ٦هـ)، تحقيق: جواد القيومي

الأصفهاني، نشر القيوم- قم، ط ١،
١٤١٩هـ.

*المسائل العشر في الغيبة: محمد بن
النعمان الشهير بد (المفيد) (ت ٤١٣هـ)،

تحقيق: فارس الحسون، مركز الأبحاث
العقائدية- قم. بدون تاريخ وطبعة.

*مصابيح التهجد: محمد بن الحسن
الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسسة فقه الشيعة،

بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١١هـ.

*معالي السبطين في أحوال الحسن
والحسين: محمد مهدي الحائري (ت

١٣٦٩هـ)، انتشارات الشريف الرضي-
قم، ط ١، ١٤٠٩هـ.

*معاني الأخبار: محمد بن علي بن
الحسين بن موسى بن بابويه القميّ

الشهير بد (الصدوق)، تحقيق: علي أكبر
الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بقم، ط ١٣٧٩هـ.
*المقالات والفرق: سعد بن عبدالله

أبي خلف الأشعريّ القميّ (ق ٣هـ)،
تصحيح وتقديم وتعليق: محمد جواد

مشكور، مؤسسة مطبوعاتي عطائي،
مطبعة حيدري- طهران، ط ١٣٤١هـ

*مقتل الحسين عليه السلام من أمالي السيّد:
يحيى بن الحسين بن هارون (ت ٤٢٤هـ)

في أماليه (تيسير الطالب)، ويحيى بن
الحسين بن إسماعيل (ت ٤٧٩هـ) في

أماليه (الاثنيّة) و(الخميسية)، استخراج
وتبويب وتقديم: عبد الرزاق بن محمد

حسين حرز الدين، منشورات دليل ما،
إيران- قم، ط ١، ١٤٣١هـ.

*الملل والنحل: محمد عبد الكريم
ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)،

مؤسسة الحلبيّ. بدون تاريخ
*مناقب آل أبي طالب: محمد بن

علي بن شهر آشوب السرويّ المازندرانيّ
(ت ٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة

النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة-

النجف الأشرف، ط ١٣٧٦هـ.

*مناهج البحث العلمي: عبدالرحمن

بدوي (ت ٢٠٠٢م)، وكالة المطبوعات،

الكويت، ط ٣، ١٩٧٧م.

*منهج البحث الأدبي: علي جواد

الطاهر (ت ١٩٩٦م)، مطبعة العاني-

بغداد، ط ١٩٧٠م.

*نشأة الفرق الإسلامية في الكوفة

وموقف أهل البيت ﷺ منها: رسول

كاظم عبد السادة، أمانة مسجد الكوفة

والمزارات الملحقة به، ط ١، ١٤٣٥هـ.

*نور العين في مشهد الحسين ﷺ:

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرايني

الشافعي (ت ٤١٨هـ)، مصر-القاهرة،

ط ١٣٠٢هـ.

*الهداية الكبرى/ مقدمة التحقيق:

الحسين بن حمدان الخصيبي (ت ٣٤٦هـ)

أو ٣٥٨هـ)، تحقيق: شوقي الحداد، مؤسسة

السراج للطباعة والنشر والتحقيق،

لبنان- بيروت، ط ٣، ١٤٣٠هـ.

*الهداية الكبرى: الحسين بن حمدان

الخصيبي (ت ٣٤٦هـ أو ٣٥٨هـ)، مؤسسة

البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع،

بيروت- لبنان، ط ٤، ١٤١١هـ.

عدم خلو الأرض من حجة في ضوء توقيعي الناحية المقدسة لابني غانم ومهزيار

الشيخ مُهند غازي العُقابي
العتبة العلوية المقدسة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين وسيد الأنبياء والخلق أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين سيما بقية الله في الأرضين ﷺ.

من الأمور التي برزت في عهد الغيبة هي التوقعات التي صدرت من صاحب الزمان (عليه السلام)، وهي رسائل ومكاتبات إلى شيعته ومواليه عن طريق سفرائه، وهي متعددة الأهداف والمضامين، وقد جرت مثل هذه المكاتبات في عهد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) عندما كان في السجن، وكذلك جرت في عهدي الإمامين العسكريين (عليهما السلام).

وفي هذا البحث المتواضع يتعرض الباحث إلى توقيعين من توقعات الناحية المقدسة، حيث يكون التعرض في هذين التوقيعين إلى أمر مهم وركن أساس من أركان العقيدة ألا وهو (عدم خلو الأرض من حجة)، لقد ذكر فيهما ركن مهم في الإسلام وفي جميع الديانات وهو وجوب إقامة الحجة على الخلق، وبما أن الخلق في تغير زمني ومكاني وبما أن الله تعالى من لطفه ورحمته لعباده أن يرشدكم إلى طريق الحق وبما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم، فكان في كل وقت وزمان حجة له تعالى لحفظ دينه وإقامة الحجة على خلقه، فإن الله تعالى لم يخلق الخلق ليتركهم بلا واعظ ومدبر

وبشير ونذير ؛ لتكون لله الحجة البالغة: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِّئَلَّا
يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(١).

وبما أن هناك من يشكك في هذا الأمر، ويدعي انقطاع الحجج في
أزمنة مختلفة ومنها زماننا هذا ، فقد تم كتابة هذا البحث المختصر لعل
فيه دفع هذا الدخل.

وقُسمَ هذا البحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: بيان الأمور والمفاهيم المتعلقة بالبحث - وعلى سبيل
الاختصار - كالغيبتين الصغرى والكبرى وأسبابهما، ومفهوم التوقيع
والفرق بينه وبين المكاتبه، وكذلك مصطلح الناحية المقدسة، وأهم
المواضيع التي تعرضت لها التوقيعات المباركة.

وفي المطلب الثاني: تم ذكر التوقيعين المتعلقين بمحل البحث وبيان أهم
ما جاء في مضمونهما، وكذلك الاستدلال بالأدلة الأربعة على أن الأرض لا
تخلو من حجة إلى يوم القيامة.

ثم ذكر خاتمة البحث وما توصل إليه الباحث من نتائج.

المطلب الأول: بيان بعض المفاهيم المتعلقة بالبحث.

١- الغيبة أسباب وأهداف.

ورد عن أهل البيت عليهم السلام روايات عديدة تدل على أن لصاحب هذا الأمر
غيبتان، أحدهما أطول من الأخرى، فقد روى الكليني بسنده عن إسحاق
بن عمار، قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: للقائم غيبتان: إحداها قصيرة،
والأخرى طويلة)^(٢).

وبسنده عن مفضل بن عمر، قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لصاحب هذا الأمر غيبتان: إحداهما يرجع منها إلى أهله، والأخرى يقال: هلك، في أي واد سلك) (٣).

ومن المعروف عند الشيعة اللقاء المباشر مع المعصوم (عليه السلام)، وبما أن الظروف التي مر بها المعصوم (عليه السلام) تقتضي عدم ظهور شخصه المقدس، قام من سبقه (عليه السلام) ببيان الحال والإعلام عن الغيبة تمهيداً وتوضيحاً للموالين، فهاتان الروايتان وغيرهما ما هما إلا تمهيد لشيعتهم لهذه الغيبة، وكذلك فعل الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) عندما عين الوكلاء وأمر الناس بالرجوع إليهم، هذا كله تمهيد لغيبة صاحب الأمر (عليه السلام)؛ وذلك لحفظ استمرار الإمامة والحجة البالغة على الخلق إلى أن يحين الوقت الموعود لظهور الإمام صاحب الأمر (عليه السلام)؛ ليملاً الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ولكي لا تكون هناك بعة لأحد في عنقه (عليه السلام).

فقد ورد عن زرارة، قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن للقائم غيبة قبل أن يقوم، إنه يخاف - وأوماً بيده إلى بطنه - يعني القتل) (٤).

وعن أبي حمزة، قال: (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: لا. فقلت: فولدك؟ فقال: لا. فقلت: فولد ولدك هو؟ قال: لا. فقلت: فولد ولد ولدك؟ فقال: لا. قلت: من هو؟ قال: الذي يملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، على فترة من الأئمة، كما أن رسول الله ﷺ بعث على فترة من الرسل) (٥).

الغية الصغرى:

امتدت هذه الغيبة إلى ما يقرب من سبعين سنة فكانت من عام ٢٦٠ هـ إلى عام ٣٢٩ هـ، فقد ظلّ المؤمنون طوال هذه الفترة يتّصلون بالإمام (عليه السلام) عن طريق سفرائه ونوابه الخاصّين، فتكون الأسئلة من خلاهم إلى الإمام

وكذلك ما يرغب عليه إيصاله الى عامة شيعته ، ففي هذه الفترة كانوا هم
الواسطة بينه وبين شيعته ، والسفراء هم:

١ - أبو عمرو عثمان بن سعيد الأسدي العمري المتوفى ٢٦٥ هـ .

٢ - أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد الأسدي المتوفى ٣٠٥ هـ .

٣ - أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي المتوفى ٣٢٦ هـ .

٤ - أبو الحسن علي بن محمد السمرى المتوفى ٣٢٩ هـ .

وتعتبر هذه الغيبة عملية تمهيد وتمرين للشيعه للتعامل مع الغيبة
الكبرى، وسميت هذه الغيبة بالصغرى بلحاظ الغيبة التي تليها وهي
أطول منها زماناً وانقطاعاً.

الغيبة الكبرى:

بعد فترة ما يقارب السبعين عام أذن الله أن تكون الغيبة الكبرى للإمام
المهدي عليه السلام والتي بدأت من عام ٣٢٩ هـ إلى أن يشاء الله بالفرج لجميع
الخلق عامة وللشيعه خاصة، لقد كتب عليه السلام إلى آخر سفرائه بأن الله أذن
بالغيبة الكبرى ولا سفير ولا نائب بعدك.

روى الشيخ الصدوق، فقال: (حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد
المكتب، قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن
محمد السمرى - قدس الله روحه - فحضرت قبل وفاته بأيام فأخرج إلى
الناس توقيعاً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمرى،
أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع
أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة
الثانية فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوة
القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا
فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا

حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال : فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده ، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه ، فقل له : مَنْ وصيك من بعدك ؟ فقال : لله أمر هو بالغه ، ومضى رضي الله عنه ، فهذا آخر كلام سمع منه^(٦) .

وقد يقال : لم لم تستمر السفارة للتواصل مع الإمام ﷺ وتسهيل الأمر على الشيعة وحل المضلات والمشاكل التي يواجهونها؟ ويمكن الإجابة بجوابين :

الأول : إن هذه الأمور الغيبية لا يعلم المصلحة فيها إلا الله تعالى فهو أعرف بمصالح العباد.

الثاني : فإن عدم استمرار الغيبة الصغرى والسفارة راجعٌ إلى الظروف الصعبة والقاهرة التي أحاطت بأتباع أهل البيت، فقد كانوا يتعرضون لضغوط متزايدة من قبل السلطة العباسية، ولو دامت السفارة لتعرض السفراء بالتأكيد للاعتقال والتهديد والقتل، وبالتالي التخفي وعدم الفائدة من وجودهم.

فتكون الغيبة الكبرى من ناحية الزمن أطول بكثير من الغيبة الصغرى، ومن ناحية السفارة فلا سفير في هذه الغيبة.

٢- التوقيع :

قال الفراهيدي : (والتوقيع في الكتاب : إلحاق شيء فيه)^(٧) . وقال ابن فارس : (التوقيع : ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه)^(٨) .

وقال الأزهرى : (تَوْقِيعُ الْكَاتِبِ فِي الْكِتَابِ الْمَكْتُوبِ أَنْ يُجْمَلَ بَيْنَ تَضَاعِيفِ سَطْرِهِ مَقَاصِدَ الْحَاجَةِ وَيُحْذَفَ الْفُضُولُ ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ تَوْقِيعِ الدَّبْرِ ظَهَرَ الْبَعِيرُ ، فَكَأَنَّ الْمَوْقِعَ فِي الْكِتَابِ يُؤَثِّرُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي كُتِبَ الْكِتَابُ فِيهِ مَا يُؤَكِّدُهُ وَيُوجِبُهُ)^(٩) .

وفي البيان الأخير يتضح أن التوقيع لا يخص الامضاء - المتعارف عندنا وهو جعل شيء يدل على الكاتب في نهاية الكتاب - فقط بل هو أعم فيشمل ما هو مسطور ومكتوب من الكتاب ولو كان بلا إمضاء في آخره، وبالتالي المقصود من التوقيع هو الكتاب سواء عليه إمضاء من قبله عليه السلام أم لا.

فالتوقيع هو: ما يخرج عنه عليه السلام من رسائل وكتب وأحكام، وتكون بخط يده الشريف الذي هو كخط والده الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهو معروف عند الخواص، روى الشيخ الطوسي بسنده عن أبي نصر هبة الله بن محمد بن أحمد الكاتب قال ضمن كلام له :

(وكانت توقيعات صاحب الأمر عليه السلام تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبي جعفر محمد بن عثمان إلى شيعته وخواص أبيه أبي محمد عليه السلام بالأمر والنهي والأجوبة عما يسأل الشيعة عنه - إذا احتاجت إلى السؤال فيه - بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن عليه السلام)^(١١).

وذكر بعضهم في هذا المجال ما نصه:

(اصطلاح التوقيع كما تعلمون من جملة اصطلاحات هذا العالم، عالم الغيبة، المقصود بالتوقيع في هذا المقام يعني الكتاب الموقع يعبر عنه بأنه توقيع، من باب تسمية الكتاب بأهم ما فيه أو أبرز ما فيه أو ما يختم به وهو التوقيع تسمية الشيء بخاتمته، فيعبر عنه بأنه توقيع، والمقصود ليس خصوص الامضاء للإمام عليه السلام، إنما المقصود هو الكتاب)^(١٢).

ويدل على ذلك الكثير مما عبر عنه بالتوقيع^(١٣) ويراد به مضمون الكتاب الصادر عنه عليه السلام، ومنها التوقيع الأخير الذي تقدم ذكره الصادر بحق النائب الرابع فقد ورد عن أبي محمد الحسن بن أحمد المکتب قال :
(كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمری - قدس الله روحه - فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً

نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر
إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام ... قال : فنسخنا هذا
التوقيع وخرجنا من عنده...) (١٣) .

وبالتالي يتضح من هذا الكتاب أن المراد من التوقيع أعم من مجرد
وضع علامة على الكتاب تدلّ على صدوره من كاتبه، بقرينة عبارة:
(فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته) وذكر مضمون الكتاب ، وكذلك بقرينة
قوله: (فنسخنا هذا التوقيع).

وقد يخرج التوقيع نتيجة سؤال أو طلب من أحد وأحياناً ابتداءً منه ﷺ بلا
سؤال أو طلب من أحد وإنما لمصلحة يراها ﷺ، ومثالها:

عن إسحاق بن يعقوب، قال: (سألت محمد بن عثمان العمري رضوان الله
عليه أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع
بخط مولانا صاحب الزمان ﷺ: أما ما سألت عنه أرشدك الله...) (١٤).

وعن الحسن بن الفضل اليماني، قال: (قصدت سر من رأى... قال :
وكتبت في معنيين وأردت أن أكتب في معنى ثالث فقلت في نفسي: لعله يكره
ذلك، فخرج إليّ الجواب للمعنيين والمعنى الثالث الذي طويته ولم أكتبه) (١٥).
وعن أبي علي بن أبي الحسين الأسدي ، عن أبيه رضوان الله عليه قال:
(ورد عليّ توقيع من الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري - قدس الله
روحه - ابتداءً لم يتقدمه سؤال: بسم الله الرحمن الرحيم لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين على من استحل من مالنا درهمًا) (١٦).

٣- الفرق بين التوقيع والمكاتبة:

المكاتبة هي: أن يكتب شخص لآخر كتاباً وذلك الآخر يرد عليه
بكتاب، فهي تكون بين شخصين أو أكثر، فهي من باب المفاعلة. قال
الطريحي: (والأصل في باب المفاعلة أن تكون من اثنين فصاعداً يفعل

أحدهما بصاحبه ما يفعل هو به ، فكل واحد فاعل ومفعول من حيث المعنى^(١٧) ، وقال القرطبي : (الكتاب والمكاتبة سواء، مفاعلة مما لا تكون إلا بين اثنين)^(١٨).

وبما تقدم عن معنى التوقيع يظهر الفرق بين المكاتبة والتوقيع، فالمكاتبة لا تكون إلا بين اثنين فأكثر، والتوقيع قد يكون كذلك وقد يكون بإرسال كتاب من شخص إلى آخر ابتداءً بلا حاجة للرد ، وبهذا كانت عمومية التوقيع على المكاتبة، فالتوقيع المصطلح هنا أعم من المكاتبة.

وقد استعملت المكاتبات بين الشيعة وأئمتهم عليهم السلام في عهد الإمام موسى بن جعفر عليهما حينما كان ينقل من سجن الى سجن ومنع ما رواه علي بن سويد قال : (كتبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في الحبس كتاباً أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة، فاحتبس الجواب علي أشهر ثم أجابني بجواب هذه نسخته...) ^(١٩).

٤- الناحية المقدسة:

الناحية هي الجهة والجانب^(٢٠)، وقد استعملت باستعمالين:
الأول: مدينة سامراء، وأضيف لفظ القداسة إليها إكراماً وتشريفاً:
لوجود الإمام عليه السلام، وأصبحت بذلك ترمز له عليه السلام، لذلك نرى تعابير بعض العلماء تشير إلى هذا المعنى كما ورد عن الشيخ حسين النوري بقوله: (في الناحية المقدسة سر من رأى)^(٢١)، وبعد ذلك نقل اللفظ إلى صاحب الأمر عليه السلام الشريف.

الثاني: يراد بها الإمام عليه السلام كما في كثير من التوقيعات المعبرة عنه عليه السلام بالناحية، وكذلك الروايات التي ورد التعبير فيها منه عليه السلام تعبيراً عن شخصه المبارك بالناحية، ومن هذه الروايات ما روي عن أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدي وفيها: (وأما ما سألت عنه من أمر الضياع التي

لناحيتنا، هل يجوز القيام بعمارتها وأداء الخراج منها وصرف ما يفضل من دخلها إلى الناحية احتساباً للأجر؟^(٢٢). فهنا عبر بلفظ (لناحيتنا) وكذلك نرى تعبير (دخلها إلى الناحية)

وفي رواية: (قال محمد بن إبراهيم : وقدمت العسكر زائراً فقصدت الناحية فلقيتني امرأة...)^(٢٣). وفي أخرى : (فيمن استحل من مال الناحية درهماً)^(٢٤) ، وكما روي عن محمد بن إبراهيم بن مهزيار ، قال : (أنفذت مالاً إلى الناحية...)^(٢٥) ، وعن أبي العباس الخالدي: قال : (كتب رجلان من إخواننا بمصر إلى الناحية يسألان صاحب الزمان (عليه السلام) في جملين...)^(٢٦). وهكذا في الكثير منها.

وعلى كل حال أصبح اصطلاح خاص استعمل للإشارة إلى الإمام صاحب الأمر (عليه السلام)، كما استعمل صاحب الزمان، وصاحب الأمر، والعالم، والغريم، وما شاكل وذلك لما هو معروف من المنع عن ذكر اسمه (عليه السلام)^(٢٧).

٥- أهم مواضيع التوقيعات الشريفة:

تناولت التوقيعات عدة مواضيع منها:

١- بيان العقيدة الحقة.

(ومما خرج عن صاحب الزمان صلوات الله عليه ، رداً على الغلاة من

التوقيع جواباً لكتاب كتب إليه على يدي محمد بن علي بن هلال الكرخي:

يا محمد بن علي تعالى الله وجل عما يصفون ، سبحانه وبحمده ، ليس نحن شركاؤه في علمه ولا في قدرته ، بل لا يعلم الغيب غيره ، كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٢٨) ، وأنا وجميع آبائي من الأولين : آدم ونوح وإبراهيم وموسى ، وغيرهم من النبيين ، ومن الآخرين محمد رسول الله ، وعلي بن أبي طالب ، وغيرهم ممن مضى من الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين ، إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري ، عبيد الله عز وجل...)^(٢٩).

٢- الإجابة عن المسائل الشرعية.

ومما ورد في ذلك: (...وأما ما سألت عنه من أمر الوقف على ناحيتنا، وما يجعل لنا ثم يحتاج إليه صاحبه، فكل ما لم يسلم فصاحبه فيه بالخيار، وكل ما سلم فلا خيار لصاحبه فيه احتاج أو لم يحتج، افتقر إليه أو استغنى عنه .
وأما ما سألت عنه من أمر من يستحل ما في يده من أموالنا ويتصرف فيه تصرفه في ماله من غير أمرنا، فمن فعل ذلك فهو ملعون، ونحن خصماؤه يوم القيامة، وقد قال النبي ﷺ: المستحل من عترتي ما حرم الله ملعون على لسان كل نبي مجاب. فمن ظلمنا كان في جملة الظالمين لنا، وكانت لعنة الله عليه لقوله عز وجل: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٣٠)... (٣١).

٣- إعطاء دور بارز للعلماء والفقهاء.

ومما ورد في ذلك: (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم) (٣٢).

٤- التوجيهات العامة للشريعة .

ومما ورد في ذلك: (وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي، فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، وأني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فاغلقوا أبواب السؤال عما لا يعنيكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإن ذلك فرجكم ...) (٣٣).

٥- بيان حال بعض الشخصيات المهمة سلباً أو إيجاباً.

ومما ورد في ذلك:

وكذلك ورد:

(...وأما محمد بن عثمان العمري، فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فإنه ثقتي وكتابه كتابي . وأما محمد بن علي بن مهزيار الأهوازي، فسيصلح الله قلبه، ويزيل عنه شكه... وأما محمد بن شاذان بن نعيم، فإنه رجل من شيعتنا أهل البيت.

وأما أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع ، ملعون وأصحابه ملعونون فلا تجالس أهل مقاتلتهم ، فإني منهم برئ ، وآبائي (عليهم السلام) منهم براء... (٣٤).

٦- التعريف ببعض الأدعية والزيارات.

قد نُسب إليه بعض الزيارات والأدعية كزيارة الناحية المقدسة، وزيارة آل ياسين، ودعاء الافتتاح، ودعاء الندبة، وغيرها.

٧- تعيين الغيبة الكبرى.

كما ورد في التوقيع الشريف : (يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامة ، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأمد ، وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً...) (٣٥).

٨- تعيين السفراء والوكلاء.

ومما ورد في ذلك: (...خرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان قدس الله روحه في التعزية بأبيه (عليه السلام) في فصل من الكتاب : ... كما كان من كمال سعادته أن رزقه الله ولداً مثلك يخلفه من بعده ، ويقوم مقامه بأمره ، ويترحم عليه...) (٣٦).

وغيرها من المواضيع.

المطلب الثاني: التوقيع لابني غانم ومهزيار والأدلة على عدم خلو الأرض من حجة.

- التوقيع لابني غانم ومهزيار

- روى الشيخ الطوسي بسنده عن علي بن إبراهيم الرازي ، قال :

حدثني الشيخ الموثوق به بمدينة السلام (٣٧)، قال :

(تساجر ابن أبي غانم القزويني^(٣٨) وجماعة من الشيعة في الخلف ، فذكر ابن أبي غانم أن أبا محمد عليه السلام مضى ولا خلف له ، ثم أنهم كتبوا في ذلك كتاباً وأنفذوه إلى الناحية ، وأعلموه بما تساجروا فيه ، فورد جواب كتابهم بخطه عليه وعلى آبائه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم عافانا الله وإياكم من الضلالة والفتن ، ووهب لنا ولكم روح اليقين ، وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب أنه أنهى إليّ ارتياب جماعة منكم في الدين ، وما دخلهم من الشك والحيرة في ولاية أمورهم ، فغمنا ذلك لكم لا لنا ، وساءنا فيكم لا فينا ؛ لأن الله معنا ولا فاقة بنا إلى غيره ، والحق معنا، فلن يوحشنا من قعد عنا ، ونحن صنائع^(٣٩) ربنا ، والخلق بعد صنائعنا .

يا هؤلاء! ما لكم في الريب ترددون، وفي الحيرة تنعكسون؟ أو ما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤٠)؟ أو ما علمتم ما جاءت به الآثار مما يكون ويحدث في أئمتكم عن الماضين والباقيين منهم عليهم السلام؟ أو ما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم عليه السلام إلى أن ظهر الماضي عليه السلام ، كلما غاب علم بدا علم ، وإذا أفل نجم طلع نجم؟ فلما قبضه الله إليه ظننتم أن الله تعالى أبطل دينه ، وقطع السبب بينه وبين خلقه، كلا ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة ، ويظهر أمر الله سبحانه وهم كارهون .

وإن الماضي عليه السلام مضى سعيداً فقيداً على منهاج آبائه عليهم السلام حذو النعل بالنعل ، وفينا وصيته وعلمه ، ومن هو خلفه ومن هو يسد مسده ، لا ينازعنا موضعه إلا ظالم آثم ، ولا يدعيه دوننا إلا جاحد كافر ، ولولا أن أمر الله تعالى لا يغلب ، وسره لا يظهر ولا يعلن ، لظهر لكم من حقنا ما تبين منه عقولكم ، ويزيل شكوككم ، لكنه ما شاء الله كان ، ولكل أجل كتاب .

فاتقوا الله وسلموا لنا ، وردوا الأمر إلينا ، فعلينا الإصدار كما كان منا الإيراد...)(^(٤١).

وروى الشيخ الصدوق بسنده عن إبراهيم ومحمد ابني الفرج ، عن محمد بن إبراهيم بن مهزيار^(٤٢): (أنه ورد العراق شاكاً مرتاداً ، فخرج إليه: قل للمهزياري قد فهمنا ما حكيته عن موالينا بناحيتم فقل لهم: أما سمعتم الله عز وجل يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ^(٤٣) ، هل أمر إلا بما هو كائن إلى يوم القيامة ، أو لم تروا أن الله عز وجل جعل لكم معاقل تأوون إليها ، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم ﷺ إلى أن ظهر الماضي (أبو محمد) صلوات الله عليه ، كلما غاب علم بدا علم ، وإذا أفل نجم طلع نجم ، فلما قبضه الله إليه ظننتم أن الله عز وجل قد قطع السبب بينه وبين خلقه كلا ، ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة ويظهر أمر الله عز وجل وهم كارهون .

يا محمد بن إبراهيم لا يدخلك الشك فيما قدمت له فإن الله عز وجل لا يخلي الأرض من حجة...)(^(٤٤).

إن من أهم ما جاء في التوقعين - وهو مدار البحث - هو بيان أن الأرض لا تخلو من حجة من لدن آدم ﷺ إلى آخر الزمان ، وأن الإمام الحجة بن الحسن ﷺ هو آخر الحجج - وسيأتي إقامة الدليل عليه - فلا يمكن أن يترك الله تعالى عباده من دون أن تكون لهم معاقل يأوون إليها ، وأعلاماً يهتدون بها ، فإنه تعالى لا يقطع السبب بينه وبين خلقه ، وأن هذه من سنن الله تعالى ، وأنه تعالى فرض طاعتهم وحرّم عصيانهم بقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ^(٤٥) ، فأولي الأمر الذين فرض طاعتهم وقرن طاعتهم بطاعة الله ورسوله هم حججه الذين اختارهم ، وخلفاؤه الذين عينهم بلا رجوع لرأي أحد من خلقه ،

فما كان لأحد من خلقه أن يختار ولي الأمر وإنما الله هو الذي يختار ويختبي من يشاء، ومن نازعهم فهو ظالم آثم، ولا يدعيه دونهم أحد إلا جاحد كافر، وبالتالي من يعارض أو يشكك بولي وحجة من حجج الله فقد ضل سواء السبيل.

وأن حجج الله لا يضرهم من ضل عنهم، وإنما طلب الهداية للناس فائدته للناس لا لهم؛ لأن الله معهم ولا حاجة لهم إلى غيره تعالى، فالحق معهم ولن يوحشهم من قعد عنهم.

- الأدلة على عدم خلو الأرض من حجة:

١- الأدلة من الكتاب العزيز:

هناك الكثير من الآيات الصريحة والواضحة الدالة على إقامة الحجة من قبل الله تعالى على الخلق في كل عصر وزمان، وأن الأرض منذ خلقها الله تعالى إلى أن يبعث الخلق لا تخلو من حجة؛ لكي تكون الحجة لله على الخلق، ولا يقال لم يبعث الله من يهدين ويدلنا إلى طريق الحق، ومنها: أ- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٤٦).

وروى الشيخ الكليني بسنده عن موسى بن بكر، عن الفضيل، قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فقال: كل إمام هاد للقرن الذي هو فيهم)^(٤٧).

وروى الشيخ الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن ابن أدينة، عن بريد العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: (فقال: رسول الله ﷺ المنذر ولكل زمان منا هاد يهديهم إلى ما جاء به نبي الله ﷺ، ثم الهداة من بعده علي ثم الأوصياء واحد بعد واحد)^(٤٨).



ب - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٤٩)
وردد في تفسير القمي: (وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ قال:
لكل زمان إمام) (٥٠).

وقال ابن شهر آشوب: (قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، وهذا عام في سائر الأمم وعمومه يقتضي أن في كل زمان حصلت فيه أمة مكلفة نذيراً، ففي أزمنة الأنبياء هم النذر للأمم، وفي غيرها الأئمة (عليه السلام) (٥١).

ج - ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٥٢).

روى الشيخ الكليني بسنده عن عن زياد القندي، عن سماعه، قال: (قال أبو عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال: نزلت في أمة محمد (عليه السلام) خاصة، في كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم ومحمد (عليه السلام) شاهد علينا) (٥٣).

قال ابن شهر آشوب: (وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. أخبر تعالى أنه يأتي من كل أمة بشهيد، ويأتي به شهيداً على أمته، فيجب أن يكون الشهداء حكمهم حكمه في كونهم حججاً لله تعالى، وذلك يقتضي أن في كل زمان شهيداً إما نبي أو إمام) (٥٤).

د - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (٥٥).

روى البرقي بسنده عن ابن مسكان، عن مالك الجهني، قال: (قال أبو عبد الله (عليه السلام): أنه ليس من قوم ائتموا بإمامهم في الدنيا إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه، إلا أنتم ومن كان على مثل حالكم) (٥٦).

وروى بسنده عن عن ابن مسكان، عن يعقوب بن شعيب، قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام)، ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، فقال: ندعو كل قرن من هذه الأمة بإمامهم. قلت: فيجئ رسول الله (عليه السلام) في قرنه، وعلي (عليه السلام) في قرنه،

والحسن عليه السلام في قرنه ، والحسين عليه السلام في قرنه ، وكل إمام في قرنه الذي هلك بين أظهرهم ؟ - قال : نعم ^(٥٧).

قال ابن شهر آشوب : (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ، ظاهره وعمومه يقتضي وجود إمام في كل زمان) ^(٥٨).

هـ - قوله سبحانه : ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبْهَتَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ ^(٥٩).

قال ابن شهر آشوب : ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبْهَتَاهُمْ أَقْتَدِهِ، دليل على أنه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين إماما نبيا أو إماما﴾ ^(٦٠).

و - قوله تعالى : ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ^(٦١).

قال القمي في تفسيره : (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا، قال : تنزل الملائكة وروح القدس على إمام الزمان ويدفعون إليه ما قد كتبوه من هذه الأمور) ^(٦٢).

وغيرها من آيات الإنذار والتبشير وإقامة الحجة على الخلق - كلها سارية في هذا المضمون من الأمم السابقة إلى يوم القيامة؛ وذلك لأن الإمامة امتداد للنبوة - كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بَعْدَ أَنْ قَبْلَهُ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ ^(٦٣)، وقوله تعالى : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ^(٦٤)، وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا هَا مُنْذِرُونَ﴾ ^(٦٥)، وقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ^(٦٦).

٢- الأحاديث والروايات الدالة على وجود الحجة:

الأحاديث والروايات كثيرة جداً، حتى قال العلامة المجلسي^(٦٧) بتظافر روايات عدم خلو الأرض من حجة، واكتفي بنقل بعضها:
أ- حديث الثقلين:

روى أحمد في مسنده عن أبي سعيد، قال: (قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنها لن يفترقا حتى يردا على الحوض)^(٦٨).
ورواه الترمذي عن زيد بن أرقم، قال: (قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)^(٦٩).

ودلالة الحديث واضحة بأن التمسك بهما سبيل النجاة من الوقوع في الضلالة، واستمرارية الحجة من الكتاب والعترية إلى يوم القيامة بقوله ﷺ:
(حتى يردا على الحوض).

ب- عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (لا تخلو الأرض من إمام قائم بحجة الله، أما ظاهر مشهور، وأما خائف مقهور؛ لئلا يبطل حجج الله وبياناته)^(٧٠).
ج- عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: (قال رسول الله ﷺ: النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض)^(٧١).

د- وعن أبان بن تغلب قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق)^(٧٢).

هـ- وعن يونس بن يعقوب، قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو لم يكن في الدنيا الا اثنان لكان الامام أحدهما)^(٧٣).



و- وعن أحمد بن عمر، قال: (قلت لأبي الحسن عليه السلام: هل يبقى الأرض بغير إمام؟ فإننا نروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يبقى الأرض إلا أن يسخط الله على العباد. قال: لا تبقى إذا لساخت) (٧٤).

ز- وعن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (لا تبقى الأرض بغير إمام ظاهر أو باطن) (٧٥).

ح- وعن ميثم بن أسلم، عن ذريح المحاربي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (سمعتة يقول: والله ما ترك الله الأرض منذ قبض آدم إلا وفيها إمام يهتدى به إلى الله عز وجل وهو حجة الله عز وجل على العباد، من تركه هلك ومن لزمه نجا، حقاً على الله عز وجل) (٧٦).

ي- وعن حماد بن عثمان، عن عبد الله بن أبي يعفور أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام: (هل تترك الأرض بغير إمام؟ قال: لا، قلت: فيكون إمامان؟ قال: لا، إلا وأحدهما صامت) (٧٧).

ك- وعن يحيى الحلبي، عن بشير الدهان، قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية) (٧٨).

ل- وعن أبي اليسع عيسى بن السري، قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الأرض لا تصلح إلا بالإمام، ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه هذه - وأهوى بيده إلى صدره - يقول: لقد كنت على أمر حسن) (٧٩).

أما الروايات الدالة على وجود الإمام المهدي عليه السلام خاصة وخروجه في آخر الزمان فكثيرة جداً، وهو محل إجماع الإمامية، وكذلك هناك روايات كثيرة في نفس المضمون عند أبناء العامة.

أما ما ورد عند الإمامية فأحيل القارئ الكريم إلى كتاب كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق، وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي، وكتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٥١.

أما ما ورد عن أبناء العامة فأحيل القارئ إلى كنز العمال للمتقي الهندي: ١٤/ ٢٦١-٢٦٧، وكتاب المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة، للدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي، وكتاب الإمام المهدي الموعود المنتظر بجزئيه للشيخ نجم الدين العسكري .

٣- الدليل العقلي على عدم خلو الأرض من حجة:

من الأمور المقومة لمسيرة البشرية بل للكائنات الحية هو وجود القائد ، فكل مجتمع يحتاج لبقائه وديمومته قائداً يقود تلك المجموعة، وإلا لتعددت الآراء واختلفت الجماعة فيما بينهم ، وهذا أمر غريزي فطري حتى الحيوانات والطيور وغيرهما تراهم يجعلون لهم قائداً ودليلاً، ولولا هذا الأمر لاختل النظام وفسدت الجماعات ؛ لتعدد الآراء، وتشتت الأهواء، واختلاف الطباع، لذلك كان لابد من قائد يُسيّر هذه المجتمعات نحو طريق السلامة والأمان، ومن الطبيعي أن يحمل هذا القائد مواصفات خاصة تجعله مؤهلاً لحفظ هذه الأمانة، وأن يقيم العدل في مجتمعه ويحفظ حقوق الجميع، ويُبين ما لهم من حقوق وما عليهم من مهام وواجبات، فبه يحفظ المجتمع، وتُصان حقوق الرعية، وتزدهر الدولة ويهاب جانبها، وبه يحفظ الدين والشرعية ، فهو المحامي عن حياض الدين، والمدافع عن بيضته ووجوده.

وبما أن الله تعالى هو الذي يعرف مصالح الخلق أرسل لهم في كل زمان حجه ليكون المتصدي للقيادة في عصره؛ وذلك لإقامة الحجة على الخلق ولهدايتهم من الضلال الديني والآخرى، لذلك تمسك الكثير من علمائنا بقاعدة اللطف، وأن الله تعالى بلطفه بعباده ورحمته بهم لا يتركهم بلا حجة يأخذ بأيديهم نحو طريق الصلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، وهذا لا يخصص في زمان دون آخر لوجود الحاجة والعلة في جميع الأزمنة.

قال الشيخ المفيد : (فإن قيل : حكمة الله تعالى تقتضي نصب الإمام وتوجهه أم لا ؟ فالجواب : الحكمة تقتضي ذلك وتوجهه .

فإن قيل : ما حد الإمام ؟ فالجواب : الإمام هو الإنسان الذي له رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي ﷺ .

فإن قيل : ما الدليل على أن الإمامة واجبة في الحكمة ؟

فالجواب : الدليل على ذلك أنها لطف، واللطف واجب في الحكمة على الله تعالى فالإمامة واجبة في الحكمة ^(٨٠) .

وقال ابن ميثم البحراني : (لنا : إن نصب الإمام لطف من فعل الله تعالى في أداء الواجبات الشرعية التكليفية ، وكل لطف بالصفة المذكورة فواجب في حكمة الله تعالى أن يفعله ما دام التكليف بالمطلوب فيه قائما ، فنصب الإمام المذكور واجب من الله في كل زمان التكليف .

أما الصغرى : فإن مجموعها مركب من كون نصب الإمام لطفاً في الواجبات الشرعية ، ومن كونه من فعل الله .

أما الأول فلأن المكلفين إذا كان لهم رئيس تام الرئاسة عادل ممكن كانوا أقرب إلى القيام بالواجبات واجتناب المقبحات ، وإذا لم يكن كذلك كان الأمر بالعكس ، والعلم بهذا الحكم ضروري لكل عاقل بالتجربة لا يمكنه دفعه عن نفسه بشبهة ، ولا معنى للطف إلا ما كان مقرباً إلى الطاعة ومبعداً عن المعصية ، فثبت أن نصب الإمام لطف في أداء الواجبات .

وأما كونه من فعل الله فلما سنبين أن هذا الإمام لا يجوز عليه الإخلال بالواجب ولا فعل القبيح ، فحينئذ لا يمكن أن يكون نصبه إلا من فعل الله ، لأنه القادر على تمييز من يجوز وقوع المعصية منه عن غيره لاطلاعه على السرائر دون غيره .

وأما الكبرى فلأننا لو لم يجب منه تعالى وجود ذلك اللطف في مدة زمان التكليف بالملطوف فيه لقبح التكليف به وانتقض الغرض منه ، وأما تمكين هذا الإمام فهو من افعال المكلفين ، إذ المدح عليه والذم على عدمه راجعان إليهم^(٨١).

ويمكن أن يستأنس بما روي من حوار بين هشام بن الحكم وعمرو بن عبيد، فقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن يونس بن يعقوب ، قال :
(كان عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام جماعة من أصحابه فيهم همران بن أعين، ومؤمن الطاق ، وهشام بن سالم ، والطيّار ، وجماعة من أصحابه فيهم هشام بن الحكم وهو شاب ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا هشام . قال : لبيك ، يا بن رسول الله . قال : ألا تحدثني كيف صنعت بعمر بن عبيد وكيف سأله . قال هشام : جعلت فداك يا بن رسول الله ، إني أجلك وأستحييك ، ولا يعمل لسانى بين يديك .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : إذا أمرتكم بشئ فافعلوه . قال : هشام : بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلسه في مسجد البصرة ، وعظم ذلك عليّ ، فخرجت إليه ودخلت البصرة في يوم الجمعة ، فأتيت مسجد البصرة ، فإذا أنا بحلقة كبيرة وإذا أنا بعمر بن عبيد عليه شملة سوداء متزرها من صوف ، وشملة مرتد بها ، والناس يسألونه ، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي ، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ، ثم قلت : أيها العالم ، أنا رجل غريب ، تأذن لي فأسألك عن مسألة .

قال : فقال : نعم . قال : قلت له : ألك عين ؟ قال : يا بني ، أي شئ هذا من السؤال ؟ فقلت : هكذا مسألتي . فقال : يا بني سل ، وإن كانت مسألتك حمقاء ، فقلت : أجبنى فيها . قال : لي : سل .

فقلت : ألك عين ؟ قال : نعم . قال : قلت : فما ترى بها ؟ قال : الألوان والأشخاص . قال : قلت : ألك أنف ؟ قال : نعم ، قال : قلت : فما تصنع به ؟ قال : أتشمم به الرائحة . قال : قلت : ألك فم ؟ قال : نعم . قلت : وما تصنع به ؟ قال : أعرف به طعم الأشياء .

قال : قلت : ألك لسان ؟ قال : نعم . قلت : وما تصنع به ؟ قال :
أتكلم به .

قال : قلت : ألك أذن ؟ قال : نعم . قلت : وما تصنع بها ؟ قال : أسمع
بها الأصوات .

قال : قلت : ألك يد ؟ قال : نعم . قلت : وما تصنع بها ؟ قال : أبطش بها .
قال : قلت : ألك قلب ؟ قال : نعم . قلت : وما تصنع به . قال : أميز
به كل ما ورد على هذه الجوارح .

قال : قلت : أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟ قال : لا ، قلت :
وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة ؟

قال : يا بني ، إن الجوارح إذا شكت في شئ شمتته أو رأته أو ذاقته أو
سمعتة أو لمسته ردت به إلى القلب فيقن اليقين ويبطل الشك .

قال : فقلت : إنما أقام الله القلب لشك الجوارح ؟ قال : نعم .

قال : قلت : فلا بد من القلب ، وإلا لم تستقم الجوارح ؟ قال : نعم .

قال : فقلت : يا أبا مروان ، إن الله تعالى ذكره لم يترك جوارحك حتى
جعل لها إماما ، يصحح لها الصحيح وييقن ما تشك فيه ، ويترك هذا الخلق
كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم إماما يردون إليه شكهم
وحيرتهم ، ويقيم لك إماما لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك ؟ ! قال :
فسكت ولم يقل شيئا . قال : ثم التفت إلي فقال : أنت هشام ؟ فقلت : لا .
فقال لي : أجالسته ؟ فقلت : لا .

قال : فمن أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة . قال : فأنت إذن هو .
قال : ثم ضمني إليه وأقعدي في مجلسه ، وما نطق حتى قمت .

فضحك أبو عبد الله عليه السلام ثم قال : يا هشام ، من علمك هذا ؟ قال :

فقلت : يا ابن رسول الله ، جرى على لساني . قال : يا هشام ، هذا والله

مكتوب في صحف إبراهيم وموسى (عليه السلام) .^(٨٢)

٤- الاجماع على وجود الحجة في كل عصر.

أجمع علماء الامامية على وجوب نصب الإمام في كل عصر، ويعد هذا من أساس العقيدة ومما تسالم عليه العلماء، لذلك نرى اتفاق الامامية على وجود الإمام المهدي عليه السلام وأنه يظهر في آخر الزمان ليملاً الأرض عدلاً وقسطاً. قال الشيخ الصدوق : (ويجب أن يعتقد أن الأرض لا تخلو من حجة الله على خلقه ، ظاهر مشهور أو خائف مغمور) (٨٣).

وقال الحر العاملي: (من ضروريات المذهب الذي قامت عليه الأدلة العقلية والنقلية والنصوص المتواترة، إن الأرض لا تخلو من حجة ما دام فيها مكلف، وإن الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، وكل ذلك مقرر لا شك فيه) (٨٤).

وقال أحمد القطيفي: (تواتر مضمونه عقلاً ونقلاً وإجماعاً من أنه لا تخلو الأرض من حجة الله ؛ إما ظاهر مشهور أو غائب مستور أو مغمور) (٨٥).

وقال محمد حسين كاشف الغطاء: (إن الإمامية تعتقد أن الله سبحانه لا يخلي الأرض من حجة على العباد، من نبي أو وصي ، ظاهر مشهور ، أو غائب مستور) (٨٦). قال الشيخ المظفر قدس سره:

(نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها... كما نعتقد أنها كالنبوة لطف من الله تعالى ، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين ، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم . وعلى هذا ، فالإمامة استمرار للنبوة ، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول... لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى ، سواء أبى البشر أم لم يأبوا ، وسواء ناصروه أم لم يناصروه ،

أطاعوه أم لم يطيعوه ، وسواء كان حاضراً أم غائباً عن أعين الناس ، إذ كما يصح أن يغيب النبي كغيبته في الغار والشعب صح أن يغيب الإمام ، ولا فرق في حكم العقل بين طول الغيبة وقصرها^(٨٧).

وكذلك أجمع علماء أهل السنة على مبانيهم الخاصة بأن لا بد لهم في كل عصر من حاكم وإمام ، وإن اختلفنا معهم في الكم والكيف ، وأنقل آراء بعض علماءهم في الحاجة إلى إمام بعد النبوة ، في كل عصر ومصر .

قال اللاهيجي : (نصب الإمام عندنا واجب علينا)^(٨٨).

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية : (الإمامة موضوعه لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا . وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع)^(٨٩).

وقال التفتازاني : (نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب علينا) مستدلاً بالإجماع^(٩٠).

قال ابن خلدون : (ثم إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين)^(٩١).

وعلى كل حال لو ضممنا الأدلة بعضها مع البعض الآخر نخرج بدليل قطعي على أن الله تعالى يبعث لكل أمة من يدها على طريق الصلاح ، ويكون حجته عليهم ، هادياً ومبشراً ونذيراً ، فلا يقال لم تأتينا رسل من الله ، وليقيم الحجة على الخلق ، فعلى هذا لا تخلو الأرض من حجة .

نتائج البحث:

- ١- أن الله تعالى لا يترك الخلق بلا إمام في كل زمان .
- ٢- إقامة الحجج ؛ للإنذار والتبشير وإقامة الحجة لله على خلقه .
- ٣- الأدلة العقلية والنقلية تدل على وجوب إقامة الحجة في كل زمان ومكان .

الهوامش:

- ١- سورة النساء: ١٦٥.
- ٢- الكافي: ١/ ٣٤٠، ب الغيبة، ح ١٩.
- ٣- الكافي: ١/ ٣٤٠، ب الغيبة، ح ٢٠.
- ٤- الكافي: ١/ ٣٤٠، ب الغيبة، ح ١٨.
- ٥- الكافي: ١/ ٣٤١، ب الغيبة، ح ٢١.
- ٦- كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٦.
- ٧- العين: ١٧٧/ ٢.
- ٨- معجم مقاييس اللغة: ٦/ ١٣٤.
- ٩- لسان العرب: ٨/ ٤٠٦.
- ١٠- الغيبة: ٣٥٦.
- ١١- الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة: ٢٩.
- ١٢- ينظر كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٢، باب ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام.
- ١٣- كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٦.
- ١٤- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٣.
- ١٥- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٩٠.
- ١٦- كمال الدين وتمام النعمة: ٥٢٢.
- ١٧- مجمع البحرين: ٢/ ١٥٥.
- ١٨- الجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ٢٤٤.
- ١٩- الكافي: ٨/ ١٢٤، الروضة، ح ٩٥.
- ٢٠- ينظر العين: ٣/ ٣٠٣.
- ٢١- مستدرک الوسائل: ٩/ ٣٤٣، ١٠/ ٤٢٥، ١٤/ ١٤٤، وغيرها.
- ٢٢- كمال الدين وتمام النعمة: ٥٢١.
- ٢٣- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٧.
- ٢٤- كمال الدين وتمام النعمة: ٥٢٢.
- ٢٥- الهداية الكبرى: ٣٧١.
- ٢٦- الهداية الكبرى: ٣٧١.
- ٢٧- ينظر بحار الأنوار: ٥١/ ٣١، ب النهي عن التسمية.
- ٢٨- سورة النمل: ٦٥.
- ٢٩- الاحتجاج: ٢/ ٢٨٨.
- ٣٠- سورة هود: ١٨.
- ٣١- الاحتجاج: ٢/ ٢٩٩.

٣٢- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٤.

٣٣- الاحتجاج: ٢/ ٢٨٤.

٣٤- الاحتجاج: ٢/ ٢٨٣.

٣٥- الاحتجاج: ٢/ ٢٩٧.

٣٦- الاحتجاج: ٢/ ٣١٠.

٣٧- وهو أبو عمرو العمري سفير الإمام (عليه السلام)، كما ورد في كتاب الاحتجاج: ٢/ ٢٧٧.

٣٩- لم أعثر له على ترجمة

٤٠- سورة النساء: ٥٩.

٤١- الغيبة: ٢٨٥.

٤٢- عد من أصحاب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، مختلف في وكراته عن الإمام صاحب

الأمر وكذلك في وثاقته. ينظر: رجال الطوسي: ٤٠٢، نقد الرجال: ٤/ ٩٥، معجم رجال

الحديث: ١٥/ ٢٣٣.

٤٣- سورة النساء: ٥٩.

٤٤- كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٧.

٤٥- سورة النساء: ٥٩.

٤٦- سورة الرعد: ٧.

٤٧- الكافي: ١/ ١٩١، ب أن الأئمة عليهم السلام هم الهداة، ح ١.

٤٨- الكافي: ١/ ١٩١، ب أن الأئمة عليهم السلام هم الهداة، ح ٢.

٤٩- سورة فاطر: ٢٤.

٥٠- تفسير القمي: ٢/ ٢٠٩.

٥١- متشابه القرآن ومختلفه: ٢/ ٢٥.

٥٢- سورة النساء: ٤١.

٥٣- الكافي: ١/ ١٩٠، ب في أن الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه، ح ١.

٥٤- متشابه القرآن ومختلفه: ٢/ ٢٥.

٥٥- سورة الإسراء: ٧١.

٥٦- المحاسن: ١/ ١٤٣.

٥٧- المحاسن: ١/ ١٤٤.

٥٨- متشابه القرآن ومختلفه: ٢/ ٢٥.

٥٩- سورة الأنعام: ٨٩- ٩٠.

٦٠- متشابه القرآن ومختلفه: ٢/ ٢٦.

٦١- سورة القدر: ٤.

٦٢- تفسير القمي: ٢/ ٤٣١.



- ٦٣- سورة طه: ١٣٤ .
- ٦٤- سورة النساء: ١٦٥ .
- ٦٥- سورة الشعراء: ٢٠٨ .
- ٦٦- سورة الملك: ٨- ١٠ .
- ٦٧- ينظر بحار الأنوار: ٤/ ١٢٢ .
- ٦٨- مسند أحمد: ٣/ ١٤ .
- ٦٩- سنن الترمذي: ٥/ ٣٢٩ . ورواة الحديث كثر وطرقه مختلفة فمن أحب أن يطلع على ذلك فليراجع موسوعة الغدير للعلامة الأميني في الجزء الأول .
- ٧٠- تفسير القمي: ٣٥٩ .
- ٧١- كمال الدين وتمام النعمة: ٢٠٥ .
- ٧٢- بصائر الدرجات: ٥٠٧ .
- ٧٣- بصائر الدرجات: ٥٠٧ .
- ٧٤- بصائر الدرجات: ٥٠٨ .
- ٧٥- علل الشرائع: ١/ ١٩٧ .
- ٧٦- علل الشرائع: ١/ ١٩٧ .
- ٧٧- كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢٤ .
- ٧٨- المحاسن: ١/ ١٥٦ .
- ٧٩- كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢٤ .
- ٨٠- النكت الاعتقادية: ٣٩ .
- ٨١- قواعد المرام: ١٧٥ .
- ٨٢- أمالي الشيخ الصدوق: ٦٨٦ .
- ٨٣- الهداية: ٣٨ .
- ٨٤- الفوائد الطوسية: ١١٠ .
- ٨٥- رسائل آل طوق القطيفي: ٣/ ١٠٧ .
- ٨٦- أصل الشيعة وأصولها: ٢٢٣ .
- ٨٧- عقائد الإمامية: ٦٥ . وينظر: المسلك في أصول الدين: ١٨٨ ، النجاة في القيامة: ٤٤ .
- ٨٨- المواقف: ٣/ ٥٧٤ .
- ٨٩- الأحكام السلطانية: ٥ .
- ٩٠- شرح المقاصد: ٢/ ٢٧٣ .
- ٩١- تاريخ ابن خلدون: ١/ ١٩١ .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

* الأبواب (رجال الطوسي)، الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٥٦٤هـ).

تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني (قم المقدسة - ٥١٤١ هـ)، ط ١، منشورات

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين. مسند أحمد

* الاحتجاج، الطبرسي أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي

(ت: ٨٤٥هـ). (د.ط)، سنة ٦٨٣١ هـ - ٦٦٩١ م، تحقيق: تعليق وملاحظات:

السيد محمد باقر الخرسان، طبع ونشر: دار النعمان للطباعة والنشر - النجف

الأشرف.

* الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد

بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت: ٥٤٠هـ). : ط ٢، سنة ٦٨٣١ هـ

- ٦٦٩١ م، (د.ت)، المطبعة: شركة مصطفى الباي الحلبي وأولاده بـ(مصر)

عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاءهم - خلفاء، الناشر: توزيع دار التعاون

لنشر والتوزيع/ عباس أحمد الباز - مكة المكرمة.

* أصل الشيعة وأصولها، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت: ٣٧٣١)، تحقيق

: علاء آل جعفر، ط الأولى، سنة الطبع ٥١٤١. المطبعة: ستارة الناشر: مؤسسة

الإمام علي (عليه السلام).

* بحار الأنوار، المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي، المعروف

بالعلامة المجلسي أو المجلسي الثاني (ت: ١١١١هـ). ، ط ٢، سنة ٣٠٤١ هـ -

٣٨٩١ م، (د.ت)، (د.مط)، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.

* بصائر الدرجات، الصفار: الشيخ الجليل والمحدث النزيل أبو جعفر

محمد بن الحسن بن فروخ، الصفار، شيخ القميين (ت: ٩٢٠هـ). (د.ط)،

سنة ٤٠٤١ هـ - ٣٦٣١ م، تحقيق تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن

كوجه باغي، المطبعة: مطبعة الأحمدي، الناشر: منشورات الأعلمي - طهران.

* تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي

الأشبيلي (ت: ٨٠٨هـ). الطبعة الرابعة، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت

(د.ت).

* تفسير القمي، القمي أبو الحسن علي بن إبراهيم (ت: نحو ٩٢٣هـ).

(قم المقدسة - ٤٠٤١ هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي

الجزائري، منشورات مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر بقم المقدسة، ط: ٣.

* تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، الأملي،

حيدر بن علي (ت: ٢٨٧هـ) (قم المقدسة - ٨٢٤١ هـ) تقديم وتحقيق وتعليق: السيد

محسن الموسوي التبريزي، ط: ٢.

الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة
لجامعة المدرسين بقم المشرفة.

* لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين
محمد بن مكرم المصري (ت: ١١٧هـ).
(قم المقدسة - ٥٠٤١هـ)، منشورات
أدب الحوزة.

* مجمع البحرين، الطريحي، فخر الدين
بن محمد علي النجفي الطريحي (ت: ٥٨٠١هـ).
٢، سنة ٦٨٣١ ش، تحقيق: السيد
احمد الحسيني، مطبعة: جابخانه طروات.

الناشر : مرتضوي - طهران - ايران.
* المحاسن، البرقي، أبو جعفر أحمد
بن محمد بن خالد (ت: ٤٧٢هـ) (د. م
٧٧٣١هـ)، تصحيح وتعليق: السيد
جلال الدين الحسيني، منشورات دار
الكتب الاسلامية بطهران.

* مستدرك الوسائل، الطبرسي، الميرزا
حسين بن محمد تقي (ت: ١٠٢٣هـ).
(بيروت - ٨٠٤١هـ)، تحقيق: مؤسسة آل
البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ط: ٢.

* المسلك في أصول الدين، تأليف المحقق
الحلي، نجم الدين أبي القاسم جعفر بن
الحسن بن سعيد (ره) (٢٠٦ - ٦٧٦هـ)
المحقق: رضا الأستاذي الناشر: مجمع
البحوث الإسلامية، إيران - مشهد،
ط الأولى ٤١٤١ ق - ٣٧٣١ ش. الطبع
: مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة
الرضوية المقدسة.

* معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات
الرواة، الخوئي. السيد أبو القاسم

الموسوي الخوئي (ت: ٣١٤١هـ). الطبعة
الخامسة ٢١٤١هـ.

* معجم رجال الحديث، الخوئي.
السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت:
٣١٤١هـ).

* معجم مقاييس اللغة، ابن فارس،
ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا
(ت: ٥٩٣)، (دم - ٤١٤١هـ)، تحقيق: عبد
السلام محمد هارون، منشورات مكتب
الأعلام الاسلامي.

* المواقف، الايجي، عضد الدين عبد
الرحمن بن أحمد (ت: ٦٥٧هـ). تحقيق:
عبد الرحمن عميرة، بيروت - ٧١٤١هـ،
ط: ١، طبع ونشر دار الجيل بيروت.

* النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة،
تأليف الشيخ ميثم بن علي بن ميثم
البحراني (قدس سره) (ت: ٩٩٦هـ ق)
الناشر: مجمع الفكر الإسلامي - قم، ط
الأولى / ربيع الثاني ٧١٤١هـ ق، المطبعة:
مؤسسة الهادي - قم

* نقد الرجال، التفرشي، مصطفى بن
الحسين الحسيني (ق: ١١). (قم المقدسة
- ٨١٤١هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام)
لإحياء التراث، ط: ١.

* النكت الاعتقادية، المفيد: الإمام
الشيخ محمد بن محمد بن النعمان (ابن
المعلم) العكبري البغدادي (ت: ٣١٤هـ).
(بيروت - ٤١٤١هـ)، تحقيق: رضا
المختاري، منشورات دار المفيد للطباعة
والنشر والتوزيع بيروت، ط: ٢.

المحتويات

مؤتمر الإمام الهادي عليه السلام الدولي الثاني

- "تحديات الفكر المتطرف في زمن الإمامين العسكريين عليه السلام: استراتيجيات للتصدي والتأثير الإيجابي"
الشيخ حسين محسن علي سلوم ٦
- التعبير اللغوي في حكم الإمام علي الهادي عليه السلام (ت ٢٥٤ هـ) قراءة تحليلية لقوله: (رَأَيْتُ الْحَرْثَ أُسِيرَ نَفْسِهِ، وَالْجَاهِلَ أُسِيرَ لِسَانِهِ).
أ.م.د. حسام عدنان الياسري - م.م. حلا غازي مهدي ٣٦
- التوجيه القرآني في رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام (في الرد على أهل الجبر والتفويض)
م.م. أس عقيل الموسوي ٦٠
- المعاني الأخلاقية والقيمية في قصائد مدح الإمام الهادي عليه السلام وورثته دراسة معجمية للألفاظ المستعملة
الباحثة: رحاب حسين العريفوي ٧٤
- إندماج الساحات التربوية عند الإمام الهادي عليه السلام: الزيارة الغديرية أنموذجاً
الشيخ نعيم الحسيني ٩٤
- شخصية الإمام الهادي عليه السلام على لسان العلماء والمفكرين
م.د. إيمان فرحان كاظم ١٢٢

المحتويات

مؤتمر الإمام العسكري (عليه السلام) الدولي الثاني

أسلوبية المستوى الصوتي في دعاء الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في القنوات

أ.د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي..... ١٤٢

المنهج التربوي الفقهي عند الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وأثره في بناء

الفكر الإنساني

م.م. وئام علي خميس القرغولي..... ١٧٠

سياسة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) للقيادة وتربية الشيعة

الشيخ محسن مظاهر شعبان..... ٢١٠



البيروت - لبنان
مركز الإمام الصادق (عليه السلام)
للدراسات والبحوث

المحتويات

مؤتمر الإمام الحجة (ع) الدولي الثاني

- إثبات ولادة الإمام المهدي (ع) في التوقيعات الشريفة
السيد أحمد زيد الموسوي ٢٤٠
- إضاءات تربوية في جملة من التواقيع المهدوية
ضياء الشيخ علاء الكربلائي ٢٥٦
- التوجيهات الاجتماعية في توقيعات الإمام الحجة (ع)
الشيخ منتظر الواعظ الخراساني ٢٧٤
- التوقيع الأخير عن السفير الأخير دراسة تحليلية
أ.م. بشار ياسر آل حلو الشمري ٣٢٠
- التوقيعات المقدسة ووظيفة الشيعة الإمامية في زمن الغيبة (رؤى
اجتماعية وتربوية)
السيد إبراهيم صالح الشريفي ٣٥٦
- البعد المعرفي في التوقيع المهدوي (وإنني لأمان لأهل الأرض كما أن
النجوم أمان لأهل السماء)
السيد ميثم مهدي الخطيب ٣٧٠
- العمق الدلالي في توقيع السمرى (دراسة تحليلية)
م.د. محمد قاسم الحبوبي ٤١٤
- دحض شبهة الغلاة بعلم الإمام (ع) بالغيب استقلالاً توقيع الكرخي انموذجاً
الشيخ سلام محمد الناصري ٤٥٠
- رد شبهة عدم وقوع قتل الحسين بن علي (ع) في توقيع الحجة المهدي (ع)
الباحث: منيف فياض عبد ٤٨٦
- عدم خلو الأرض من حجة في ضوء توقيعي الناحية المقدسة لابني غانم ومهزيار
الشيخ مهتد غازي العقابي ٥٣٦